تفسير الحاكمي

المسمّى

تخليص الدرر

تأليف

عبد الحميد بن عبد المجيد الحاكمي
(ت: بعد ٥١٤هـ) رحمه الله

تحقيق

أ. د. أحمد بن فارس السلوم
عفا الله عنه

دار ابن حزم

تفسير الحاكمي

المسمى

تخليص الدرر

تأليف

عبد الحميد بن عبد المجيد الحاكمي

(ت: بعد ٥١٤هـ) رحمه الله

تحقيق

أ. د. أحمد بن فارس السلوم

عفا الله عنه

المجلد الثالث

(سورة الأنبياء - سورة فصلت)

دار ابن حزم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

9 789959 859426

ISBN: 978-9959-859-42-6

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم
بيروت - لبنان - ص.ب : 14/6366
هاتف وفاكس : 701974 - 300227 (009611)
البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb
الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

سورة الأنبياء

مكية[١]، وهي مائة واثنتا عشرة آية في الكوفي، وأحد عشر في المدني والبصري[٢].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ يعني: دنا لأهل مكة مجازاة أعمالهم، وهو يوم القيامة[٣]، والحساب: إظهار ما للعبد وما عليه ليجازىٰ به من الثواب والعقاب.

﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ﴾ أي: سهو وجهالة عن أمر آخرتهم ﴿مُّعۡرِضُونَ ١﴾ عن الحق تاركون له.

﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ إتيانه[٤]، والذكر: هو الوعظ، وإنما سمَّاه محدثًا لأنَّ الوعظ تبليغ الرسالة، وهو مخلوق[٥].

وإنَّما قال: من ربهم؛ لأنَّه أتىٰ من الرسول، والرسول من الله.

وقيل: ما يأتيهم من ذكر عز وشرف، سمَّىٰ الشرف ذكرًا لانَّ الشريف

---

(١) الكشف والبيان ١٨/ ٩٣، البيان ١٨٧.

(٢) والشامي أيضا كالجمهور، البيان ١٨٧.

(٣) البسيط ١٥/ ٨.

(٤) محدث نعت لِـ: ذكر (إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥، الدر المصون ٨/ ١٣٠).

(٥) المعنىٰ: ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس ويذكرهم به ويعظهم إلا استمعوه وهو يلعبون (تفسير الطبري ١٨/ ٤٠٩) فالمحدث هو التنزيل لا القرآن، كما زعمت المعتزلة (تفسير السمعاني ٣/ ٣٦٧).

يذكر، يدلُّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي عزكم وشرفكم، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ أي: عز وشرف.

﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾ بآذانهم لا بقلوبهم ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ أي: لاعبون ضاحكون هازئون.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ أي: غافلة قلوبهم عنه، انتصبت: لاهية بقوله: يلعبون لاهية ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يعني: أسروا الذين ظلموا النجوىٰ ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يعني: آدمي لا يفضلكم بشيء ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ أي: تقبلون السحر وتصدقونه ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾ تعلمون أنَّه سحر.

﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾ السر ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤﴾ بسرهم ومجازاتهم.

﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ أي: قالوا القرآن وآياته أباطيل، أحلام كاذبة مختلطة رآها محمد في المنام، قاله النضر بن الحارث.

﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي: اختلقه محمد من تلقاء نفسه، وهو قول طائفة أخرىٰ(١).

﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ وهو قول طائفة ثالثة، ومعنىٰ: بل للإعراض عمَّا حكىٰ عنهم ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾ كيد موسىٰ وعصاه ﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥﴾ من الأنبياء بالآيات إلىٰ قومهم(٢).

قال الله تعالىٰ لنبيه: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ أي: ما صدقت بالآيات أهل قرية قبل كفار مكة عند نزولها أهلكناهم، وقيل: ما آمنت

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٨٤، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٠، الجامع لأحكام للقرآن ١١/ ٢٧٠.

(٢) في الأصل: قولهم، وهو تصحيف.

قبلهم من قرية استوجبنا هلاكها[١].

﴿أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ وقد أوجبنا إهلاكهم يوم بدر بالسيف، أي: هو لا يؤمنون إن نزلت الآيات التي يقترحونها، يعني لا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا أولئك.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ﴾ كما أوحي إليك يا محمد، هذا جواب للكفار عن قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ أي: مؤمني أهل التوراة هل كانت رسلهم إلا رجالاً منهم ﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧﴾ شيئًا مما أنزل الله.

﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨﴾ وهذا جواب لقولهم: ما لهذا الرسول يأكل الطعام، يعني الأنبياء لم يخلقوا ذوي[٢] أجساد لا يأكلون الطعام، وما كانوا خالدين: ووحَّد الجسد لأن أصله المصدر، وما كانوا خالدين لأنَّ من يحتاج إلىٰ الطعام لابد وأن يذوق الموت[٣].

﴿ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ﴾ أي: أنجزنا لهم وما وعدناهم من النصر ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ﴾ من العذاب النازل ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ يعني الأنبياء مع من آمن بهم، وذكر لفظ المستقبل ليشترك فيه من بقي ممن يؤمن بالرسل ﴿وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩﴾ أي: المشركين.

﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ﴾ أي: عزكم وشرفكم إن آمنتم به ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠﴾.

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٤١٣.

(٢) في الأصل: لا يخلقوا ذوا، وما أثبته هو الصحيح، ومثله في تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٠.

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٤١٤.

﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ﴾ علىٰ نفسها كافرة بربها ﴿وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا﴾ أي: بعد هلاكها ﴿قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ١١﴾ سكنوا ديارهم وورثوا أموالهم.

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ﴾ رأوا عذابنا ﴿إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ١٢﴾ يهربون، والركض: العدو بشدة الوطء[١].

﴿لَا تَرۡكُضُواْ﴾ أي: قالت لهم الملائكة: لا تركضوا، أي: لا تهربوا ﴿وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ﴾ أي: خولتم ﴿فِيهِ﴾ من دنياكم ﴿وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ١٣﴾ عن الإيمان بنبيكم.

وقيل: عن دنياكم، وقيل: عن قتل نبيكم الذي قتلتموه، قيل: المراد بالآية أهل قرية باليمن يقال لها حضوراء[٢]، بعث الله إليهم نبيًا اسمه: زيغم[٣] فكذبوا وقتلوه، فسلَّط الله عليهم جنود بخت نصر، فهزمهم الله من جنوده، واتبعهم بخت نصر فقتلهم، فمروا في هربهم علىٰ ديارهم التي فيها أهلوهم فلم يأووا عليهم، فذلك قوله ﴿إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ١٢﴾[٤] أي من القرية.

قوله: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ١٤﴾ بقتل نبينا والشرك بربنا.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٨٦.
(٢) في الأصل: بالصاد المعجمة، والتصحيح من المصادر.
(٣) لم أقف عليه عند غير المصنف، والزيغم في اللغة المالح، يقال: للعَيْن العَذْبَة عين عَيْهم، وللمالحة عين زَيْغم (تاج العروس ٣٢/ ٣١٩).
(٤) عن مجاهد: هي قرية في اليمن، وقال الكلبي: هي حصون بني أزد، (انظر: تفسير الطبري ١٨/ ٤١٧، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢١، تفسير السمعاني ٣/ ٣٧١، معالم التنزيل ٥/ ٣١٢).
وفي تفسير مقاتل ٢/ ٣٥٣، الكشف والبيان ١٨/ ١٠٧، والبسيط ١٥/ ٢٨: حضوراء، بالضاد المعجمة، وفي الكشاف ٣/ ١٠٥: حضور.
وهكذا ذكرها الحموي في معجم البلدان ٢/ ٢٧٢: حَضُور، ثم نقل عن السهيلي أنه سماها: حضوراء، قلت وهكذا وردت في كتب التفسير، والله أعلم.

﴿فَمَا زَالَت﴾ الكلمة ﴿تِلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ أي: مقالتهم وهجيراهم ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ [حَصِيدًا]﴾ محصودين بالسيف كالزرع يحصد بالمنجل ﴿خَٰمِدِينَ ١٥﴾ بالموت، والخمود: الانطفاء للنار، يعني ميتين[(١)].

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦﴾ أي: عابثين[(٢)] لغير شيء، بل خلقناهما لأمر كائن.

﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ كما زعمت النصارىٰ من أهل نجران أنَّ عيسىٰ ابن الله ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ يعني من الملائكة، لو جاز ذلك؛ لأنهم أطيب وأطهر.

واللهو: الولد[(٣)] بلغة حضر موت، لأنَّ الوالد يلهوا به، وقيل: أراد الزوجة ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧﴾ أي: ما كُنَّا فاعلين.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ أراد بالحق التوحيد وبالباطل الشرك ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ أي: يدمغ حقنا باطلهم، يعني: يكسره ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ذاهب باطل ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ﴾ في الآخرة ﴿مِمَّا تَصِفُونَ ١٨﴾ بألسنتكم علىٰ ربكم بإضافة البنين والبنات إليه.

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي عبيده ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ من الملائكة ﴿لَا

---

(١) البسيط ١٥/ ٣٤.

(٢) في الأصل: عانتين، وما أثبته موافق لما ذكره أهل التأويل، ولتفسير مقاتل حيث صدر عنه (تفسير مقاتل ٢/ ٣٥٣، تفسير الطبري ١٨/ ٤١٩، البسيط ١٥/ ٣٥).

(٣) تصحفت في الأصل إلىٰ : الموت، وعليها علامة التصحيح. وهذا قول الكلبي وغيره (تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٢، البسيط ١٥/ ٣٦).
ومن أسرار هذه الآية: أنها نزلت في نصارىٰ نجران، فوافق أن تكون الآية نزلت بلغة اليمن، والله تعالىٰ أعلم.

﴿يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ أي: لا يستنكفون عن توحيده ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ١٩﴾ أي: لا يَعْيُون، يقال: خسر واستحسر إذا أعيا[(١)].

﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ ينزهون الله آناء الليل والنهار ﴿لَا يَفْتُرُونَ ٢٠﴾ لأنَّ التسبيح للملائكة بمنزلة النفس لابن آدم.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ﴾ أي: كفار مكة ﴿ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الأصنام التي اتخذوها من الأرض ﴿هُمْ يُنشِرُونَ ٢١﴾ يعني: أَلَهم المقدرة على نشر الخلق وبعثهم بعد الموت، استفهام بمعنى التوبيخ[(٢)].

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ﴾ لو جاز أن يكون في السماوات والأرض آلهة كما زعموا ﴿إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ ولا تقوما طرفة عين، وقيل: خربتا بالتعاون والتعادي ويهلك أهلهما ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾ من الولد والشريك.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ بعباده في الدنيا والآخرة من الإحياء والإماتة والرزق والأجل ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ٢٣﴾ عن أعمالهم.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا أنَّ أبا أيوب الأنصاري سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، العبد يذنب الذنب قد قضاه الله عليه وكتبه، ثم يعذبه قال: «يا أبا أيوب أما تقرأ قول الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ٢٣﴾ لأنهم مملوكون»[(٣)].

ومعنى قوله ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ٣٩﴾ معناه: لا يسأل سؤال استفهام لأنَّ الله تعالى عالم بأفعالهم، ولكن يسألهم إيجابًا للحجة عليهم وتقريرًا لفعلهم.

---

(١) البسيط ١٥/ ٤٣.

(٢) وقيل: معناه الجحد والإنكار (البسيط ١٥/ ٤٦، تفسير السمعاني ٣/ ٣٧٤).

(٣) غريب، ولم أجده بهذا اللفظ، وفي الدر المنثور ٥/ ٦٢٣ روايات إسرائيلية نحو هذا.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ﴾ بل اتخذ أهل مكة دون الله أصنامًا ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ﴾ حجَّتكم فيما زعمتم، وقيل: كتابكم الذي فيه عذركم[١] ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ أي: القرآن خبر من آمن بي ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ﴾ من الأمم السالفة ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ﴾ الحق والتوحيد ﴿فَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٤﴾ عن الحق معاندون له.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ إلىٰ الأمم ﴿إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ﴾[٢] بالتوحيد كما يوحىٰ إليك، ثم بين الوحي فقال ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ أي: وحِّدوني.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ﴾ من الملائكة وعيسىٰ وعزير ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۚ﴾ طهارة وتنزيهًا له عما يقولون ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦﴾ بل الملائكة عبيد مكرمون مختارون طهروا من الآثام.

﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ أي: لا تسبق الملائكة الرب بالأمر لم يوح إليهم ﴿وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾ إذا أمرهم.

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ من أمر الآخرة ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ أمر الدنيا، وقيل: ما كان قبل خلق الملائكة وما يكون بعدهم[٣] ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ أي أحب الله أن يشفعوا له، وهم أهل التوحيد ﴿وَهُم﴾ يعني الملائكة ﴿مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨﴾ خائفون.

﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ﴾ من الملائكة ﴿إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ﴾[٤] ﴿فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٤٢٦، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٤.

(٢) في الأصل: يُوحَىٰ، وهي قراءة الكل سوىٰ حفص (النشر ٢/ ٢٩٦).

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٤.

(٤) في الأصل: من دون الله. فلعله كانت تفسيرا، وسقط علىٰ الناسخ نص الآية.

﴿جَهَنَّمَ﴾ ولم يقلها أحد من الملائكة إلا إبليس الخبيث لعنه الله ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أي: نعاقب المشركين.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أي: لم يخبروا ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ ملتزقًا بعضها ببعض، ورتقًا مصدر أقيم مقام الفاعل ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ أي: فصلنا بينهما، قال: فتق السماء بالمطر، والأرض بالنبات. وقيل: فتق السماوات أن جعل بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام[1].

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ أي: جعلنا بقاء النبات وحياة كل حي بالماء، وقيل: أراد به النطفة، وقيل: لأنه ليس شيء فيه الروح إلا حياته بالماء[2] ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ بما يرون من الآيات الدالة علىٰ توحيدي.

﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ الجبال الثوابت، واحدتها راسية ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ كيلا تتحرك الأرض تحتهم ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾ أي: طرقًا في الجبال إلىٰ السهل، وإلىٰ الجبال من السهل، والفجاج الأودية أيضًا، مثل المنخرق بين الجبلين ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ يعرفون الطرق.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ من الشياطين، وقيل: من السقوط[3] ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي: من آيات شمسها وقمرها ونجومها جاحدون، لا يتفكرون فيها.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ في دوران يجرون، لما ذكر منها فعل العقلاء أجراها مجرىٰ العقلاء[4]، وذلك أنَّ

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٤٣٠، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٤.
(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٤٣٤، النكت والعيون ٣/ ٤٤٤، زاد المسير ٣/ ١٨٩.
(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٤٣٦، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩١.
(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٩١.

الشمس والقمر يدخلان من قِبل المغرب تحت الأرض، ويجريان تحت الأرض حتىٰ يخرجا من قِبل المشرق، ثم يجريان في السماء إلىٰ المغرب. وقال: الفلك طاحونة كهيئة فَلَكة المغزل، لأنه اسم لشيء دائر(١).

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ نزلت في أُناس من المنافقين قالوا: لو مات محمد نرجع إلىٰ ديننا، فنزلت الآية. يعني: مات قبلك آدم ونوح والرسل قبلك فلم يُخلَّد أحد(٢).

﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ معناه: إن مت أنت أفهم الخالدون؟ لا، بل يموتون وأعذبهم بما جحدوا من آياتك.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: كل نفس منفوسة تذوق الموت لا محالة ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ أي: نختبركم بالشدة لتصبروا، وبالخير يعني الرخاء لتشكروا. فتنة: يعني بلية ابتلاكم الله بها ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ في الآخرة للمجازاة(٣).

قال الضحاك: الشر: الفقر والمرض، والخير: الغِنىٰ والصحة(٤).

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ النضر بن الحارث وعقبة عن الضحاك(٥) ﴿إِن

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٥، وسميت فلكة المغزل بذلك لاستدارتها، تاج العروس ٢٧/ ٣٠٤.

(٢) في تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٥: ناس من المشركين، ولم يقل المنافقين، وهو أنسب، لأن السورة مكية، والنفاق كان في المدينة، وهذا الخبر من تفسير الكلبي فيما يظهر.

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٤٤٠.

(٤) وهو مروي عن ابن عباس من طريق ابن جريج وعلي (تفسير الطبري ١٨/ ٤٤٠، البسيط ١٥/ ٧١).

(٥) وقيل: أبو جهل، عن السدي (البسيط ١٥/ ٧١)، وقيل أبو سفيان، ذكره أبو الليث في تفسيره ٢/ ٤٢٦.

يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ يهزؤون بك ويقولون ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ يعيب اللات والعُزى ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ يعني: بوحي الرحمن، وقيل: بتوحيده، وقالوا: لا نعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب[(١)].

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: خلقت العجلة في الإنسان، وهذا الغاية: العجلة في الإنسان، كقولك للرجل اللعوب: خلق فلان من لعب[(٢)].

وقيل: العجل الطين، أي خلق آدم من طين، قال الشاعر:

النَّبعُ ينبتُ في الأحجار ضَاحية والنَّخل ينبتُ بينَ الماء والعَجَل[(٣)]

يعني: الماء والطين.

﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾ أي: عذابي وهو القتل يوم بدر ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ فإنه كائن.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: كفار مكة ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ الذي يعدنا بأنَّا نُبْعَثُ ونُعَذَّبُ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ في قولكم[(٤)].

قال الله تعالىٰ: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾ أي: لا

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٦.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٢.

(٣) البيت في النكت والعيون ٣/ ٤٤٨، الكشف والبيان ١٨/ ١٢٨، البسيط ١٥/ ٧٧، معالم التنزيل ٥/ ٣١٩، الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٨٨ ، تاج العروس ٢٩/ ٤٣٥، وأكثرهم رواه: والنبع في الصخة الصماء منبته..
وهذا القول شاذ في التفسير، وقد شكك فيه بعض أهل اللغة (تهذيب اللغة ١/ ٢٣٧، الدر المصون ٨/ ١٥٧).

(٤) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٦.

يدفعون ﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾ أي: لا يقدرون دفع العذاب عن أنفسهم ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٣٩﴾ يعني: ولا هم منصورون، متروك الجواب، معناه: لو علموا ذلك ما استعجلوا.

﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي: تفجأهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝٤٠﴾ أي: يؤجلون.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما استهزئ [بك] ﴿فَصَبَرُوا۟﴾ علىٰ ذلك ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٤١﴾ أي: عقوبة استهزائهم.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ يعني يحفظكم ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: من عذابه لو أراد عذابكم ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ۝٤٢﴾ تاركون.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ أي: عذابنا، وهم استفهام بمعنىٰ الجحد ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: الآلهة، لا يقدرون دفع ضرب الفؤوس عن أنفسهم عند النحت، فكيف يمنعون العذاب عنهم ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ۝٤٣﴾ أي: يُجارون، يقال: أصحبت فلانًا إذا أعطيته الأمان[1].

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ يعني كفار مكة ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ يعني الحياة في الدنيا ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ يعني من حوالي مكة، يعني: بموت أشرافها ورؤسائها، وقيل: يستولي محمد صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ أرض بعد أرض، وهذا أصح[2].

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٤٤٧، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٧، البسيط ١٨/ ٨٧.

(٢) وهو قول الكلبي والسدي (البسيط ١٥/ ٨٩).

﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝٤٤﴾ لمحمد والإسلام.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ بالقرآن ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ۝٤٥﴾ أي: الكفرة صُمٌّ بأذان قلوبهم.

وقرئ: «تُسمعُ» بالتاء، و«الصمَّ» بالفتح، خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ أي: طرف ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ بالمسخ أو الخسف أو الغرق أو السيف ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ عند معاينة العذاب ﴿يَٰوَيْلَنَآ﴾ أي: يا هلاكنا(٢) الذي نزل بنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٤٦﴾ لأنفسنا بالشرك.

ثم ذكر عدله في القيامة: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ معناه: ونضع أعمال بني آدم في الميزان، عن مقاتل(٣).

فكأنَّ الموازين جمع موزون، كالمواريث جمع موروث.

وقيل: الموازين العدل الذي لا جور فيه، عن الضحاك وقتادة(٤).

وقال الحسن: له كفتان ولسان، جعلها الله للعباد يعرفون بها مقادير الاستحقاق(٥).

﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ أي: لا ينقص حينئذ من حسنات أحد ولا يزاد على سيئاته ﴿وَإِن كَانَ﴾ عمل العبد ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ في الوزن خيرًا

---

(١) وهي قراءة ابن عامر (النشر ٢/ ٣٢٣).

(٢) في الأصل: يا يلانا. وهو تصحيف، ولعل الذي أثبته هو الصحيح، (انظر: تفسير السمعاني ٣/ ٣٨٣).

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٣٦٠.

(٤) البسيط ١٥/ ٩٤.

(٥) البسيط ١٥/ ٩٤، معالم التنزيل ٦/ ٣٢١.

كان أو شرًا ﴿أَتَيۡنَا بِهَاۗ﴾ ميزانه، وجازينا صاحبه ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ مجازين[(١)].

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ بين الحلال والحرام ﴿وَضِيَآءٗ﴾ بيانًا من الضلالة ﴿وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨﴾ أي: عظمة للموحدين الذين يتقون الشرك.

﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ في الدنيا وأطاعوه ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: قيامها ﴿مُشۡفِقُونَ ٤٩﴾ خائفون. ابن عباس: من آمن بالله بأنه واحد لا شريك له وبالجنة والنار والبعث والحساب والميزان فقد خشي بالغيب[(٢)].

﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ﴾ يعني: القرآن فيه سعادة لمن آمن به ﴿أَنزَلۡنَٰهُۚ﴾ على محمد ﴿أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٠﴾ أي: تستطيعون إنكاره مع بدائع نظمه، وعجائب ما فيه؟

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ﴾ أي: أكرمناه بالمعرفة قبل النبوة، وقيل: قبل بلوغه ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١﴾ إنه أهل للرشد[(٣)].

﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ الصور والأصنام ﴿ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢﴾ أي: عابدون مقيمون عليها ﴿قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣﴾ فنحن نقتدي بهم ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٥٤﴾ خطأ بيِّن ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ تقول ذلك جدًا ﴿أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥﴾ لاعب مازح ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٨.

(٢) لم أقف عليه، ويظهر أنه من تفسير الكلبي.

(٣)تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٩. وفي الأصل: الرشد.

ذَٰلِكُم﴾ علىٰ ما قلت لكم ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ أنه خالقكم وخالق السماوات والأرض، ثم قال في نفسه ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ أي: لأمكرنَّ بها بالكسر عند مغيبكم ذاهبين إلىٰ عيدكم، فلما خرجوا إلىٰ عيدهم قالوا لإبراهيم: اخرج معنا، فقال: إني سقيم، فتركوه ثم دخل علىٰ أصنامهم ﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا﴾ بالرفع: مثل حطام ورفات، ولا واحد له من لفظه، وبالكسر: جمع جذيذ ومعناه: قِطعًان وقيل: كسرًا[١].

﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ﴾ يعني: كبير الأصنام لم يكسره، ووضع الفأس علىٰ عاتقه وخرج ﴿لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ إلىٰ الصنم الكبير، وقيل: إلىٰ إبراهيم ليحتج عليهم إنه لما لم يدفع الشر عن نفسه فكيف يدفع عنهم، فلما رجعوا من عيدهم ورأوها مكسورة ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾ لها حين كسرها، قيل: هذا استفهام، وقيل: خبر ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ وإنما قال ذلك رجل منهم ﴿قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: مشهد من الناس علىٰ رأس الملأ ﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ عليه عند حضوره، فكره الكفار أن يأخذوه من غير بيِّنة، وقيل: يشهدون عقوبته[٢].

فلما أوتي به قال له نمروذ ﴿[قَالُوٓاْ] ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ من الكسر ﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ معناه: إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم، وإن لم يقدروا عل الكلام فأنا فعلت، وهذا من معاريض الكلام، وقد جاء في الخبر: «إن في المعاريض بمندوحة عن الكذب»[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٦، الكشف والبيان ١٨/ ١٤٢.
وقد قرأ الكسائي بكسر الجيم، وقرأ الباقون بضمها (النشر ٢/ ٣٢٤).
(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٤٦٠.
(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ ١٠/ ١٩٩ عن عمر بن الخطاب وعمران موقوفا.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ باللوم يلوم بعضهم بعضًا ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤﴾ بمناداة من لا يتكلم ولا يستطيع دفع الباس[1] عن نفسه، فكيف يستطيع دفع البأس عنكم ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾ أي: رجعوا إلىٰ شركهم الأول، وقيل: أطرقوا خجلاً، وقالوا ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ﴾ يا إبراهيم ﴿مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ إن عبدتموه ﴿وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦﴾ إن لم تعبدوه ﴿أُفّٖ لَّكُمۡ﴾ أي: نتنًا وقذرًا منكم ﴿وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ ولا منفعة فيها ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧﴾ أنه: لا بيان لها ولا حركة ولا نفع ولا ضر.

﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ يعني: قال نمروذ: انتقموا لآلهتكم ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨﴾ به عقوبة، فبنوا له البنيان، ونقلوا الحطب أربعين يومًا، ثم أوقدوا النار في الحطب حتىٰ أججوها، ثم رموا[2] إبراهيم فيها بالمنجنيق[3].

قال مؤلفه عبد الحميد الحاكمي -عفا الله عنه-: بلغنا أن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه لمَّا أوثق قوائمه حتىٰ يرمىٰ إلىٰ النار قال: لا إله إلا أنت رب العالمين، لك الحمد ولك المُلك لا شريك لك، قال الله تعالىٰ: ﴿[قُلۡنَا] يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ أي: كوني بردًا من حرِّك، وسلامة من بردك، فألقوه فيها ولم يحترق من إبراهيم غير وثاقه[4].

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا﴾ أي: شرًا ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾ مغبونين حيث لم يتألم إبراهيم بعقوبتهم.

---

(١) في الأصل: الناس، وهو تصحيف.

(٢) في الأصل: ارموا. وهو تصحيف.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٣١.

(٤) تفسير الطبري ١٨/ ٤٦٥، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٣٢.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ يعني: بيت المقدس.

ولوط كان ابن أخيه، وأخوه هارون بن آزر، وقد هاجر إبراهيم بعد ما خرج من النار مع لوط إلىٰ بيت المقدس.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي: زيادة علىٰ ما سأل، لأنَّه سأل الولد ولم يسأل الحافد فرزق كلاهما[1] ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ مُرْسلين.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ قادة يدعون الناس إلىٰ التوحيد بإذننا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ أن افعلوا الطاعات من الصيام والصلاة ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ موحدين مخلصين.

﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ لوطًا آتيناه: منصوب بفعل مضمر، يعني: آتينا لوطًا حكمًا وعلمًا نبوة وفهمًا، وقيل: علمًا بصحف إبراهيم[2].

﴿وَنَجَّيْنَاهُ﴾ يعني: لوطًا ﴿مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾ يعني: اللواطة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾ عاصين، وقريتهم سَدُوم.

﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ يعني: في رسالتنا ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ من المرسلين.

﴿وَنُوحًا﴾ يعني: اذكر نوحًا ﴿إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ إذ دعا ربه من قبل إبراهيم ولوط، ونداؤه: إني مغلوب فانتصر ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ كل من آمن به ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ الغم الشديد، وهو الغرق.

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٤٥٧.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٤٧٢.

﴿وَنَصَرۡنَٰهُ﴾ بنزول العذاب ﴿مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ﴾ يعني: علىٰ القوم، وقيل: منعنا عنه أذىٰ قومه، نصره ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ﴾ أي: كفارًا ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٧٧﴾ صغيرهم وكبيرهم، وقيل: نصرناه من القوم أي: نجيناه.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ﴾ اذكر داود وسليمان ﴿إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ﴾ أي: الزرع وقيل: في الكرم ﴿إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ﴾ النفش: بالليل، والهمل بالنهار(١).

قيل: كانت غنم قوم وقعت في كرم رجل ليلاً، بعد ما خرجت عناقيده وأفسدها، فجاء صاحب الكرم وخاصم أصحاب الغنم، فقضىٰ داود بالغنم لصاحب الكرم، لأنَّ قيمة الغنم ما فسد من الكرم سواء، فخرجوا من عنده ومرُّوا علىٰ سليمان، فسألهم: كيف قضىٰ نبي الله؟ فأخبروه به، فقال: نِعْمَ ما قضىٰ، وغير ذلك كان أرفق بالفريقين، فرجعوا إلىٰ داود وأخبروه بذلك، فدعا داود سليمان فقال: تدفع الغنم إلىٰ أصحاب الكرم لينتفعوا بألبانها وأصوافها، وأصحاب الغنم يعملون في الكرم حتىٰ يصير كهيئته، ثم يرد الغنم إلىٰ صاحبها والكرم إلىٰ صاحبها، فرضي داود بحُكمه، فرضي الله بحكمهما، فذلك قوله ﴿وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨﴾ ذكر التثنية بلفظ الجماعة علىٰ عادة العرب(٢).

وهذا الحكم اليوم عند الفقهاء بخلاف ذلك، فعند فقهاء العراق لا يجب علىٰ صاحب الغنم شيء ليلاً كان أو نهارًا؛ إلا أن أرسلها عمدًا، وعند فقهاء الحجاز: إذا وقع بالليل وجب الضمان، وبالنهار لا يجب(٣).

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٩.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٤٧٥، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٩، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٣٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣١٤.

﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ﴾ أي: ألهمناها الحكومة بالصلح ﴿وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ أي: داود وسليمان النبوة والفهم بالقضاء ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ﴾ معه إذا سبَّح ﴿وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩﴾ قال ابن عباس: كان للجبال حنين كحنين البعير، والطير كانت تسبح معه إذا رفع صوته، وصوته كصوت المزامير، وهو قارئ أهل الجنة في الجنة(١).

﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ﴾ هو أول من اتخذ الدروع ﴿لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ﴾ ليمنعكم من سلاح عدوكم ﴿فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ٨٠﴾ لله بهذه النعمة.

﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ أي: سخرنا له الريح ﴿عَاصِفَةٗ﴾ منصرف على الحال، تمر به حيث أراد ﴿تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ أي تسير به وبجلسائه بإذنه ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ﴾ للعالمين بالماء والشجر، يقال: فلسطين ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾ مما أعطينا داود وسليمان ﴿عَٰلِمِينَ ٨١﴾.

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ أي: لسليمان في البحر، يأتوا إليه من قعر البحر بأصداف فيها اللؤلؤ ﴿وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ سوى الغوص من البناء والمحاريب والتماثيل وغير ذلك ﴿وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ٨٢﴾ أي: للشياطين من أن يهيجوا أحدًا في زمانه، وقيل: في سُخرة(٢) سليمان ما دام حيًا(٣).

﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ يعني: اذكر أيوب إذ نادى ربه حين دعا ربه ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ المرض والبلاء في الجسد ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾ أعطف العاطفين، لنحاج طلبة(٤) الطالبين، عرَّض في السؤال ولم يصرح، قال الله

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٣٤.

(٢) في الأصل: في سحره.

(٣) زاد المسير ٣/ ٢٠٤.

(٤) في الأصل: طبه.

عز وجل: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ نرحم بها من نشاء ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ۝٨٤﴾ موعظة للموحدين.

قيل: مكث أيوب في البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات، والدود ما بين الجلد واللحم منه، وكان الجلد واللحم يتناثر عن العظم، فقال عند ما باعت امرأته قُرون رأسها لشهوة اشتهىٰ أيوب: إلـٰهي إنك تعلم أني لم أكن أشبع حتىٰ أُشبع اليتيم والجار وابن السبيل، ولم أكن أكتسي حتىٰ أكسوهم، ابتليتني يا رب بذهاب المال والولد، ثم البلاء في جسدي، ثم صيَّرتني أعيش بشعر حليلتي، مسني الضر فارض عني، وإن كان هذا رضًا عني فأنت أرحم الراحمين[1].

---

(١) عقد ابن الجوزي فصلا لسرد قصته في زاد المسير ٣/ ٢٠٥. وأطال الطبري في تفسيره ١٨/ ٤٨٤ برواية خبر إسرائيلي عن وهب بن منبه في شأنه. وفي سياق ما ذكروه عن أيوب ما يستنكر، وأحسن ما روي في شأنه حديث أنس بن مالك، رواه ابن حبان في صحيحه (٢٨٩٨) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: إن أيوب نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم لبث في بلائه ثمان عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه، كانا من أخص إخوانه، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين، قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثمان عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به، فلما راح إليه لم يصبر الرجل حتىٰ ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقول، غير أن الله يعلم أني كنت أمر علىٰ الرجلين يتنازعان فيذكران الله، فأرجع إلىٰ بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق، قال: وكان يخرج إلىٰ حاجته، فإذا قضىٰ حاجته أمسكت امرأته بيده، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، فأوحىٰ الله إلىٰ أيوب في كتابه ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝٤٢﴾ [سورة ص:٤٢] فاستبطأته، فبلغته فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، فهو أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلىٰ؟ والله علىٰ ذلك ما رأيت أحدا كان أشبه به منك إذ كان صحيحا، قال: فإني أنا هو، وكان له أندران، أندر

قال مقاتل: كانت امرأة أيوب ولدت قبل البلاء سبع بنين وثلاث بنات، فماتوا، وأحياهم الله بعد البلاء، وولدت بعد زوال البلاء سبع بنينن وثلاث بنات أخرىٰ، بعد ما صار أيوب شابًا وامرأته شابة، وهو قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾[1].

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ واذكر إسماعيل ﴿وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ علىٰ أمر الله وقضائه، حتىٰ بلغوا ما أرسلوا به، فاصبر أنت يا محمد صبرهم.

وأما ذا الكفل: فإنه سمي بذلك لأنه كفل ملكًا من الملوك إنْ هو تخلىٰ للملك؛ وتخلع عن جميع مملكته؛ بالجنة، وحياة الأبد، ونعيم بلا انقطاع، وكتب له علىٰ ذلك كتابًا، فلما مات الملك أمر أن يدرج ذلك في كفنه، فلما دفن جيء بالكتاب إلىٰ ذي الكفل: بأن الله يقرئك السلام ويقول: قد وفيت للملك ما وعدته، وألزمته في عنقه، فأنت اليوم بريء من العهدة[2].

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ أي: المرسلين.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ وهو يونس[3] عليه الصلاة والسلام ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ أي: خرج غضبانًا من قومه من غير أن يؤمر به، حتىٰ أتىٰ بحر الروم، فوجد قومًا

القمح وأندر الشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما علىٰ أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتىٰ فاضت، وأفرغت الأخرىٰ علىٰ أندر الشعير الورق، حتىٰ فاضت.

وهذا الخبر غريب تفرد به نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس، رواه شيخا التفسير: ابن جرير وابن أبي حاتم، ورواه الحاكم في المستدرك٢/ ٥٨٠، وصححه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٣٧٤.

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٣٦٧.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٥٠٧، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٣٨.

(٣) في الأصل: إدريس، وهو سبق قلم من الناسخ.

شحنوا سفينتهم، فقال لهم: احملوني معكم، فعرفوه وحملوه، فلما سارت السفينة في البحر تكفَّأت بهم وغرقت في الماء، فقال الملاحون: يا هؤلاء إن فيكم رجلاً عاصيًا، لأنَّ السفينة لا تفعل هذا من غير ريح، وقال التجار: قد جربنا السفينة مرارًا، فإذا رأيناه كذلك اقترعنا، فمن خرجت قرعته غرقناه، ولأن يغرق رجل واحد خير من أن يغرق أهل السفينة، فاقترعوا فخرجت قرعة يونس، فقالوا: هو نبي الله ونحن أولىٰ بالمعصية من نبي الله، فأقرعوا ثانيًا وثالثًا، فخرج سهم يونس في كل مرة، فقال يونس: أنا والله العاصي، فتلفف في كسائه وقام علىٰ رأس السفينة، وألقىٰ نفسه في البحر، فالتقمه الحوت، ثم أخذ في البحر، فسبح بيونس حتىٰ أخرجته إلىٰ بحر النيل نيل مصر، ثم إلىٰ بحر فارس، ثم دخل به البطائح، حتىٰ أدخله دجلة، وكان شاطئ دجلة يسد جنبيه، ثم رمىٰ به بنصيبين بعراء من الأرض، وقد مكث في بطن الحوت أربعين يومًا، وهو يقول ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾.

فنبذه الحوت بالعراء كهيئة الفرخ المنتوف، ليس عليه شعر ولا لحم، فأنبت الله عليه شجرة من يقطين، فاستظل بظلها، وأكل من ثمرها، حتىٰ قوي، فبينما هو كذلك إذ هبّت ريح فنبشت[1] الشجرة، فجزع به يونس، فقيل له: أتجزع علىٰ شجرة تنبت من ساعة وتنبش في ساعة، ولا تحزن علىٰ عبادي الذين هم في أيدي الكفرة.

وقيل: كان هذا بعدما دعاهم إلىٰ الإسلام وأبوا، وواعدهم يونس بالعذاب إلىٰ ثلاثة أيام وخرج من بينهم، فلما نزل العذاب تضرعوا إلىٰ الله بالدعاء، فكشف الله عنهم، فأنف يونس أن يرجع إليهم مخافة التكذيب أو

(١) كذا في الأصل، في الموضعين، والمعنىٰ: اقتلعتها بأصولها، والأنبوش والمنبوش: الشجر المقتلع بأصوله (تاج العروس ١٧/ ٣٩٩) وقد يكون الصواب: فيبست.

التعيير[١] فمضىٰ ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: لم نقض عليه البلاء ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة بطن الحوت ﴿[أَن] لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ﴾ لا مفرِّج للمغمومين سواك سبحانك ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧﴾ لنفسي ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ أي: بطن الحوت، وقيل: غم الذنب[٢].

﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨﴾ من دعاني بهذا الدعاء نجيته من الشدائد؛ كما نجينا يونس، وروي عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «من دعا دعوة يونس عليه السلام استجيب له»[٣].

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ يعني: اذكره حين قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ وحيدًا بغير ولد ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩﴾ لأن الخلائق يموتون وأنت لا تموت، وقيل: خير الوارثين أي: الواهبين[٤].

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ فتق رحمها حتىٰ حبلت ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟﴾ أي: زكريا ومَن قبله من الأنبياء الذين تقدمت أسماؤهم ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ الطاعات والأعمال الزاكية ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي: رغبة في ثوابنا، ورهبة: أي خوفًا من عذابنا ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ أي: متواضعين خائفين غير بطرين ولا أشرين.

---

(١) في الأصل: التغيير.

(٢) في الأصل: غم الداب، وهو تصحيف، وعلىٰ الصواب في تفسير أبي الليث ٢/ ٤٤٠.

(٣) رواه أحمد في المسند ١٤٦٢ ، والترمذي ٣٥٠٥ عن سعد قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له» وإسناده صحيح.

(٤) المعروف الأول (تفسير أبي الليث ٢/ ٤٤٠، زاد المسير٣/ ٢١١).

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ يعني: اذكر مريم حفظت فرجها من الفواحش. والإحصان: إحراز الشيء من الفساد(١) ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ قيل: أخذ جبريل بطرف جيبها ونفخ فيه، وقال: ليكن في بطنك ولد من غير أب بإذن الله تعالىٰ ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ أي: عبرة لعالمي زمانهما، ولم يقل: آيتين، لأنَّ الآية فيهما آية واحدة، وهي الولادة بدون الفحل، ولأنَّ الآية ليست نفسهما ولكن شأنهما، وذلك واحد(٢).

﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: مِلَّتكم ملة واحدة وهو الإسلام، وقيل: دينكم دين واحد ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ أطيعون.

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ يعني: تقطعوا بأمرهم، انتصب لنزع الخافض، أي: فرَّقوا دينهم فصاروا أممًا، ولم يجتمعوا علىٰ الحق حتىٰ كانوا أمة واحدة، وهم: النسطورية، والماريعقوبية، والملكانية، والمرقوسية، واليهود أيضًا فرق ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ يعني الفِرَق، الكل راجعون إلينا لمجازاتنا بعد الموت، كل أمة نيّف وسبعون فرقة.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ أي: الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي: لا بطلان لثواب عمله بل نجازيه عليه ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ تكتبه الحفظة بأمرنا.

﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ أي: أهل قرية ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بموت أو عذاب ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ إلىٰ الدنيا، وقيل: لا يرجعون أي لا يتوبون، يعني: أهل كل قرية كتبنا عليهم الهلاك حرام عليهم التوبة، من الحرمان لا من التحريم(٣).

---

(١) البسيط ١٥/ ١٨٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١٠، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٠٤، البسيط ١٥/ ١٨٥.

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٥٢٥، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٠٤.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾ وكلمة حتىٰ يبتدأ بها كما يبتدأ بكلمة إذا، ومعناها هاهنا معنىٰ لما، الفتح: انفتاح(١) الشيء عن غيره.

ويأجوج ومأجوج أخوان لأب من نسل يافث بن نوح، يعني: يرسلون من الردم عند اقتراب الساعة جاء، في الحديث: «الناس سواهم جزء من ألف جزء»(٢).

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ يخرجون، والحدب: ارتفاع من الأرض(٣).

وقيل: ينسلون يسرعون من النسلان، ويحشرون إلىٰ الموقف(٤).

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ الأجل الصدق يوم القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ يعني: الأبصار ﴿شَٰخِصَةٌ﴾ والكناية ربما تقدمت علىٰ الاسم، كقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ وقال ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾.

﴿أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ حين عاينوا ما كذبوا به ﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾ أي: يقولون يا ويلنا ﴿قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ اليوم ﴿بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾ مشركين في الدنيا.

﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨﴾ قيل: لما قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم هذه الآية شقَّ علىٰ الكفار، فأتاهم عبد الله بن الزبعرىٰ وقال: لو كنت هاهنا لخصمته، ثم أتىٰ

---

(١) أظنه في الأصل الذي نقل عنه الناسخ: انفراج.

(٢) وهو حديث بعث النار، وقد سبق في تفسير خواتيم سورة الكهف.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٠٥، البسيط ١٥/ ١٩٩.

(٤) والنسلان مشية الذئب إذا أسرع (البسيط ١٥/ ١٩٩).

رسول الله فقال: أرأيت ما قلت لقومك آنفًا، خاص أو عام؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: بل عام كل من عبد دون الله، فهو وعابده في النار، فقال اللعين: أرأيت عيسىٰ يعبده النصارىٰ، وعزير يعبده اليهود، وبنو مليح يعبدون الملائكة، فهؤلاء في النار؟ فسكت رسول الله، فأنزل الله عليه قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾[1].

وقيل: للآية وجه صحيح من غير هذا التأويل، لأنه ذكر بكلمة «ما تعبدون» وكلمة «ما» للجماد لا للعقلاء، ويستعمل في العقلاء كلمة «من»[2].

وقوله: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ أي: وقود جهنم، وقرئ: حضب، بالضاد، وهو ما يهيج به النار[3].

أنتم لها واردون: أي فيها داخلون، العابد والمعبود.

وقيل: إنما دخلت اللام في الكلام لأنَّ المفعول إذا تقدم علىٰ الفعل يدخله اللام، كقوله ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

---

(١) وهذه رواية الكلبي كما في البسيط ١٥/ ٢١٠، وروىٰ ابن جرير في التفسير ١٨/ ٥٣٩ عن ابن إسحاق نحوه.

(٢) واستدل بعضهم بهذا علىٰ ضعف القصة، قال أبو الليث في تفسيره ٢/ ٤٤٢: ويقال: إن هذه القصة لا تصح، لأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وسلَّم كان أفصح العرب، وأنطقهم لساناً، وأحضرهم جواباً كما وصف نفسه: «أنَا أفْصَحُ العَرَبِ» فلا يجوز أن يسكت علىٰ مثل هذا السؤال، ولم يكن السؤال لازماً، ويقال: كان سكوته للاستخفاف، لأنه سئل سؤالاً محالاً، لأنه قال: إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ولم يقل ومن تعبدون، و«ما» لا يقع علىٰ النواطق، و«من» تقع علىٰ النواطق..

(٣) قال الزجاج (في معاني القرآن ٣/ ٤٠٦): قرئت علىٰ ثلاثة أوجه، حَصَبُ جهَنمَ، وحطب جهَنَّمَ، وحَضَبُ جَهَنمَ ، فمن قرأ: حصَبُ، فمعناها كل ما يرمىٰ به في جهنم، ومن قال: حطب، فمعناه ما توقد به جهنم ، ومن قال: حَضب، فمعناه ما تهيجُ به النارُ وتُذكىٰ به، والحَضْبُ الحيَّةُ أهـ قلت: وهاتان قراءتان شاذتان.

﴿لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الأصنام ﴿ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَاۖ﴾ أي: دخلوها ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٩٩﴾ العابد والمعبود.

﴿لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ﴾ أي: شهيق وضجيج ﴿وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠﴾ لأنَّ حسيس النار غلب على أسماعهم، وقيل: صُمَّت آذانهم فلا يسمعون(١).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ أي: جرىٰ في علمنا السابق الإحسان لهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا﴾ أي: عن النار ﴿مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ﴾ صوتها ﴿وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ أي: تمنت وتلذذت أعينهم ﴿خَٰلِدُونَ ١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ عند ذبح الموت، وتطبيق النار، وقيل: نداء القطيعة ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند باب الجنة مبشرين لهم ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾ في دار الدنيا.

﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ﴾ والسجل: الصحيفة التي فيها الكتاب، وقيل: هو ملك يقال له السجل(٢).

انتصب يوم للظرف، أي: هذه الأهوال كلها في يوم تطوىٰ السماء، وقيل: السجل رجل كان كاتب رسول الله(٣).

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٤٣، وروىٰ ابن جرير في التفسير ١٨/ ٥٣٧ عن ابن مسعود قال: إذا ألقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرىٰ، ثم جعلت التوابيت في توابيت أخرىٰ فيها مسامير من نار، فلا يرىٰ أحد منهم أن في النار أحدا يعذّب غيره، ثم قرأ الآية.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٥٤٣، ورجح ابن جرير أنه الصحيفة.

(٣) وهو قول ضعيف، ولا يعرف ذلك في كتبة الوحي، وروي عن ابن عباس بإسناد ضعيف جدا (تفسير الطبري ١٨/ ٥٤٣، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٤٣).

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ أي: قدرتنا على الإعادة كقدرتنا على الابتداء، معناه: نفنيه كما لم يكن في أول الخلق فابتدأناه، وقيل: ننشئه في الآخرة كما أنشأناه في الدنيا، وهذا الكلام جرى في الخلق كلهم لا في السماء.

وقوله ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ﴾ تم الكلام، وابتدأ بقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[١].

﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ حقًا علينا، والوعد من الله تعالى بمنزلة القسم ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ أي: قادرين على ما نشاء من الفعل.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ قرئ: «الزُّبور» بالضم[٢]، يعني الكتب المتقدمة، من بعد الذكر: أي اللوح المحفوظ.

وقيل: في زَبور داود إذا قُرئ بالنَّصب، من بعد التوراة[٣].

﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ أي الجنة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ المؤمنون.

وقيل: أرض المقدسة، يرثها أي: ينزلها الصالحون من بني إسرائيل.

وقيل: أرض الشام يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم[٤].

﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا [لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ]﴿١٠٦﴾﴾ ما يبلغ إلى البُغْية، وقيل: البلاغ سبب الوصول إلى الحق، وقيل: بلاغًا أي عبرة للموحدين، وقيل: في القرآن كفاية من الأمر والنهي للمتعبدين[٥].

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٤٤.

(٢) وهي قراءة حمزة (النشر ٢/ ٢٥٣).

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٥٤٧، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٠٧، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٤٤.

(٤) هذا القول في تفسير أبي الليث ٢/ ٤٤٥، وقيل: أرض الجنة (تفسير الطبري ١٨/ ٥٥٠).

(٥) البسيط ١٥/ ٢٢٩.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ لكافة الخلق، هو رحمة للمؤمنين: لأنه أخرجهم من الظلمات إلىٰ النار، ورحمة للكافرين: إذ لم يعذبوا ورسول الله فيهم.

﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨﴾ ألم يأن وقت الإخلاص لله بالتوحيد، بمعنىٰ الأمر.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن الإيمان بعد البيان ﴿فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ﴾ أي: أعلمتكم حتىٰ[1] صرتم علىٰ أمر بيِّن، وقيل: أعلمتكم بالوحي لتستووا في الإيمان[2].

﴿وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩﴾ من العذاب، يعني: ما أدري قُربه وبُعده.

﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ أي: العلانية من أقوالكم ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ١١٠﴾ فيها.

﴿وَإِنۡ أَدۡرِي﴾ ما أدري ﴿لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ﴾ أي: تأخير العذاب بليّة لكم، واختبار ليظهر ما هو كائن منكم؛ فتستحقون الجزاء علىٰ العمل ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ١١١﴾ أي: منفعة لكم إلىٰ منتهىٰ آجالكم، وقيل: إلىٰ يوم بدر[3].

﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾ ادع يا محمد[4]: اقض بيننا وبين كفار مكة بالعدل، وهو هلاكهم ونجاتنا.

---

(١) في الأصل: حين، وقد تكرر منه تصحيف حتىٰ إلىٰ حين.

(٢) وهو قول الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٤٠٨.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٤٦، البسيط ١٥/ ٢٣٣.

(٤) كتبها في الأصل: قل، وهي قراءة من سوىٰ حفص (النشر ٢/ ٣٢٥).

وقل[١] ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ﴾ أي: نسأل منه العون ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾ من تكذيبكم بالعذاب علىٰ مخالفتكم الرسول وإنكاركم الرحمن.

قال مؤلفه عبد الحميد الحاكمي رضي الله عنه: بلغنا عن أُبي بن كعب عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الأنبياء حاسبه الله تعالىٰ حسابًا يسيرًا، وصافحته الأنبياء عليهم السلام، وسلَّم عليه كل نبي ذُكِرَ اسمه في القرآن»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) فصل بين الواو وربنا بـقل.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٨/ ٩٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٨٨.

سورة الحج

مكية عند البعض، ومدنية عند البعض، وقيل: بعضها مكية وبعضها مدنية(١)، وهي ثمانٍ وسبعون آية في الكوفي(٢).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ﴾ يعني: يا أهل مكة وحِّدوا ربكم، وقيل: اخشوه وأطيعوه فيما أمر ونهىٰ ﴿إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾ هائل فظيع، وقيل: هذه الزلزلة تكون والناس علىٰ ظهرها ثم يموتوا، وقيل: بعد طلوع الشمس من مغربها(٣).

﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ﴾ أي تشتغل ﴿عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ﴾ أي: عن ولدها اشتغالاً بنفسها ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا﴾ وهذا يدل علىٰ أنَّ الزلزلة قبل يوم القيامة، وقيل: هو علىٰ وجه المثل(٤).

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ أيها الرائي، يعني: كسكارىٰ من ذهاب عقولهم ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ من الشراب ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ فتحيروا.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ أي: يخاصم في وحدانيته، وقيل:

---

(١) مكية عند مقاتل إلا عشر آيات (كما في تفسيره ٢/ ١٩٨)، وعند الثعلبي مكية غير ست (الكشف والبيان ١٨/ ٢٨٩) وعند الداني مكية غير أربع، وهي آيات المبارزة (البيان ١٨٩).

(٢) وأربع وسبعون في الشامي وخمس في البصري وست في المدني وسبع في المكي (البيان للداني ١٨٩).

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٥٥٧.

(٤) البسيط ١٥/ ٢٤٠.

كان يجادل في الملائكة وقال: هم بنات الله بغير حجة ولا برهان[١] ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣﴾ أي: يطيع كل شيطان متمرد في معصية الله.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ أي: قضىٰ علىٰ الشيطان المريد ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ أطاعه في عبادة الأوثان ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ أي: يخطئه ويجهله ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ أي: يدعوه إلىٰ الكفر وعمل أهل النار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يا أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ تأملوا في أول خلقكم ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ يعني: من تراب ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: ماء الصَّلب ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ دم عبيط ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ قطعة لحم ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ مصوَّرة وغير مصوَّرة، وقيل: تامة وغير تامة[٢] ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ نظهر لكم بدأ خلقكم وتحويلكم من خلق إلىٰ خلق حتىٰ سويناكم ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو خروجه من بطن الأم ما بين ستة أشهر إلىٰ سنتين ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ من الأرحام، والطفل يقع علىٰ الواحد والجمع ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ كمال قوتكم وتمييزكم، ما بين الثلاثين إلىٰ الأربعين، عن الزجاج[٣].

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ من قبل بلوغ الأشد ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ يبلغ إلىٰ حال الخَرف والضَّعف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ أي لا يعقل بعدما كان عاقلاً.

ثم قال ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ جافة ميتة لا خضرة فيها ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾ يعني: المطر ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ استبشرت بالماء واهتزازها تحركها وإنباتها

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٤٩.

(٢) وهو قول طائفة من السلف، كما في تفسير الطبري ١٨/ ٥٦٨.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤١٣.

﴿وَرَبَتۡ﴾ انتفخت للنبات، وهو من ربا يربو إذا زاد ﴿وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥﴾ أي: من كل صنف مبهج لمن يراه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ما وصف لكم ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ لا شريك له في وحدانيته ﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ في الآخرة، كما أحيا في الدنيا الإنسان والحيوان والأرض ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦﴾ من البعث وغيره.

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ﴾ أي: لتعلموا أن القيامة كائنة ﴿لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٧﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ أي: في دين الله ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ أي: بالباطل ﴿وَلَا هُدٗى﴾[1] أي: لا دليل له ﴿وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨﴾ أي: مضيء حجته، وهو النضر بن الحارث[2].

﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ ملتوٍ عنقه من التكبر، ومُعرِضٌ عما دعي إليه.

وثانيَ: نصب على الحال، ومعناه التنوين[3]. وعِطفَا الإنسان: جانباه، وقيل: العِطْف اسم لناحية الإنسان من قرنه إلىٰ قدمه[4].

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ أي: يزيل الناس عن دين الله ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ﴾ القتل ببدر ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٩﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ أي: يقال له وهو في النار: هذا العذاب بما أسلفت في كفرك، واعلم[5] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝١٠﴾ حتىٰ يعذِّبهم بغير جُرم.

---

(١) في الأصل: كتب هنا ولا كتاب، وهو سبق قلم.

(٢) كما في تفسير الطبري ١٨/ ٥٧٤.

(٣) وهو نص الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٤١٤، أي: ثانيا عطفه.

(٤) البسيط ١٥/ ٢٧٨.

(٥) فصل بين الواو وأن بـ: اعلم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٍۖ﴾ أي: علىٰ شك، وقيل: علىٰ ضعف في اليقين، كالقائم علىٰ حرف، والحرف: هو طرف الشيء.

وقيل: علىٰ انتظار رزق[١].

﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ﴾ في الإيمان، يعني: إذا أصابه خصب وسعة[٢] في العيش ﴿وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ﴾ أي: بلاء وشدة وضيق في العيش ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ رجع إلىٰ كُفره، وقال: بئس الدين هذا ﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ ذهب ماله في الدنيا، وفات عنه الخير والثواب في الآخرة ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾.

وقيل: خسران الدنيا ترك الطاعات، وخسران الآخرة كثرة الخصوم والتبعات[٣].

﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ﴾ أي: لا يضره في معاش إن عصاه، ولا ينفعه في الآخرة إن عبده ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢﴾ الخطأ البعيد عن الحق.

﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ﴾ معناه: يدعو من ضره[٤] أقرب، واللام لام التأخير، لأنه علىٰ التقديم والتأخير[٥].

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٥٧٥، وهم أعراب كانوا يقدمون علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مهاجرين من باديتهم فإن نالهم خصب ورخاء أقاموا علىٰ الإسلام وإلا ارتدوا علىٰ أعقابهم.

(٢) كررها في الأصل مرتين.

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٥٧٧، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٥١.

(٤) في الأصل: نصره، وهو تصحيف، أحال المعنىٰ. وعلىٰ الصواب وردت في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١٧.

(٥) حكاه الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٤١٥.

وقيل: إن قوله: «يدعو» معه هاء مضمرة، المعنىٰ: ذلك هو الضلال البعيد يدعوه، أي: في حال دعائه إياه، ويكون: «لمن ضره» مستأنفًا في موضع الرفع بالابتداء، وخبره: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ أي: بئس الولي الصنم، وبئس الخليط والصاحب(١).

فإن قيل: نفع الصنم وضرره منفيان في أول الآية، ثم أثبت الضرر في الآية الثانية؟

فالجواب -والله أعلم-: أنَّ معناه يدعو لمن الضرر من أجله إذا عبده أقرب من النفع لأجله، لأنه إذا عبده فضرره دخول النار، وهذا الضرر لم يصبه الصنم، ولكنه أصابه بفعله من الله مجازاة بسببه(٢).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ يحكم في خلقه ما يشاء من السعادة والشقاوة.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ يعني محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: من كان يظن من المنافقين أن الله لا ينصر نبيه بالغلبة في الدنيا والعز في الآخرة ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: يرسل بحبل من سقف بيته ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي: يختنق بنفسه حتىٰ يموت في غيظه، وقيل: فليمدد بسبب إلىٰ السماء أي يصعد علىٰ السماء إن استطاع، كقوله ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾﴾، ثم ليقطع الوحي من السماء(٣).

﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ أي: حيلته وصنيعه ما يغيظ أمر محمد صلىٰ الله عليه وسلم.

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٥٧٨، البسيط ١٥/ ٢٨٩.

(٢) وقيل: إنما قال هذا علىٰ عادتهم، (تفسير أبي الليث ٢/ ٤٥١، تفسير السمعاني ٣/ ٤٢٥).

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٥٨٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٥٢، وهذا القول هو الذي رجحه ابن جرير.

وقيل: إنَّ الآية نزلت في الحريص على الرزق الذي يشك في وصوله إليه، إنْ ظنَّ أن لن ينصره الله أي لا يرزقه؛ فليمدد بسبب إلى السماء، على ما مرَّ تفسيره، والنصرة تعبير عن الرزق، تقول العرب: نُصرت الأرض إذا مُطرت، والمعنى: أن العبد لا يصل بجهده إلى ما كتب الله له[١].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ فيه الأمر والنهي ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ برُشْدِه من يريد رشدَه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بحكمه وقضائه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ أي: عالم بهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الملائكة ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من المؤمنين من الجن ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ بتركهم السجود لله عز وجل من كفار الجن والإنس ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ أي[٢]: يخذله ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ ليس له من يوفقه ويسعده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ من الإكرام والإهانة.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ أي: الفريقان من المؤمنين والكفار ﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ أي: في دين ربهم يوم بدر.

وقيل: إنها نزلت في علي بن أبي طالب وصاحبيه حمزة وعبيدة بن الحارث، وفي ثلاثة من الكفار: عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، قال علي وصاحباه

---

(١) رواه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد، (تفسير الطبري ١٨/ ٥٨٣، تفسير السمعاني ٣/ ٤٢٦) وبين القولين تلازم، ولا سيما أن السياق فيمن آمن على حرف، فإن الرزق من أسباب النصر، والله تعالى أعلم.

(٢) تصحفت في الأصل إلى: أن.

حين بارزوهم: هلموا إلىٰ الله وإلىٰ رسوله، فقال شيبة وصاحباه: صدق اللات والعزىٰ، فهذه خصومتهم[١].

وإنما قال: خصمان، ثم قال: اختصموا؛ لأنهما جمعان، ويجوز في اللغة أن يسمىٰ الاثنين باسم الجمع، كقوله في عائشة وحفصة: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ ولم يقل: قلباكما[٢].

ثم ذكر جزاء كل فريق فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ أي: قُدِّرَت لهم قُمص من نار.

قال أبو سهل: سبحان من لم يدعهم في النار عراة.

﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩﴾ الماء الحار الذي انتهىٰ حرُّه.

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ﴾ أي: يذاب بذلك الحميم ﴿مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝٢٠﴾ من الشحوم والأحشاء والجلود، وينضج بما سال عليهم منه خارجًا من جلودهم[٣].

وقال الضحاك: يشرب من الحميم شربة ينسلخ منها جلده، ويتناثر لحمه، وسقطت أنيابه وأضراسه، وينضج صدره، ويخرج أحشاؤه من دبره.

﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١﴾ أي: لتعذيبهم مقامع في أيدي الزبانية، والنار تفور بأهلها كما تفور القدر، فإذا رفعهم لهبها ردتهم الزبانية بمقامعها، فذلك

---

(١) في صحيح البخاري: ٣٩٦٥، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال: «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة» وقال قيس بن عباد: وفيهم أنزلت: ﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة، أو أبو عبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة ، وفي صحيح البخاري ٣٩٦٦ ومسلم ٣٠٣٣ عن أبي ذر نحوه.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤١٩، البسيط ١٥/ ٣٢٩.

(٣) الكشف والبيان ١٨/ ٣٢٣

قوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ بالمقامع، فهذا جزاء أحد الخصمين المذكورين في الآية.

وقال في الخصم الثاني: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ أقلبة من ذهب ﴿وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣﴾ على رقة شقائق النعمان، يأتيه بها خادمه بين أصبعيه.

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ وفقوا إلى القول الطيب في الدنيا: كلمة لا إله إلا الله ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾ إلى دين الله، المحمود في فعاله. والصراط: هو الإسلام.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: دين الله ﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ عطف المستقبل على الماضي، لأنَّ الكفر كان منهم سابقًا، والصدَّ منهم دائمًا، عن أبي سهل(١).

والمسجد الحرام: أي الكافرون هم الذين يصدون عن المسجد الحرام عام الحديبيَّة، وقوله: ﴿ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ كافة، تمَّ الكلام(٢)، ثم ابتدأ فقال: ﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾(٣) أي: مستوٍ فيه المقيم في الحرم والغريب في تعظيمه وحرمته.

---

(١) نحوه عن الكسائي، كما في البسيط ١٥/ ٣٤٠، والزجاج كما في معاني القرآن له ٣/ ٤٢٠.

(٢) وهذا التمام عن الزجاج، في معاني القرآن ٣/ ٤٥٠، وغيره، إلا أنه تمام على قراءة: سواءٌ بتنوين الرفع، وهي قراءة الجمهور سوى حفص، فقد تفرد بتنوين النصب (النشر ٢/ ٣٢٦)، وذكر الثعلبي في الكشف والبيان ١٨/ ٣٢٧ أن روحا تابعه بذلك عن يعقوب.
فعلى قراءة هذين لا وقف، لأنه مفعول الجعل، والجعل يتعدى إلى مفعولين.

(٣) ضبط القراءة في الأصل: سواءٌ، كما سبق التنبيه عليه في التعليقة السابقة.

وقيل: سواء في أمنه، وقيل: في النزول في الدور سواء في أيام الموسم(١).

وعند أبي حنيفة بيع دور مكة لا يجوز خلافًا لصاحبيه(٢).

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ أي: يرد الإلحاد والظلم، وقيل: مَنْ إرادتُه فيه بأنْ يلحدَ بِظلم(٣).

وكان عبد الله بن أنس بن خطل(٤) القرشي قتل رجلاً من الأنصار، ثم هرب إلىٰ مكة مرتدًا، فلما كان يوم الفتح قيل: يا رسول الله، إنَّ ابن خطل تعلق بأستار الكعبة، فقال: اقتلوه، فقتلوه، والآية مدنية.

وقيل: نزلت في عبد الله بن أبي سرح، ومِقيس، ارتدا [ولحقا](٥) بمكة فنزلت الآية.

قوله: ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ يعني القتل.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ منزلاً له، والمبوأ: المنزل(٦).

---

(١) انظر أقوالهم في تفسير الطبري ١٨/ ٥٩٥، الكشف والبيان ٣٢٨.

(٢) والعمل علىٰ قول الصاحبين عند جمهور العلماء، كما قال القرطبي (الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٣٢).

(٣) زاد المسير ٣/ ٢٣١.

(٤) في الأصل: حنظل في الموضعين، وهو تصحيف.
وفي الصحيحين (صحيح البخاري ١٨٤٦، وصحيح مسلم ١٣٥٧): عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، دخل عام الفتح، وعلىٰ رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجل فقال: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال «اقتلوه».
وليس في الحديث أن ذلك سبب نزول الآية، والذي جعل القصة سبب نزول الآية هو مقاتل في تفسيره ٢/ ٣٨٠.

(٥) في الأصل: وفحا.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٢٢.

وقيل: علَّمْنا إبراهيم مكان البيت، وذلك أنَّه أَنزل سحابةً تظل قدر حد البيت، فبنىٰ عليها إبراهيم، وقيل: هبَّتْ ريح يقال له الخجوج فكنست مكان البيت، فبناه إبراهيم علىٰ حده، ثم طاف به أسبوعًا[1]، فأوحىٰ الله إليه ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ الذي بنيته ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ من الغرباء ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ المقيمين بمكة[2] ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ من أهل الصلوات في الآفاق.

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ أي: ناد في الناس بالحج.

قيل: صعد أبا قبيس ونادىٰ، وقيل: قام علىٰ المقام وعلا صوته، وقيل: صعد فوق الكعبة وأدخل إصبعيه في أذنيه ثم نادىٰ: أيها الناس، إن الله عز وجل بنىٰ لكم بيتًا وأمركم أن تحجوه، فبلَّغ الله صوته من الشرق إلىٰ الغرب، وأجابه الخلق في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك، فمن حج إليه اليوم فهو ممن أجابه يوم النداء[3].

---

(١) وهذا من تفسير الكلبي، كما صرح به الواحدي في تفسيره البسيط ١٥/ ٣٥٦، وانظر: تفسير أبي الليث ٢/ ٤٥٦، تفسير السمعاني ٣/ ٤٣٣.

(٢) المشهور في تفسير القائمين: أنهم القائمون في صلواتهم، ولم يذكر الطبري عن أهل التأويل قولا سواه (تفسير الطبري ١٨/ ٦٠٤، الكشف والبيان ١٨/ ٣٤١، البسيط ١٥/ ٣٥٧).
وقد نسب هذا القول الذي حكاه المصنف إلىٰ قتادة، نسبه إليه الماوردي في النكت والعيون ٤/ ١٧، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٢٣٢، واختاره أبو الليث في تفسيره ٢/ ٤٥٦.
وقد روىٰ ابن جرير ١٨/ ٦٠٤، بإسناد صحيح عن قتادة أنه قال: والقائمين: القائمون المصلون. فنسبته إلىٰ قتادة خطأ، والصواب: أنه قول الكلبي، كما في تفسيره تنوير المقباس ٢٧٩، وقول مقاتل كما في تفسيره ٢/ ٣٨١، فهذا القول علىٰ التحقيق من الدخيل في التفسير المأثور، والله أعلم.

(٣) روي هذا من طرق عن ابن عباس، تفسير الطبري ١٨/ ٦٠٥، الكشف والبيان ١٨/ ٣٤١.
ومثل هذا لا يقال إنه من قبيل الإسرائيليات، لأنه من المعلوم أن اليهود والنصارىٰ لا يعظمون البيت ولا يحجونه.

﴿يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾ أي: مُشاةً علىٰ أرجلهم ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾ من الإبل وغيرها أي: مهزول ﴿يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾ أي: طريق بعيد، وهو العميق في البُعد لا في الغور(١).

﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ أي: ليحضروا متاجرهم، وقيل: المنافع المغفرة لذنوبهم لأنهم صَدروا عن عرفات بلا ذنب، وقيل: المنافع قضاء المناسك(٢).

﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ أيام العشر، وإنما يكون الحج في اليوم التاسع، ولكنه من أيام العشر، فأضاف إلىٰ الكل والمراد به البعض، كما يقال: فعلت كذا يوم كذا، وإنما فعل في بعض اليوم لا في كله، وهو كقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾ وأراد به سماء الدنيا، وأضاف إلىٰ السماوات(٣).

﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ﴾ أي: يكبروا علىٰ أُضحيتهم ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ عدل عن المغايبة إلىٰ الخطاب، أي: كلوا من لحومها ﴿وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨﴾ الذي أصابه البؤس، أي: الشدة(٤).

وقيل: هو الزَّمِن المحتاج والفقير الذي ليس له شيء(٥).

---

(١) الكشف والبيان ١٨/ ٣٤٣.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٦٠٩، وقال: وأولىٰ الأقوال بالصواب قول من قال: عنىٰ بذلك: ليشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضي الله والتجارة، وذلك أن الله عمّ لهم منافع جميع ما يَشْهَد له الموسم، ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة، ولم يخصص من ذلك شيئًا من منافعهم بخبر ولا عقل، فذلك علىٰ العموم في المنافع التي وصفت.

(٣) وهذا قول أكثر المفسرين كما في الكشف والبيان ١٨/ ٣٤٥، وقيل: المراد أيام التشريق، انظر: البسيط ١٥/ ٣٦٤.

(٤) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٥٧.

(٥) وهي رواية العوفي عن ابن عباس ١٨/ ٦١١.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ أي: يلقوا ما ركبهم من الوسخ؛ ووجب عليهم تنظيفهم بعد قضاء المناسك؛ وهو: حلق الرأس، وتقليم الأظفار، والأخذ من الشارب، وحلق العانة، ونتف الإبط، للخروج عن الإحرام(١).

والتفث: إذهاب الشعث(٢).

﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ أي: ما نذروا من الهدي وغيره ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۝٢٩﴾ يعني: العتيق من أيدي الجبابرة الذين قصدوه ولم يظفروا عليه، وقيل: أعتقه الله من الغرق حين رُفع إلىٰ السماء يوم الطوفان، وقيل: قديم(٣).

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: هو كذلك(٤)، ثم ابتدأ فقال ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ التي حرمها في الحج والعمرة ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ أي: ثواب له ومغفرة ﴿عِندَ رَبِّهِ﴾ وقيل: الحرمات أراد به ترك الجدال والفسوق ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ﴾ الإبل والبقروالغنم ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في سورة المائدة ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ أي: النتن، أي: اتقوا الأوثان فإنها رجس ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۝٣٠﴾ أي: الكذب والباطل.

﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾ منصوب علىٰ الحال(٥)، أي: كونوا مخلصين لله بالتلبية ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: هو في البعد من الله كأنه

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٦١٢.

(٢) البسيط ١٥/ ٣٦٩.

(٣) وكل هذه الأقوال لها وجه صحيح، كما قرره ابن جرير في تفسيره ١٨/ ٦١٥، والزجاج في المعاني ٣/ ٤٢٤، فهي أقوال مؤتلفة وليست مختلفة، وصحيحة من صفة البيت شرَّفه الله وعظَّمه (الكشف والبيان ١٨/ ٣٤٩).

(٤) أو: الأمر ذلك (معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٢٤).

(٥) وكذا: غير مشركين به، حال (إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٦٨).

سقط في السماء ﴿فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾ اختلسه النسور ﴿أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ العاصف ﴿فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾ بعيد، معناه: لا ينال رحمة الله أبدًا، والكلام على وجه المثل[١].

﴿ذَٰلِكَۖ﴾ أي: ما أمر من اجتناب الأوثان هكذا[٢]، ثم ابتدأ وقال: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ يعني: يقصد إلى البدن أعظمها وأسمنها فإنها من إخلاص القلوب وصفاوتها ﴿لَكُمۡ فِيهَا﴾ أي: في البدن ﴿مَنَٰفِعُ﴾ من ركوبها وشرب ألبانها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ إلى أنْ يقلَّد ويسمَّى هديًا[٣] ﴿ثُمَّ

---

(١) وهذا قول أصحاب المعاني، وهو مروي عن قتادة وغيره، انظر: تفسير الطبري ١٨/ ٦٢٠، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٢٥، الكشف والبيان ١٨/ ٣٢٥٦.
وفيه أثر هو أولى أن يفسر به، فإنه يوسع المعنى فيحمله على الحقيقة لا على المثل فقط، وهذا من فوائد المأثور.
وهو حديث عذاب القبر الطويل، ففيه: «وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ [سورة الأعراف:٤٠] فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحا، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾ فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري..»، الحديث، رواه أحمد (١٨٥٣٤).
(٢) وعليه فالوقف تام.
(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٦٢٣.

﴿مَحِلُّهَآ﴾ أي: منحرها ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ۝٣٣﴾ الكعبة إن كان ذلك للعمرة، وإن كان ذلك للحج فمنىٰ، ومِنىٰ وقد يعبَّر عنها بالبيت؛ لأنها من مكة، وقيل: الحرم كله محل[١].

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ مذبحًا يذبحون فيه، قرئ: بالنصب والكسر[٢]، وقيل: جعلنا لهم عيدًا يتقربون فيه إلىٰ الله بذبح ذبائحهم[٣] ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ﴾ عند الذبح ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ فلا تذكروا عند الذبائح غير اسمه ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ﴾ أي: أخلصوا بالتسمية والتلبية، لأنَّ الكفار يذكرون الأصنام عند الذبائح والتلبية ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤﴾ المجتهدين في العبادة المتواضعين.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: خافت قلوبهم، قيل: المخبت الذي سكن لهب شهوته، وخبت نار حدَّته، فهو بين يدي ربه في احتمال ما حمَّله ربه كالميت في أهله.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ من المصائب والرزايا[٤] ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ بشرائطها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٥﴾ يتصدقون، فهذه صفات المخبتين.

﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ يعني الإبل البدنة بالسمن ﴿جَعَلْنَٰهَا لَكُم﴾ أي: سخرناها لكم ﴿مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي: هي من علامات الحج ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ﴾ أي: ثواب، أي: في نحرها منفعة في الدنيا وثواب في الآخرة ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ﴾ معقولة

---

(١) وقيل: محل هذه الشعائر كلها حتىٰ تطوفوا بالبيت العتيق (التفسير الطبري ١٨/ ٥٢٧).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف بكسر السين، وقرأ الباقون بفتح السين (النشر ٢/ ٣٢٦).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٢٦.

(٤) تصحف في الأصل إلىٰ: والبرايا.

علىٰ ثلاثة قوائم مستقبل القبلة ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ أي: وقعت لنحرها علىٰ الأرض ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ أي: من لحمها ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ القانع: السائل، والمعتر: الذي يتعرض للمسألة ولا يسأل، وقيل علىٰ عكسه(١).

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا﴾(٢) أي: ذللناها ﴿لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ربكم بهذه النعمة.

﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ أي: لا يصل إلىٰ الله من لحومها ومن دمائها ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ﴾ يصل إلىٰ الله ﴿التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ والإخلاص، قيل: كانوا إذا نحروا لطخوا البيت بالدم، وعلقوا به اللحم، فهمَّ المسلمون ذلك، فنزلت الآية(٣).

واعلم أن الله تعالىٰ إنما يصل إليه التقوىٰ والطاعة لا اللحم والدم.

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ أي: ذللها ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ أي: تعظِّموه علىٰ ما أرشدكم معالم دينه، وقيل: لتقولوا: الله أكبر علىٰ ما هدانا لدينه والحمد لله علىٰ ذلك(٤). ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ المحسنين لله بالجنة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: يدفع بأس كفار مكة عنهم، وقيل: إذا فعلتم هذا وخالفتم المشركين فإن الله يدفع عنكم بأسهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ لأمانة الله ﴿كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ بربه.

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٦٣٦، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٦٠، البسيط ١٥/ ٤١٤.

(٢) في الأصل: فصل بين سخرنا وَ: ها؛ بالتفسير.

(٣) وهو من تفسير الكلبي كما في البسيط ١٥/ ٤١٩، وذكره في الكشف والبيان ١٨/ ٣٦٩ دون نسبة.

(٤) قيل: إنه عنىٰ بذلك دفع الله كفار قريش عمن كان بين أظهرهم من المؤمنين قبل هجرتهم (تفسير الطبري ١٨/ ٦٤٢).

ثم أذن لهم بالقتال بعد الهجرة، فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ أي[١]: أذن الله للمؤمنين بقتال المشركين بسبب[٢] ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ﴾ وقرئ: أَذِن للذين يقاتلون، بفتح الألف والتاء[٣].

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ أي: على نصر المظلومين قادر.

ثم نعتهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟﴾ الذين: في موضع الخفض، أي: أذن للذين أخرجوا ﴿مِن دِيَٰرِهِم [بِغَيْرِ حَقٍّ]﴾ بالظلم ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ﴾ أي: لم يخرجوهم من ديارهم إلاَّ لأجل توحيدهم ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ البعض الأول هم الكفار، والبعض الثاني هم الغزاة المسلمون ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾ الرهابين ﴿وَبِيَعٌ﴾ النصارى ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ اليهود أي: كنائسهم ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ المسلمين التي ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ﴾ لله تعالى ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ﴾ أي: ليظفرن الله بالنُصرة على من خالف دينه الإسلام لِمَن ينصر دينه ويقوم بحقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ على نُصرة من نصر دينه ﴿عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ بالانتقام عن أعدائه.

والواو في: «ولينصرن الله»؛ للاستئناف واللام للتأكيد.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض المدينة، وهم المؤمنون ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المكتوبة ﴿وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالتوحيد ﴿وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ أي: الشرك والمعصية ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ في الآخرة، إليه مرجع الكل فيجزيهم بأعمالهم.

---

(١) ضبطها في الأصل: يقاتِلون، بكسر التاء، وهي قراءة

(٢) فصل بين الباء وَ أنهم بكملة: سبب.

(٣) بالضم -كما أثبت- قراءة أبي جعفر ونافع وأبي عمرو ويعقوب وعاصم، وإدريس عن خلف بخلف، وقرأ الباقون: أَذِنَ (النشر ٢ / ٣٢٦).

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم ويعزيه، معناه: إن كذبك قومك بما تعدهم من العذاب ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ نوحًا ﴿وَعَادٌ﴾ هودًا ﴿وَثَمُودُ ۝٤٢﴾ صالحًا ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ﴾ إبراهيم ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ ۝٤٣﴾ لوطًا ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ شعيبًا ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ كذَّبه القبط[1] ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أمهلتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٤٤﴾ أي: كيف كان تغييري النعمة عليهم[2].

إن قال قائل: قد قال الله تعالىٰ في آية أخرىٰ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ وذكر هاهنا: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾؟

فالجواب: قالوا: لأنَّ الكفار يقولون له: محمد الصادق، ويقولون: هو صدوق اللهجة، لا يقولون هو كذوب، ولكن ينكرون ما معه من القرآن، ومعنىٰ قوله: «يُكذبوك» أي: يجحدون ما معك من القرآن.

ومعنىٰ قوله: «فقد كَذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود» فذكر قوم كل نبي، فإذا انتهىٰ الكلام إلىٰ موسىٰ قال: «وكُذِّب موسىٰ» ولم يقل: كذَّبه قومه، قيل: لأنَّ نوحًا أرسل لم يكن من قومه أحد مؤمن فكذَّبوه حتىٰ آمن معه قليل بعد ذلك، وكذلك كل نبي، وأما موسىٰ صلوات الله وسلامه عليه كان قومه بنو إسرائيل، وبنو إسرائيل كانوا مؤمنين استعبدهم فرعون، وأُرسل موسىٰ إلىٰ القبط فكذَّبوه، ولم يكذِّبه قومه وهم بنو إسرائيل، فهذا معناه، والله أعلم[3].

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾[4] بالعذاب ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ لأنفسها كافرة بربها ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي: ساقطة جدرانها علىٰ سقوفها ﴿وَبِئْرٍ

---

(١) في الأصل: القبطة.

(٢) البسيط ١٥/ ٤٣٧.

(٣) البسيط ١٥/ ٤٣٧.

(٤) في الأصل: أهلكتها، بالتاء، وهي قراءة

مُّعَطَّلَةٍ﴾ أي: كم بئر عطلت عن سكانها وأربابها، ليس عليها ساقٍ ولا مستقٍ، بعد ما كان عيشهم في الماء ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝٤٥﴾ وكم من قصر مشيد، مرفوع بالشيد، أي: الجص[1].

وأمَّا المُشَيَّد: بضم الميم ونصب الشين وتشديد الياء، فهو المطوَّل.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني به أهل مكة، ألم يسافروا فيها بالتجارة ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ﴾ بعد السير والنظر والتأمل ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ المواعظ، حيث مروا بالحِجر وقُريات لوط ورأوا آثارها ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الموعظة والتخويف ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي: أبصار الرؤوس لا تعمىٰ عن النظر ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى﴾ مسكنها ﴿فِى ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ عن الاتعاظ.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ وهو النضر وأصحابه ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ بإنزال العذاب ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ في الآخرة ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧﴾ في الدنيا.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ في مدتها ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ لأنفسها كافرة ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ بالعذاب ﴿وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝٤٨﴾ المرجع إلىٰ مجازاتي.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يا أهل مكة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٤٩﴾ بأنَّ العذاب نازل بكم إن لم تؤمنوا، وبينتكم بالغة تعرفونها.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ في الدنيا ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٥٠﴾ في الجنة.

---

(١) تفسير السمعاني ٣/ ٤٤٤. وعلىٰ هذا فليس المراد قرية بعينها، بل هو تذكير من الله بالقرىٰ التي أهلكها لكفر أهلها، وقيل: إنه أراد قرية حاصورا، وذكر الثعلبي قصتهم في الكشف والبيان ١٨/ ٣٨١.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ أي: خاضوا في القرآن معاندين، وقيل: ظانين أنهم يعجزوننا(١).

وقرئ: معجِّزين، أي مثبِّطين لأنهم يثبطون الناس عن الإيمان به(٢).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٥١﴾.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ أي: إذا قرأ ألقىٰ الشيطان في قراءته كما ألقىٰ في قراءتك يا محمد، والقصة فيه معروفة، إن الشيطان ألقىٰ في قراءة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في سورة النجم: «تلك الغرانيق العلا، ومنها الشفاعة ترجىٰ».

وقيل: إنَّ رسول الله لم يقرأ ذلك ولكن الشيطان قرأ عند وقف رسول الله علىٰ رأس الآية، بصوت كان يشبه صوت رسول الله، فلما أخبره الأصحاب بذلك حزن رسول الله، فجاء جبريل بهذه الآية تطييبًا لقلب(٣).

---

(١) كلا القولين في تفسير الطبري ١٨/ ٦٦١، والكشف والبيان ١٨/ ٣٨٦.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو : معجِّزين، بدون ألف، وقرأ الباقون: معاجزين (النشر ٢/ ٣٢٧).

(٣) وهذه القصة مشهورة عند أهل التفسير، وهي مروية عن طائفة من السلف، كمحمد القرظي ومحمد بن قيس وأبي العالية وسعيد بن جبير والضحاك وابن عباس من رواية العوفي، أخرج هذه الروايات كلها ابن جرير في التفسير ١٨/ ٦٦٦، وليس معنىٰ هذه الروايات أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قرأ بلسانه: وإنها الغرانيق العلىٰ وإن شفاعتهن لترتجىٰ، بل ألقاها الشيطان في مسامع كفار قريش بصوت يشبه صوته، فظنوا أن ذلك من قراءة رسول الله، ولا محظور في ذلك، فالآية تقول: إن سنة الله في المرسلين أن يلقي الشيطان شيئا في قراءتهم؛ ابتلاء وامتحانا منه سبحانه وتعالىٰ، لكن المحظور أن يُزعم أن ذلك جرىٰ بلسان النبي صلىٰ الله عليه وسلم، فهذا ما لم يكن، والآية ترده وتحكي ما حصل، وهو قوله: «ألقىٰ الشيطان في أمنيته»، فنسب الإلقاء إلىٰ الشيطان لا إلىٰ الرسول. والتمني هنا هو التلاوة لا غير، حتىٰ يمكن الإلقاء فيها، والله أعلم.

فالرسول: المرسل، والنبي: الذي حُدث نومًا أو إلهامًا، والرسول قد كان نبيًا، مثل رسول الله، والنبي لا يكون رسولاً.

﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ على ألسنتهم أي[١]: يوقعه على تلك الحالة ﴿ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾ أي: يثبت آياته المنزلة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يلقي الشيطان ﴿حَكِيمٌ ۝٥٢﴾ برفع ما ألقاه إحكام آياته.

﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ على لسان محمد ﴿فِتۡنَةً﴾ بلية ﴿لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ أي: فتنة أيضًا لليابسة قلوبهم عن التوحيد ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المشركين ﴿لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ۝٥٣﴾ اختلاف بعيد عن الحق.

ثم ذكر المخلصين ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ أكرموا بالتوحيد ﴿أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني القرآن ﴿فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ تخلص له قلوبهم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٤﴾ أي: دينه الإسلام.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: كفار مكة ﴿فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ﴾ أي: في شك ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ۝٥٥﴾ يوم بدر، وقيل: يوم القيامة، سماه عقيمًا لأنه لا خير لهم فيه ولا راحة[٢].

﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ أي: بين المؤمنين والكافرين ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٥٦﴾ يتنعمون فيها.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٥٧﴾ يهانون فيه.

---

(١) في الأصل: أن.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٦٧٢، الكشف والبيان ١٨/ ٣٩٥.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وتركوا ديارهم وأموالهم ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ﴾ في المعركة ﴿أَوۡ مَاتُواْ﴾ علىٰ فراشهم بعد الهجرة ﴿لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنًاۚ﴾ في الجنة، وقيل: يؤتون من تحف الجنة علىٰ الموت وخروج الأرواح ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨﴾ حين رزقهم السعادة في سبيله، الجنة في الآخرة.

﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ﴾ يفرحون به حيث بذلوا دماءهم لله حين قتلوا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بما نووا في الهجرة ﴿حَلِيمٞ ۝٥٩﴾ عن الكفار إذ لم يعجل بعقوبتهم.

﴿ذَٰلِكَۖ﴾ أي: الأمر كما قصصنا عليكم ﴿وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ أي: من اقتصَّ من الجارح بمثل ما جرح به أو قَتل بمثل ما قُتل به حميمه ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ﴾ أي: ظلم عليه بما أخذ من القصاص ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ﴾ والبغي عليه: أن [يحمي][1] أولياء القتيل الثاني فيقتلوا أولياء القتيل الأول، أو يظلموا عليهم بأخذ الدية وغيرها[2]؛ فلينتظر المظلوم نصرة الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ۝٦٠﴾ أي: عفوًا لم يعجِّل بعقوبته، غفور: يقبل توبتهم إن تابوا.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكر لكم من لطفه ونظره للعباد لتعلموا[3] ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ فلمَّا قدر علىٰ إيلاج[4] أحدهما في الآخر[5] قدر علىٰ نصرة المؤمنين وإظفارهم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾

---

(١) صورتها في الأصل: نحني.

(٢) في الأصل: وغيره.

(٣) وذلك هنا ليس الوقف عليها بتام، لارتباطها بما بعدها، فهي تختلف عن ذلك التي سبقت في هذه السورة الكريمة.

(٤) في الأصل: الإيلاج.

(٥) في الأصل: أخرهما في الأجر، وهو تصحيف عجيب.

بمقالة العباد ﴿بَصِيرٌ ۝٦١﴾ بأعمالهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ لاشك فيه ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ من الأصنام ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ في ارتفاعه أعلىٰ من كل شيء ﴿ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ لا شيء أكبر منه ولا يعجزه شيء.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ رفع «فتصبح» لأنَّ قوله: «ألم تر» استفهام بمعنىٰ التنبيه والواجب بمعنىٰ الخبر[(١)]، معناه: اعلم أنَّ الله ينزل من السماء ماءً فتصبح فتكون الكلمتان علىٰ الاستقبال.

وقيل: قوله «فتصبح» معناه: فأصبحت، فتكون الكلمتان علىٰ الماضي والمستقبل، إذا كان بمعنىٰ الماضي يكون رفعًا كقوله تعالىٰ: ﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ علىٰ مذهب من قرأ بالرفع[(٢)]، معناه: حتىٰ قال.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝٦٣﴾ أي: لطيف باستخراج النبات، خبير عالِم بمكانها في الأرض، وقيل: باستخراج الخفيات في أوقاتها، واللطيف: المختص بدقائق التدبير الذي لا يخفىٰ عليه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: قد رأيت ﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ أي: سخر الفُلك في حال جريها في البحر بأمره ﴿وَيُمْسِكُ

---

(١) وهذا قول الخليل، قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ فقال هذا واجبٌ ومعناه التنبيه كأنَّه قال: أتَسْمَعُ؟ أنْزَلَ الله من السماء ماء، فكان كذا وكذا.

قال الزجاج: وقال غيره مثل قوله، قال: مجاز هذا الكلام مجاز الخبر كأنه قال: الله ينزل من السماء ماء، فتصبح الأرضِ مخضرةً. (معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٢٩، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٣٦، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٤).

(٢) قرأ نافع بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب (النشر ٢/ ٢٢٧).

﴿ٱلسَّمَآءَ﴾ في الهواء ﴿أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ إلا أنْ يأذن لها(١) بالوقوع يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ يزينهم في النعمة، ويرحمهم في الآخرة إن وحَّدوه في الدنيا، ثم زاد في ذكر المنَّة فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ من النُطف ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ الناسي الجاهل ﴿لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ بربه ونعمه.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي: لأهل كل ملة ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ عيدًا ينسكون فيه ضحاياهم ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ أي: ذابحون له ومستنون به ﴿فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: لا يغلِبُنَّك في المنازعة.

ومنازعتهم: أن قالوا: ما قتله الله أولىٰ بالأكل [من] ما قتلتم(٢).

وقال قائل: لِمَ قال لا ينازعنَّك، وهم قد نازعوه؟

نقول: إنَّ المعنىٰ أن الرسول نُهيَ عن منازعتهم، ومثل هذا يكون جائزًا في فعل يكون بين اثنين، لأنَّ فعل الاثنين لا يتم إلا بهما، فإذا انتهىٰ أحدهما امتنع الفعل، والمراد من المنازعة هي المجادلة، وذلك فعل الاثنين، ومثل هذا النهي لا يجيء في قوله: لا يضربنَّك فلان، لأنه فعل الواحد، إلا إذا قال: لا يضاربنَّك فلان.

[وقرئ: فلا ينزِعُنَّك](٣)، أي لا يغلبنَّك، يقال: نازعته فنزعته(٤).

---

(١) في الأصل: يأذنها.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٦٨٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٦٩، الكشف والبيان ١٨/ ٤٠٣، البسيط ١٥/ ٤٩٠.

(٣) مكانه في الأصل: "ومن هذا فلا ينازعنك" وهو تصحيف شنيع، يفسد السياق، والمصنف قد صدر عن معاني القرآن للزجاج، ومنه أقمت النص، وعليه يصح السياق، وما ذكره من تضعيف القراءة.

(٤) ملخص من معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٣٧، وانظر: البسيط ١٥/ ٤٩٠.

وهذه القراءة لم يرض بها بعض أهل العلم[١].

﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ أي: إلىٰ توحيده ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ٦٧﴾ لعلىٰ دين قائم، لأن كل دين غير الإسلام باطل.

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ في الدين والذبيحة ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٦٨﴾ فيعاقبكم علىٰ ذلك.

﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٦٩﴾ في الدين، نسختها آية السيف.

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾ معناه أعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾ وهو اللوح المحفوظ، مع علم الله عز وجل به ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾ أي: علم الله من غير الكتابة عليه ولكن ذكر الكتابة لتأكيد الحال.

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ أي: بعبادته كتابًا وحُجّة ﴿وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ﴾ أي: يعبدون أصنامًا بالجهل ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ٧١﴾ يمنع العذاب عنهم.

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ﴾ يعني القرآن ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾ وهو إنكار القرآن أنه من الله ﴿يَكَادُونَ يَسۡطُونَ﴾ بالشدة والسطوة ﴿بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۚ﴾ أي: قل لهم: إن أنكرتم نزول القرآن ونبوة محمد صلىٰ الله عليه وسلم؛ أفلا أنبئكم بشر مما أنكرتم؟ فقالوا: ما هو؟ قال ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٢﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ﴾ أي: يا أهل مكة شُبِّه لأصنامكم مثل

---

(١) نقد القراءة من زيادات المصنف، وهي قراءة شاذة، ذكرها أبو البقاء في التبيان ٢/ ٩٤٨، والسمين في الدر المصون ٨/ ٣٠٤، ونسبها لأبي مجلز.

﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام آلهة ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾ ولا يستطيعوا علىٰ ذلك ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ﴾ أي: لو اجتمعوا كلهم لخلق الذباب، ثم ذكر أمارة ضعفهم فقال: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ﴾ وذلك أنهم كانوا يلطخون الأصنام بالعسل، ويضعون الطعام بين أيديهم، فتأكل الذباب من ذلك ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ أي: عجز الكافر العباد، والصنم المعبود[1].

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته، وما وصفوه حق صفته، وما عظَّموه حق عظمته، حين أشركوا به من لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ ومعبودهم ضعيف ﴿عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ في مُلكه وسلطانه، معبودهم ذليل، ليس للأصنام قوة ولا منعة[2].

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ أي: جبريل وميكائيل ﴿رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ﴾ لرسالته حين اختارهم لذلك وبعثهم إلىٰ خلقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ لأقوال العباد ﴿بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ بأعمالهم.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ﴾ أي: الملائكة والرسل، وإن كانوا من جملة المصطَفين، وإن كانوا لا يعلمون شيئًا إلا بتعليم الله لأنهم محدَّثون ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾ أي: له الملك آخرًا كما له المُلك أولاً.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ وحده ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ في كل وقت وقدموه لأنفسكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ لكي تكونوا علىٰ رجاء رباح وسعادة.

---

(١) الكشف والبيان ١٨/ ٤٠٦.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٦٨٦.

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ أي: جاهدوا أنفسكم وأهواءكم في مخالفتها في ذات الله عز وجل، ومعنىٰ: حق جهاده؛ أي: حق ما يجب عليكم من الجهد في أمره، بقدر طاقتكم، وقيل: هي كلمة حق عند سلطان جائر(١).

ثم مدح المؤمنين فقال: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ اصطفاكم واختاركم لدينه؛ قبل أن تكونوا ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ضيق، ولا يكلفكم ما لا تطيقون، رخَّص لكم الإفطار في السفر، والقصر في الصلاة، والقعود عند العجز عن القيام.

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم(٢) ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾أي:الله سمَّاكم المسلمين(٣) ﴿مِن قَبْلُ﴾ نزول القرآن في التوراة والإنجيل ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ يعني: في القرآن ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ مزكيا(٤) لهم بالتصديق ﴿وَتَكُونُواْ﴾ يا [أمة](٥) محمد ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: علىٰ الأمم الماضية، تشهدون للرسل بالرسالة عند جحود قومهم.

﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الخمس ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ تمسكوا بدينه الإسلام وتوكلوا عليه ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي: وليكم وناصركم ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ مولاكم عند العصمة به ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ الناصر في الدنيا والآخرة لمن أراد نصره.

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٦٨٨.

(٢) وقيل نصبت بنزع الخافض، تفسير الطبري ١٨/ ٦٩١، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٤٠.

(٣) وقيل: الضمير كناية عن إبراهيم، أي: إبراهيم سماكم المسلمين، وهذا قول ابن زيد، ورده ابن جرير و قال: لا وجه له (تفسير الطبري ١٨/ ٦٩٢).

(٤) في الأصل: مركنا، وهو تصحيف.

(٥) سقطت من الأصل، ولا بد منها لتصحيح السياق.

قال مؤلفه عبد الحميد الحاكمي رضي الله عنه: بلغنا عن أُبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة الحج أعطي من الأجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج أو اعتمر فيما مضىٰ وفيما بقي»[١].

❁ ❁ ❁

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٨/ ٢٩٠، فضائل القرآن للمستغفري ١١٨٩، ووقع في الأصل تصحيف، أقمته من المصدرين.

سورة المؤمنين

[(١)]مكية كلها[(٢)]، وهي مائة آية وثمان عشرة آية في الكوفي، وتسع عشرة في البصري وفي المدني[(٣)].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ قال ابن عباس: سعد الموحدون وفازوا ونجوا[(٤)].

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ متواضعين لا يعرفون من على يمينهم ولا من عن شمائلهم، هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٥)].

وقال الحسن: الخاشعون الذين لا يرفعون أيديهم إلا عند تكبيرة الافتتاح[(٦)].

---

(١) للمفسرين في إضافة هذه السورة ونحوها مذهبان، منهم من يجري عليها قواعد النحو، فيقول كما قال المصنف: سورة المؤمنين، سورة المنافقين، ومنهم من يحكيها فيلزمها الواو، فيقول: سورة المؤمنون، والأمر في ذلك هين.

(٢) الكشف والبيان ١٨/ ٤٢١، البيان في عد آي القرآن ١٩١، وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها في صلاة الفجر بمكة (صحيح مسلم ٤٥٥).

(٣) والشامي كذلك، البيان في عد آي القرآن ١٩١.

(٤) وهو من تفسير الكلبي فيما يظهر، لذكره في تفسير أبي الليث ٢/ ٤٧٣، وروي كذلك في سؤالات ابن الأزرق عن (الدر المنثور ٦/ ٨٣).

(٥) وهذا مروي عن الزهري من قوله، كذا ذكره أبو الليث في تفسيره ٢/ ٤٧٣ .

(٦) غريب لم أقف عليه في كتب التفسير التي بين يدي، وروى الطبري ي تفسيره ١٩/ ٨ عنه أنه قال: كان خشوعهم في قلبهم، فغضوا بذلك البصر، وخفضوا الجناح. وقال: خاشعون: خائفون.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ اللغو: هو الشتم والأذىٰ، إذا سمعوا من كفار مكة أعرضوا، واللغو علىٰ ثلاثة أوجه:

أحدها: الزور والبُهتان والكذب.

والثاني: الغناء والغزل.

والثالث: أحاديث الدنيا ما لا يعنيه الخوض فيها[١].

وقيل: هم الذين للحلف بالباطل والكذب تاركون، إذا اطلع الحق علىٰ سرائرهم خشعت له أبدانهم، وتواضعت لعظمته أركانهم، شغلتهم صلاتهم عن من دونه، واستأسرهم عن أنفسهم فأعرضوا عن من سوىٰ الله.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ أي: مؤدون أداء الصدقة.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ﴾ عن الفواحش ﴿حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ أي: من أزواجهم الأربع[٢] ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ من الإماء ما شاء غير معدود ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ في مباضعتهنَّ ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد نسائه الأربع وولائده، أي: جواريه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ المعتدون الجائرون.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾ أي: يرعون حق الأمانات التي اؤتمنوا عليها وحق العهود.

---

(١) ويجمع ذلك كله أن اللغو هو الباطل، وبذلك جاء التفسير عن السلف (تفسير الطبري ١٩/ ١٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٧٣، الكشف والبيان ١٨/ ٤٤٢) وهذا اسم يشمل كل ما ذكر، فالمعاصي من الباطل، والغناء منه، والكذب منه، زكثيرمن أحاديث الدنيا منه.

(٢) تفسير علىٰ بـ: من قول أصحاب المعاني، انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣١، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٦، البسيط ١٥/ ٥٢٤ ، وهو معنىٰ قول أهل التأويل من السلف (انظر أقوالهم: في تفسير الطبري ١٩/ ١١).

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ ومحافظتها: أداؤها في وقتها.

قال مؤلفه عبد الحميد الحاكمي عفا الله عنه: بلغنا عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «ما من عبد إلا وبينه وبين الله عهد ما أقام الصلاة في وقتها، وآثرها علىٰ غيرها، معرفة لحقها، فإن هو آثرها[1] استخفافًا لحقها، وآثر غيرها عليها؛ برئ الله تعالىٰ إليه من عهده ذلك، ثم كان في مشيئة الله إما أن يعذِّبه وإما أن يرحمه»[2].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أهل هذه الصفة ﴿هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾ أي: ورثوا الجنة من الكفرة بتصديقهم، وصلاتهم، وخشوعهم، وإعراضهم عن اللغو، وأداء الأمانات، وحفظ الفروج، وهذا حُسن ثناء من الله عز وجل.

ثم بيَّن الميراث ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ﴾ وهو البستان بلغة الروم، عن الكلبي[3]. وهي أدنىٰ الجنان ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ دائمون ولا يخرجون.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ يعني: الكافر المكذِّب بالبعث ﴿مِن سُلَٰلَةٖ﴾ وهو المني ينسلُّ من عَجب الذنب، ومن عروق الصُّلب، فلا شيء أسرع منه إلىٰ الرحم. والسلالة: ما كان الولد منه[4].

---

(١) كذا في الأصل، ولعله: تركها.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وهو معنىٰ أحاديث مشهورة، مثل حديث بريدة: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» رواه أحمد (٢٢٩٣٧)، وحديث عبادة بن الصامت: «خمس صلوات كتبهن الله علىٰ العباد من أتىٰ بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له» رواه أحمد (٢٢٦٩٣).

(٣) الكشف والبيان ١٨/ ٤٥٢.

(٤) قال الطبري: السلالة المستلة من كل تربة، وكذا كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الأرض (تفسير الطبري ١٨/ ١٤).

عن الضحاك: من سلالة ﴿مِّن طِينٍ ۝١٢﴾ يعني من مني خرج من آدم[١].

وقال مقاتل: يعني بالإنسان آدم، خلقه من سلالة وهو ما انسل من بين الأصابع إذا عصر الطين[٢].

والأول أعجب لأنَّ الولد يسمىٰ سليلاً، فما يكون الولد منه سلالة.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾ أي: قطرة ماء ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣﴾ في حرز حريز، وهو الرحم.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ أي: حوَّلنا النطفة الممشوجة بالنطفة الصفراء من ماء المرأة: علقة حمراء ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ لحم لا عظم فيه ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ لطافًا هيّن المكسر ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ أي: غطَّيناه به ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ ذكرًا وأنثىٰ، وقيل: هو نبت الشعر، وقيل: نفخ الروح[٣] ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ أي: تعالىٰ الله واستحق التعظيم لأنه لم يزل ولا يزال أحسن الخالقين، أي: أحكم المقدرين وأحسن المصورين، كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠﴾ ثم قال في الآخرة ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝٢٣﴾.

وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب هذه الآية لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فلمَّا انتهىٰ إلىٰ قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ عجب من تفصيل خلق الإنسان، فجرىٰ علىٰ لسانه ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: اكتب فإنه وحي هكذا أنزل، فشكَّ عدو الله وكفر، وقال: لئن كان محمدًا صادقًا فيما يقول ليوحىٰ إليَّ كما يوحىٰ إليه، وإنْ كان

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٧٥.

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٣٩٣.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ١٧، ورجح أنه نفخ الروح.

كاذبًا فقد قلت مثل ما قال، فرجع إلىٰ مكة كافرًا[١].

وذكر محمد بن شحمة الهروي في تفسيره: أنَّ هذه القصة كلها لا تصح، لأن هذه السورة كلها نزلت بمكة، وعبد الله بن سعد أسلم بالمدينة بعد الهجرة، وارتد ورجع إلىٰ مكة كافرًا[٢].

﴿ثُمَّ إِنَّكُم﴾ يا بني آدم ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ التخليق ﴿لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ إذا انقضت آجالكم ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ الجزاء.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ﴾ أي: فوق رؤوسكم ﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ أي: سبع سماوات، كل سماء طريقة ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ ساهين عن حفظهم.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطرًا ﴿بِقَدَرٍ﴾ أي مقدار.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما نزلت قطرة من السماء إلا بقدر معلوم، مع كل قطرة ملك يضعها موضعها[٣].

﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أدخلناه في الأرض في جِنانكم وأنهاركم ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ أي: نقدر علىٰ إذهابه من الأرض حتىٰ يغور فيها.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم﴾ أي: أنبتنا بالمطر ﴿جَنَّٰتٍ﴾ يعني الخضرة ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ بعد النخيل والأعناب ﴿وَمِنْهَا﴾ أي: من الجنان

---

(١) هذا الخبر من رواية الكلبي، كما في تفسير أبي الليث ٢/ ٤٧٩، الكشف والبيان ١٨/ ٤٦٨، والجامع لأحكام القرآن ١٢/ ١١٠. وفيه النقد الآتي.

(٢) وهذا من النقد العالي، وبمثل هذا النقد ردوا حديث معاذ أنه وافق النبي صلىٰ الله عليه وسلم في ختم هذه الآية، وقد روي أن عمر وافقه في لفظها، وكل ذلك لا يصح (انظر: تفسير ابن كثير ٥/ ٤٦٩).

(٣) رواه ابن جرير في التفسير ١٧/ ٨٤ عن الحكم بن عتيبة، ولم أقف عليه من قول ابن عباس.

﴿تَأۡكُلُونَ ١٩ وَشَجَرَةً﴾ نصب عطفًا على أنشأنا ﴿تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ﴾ قيل: هو كل جبل ذي شجر.

وقال مجاهد: الطور الجبل، والسيناء هي الحجارة[١].

﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ أي: تنبت ومعه الدهن[٢] ﴿وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ٢٠﴾ إدام لهم.

﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ﴾ أي: معتبرًا للجاحدين بالتوحيد ﴿نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ من اللبن الصافي ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ﴾ سوى شرب ألبانها ﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٢١﴾ من لحومها.

﴿وَعَلَيۡهَا﴾ أي: على الإبل خاصة ﴿وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ﴾ تسيرون.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣﴾ توحدون الله.

﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: يتطوَّل عليكم بادِّعاء النبوة ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ مختصر معناه: ولو شاء الله أن يرسل رسولاً إلينا لأرسل ملائكة من السماء ﴿مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا﴾ الذي يقول نوح ﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ﴾ أي: جنون ﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ﴾ أي: انتظروا به ﴿حَتَّىٰ حِينٖ ٢٥﴾ أي: حتى يموت فتنقطع مقالته، وقيل: إلى أن يتبين صدقه[٣].

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٧٧. وعنه قول آخر رواه ابين أبي نجيح وابن جريج، وهو: طور سيناء: المبارك (تفسير الطبري ١٩/ ٢١).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٠.

(٣) حتى حين: أي إلى وقتٍ ما، ولم يعنوا بذلك وقتا معلوما، إنما هو كقول القائل: دعه إلى يوم ما (تفسير الطبري ١٩/ ٢٦).

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِى﴾ بالانتقام عنهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦﴾ أي: بتكذيبهم إياي.

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ بجبريل ﴿أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ بمنظر منا ﴿وَوَحۡيِنَا﴾ أي: أمرنا ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ أي: عذابنا ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ أي: نبع الماء من أسفل التنور ﴿فَٱسۡلُكۡ فِيهَا﴾ أدخل في الفُلك، والهاء راجعة إلىٰ السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ أي: من كل حيوان صنفين ذكرًا وأنثىٰ ﴿وَأَهۡلَكَ﴾ أي: أَدْخِل أهلك فيها ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ﴾ أي: وجب عليهم السخطة بالعذاب، وهو ابنه كنعان، وزوجته المنافقة ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أي: لا تراجعني بالدعاء في الذين كفروا ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧﴾ بالطوفان.

﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ أي: استقررت أنت ومن آمن معك في السفينة ﴿فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٨﴾ الكافرين ولم يغرقنا معهم(١).

﴿وَقُل﴾(٢) حين تخرج من السفينة وتنزل منها ﴿رَّبِّ أَنزِلۡنِى مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٢٩﴾ أي: مكانًا ذا بركة.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ أي: في هلاك قومه لآيات لمن بعده ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ٣٠﴾ أي: قد كُنَّا لمختبرين الخلق بالطاعة والمعصية، وقيل: كُنَّا مانِّين علىٰ نوح بالنجاة(٣).

﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٣١﴾ وهم قوم هود ﴿فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ وهو هود ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣٢﴾ أي: اتقوه.

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٧٩.

(٢) في الأصل: وقيل، وهو تصحيف، ظنه قولا آخر.

(٣) والقول الثاني غريب، انظر: تفسير الطبري ١٩/ ٢٨، الكشف والبيان ١٨/ ٤٩٠

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ وهو البعث ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: نعّمناهم، والإتراف: التنعُّم في ضروب اللذات(١) ﴿مَا هَٰذَآ﴾ يعنون هودًا ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فيما دعاكم إليه ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ مغبونون ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أحياء من القبور ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ بُعدًا بُعدًا(٢)، أي: بعيد هذا الذي يقول ولا يكون أبدًا.

وقرئ: هيهاه هيهاه(٣)، وقف بالهاء، وأصله من: [هيهيات](٤)، ومعناه بعُد الأجر جدًا.

﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: تموت الأحياء وتحيا الأبناء ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ كما يزعم هود.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ حيث زعم أنه رسول الله ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿قَالَ﴾ هود ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾﴾ أي: أعنِّي بالعذاب بتكذيبهم إياي(٥).

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٢٩، الكشف والبيان ١٨/ ٤٩١.

(٢) وهو تفسير ابن عباس في رواية علي عنه، قول قتادة، ولا خلاف بين المفسرين في ذلك (تفسير الطبري ١٩/ ٣٠، البسيط ١٥/ ٥٨٧٢).

(٣) ذكره أبو البقاء في التبيان ٢/ ٩٥٥، وهي قراءة شاذة، وكل القراء على فتح التاء فيهما سوى أبي جعفر فبالكسر (النشر ٢/ ٣٢٨)، وأما الوقف: فوقف الكسائي والبزي وقنبل بخلف بالهاء، والباقون بالتاء (النشر ٢/ ١٣٢).

(٤) في الأصل: ها هي يها هي، وهو تصحيف، وما أثبته من المحتسب لأبي الفتح بن جني ٢/ ٩١، ومنهم من يقول: هايهات بزيادة الألف (تاج العروس٣٦/ ٥٥٧).

(٥) تفسير الطبري ١٩/ ٣٢.

﴿قَالَ﴾ الله تعالىٰ ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ أي: بعد أيام ﴿لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ۝٤٠﴾ علىٰ كُفرهم ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ﴾ يعني صوت جبريل، وقيل: الريح العقيم[(١)] ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗ﴾ وهو الشيء البالي من نبات الأرض[(٢)]، يحمله السيل، وأراد به المتلاشي ﴿فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤١﴾ الكافرين.

﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ۝٤٢﴾ أي: قرنًا بعد قرن، أمة بعد أمة ﴿مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٤٣﴾ بعد أجلها طرفة عين.

﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ﴾ مردفين بعضهم علىٰ إثر بعض، وأصله: وترىٰ قلبت الواو لكراهتهم الواو، وزنه: مثل شكوىٰ، والواو تبدل بالتاء في كلام العرب، كما قالوا في: تراث، وأصله: وراث، وتجاه أصله: وُجاه[(٣)].

وقيل: تترىٰ معناه: منقطعة متفاوتة، وأصله الوتر وهو الفرد عن الجميع[(٤)].

﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ﴾ كما كذَّبوك قومك يا محمد ﴿فَأَتۡبَعۡنَا

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٨٠، الكشف والبيان ١٩/ ٣٢.

(٢) ملخص من معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٣. وانظر: تفسير الطبري ١٩/ ٣٣، البسيط ١٥/ ٥٨٤.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٠٦، البسيط ١٥/ ٥٨٩.

(٤) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٢٦٣: وقرأت علىٰ شيخنا أبي منصور اللغوي قال: ومما تضعه العامة غير موضعه قولهم: تواترت كتبي إليك، يعنون: اتصلت من غير انقطاع، فيضعون التواتر في موضع الاتصال، وذلك غلط، إنما التواتر مجيء الشيء ثم انقطاعه ثم مجيئه، وهو التفاعل من الوتر، وهو الفرد، يقال: واترت الخبر، أتبعت بعضه بعضا، وبين الخبرين هنيهة، قال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ﴾ أصلها «وترىٰ» من المواترة فأبدلت التاء من الواو، ومعناه منقطعة متفاوتة، لأن بين كل نبيين دهرا طويلا، وقال أبو هريرة: لا بأس بقضاء رمضان تترىٰ، أي: منقطعا، فإذا قيل: واتر فلان كتبه، فالمعنىٰ: تابعها، وبين كل كتابين فترة.

﴿بَعۡضَهُم بَعۡضٗا﴾ بالهلاك ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ﴾ عبرًا لِمن بعدهم يتحدثون بحديثهم ﴿فَبُعۡدٗا﴾ بالعقوبة ﴿لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٤٤﴾ بالله ورسوله.

﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التسع ﴿وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٤٥﴾ حجة ظاهرة ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ من القبط ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن الإيمان ﴿وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ٤٦﴾ طاغين متكبرين.

﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا﴾ موسىٰ وهارون ﴿وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧﴾ مسخَّرون ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ٤٨﴾ المغرقين في اليم.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٤٩﴾ من الضلالة.

﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ﴾ واحدة ﴿وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ﴾ بعد ما فرَّ بهما يوسف بن يعقوب بن ماثان[1] من المَلِك.

﴿إِلَىٰ رَبۡوَةٖ﴾ من الأرض أي: مكان مرتفع ﴿ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ٥٠﴾ ذات مستقر وماء جارٍ ظاهرٍ علىٰ وجه الأرض، يعني: الأرض المقدسة، وأنه كبد الأرض.

---

(١) المعروف بيوسف النجار، وذكره في القصة من قبيل الإسرائيليات، ولم يذكر القرآن يوسف النجار هذا، ولا السنة المطهرة، بل ذكره في قصة مريم وكفالته للمسيح يخالف ما عندنا من الكتاب، من جهة أن مريم البتول لم تتزوج، وهي زوجة نبينا في الآخرة، وقد اختلف اليهود والنصارىٰ في شأن يوسف، فاليهود يقذفون مريم البتول به، والنصارىٰ يسمونه مربي المسيح، وقد يمكن أنهم لا ينكرون أنه تزوج من مريم، فإن بعض طوائفهم يحتفلون بعيد الأب في يوم تذكار القديس يوسف، مما يدل علىٰ اعتقادهم أنه والد المسيح.
وما ورد في التفسير من شأن يوسف النجار، فقد رواه بعض من عرف بأخذ التفسير عن الأحبار، أو مَن هو متروك في باب الرواية، كالكلبي ومقاتل وابن إسحاق، ولم أره من وجه صحيح عن ابن عباس ولا عن أحد من الصحابة، والله تعالىٰ أعلم (انظر: الجواب الصحيح ٢/ ١٤٤).

وقال الضحاك: غوطه دمشق من أرض الشام(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ يعني: النبي صلىٰ الله عليه وسلم وحده(٢)، ذكره بلفظ الجمع تعظيمًا له(٣) ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلالات من الرزق ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ من الصلاة والصيام، فالطيب: ما عري عن الخصومات، والصالح: ما عري عن المراءات.

﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ۝٥١﴾ أجازيكم عليه.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ منصوب علىٰ الحال، أي: في حال اجتماعهم علىٰ الحق، ومعناه: ملّتكم ملة واحدة عليها كان الأنبياء والمؤمنون ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢﴾ أي: وحّدوني.

---

(١) قول الضحاك في تفسير الثعلبي الكشف والبيان ١٨/ ٥٠٤، ورواه كذلك عن عبد الله بن سلام، وهو قول سعيد بن المسيب، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٣٨، ونسبه ابن الجوزي إلىٰ ابن عباس من طريق عكرمة، كما في زاد المسير ٣/ ٢٦٤.

(٢) وقيل: المراد عيسىٰ عليه السلام، أي قلنا لعيسىٰ، وهذا الذي لم يذكر الطبري والثعلبي سواه (تفسير الطبري ١٩/ ٤٠، الكشف والبيان ١٨/ ٥٠٩).
لكن حكىٰ السمعاني عن مجاهد وقتادة والسدي وجماعة أن المراد من قوله: يا أيها الرسل هو محمد صلىٰ الله عليه وسلم (تفسير السمعاني ٣/ ٤٧٨).
وهذه الأقوال لم أجدها، ولا ذكرها السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٢، بل ذكر أن ابن المنذر روىٰ عن مجاهد قوله: هذه للرسل.
ونقل السيوطي عن حفص بن أبي جبلة عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مرسلا أنه قال: ذاكم عيسىٰ، وروي عن حفص مقطوعا عليه.
ومما يدل علىٰ أن المراد رسل الله كلهم حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم (١٠١٥) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾.. الحديث.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٨٢.

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: دينهم فيما بينهم فصاروا أحزابًا في الدين ﴿زُبُرٗاۖ﴾ بضم الباء والزاي المعجمة: جمع زبورًا، أي: جعلوا دينهم كتبًا مختلفة، وزبرًا: بنصب الراء: قِطعًا وأحزابًا، كقوله: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ﴾ أي: قطع الحديد.

﴿كُلُّ حِزۡبِۭ﴾ وأهل دين ﴿بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣﴾ معجبون، وقيل راضون[(١)].

﴿فَذَرۡهُمۡ﴾ يا محمد ﴿فِي غَمۡرَتِهِمۡ﴾ أي: سهوهم وغفلتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤﴾ انقضاء آجالهم.

﴿أَيَحۡسَبُونَ﴾ أيظنون يعني أهل الأديان ﴿أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥﴾ أي: يزيدهم من مال وبنين في الدنيا، محذوف الجواب، أي: يظنون أنه نجاة لهم.

﴿نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ٥٦﴾ أنها ليست كذلك، بل هي فتنة واستدراج، والخيرات: المال والولد.

قال مؤلفه عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه بفضله: بلغنا عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «يقول الله تعالىٰ: يحزن عبدي المؤمن إذا أقترت عليه، وذلك أقرب له مني، ويفرح إذا بسطتُ إليه شيئًا، وذلك أبعد له مني»، ثم تلا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ٥٦﴾[(٢)].

ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧﴾ أي: خائفون وجلون من العرض علىٰ ربهم ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ

---

(١) وهما بمعنىٰ (تفسير الطبري ١٩/ ٤٢، الكشف والبيان ١٨/ ٥١٥).

(٢) ذكره في مسند الفردوس ٨٠٨٨ عن أنس من غير إسناد.

وقد ذكره أبو الليث في تفسيره ٢/ ٤٨٣ خبرا دون أن يسنده إلىٰ أحد، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ١٠١ عن الفضيل بن عياض، فهو خبر من جملة الأخبار، وليس بحديث.

﴿رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨﴾ يعني القرآن ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ الأوثان ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾ بالمد، أي: ينفقون جميع ما ينفقون من صدقة أو زكاة، ومعناه: يعطون ما أعطوا من الصدقة، ويعملون ما عملوا من الخير ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خائفة من العرض على الله؛ ورؤية التقصير، لأنَّ الكريم يستصغر إحسانه وإن جل، فهو صغير في جنب ما يستحقه الحق ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ يبادرون في الطاعات ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ۝٦١﴾ لأجل تلك الخيرات سابقون إلى الجنة.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: قدر طاقتها ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ﴾ وهو اللوح المحفوظ يشهد ﴿بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٢﴾ بنقصان حسناتهم.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ القرآن ﴿وَلَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: الكفر ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ۝٦٣﴾ أي: لتلك الأعمال الخبيثة.

ثم ابتدأ ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ﴾ أي: جبابرتهم ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ۝٦٤﴾ عند معاينة العذاب، يعني به: القحط الذي أصاب أهل مكة، وقيل: القتل ببدر[(١)].

يقال لهم حينئذ ﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ﴾ أي: لا تتضرعوا ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ۝٦٥﴾ أي: لا تمنعون.

﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي﴾ القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يقرأ عليكم نبي الله ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ۝٦٦﴾ أي: ترجعون إلى الشرك ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ أي: بالبيت الحرام لأجل أنَّه في جواركم ﴿سَامِرًا﴾ سُمَّارًا ﴿تَهْجُرُونَ ۝٦٧﴾ أي: تتكلمون بالقبيح من القول وتهزؤون، والسامر: الجماعة يتحدثون ليلاً، واحدها: سَمَر[(٢)].

---

(١) الكشف والبيان ١٨/ ٥٢٧، زاد المسير ٣/ ٢٦٦.

(٢) وهذا كالجامل واحدها جمل، قال الأزهري: وقد جاءت حروف على لفظ فاعل وهي جمع عن العرب، فمنها الجامل والسامر والباقر والحاضر، فالجامل: الإبل فيها الذكور والإناث.

والسمر: ظل القمر أيضًا(١).

وكانوا يجتمعون في ظل البيت ليلاً يتحدثون بالهذيان، يقال للعليل(٢) إذا هذىٰ قد هَجَر.

وقرئ: «تُهجرون» من الهجر(٣)، وهو الفخر، وكانوا يسبون النبي صلىٰ الله عليه وسلم فضَّ الله فاهم ولعنهم(٤).

﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾ ألم يتفكروا في القرآن وما يخوفهم الله عز وجل ﴿أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦٨﴾ قال ابن عباس: بل جاءهم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ما لم يأت إلىٰ آبائهم الأولين(٥)، لأنهم ماتوا في الفترة فلم يسمعوا بمثل القرآن.

وقيل: هو علىٰ التوبيخ علىٰ إنكارهم، معناه: قد جاءهم محمد بمثل ما جاءت الرسل إلىٰ الأمم الماضية.

﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ﴾ صلىٰ الله عليه وسلم بوجهه ونسبه ﴿فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٦٩﴾ لا يعرفون، جاء علىٰ التوبيخ.

والسامر: جماعة الحي يسمرون ليلا. والحاضر: الحي النزول علىٰ الماء. والباقر: البقر فيها الفحول والإناث (تهذيب اللغة ١٢/ ٢٩١).

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٨، وقد خولف الزجاج في بعض ما قال، انظر: البسيط ١٦/ ٢٤.

(٢) في الأصل: للتعليل، وهو تصحيف.

(٣) قرأ نافع بالضم في التاء، والكسر في الجيم (النشر ٢/ ٣٢٩).

(٤) الكشف والبيان ١٨/ ٥٣٣، البسيط ١٦/ ٣٠.

(٥) تفسير الطبري ١٩/ ٥٦، من طريق عكرمة عن ابن عباس، بلفظ: لعمري لقد جاءهم ما لم يأت آباءهم الأوَّلين، ولكن أو لم يأتهم ما لم يأت آباءهم الأوَّلين.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ﴾ بل يقولون ﴿بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾ أي: جنون، قاله عقبة بن أبي معيط، وهاهنا وقف، ثم قال الله عز وجل: ﴿بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ بالتوحيد ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ [لِلۡحَقِّ]﴾ للتوحيد ﴿ كَٰرِهُونَ ٧٠﴾ مكذِّبون.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ والحق هو الله، معناه: لو فعل الله ما يشتهون بأن يأذن لهم بالشرك، ويمنع الوحي عن رسوله(١).

وقيل: الحق القرآن، معناه لو نزل القرآن بمرادهم(٢).

﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ لأنَّ مرادهم أن يكون مع الله إلـٰهًا آخر، ولو كان ذلك لفسدت السماوات يعني الملأ في السماء، والخلق في الأرض.

وقيل: هلكت السماوات والأرض وأهلهما(٣).

﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ﴾ أي: شرفهم، أي: بشرف وعزٍ للعرب، لأنَّ الرسول منهم والقرآن بلغتهم ﴿فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم﴾ أي: عزهم وشرفهم ﴿مُّعۡرِضُونَ ٧١﴾ بالكفر.

ثم قال للنبي صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾ يا محمد ﴿خَرۡجٗا﴾ أي: أجرًا(٤) علىٰ الرسالة، وخرجًا: أي جعلاً(٥) ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞ﴾ أي: ثواب ربك في

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٨٦، الكشف والبيان ١٨/ ٥٣٦.
(٢) وهما بمعنىٰ، لأن القرآن كلام الحق سبحانه وتعالىٰ، وهذا قول الزجاج في معاني القرآن ٤/ ١٩.
(٣) الهلاك من قبيل التفسير باللازم، قال ابن جرير: ولو عمل الربّ تعالىٰ ذكره بما يهوىٰ هؤلاء المشركون وأجرىٰ التدبير علىٰ مشيئتهم وإرادتهم وترك الحق الذي هم له كارهون، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الأمور والصحيح من التدبير والفاسد، فلو كانت الأمور جارية علىٰ مشيئتهم وأهوائهم مع إيثار أكثرهم الباطل علىٰ الحقِّ، لم تقر السموات والأرض ومن فيهن من خلق الله، لأن ذلك قام بالحق.
(٤) في الأصل: أجزاء. وهو تصحيف.
(٥) الكشف والبيان ١٨/ ٥٣٧.

الآخرة خير من جعلهم ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٧٢﴾ لا يمن ولا يكذب.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ﴾ دين الإسلام وهو ﴿صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٧٣﴾(١) فلا يجيبونك.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ أي: دين الإسلام ﴿لَنَٰكِبُونَ ۝٧٤﴾ مائلون.

﴿وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ﴾ يعني: أهل مكة ﴿وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ﴾ من قحط وجوع ﴿لَّلَجُّواْ﴾ أي: تمادوا ومضوا ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ في كفرهم ﴿يَعۡمَهُونَ ۝٧٥﴾ يترددون، والعمه: التحير(٢).

﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ﴾ أي: الجوع ﴿فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ﴾ أي لم يذلُّوا لله بالطاعة ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦﴾ بالدعاء والإنابة إليه، والاستكانة افتعال من السكون(٣)، ومدت فتحته بالألف الساكنة، قال عنترة:

ينباع من ذِفْري غضوب جَسْرةٍ ....

يعني: ينبع العرق من أسافل أذنىٰ المعطىٰ، فمد الباء بالألف(٤).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾ يعني الجوع، قيل: فتح مكة ﴿إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ۝٧٧﴾ آيسون من كل خير ورزق، والمبلس: الساكت

---

(١) في الأصل: الصراط المستقيم.

(٢) الكشاف ٣/ ١٩٧.

(٣) قال الزمخشري في الكشاف ٣/ ١٩٧، استفعل من الكون: أي انتقل من كون إلىٰ كون، كما قيل: استحال إذا انتقل من حال إلىٰ حال، ويجوز أن يكون افتعل من السكون، أشبعت حركته.

(٤) البيت من معلقة عنترة المشهورة، تكملته: زيافةٍ مثل الفنيق المكدم، قال الأزهري: أي ينبع، فمدت فتحة الباء بالألف، وقال: فما استكانوا أي ما خضعوا، كان في الأصل فما استكنوا، فمدت فتحت الكاف بألف (تهذيب اللغة ١٠/ ٤١).

المتحير[١]، وقوله: «حتىٰ إذا فتحنا» معناه: فلَفتحنا[٢].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ كي تسمعوا وتبصروا وتعقلوا ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ هذه النِعَم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قيل: خلقكم من آدم وآدم من الأرض ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٧٩﴾ في الآخرة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي: يحيي الأموات ويميت الأحياء ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ليس لهما مدبر سواه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٨٠﴾ أنْ ليس معه شريك.

﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٨١﴾ بل قالت: قريش بأنك ساحر كاهن كما قال الأولون من الأمم لرسلهم ﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝٨٢﴾ تعجبًا ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا﴾ أي: خوِّفنا بهذه المقالة كما خُوف آباؤنا وما نرىٰ لذلك تحقيقًا ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨٣﴾ أحاديثهم وأكاذيبهم.

﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤﴾ أجيبوني ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥﴾ أي: تتعظون بما تقولون هذه لله، ولا اختلاف بين القرَّاء في هذه الكلمة، واللتان بعدها تقرأ: «سيقولون الله» ويقرأ: «لله»[٣] وهو جيد في الحالين، لأنَّ من يسأل: مَن صاحب هذه الدار؟ فأجيب: زيد، كان جوابًا علىٰ لفظ السؤال، ولو أجيب وقيل: لزيد

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٠.

(٢) في الأصل: فلا فتحنا.

(٣) في الأصل: ولله، وهو تصحيف.

وقد قرأ أبو عمرو ويعقوب: الله الله، برفع الهاء، في الموضعين، وقرأ الباقون: لله لله، بخفض الهاء (النشر ٢/ ٣٢٩). وفي الأصل في الموضعين القادمين: الله.

جاز[١].

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أي: يقرون بأن الله خالقهما وخالق من فيهما وخالق العرش العظيم ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ الشرك، وتوحدون هذا الرب بعدما أقررتم بأنَّه خالق الأشياء.

﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يعني: خزائن كل شيء، عن الكلبي. والملكوت: الملك زيد فيه التاء[٢]، كما يقال: رهبوت خير من رحموت[٣].

﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ أي: يُؤَمِّنُ من العذاب لمن آمن به ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ لا يقدر أحد أن يحفظ أحدًا من عذابه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ الذي يفعل ذلك.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ فأخبروني ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ فكيف تخدعون وتصرفون عن الحق.

﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾ بالتوحيد والقرآن ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾ فيما يدعون من الآلهة.

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ كما زعمتم من الملائكة وغيرهم ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ أي: لا شريك له في خلق هذه الأشياء، ولو كان كذلك ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ أي: استولى كل خالق على ما خلق دون صاحبه ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: قهر بعضهم بعضًا كفعل ملوك الأرض، ثم نزَّه نفسه فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ له من الشريك.

---

(١) صدر عن معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٠، وانظر: تفسير الطبري ١٩/ ٦٣، البسيط ١٦/ ٤٤.

(٢) في الأصل: الفاء، وهو تصحيف.

(٣) قال الزجاج: الملكُوت بمنزلة الملك، إلا أن الملكوت أبلغ في اللغة من الملك، لأن الواو والتاءَ تزادان للمبالغة، ومثل الملكوت: الرغبُوت، والرهبُوت، وَوَزْنه من الفعل: فَعَلُوت، وفي المثل: رَهَبُوتي خير مِنْ رَغبُوتي.. (معاني القرآن ٢/ ٢٥٦)

﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ أي: ما غاب علمه عن العباد ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما علمه العباد ﴿فَتَعَٰلَىٰ﴾ في ارتفاعه أي: تكبَّر وتعظَّم ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ من الشريك.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾﴾ «إن» و«ما» حرفا شرط جُمعا للتأكيد، والنون المشددة للتأكيد، وقيل: ما للصلة، معناه: إن أريتني[1] ما يوعدون أي: عذابهم فأخرجني من بينهم[2].

﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ أي: لا تعاقبني معهم.

قال الكلبي: هذا ما كان وعد الله للنبي صلىٰ الله عليه وسلم من إلقاء الفتنة بين أصحابه، ولم يخبره متىٰ يكون، فلم يرَ بعده متبسمًا، ولم يرها النبي صلىٰ الله عليه وسلم[3].

وقيل: هو ما وعد الله المشركين بيوم بدر، وأراها رسوله عليه السلام وفتح عليه مكة[4].

---

(١) في الأصل: رأيتني.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢١. وهذا المعنىٰ لا خلاف فيه (تفسير الطبري ١٩/ ٦٧، الكشف والبيان ١٨/ ٥٥٠).

(٣) هذه نزعة رافضية من الكلبي أبت إلا أن تظهر في فلتات لسانه، فالخطاب السابق واللاحق في المشركين، وفي تخويفهم والتشديد عليهم، فاستقطع من بين السياقين آية توبخهم فجعلها في أصحاب محمد صلىٰ الله عليه وسلم، وقول الكلبي هذا نقله أبو الليث كذلك في تفسيره ٢/ ٤٨٩، والواحدي في البسيط ١٦/ ٥٢، وقد نسباه للكلبي، فيعرف طالب العلم أنه ليس بشيء، بمجرد نسبته إلىٰ الكلبي وتفرده به، ولكن الرزية في ذكر الرازي إياه قولا في تفسيره (مفاتيح الغيب ٢٣/ ٢٩١) دون نسبة للكلبي، فأوهم أنه من أقوال أهل التأويل، وهكذا يدخل الدخيل البغيض في التفسير.

(٤) وهذا هو الصحيح في التفسير، انظر: تفسير الطبري ١٩/ ٦٧.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ٩٥﴾ إن شئنا أريناك ذلك، ثم عزاه ليصبر فقال: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾ أي: ادفع الفحش والكلام عن نفسك بالخصلة التي هي أحسن، وقيل: بالسلام ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾ لي من البنين والبنات.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧﴾ أي: نزغاته ووساوسه، يعني: إذا استقبلك أحد بسوء؛ والشيطان يغريك علىٰ مكافأته بالسوء؛ فعليك أن تستعصم بالله من إغوائه، وأصل الهمزة: شدة الدفع إلىٰ شيء، أي: يدفعه الشيطان إلىٰ معصية الله.

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ٩٨﴾ عند غضبي فيغلبوني(١).

ثم ابتدأ فقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي: عاين ملك الموت وأعوانه ﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩﴾ إلىٰ الدنيا، خطاب تعظيم، كقوله في قصة موسىٰ ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ﴾.

﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾ أي: أؤمن فيما كذبت ﴿كَلَّآۚ﴾ أي: لا يكون ذلك، وحقًا إنه لا يرجع إلىٰ الدنيا.

ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾ أي الرجعة كلمة ﴿هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾ ويتكلم بها لا محالة، ولا يسمعها بنو آدم ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أي: قدامهم ﴿بَرۡزَخٌ﴾ حاجز بين الموت والرجوع، والبرزخ: كل فرجة وفصل بين الشيئين.

---

(١) وهذا من قبيل التفسير بالمثال، ومثله قول أبي الليث: قيل عند تلاوة القرآن، وقيل: عند الموت، وقيل عند الصلاة (تفسير أبي الليث ٢/ ٤٨٩).
والمفسرون حملوه علىٰ العموم، فقالوا: في شيء من أمري (تفسير الطبري ١٩/ ٦٨، الكشف والبيان ١٨/ ٥٥٣).

وقال قتادة: بقية بقاء الدنيا[(١)]، وهو بين موت الميت وبعثه، عن الأزهري[(٢)].

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ أي: يحشرون من قبورهم.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ نفخة البعث ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ أي لا افتخار بينهم بالأنساب ﴿يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ عن النسب.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالتوحيد والأعمال الصالحة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ الناجون من النار.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ فلم يكن له التوحيد واسود وجهه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بترك التوحيد وذهاب الجنة ﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ دائمون.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: تضرب فتحرق وجوههم وتأكلها، واللفح: أعظم تأثيرًا من النفخ، وقال في آية أخرىٰ: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾.

﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ الكالح: الذي تقلصت شفتاه عن أسنانه فلا تغطيها، فتكون الشفىٰ يومئذ قالصة الشفاه خارجة الأنياب من فِيه[(٣)]، بين شفتيه أربعون ذراعًا بذراع الرجل الطويل، وقيل: كل ناب مثل جبل أُحُد، والله أعلم.

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ أنها ليست من الله تعالىٰ ﴿قَالُواْ﴾ عند ذلك ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي: سوء جدنا التي قضيتها علينا، و«شَقْوتنا» و«شقاوتنا» لغتان جيدتان[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٧١.

(٢) وهو قول طائفة من المفسرين، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٧١.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٧٣، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٩٠، الكشف والبيان ١٨/ ٥٦٢.

(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف: شقاوتنا، وقرأ الباقون: شِقوتنا (النشر ٢/ ٣٢٩)، وانظر: معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٣، الكشف والبيان ١٨/ ٥٦٥..

﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ١٠٦﴾ عن الهدى ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أي: من النار مرة واحدة ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى الشرك ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ ١٠٧﴾ لأنفسنا.

﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا﴾ اصغروا في النار، ابعدوا عن رحمتي، وهو تباعد سخط لا مكان.

يقال: خسأتُ الكلب إذا زجرته ليتباعد[1] ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ لا تسألوني الخروج، فحينئذ صار الكلام حرام عليهم، فبعد ذلك لهم نباح كنباح الكلب، ونهيق كنهيق الحمار.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ بأنك واحد ﴿فَاغْفِرْ لَنَا﴾ ما كان منَّا ﴿وَارْحَمْنَا﴾ ولا تعذبنا ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ١٠٩﴾ أرحم الرحماء.

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ أي: سخرتم بهم واستهزأتم[2] ﴿حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ حتى كان تشاغلكم بالسخرية بهم سببًا لترك ذكري، والذكر: الإيمان، أو القرآن.

أضاف الإنساء إليهم لأن الاشتغال بالاستهزاء سبب النسيان، فأضيف النسيان إليهم توسعًا، ﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ٢٣ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ والأوثان ما أضلوا لأنهم جماد، وقال في قصة الخليل ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ أضاف الإضلال إليهم توسُّعًا لا حقيقة.

﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ١١٠﴾ يا معشر الكفار كنتم تضحكون من الفقراء.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ على استهزائهم حُسن الثواب وحُسن المنقلب ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ١١١﴾ الناجون من العذاب الباقون في الجنة.

---

(١) عن معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٤.

(٢) وهذا على قراءة الكسر في السين، أما الضم فيها فعلى معنى التسخير (معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٤).

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ إذ بعتم آخرتكم بدنيا غيركم ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ أي: طول مقامنا في الدنيا يوم، ثم شكوا فيه فقالوا: أو بعض يوم، ثم اشتبه عليهم الأمر فقالوا: لا ندري ﴿فَسْئَلِ ٱلْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ أي: الحفظة.

وقال مقاتل: يُسألون كم كان مكثكم في القبور بعد الموت من السنين والشهور والأيام، فنسوا طول مكثهم في البرزخ، حين استراحوا ما بين النفختين، إذا رفع عنهم العذاب(١).

﴿قَـٰلَ﴾ الله تعالىٰ: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: ما لبثتم إلا قليلاً ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ لأنَّ تلك المدة لها انقطاع، وما له انقطاع فهو قليل وإن كان كثيرًا عندكم، ولكن كنتم لا تعرفون أنَّ الدنيا فانية، والقيامة قائمة.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا﴾ أفظننتم يا أهل مكة أنما خلقناكم لعبًا ونترككم سُدىٰ ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ للجزاء علىٰ الأعمال، ولا تعاقبون بفعلكم.

﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: تعظم الله وارتفع في جلاله، الملك الحق هو البريء عن الشروك والولد(٢) ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود غيره، ولا مجازي سواه ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ ربُّ السرير الحسن الشريف.

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ من الأوثان وغيرها ﴿لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ أي: لا بينة له ولا حجة من كتاب ناطق، وخبر صادق، والبراهين كلها لمن لا يشرك بالله شيئًا ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: جزاء الكافر عند ربه، وقيل: عذابه

---

(١) في الأصل: الوالد. والص ليس في تفسير مقاتل ٢/ ٤٠٦.

(٢) الكشف والبيان ١٨/ ٥٨٤.

وعقوبته عند ربه في الآخرة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ أي: لا ينجو من عذاب الله الكفار.

ثم قال للنبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ﴾ أي: ادع يا محمد لنفسك ولأمتك، حتىٰ كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يدعو ويقول: اللهم اغفر لي، ولمن شهد لي بالبلاغ والرسالة، وارحمني وارحم من شهد لي بالبلاغ والرسالة، ولك بالربوبية والتوحيد، ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾ حيث لم نعبد غيرك بتوفيقك، قال الله تعالىٰ جوابًا: قد رحمناك وغفرنا لك.

قال مؤلفه عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا عن أُبي بن كعب عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة المؤمنين بشَّره الملائكة بالروح والريحان، وما تقرُّ به عينه عند نزول ملك الموت»[1].

❁ ❁ ❁

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٨/ ٤٢٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٩٠.

سورة النور

كلها مدنية[١]، وهي ستون وأربع آيات في الكوفي والبصري، وآيتان في المدني[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا﴾ أي: هذه السورة أنزلناها بجبريل علىٰ محمد صلىٰ الله عليه وسلم، سميت هذه سورة لشرفها ولعظم شأنها، تقول العرب: له سورة في المجد، أي: شرف.

﴿وَفَرَضۡنَٰهَا﴾ بيَّنا فيها الحدود والفرائض والأمر والنهي ﴿وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾ واضحات من الأمر والنهي ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾ تتعظون بما نزل من الأمر والنهي.

ثم ابتدأ فقال: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ إذا لم يحصنا، يجلد الرجل وعليه إزاره، وتُجْلَد المرأة جالسة عليها درعها ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ أي: رقة في حكم الله، هو نهي غائب[٣]، المعنىٰ: لا ترحموهما فتدفعوا حكم الله عنهما ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا﴾ أي: يحضر جلدهما ﴿طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾ قال ابن عباس: اثنان فما فوقهما[٤].

---

(١) إجماعا (الكشف والبيان ١٩/ ٧، زاد المسير ٣/ ٢٧٥).

(٢) والشامي كالجمهور (البيان في عد آي القرآن ١٩٣).

(٣) في الأصل: عايب.

(٤) قيل: الواحد فما فوقه طائفة، وقيل اثنان، وقيل أكثر من ثلاثة، وكل هذا مروي عن السلف (تفسير الطبري ١٩/ ٩٤، الكشف والبيان ١٩/ ٢٣).

﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ القراءة: برفع الفعل[١]، ولو كان نهيًا لكان جزمًا، والرفع يكون على الخبر، والخبر عن الله لا يكون كذبًا، ونحنُ نرى الزاني ناكحًا غير زانية والزانية قد ينكحها من ليس بزانٍ.

قال ابن عباس: نزول الآية في رجل استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يتزوج امرأة من أصحاب الرايات، ممن كانت تسافح من اليهود، والراية العلامة، ولهن علامات يُعْرَفْنَ بها، وكن مخصبَات الرحال[٢]، فقصد فقراء المؤمنين أن يتزوجوا بعضهم بعضًا منهن رغبة في منازلهن[٣] وطعامهن، ليسكنوا معهن، وينتفعوا بهن، ويمنعوهن عن السفاح، فلما[٤] استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، نزلت الآية[٥].

وقال أبو سهل: وجه الكلام عندي على تقبيح[٦] الفعل، والمعنى: إذا كان الرجل زانيًا لا يليقُ به إلا زانية، ولا ينبغي له إلا مثلها، ثم وكَّد الكلام في آخره فقال: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ يعني حُرِّمَ الزنا على المؤمنين[٧].

---

(١) أي: ينكحُ، وليس: ينكحْ.

(٢) في الأصل: الرجال، وهو تصحيف، والمعنى: أنهن ذوات خصب ويسار، وفي بعض الألفاظ: أخصب أهل المدينة (تفسير أبي الليث ٢/ ٤٩٦).

(٣) في الأصل: منازلهم.

(٤) في الأصل: فإذا، وهو تصحيف، وقد تكرر منه.

(٥) تفسير الطبري ١٩/ ٩٦، الكشف والبيان ١٩/ ٣٣، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٩٦، البسيط ١٦/ ١٠٣.

(٦) في الأصل: تفتيح. وهو تصحيف.

(٧) وقيل اللفظ على الخبر والمعنى الأمر (معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٠)، ونسبه الثعلبي للجمهور (الكشف والبيان ١٩/ ٣٤).

وذكر المفسر الكبير في كتابه المهذب أنَّ هذه الآية معطلة.

وذكر محمد بن شحمة الهروي في هذه الآية كثيرًا من الأقاويل، ثم بيَّن فساد كل قول عقيبها، حتىٰ ذكر نسخها بقول السدي، ثم رده بقوله: إنَّ الخبر لا ينسخ(١)، وهذا ما اتضح لي من المعنىٰ، والله أعلم(٢).

وقيل: معنىٰ قوله ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ يعني: اختيار الزانية علىٰ العفيفة، وللمرأة اختيار الرجل الزاني علىٰ العفيف حرام، لأنَّ في ذلك خطر فساد الدين، وربما يكون الولد شبيهًا بأمه أو أبيه.

وقد قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «إياكم وخضراء الدمن، قيل: وما خضراء الدمن(٣)؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء»(٤).

وفي حديث آخر: «تخيروا لنُطفكم فإنَّ العرق دساس»(٥).

وقيل: إن كلمة «أو» قائمة مقام الواو، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ۝٢٤﴾ معناه: وكفورًا، وقال ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝١٤٧﴾

---

(١) لكن إذا كان اللفظ علىٰ الخبر والمراد الأمر فيدخله حينئذ النسخ، وبالنسخ قال سعيد بن المسيب (كما في تفسير الطبري ١٩/ ١٠١).
وذكر الواحدي آثارا تدعم هذا القول، فيها جواز تزويج الزانية (البسيط ١٦/ ١٠٦).

(٢) وقد قيل: إن النكاح هنا بمعنىٰ الجماع، أي لا يزني الزاني إلا بزانية مثله، حكاه الطبري عن ابن عباس وسعيد وعكرمة (تفسير الطبري ١٩/ ١٠٠، الكشف والبيان ١٩/ ٤١) واختاره ابن جرير، ورده الزجاج بأن النكاح في القرآن هو التزويج لا الوطء (معاني القرآن ٤/ ٣٠) وما رده به ليس بقوي، لأن من فوائد التفسير المأثور إخراج النظير عن نظيره.

(٣) في الأصل: الدين. في الموضعين، وهو تصحيف.

(٤) رواه القضاعي في مسند الشهاب ٩٥٧، وإسناده ضعيف. وخضراء الدمن الشجرة التي تنبت في المزبلة، فتكون ناعمة نضرة، ولكن منبتها خبيث (النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٢).

(٥) رواه ابن ماجه ١٩٦٨، والحاكم في المستدرك ٢٦٨٧، وضعفه الذهبي.

معناه: ويزيدون، فيكون المعنىٰ: الزاني لا ينكح إلا زانية ومشركة، والزانية كذلك.

ثم الواو إذا ثبتت[١] فقد يذكر الواو ويراد به طرحها، كقوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ معناه: كالأعمىٰ الأصم، والبصير السميع، قالوا: واو زائدة، فكان المعنىٰ: الزاني لا ينكح إلا زانية مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان مشرك.

ثم النعت قد يذكر في أحد الفريقين المذكورين، والمراد ذكره فيهما جميعًا، كقوله عز وجل: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ معناه: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، وتقول العرب: ضربت وضربني زيد، معناه: ضربت زيدًا وضربني، فاقتصر علىٰ أحدهما، فيكون تأويل الآية علىٰ هذه الوجوه المذكورة: الزاني المشرك لا ينكح إلا زانية مشركة، والزانية المشركة لا ينكحها إلا زان مشرك، وحرم ذلك علىٰ المؤمنين، والله أعلم.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ أي: يقذفون العفائف من النساء الحرائر المسلمات ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟﴾ إلىٰ الحكام ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ أحرار بالغين مسلمين علىٰ صدق قولهم ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ ضربًا بين الضربين[٢] وعليهم ثيابهم ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا﴾ ما داموا أحياء، وتم الكلام في الشهادة عند أكثر الفقهاء، وعليه أبو حنيفة رضي الله عنه وأصحابه، ثم قال: ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ فالتوبة ترفع عنهم اسم الفسق ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ ﴾ العمل ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ أي: غفور لما كان منهم، رحيم لهم حيث رخَّص لهم بالتوبة.

---

(١) في الأصل: ثبت.

(٢) في الأصل: الصرينة، وهو تصحيف.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ نزلت في هلال بن أمية، حيث جاء إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وأخبره أنه رأىٰ شريك بن سمحاء علىٰ بطن امرأته خولة، فلما[١] دعاها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وسألها فأنكرت، وقالت: إنه كان يدخل علينا يتعلم السُنن والقرآن وكثيرًا ما تركه عندي وخرج من البيت ولا ينكر ذلك عليه، فربما أدركته الغيرة اليوم أو بخل علىٰ طعام كان يأكلـ[ـه]، وهلال يحلف أنه رآه علىٰ بطنها، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[٢]، الذين يقذفون نساءهم ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ﴾ أي: لا يقدر علىٰ إحضار الشهود غير نفسه، وهو بانفراده غير شاهد ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ﴾ وهو الزوج أن يشهد ﴿أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦﴾ أي: يحلف أربع مرات بالله يقول: أشهد بالله الذي لا إله إلا هو أني صادق فيما رميتهما به من الزنا ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٧﴾ فيما رماها به من الزنا.

فأقام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم هلالاً وعرض عليه الأيمان أربعة، واللعن في المرة الخامسة، فلما قال: لعنة الله علي إن كنت من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «آمين»، وقال القوم: آمين، ثم أقبل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ خولة وأقامها، وقال: «إن كنتِ ألممتِ بذنب فاعترفي فإن الرجم أهون من غضب الله» فقالت: كذب علي يا رسول الله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ﴾ أي: الحاكم يدرأ عنها الرجم[٣] ﴿أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ﴾ يعني الزوج ﴿لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٨﴾ فيما رماها به من الزنا ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ﴾ زوجها ﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٩﴾

---

(١) في الأصل: فإذا، وهو تصحيف.

(٢) قصة هلال رواه البخاري في الصحيح ٢٦٧١، ومسلم ١٤٩٦.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٩٨.

فلما قالت ذلك، قال صلىٰ الله عليه وسلم: «آمين»، وقال القوم: آمين، ثم فرَّق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بينهما[(١)].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ فضله الإسلام، ورحمته القرآن ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ حكم علىٰ نفسه قبول توبة التائب، متروك الجواب، وجوابه: لبيَّن الكاذب ولكن ستره بفضله[(٢)].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ أي: جاؤوا بالكذب في أمر عائشة الصدِّيقة بنت الصدِّيق رضي الله عنهما، وتلك العصبة: عبد الله بن أُبي، وزيد بن رفاعة، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، وحسان بن ثابت الشاعر[(٣)].

وتلخيص الآية: ﴿ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ أي: الذين قالوا الكذب علىٰ عائشة وصفوان ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أي: لا تحسبوا الإفك الذين قالوه عليهما ﴿شَرًّا لَّكُم﴾ عند الله، يخاطب عائشة وصفوان ومن همَّهم أمرهما ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم﴾ من أهل الإفك ﴿مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ بقدر ما خاض فيه، لأن بعضهم تكلم، وبعضهم ضحك، وبعضهم سكت ووافق ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ فأفضح به وأعظم المقالة منهم، أي: من جملتهم، وهو: عبد الله بن أبي بن سلول ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١﴾ في الآخرة، مع الجلد في الدنيا، لأنه أول من أشاعه.

ثم وعظ المؤمنين الذين خاضوا فيه، فقال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ قذف عائشة وصفوان ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي: بأمثالهم من المؤمنين مثل صفوان؛ والمؤمنات مثل عائشة ﴿خَيْرًا﴾ أي: عفة وصلاحًا ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ۝١٢﴾ يعني: هلا قالوا هذا كذب ظاهر، كما قال أبو أيوب الأنصاري

---

(١) الكشف والبيان ١٩/ ٧٠.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ١١٥، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٣، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٩٩.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ١١٦.

لامرأته: لو كنتِ أنتِ بمنزلة عائشة مع صفوان في الخلوة أكنتِ تفعليه؟ فقالت: معاذ الله، فقال أبو أيوب: فعائشة خير منك وأطوع لله عز وجل[١].

ثم وبّخ القَذَفة فقال: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ﴾ أي على القذف ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ يشهدون أنهم رأوا ذلك منهما ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ﴾ الأربعة ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ فيما رموهما.

ثم ذكر منّته فقال ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بتأخير العذاب ﴿لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ﴾ أي: دفعتم ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: يأخذه بعضكم من بعض، ويروي بعضكم عن بعض، وقراءة عائشة: «إذْ تَلِقُونَه»، أي: تسرعون في الكذب[٢].

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾ بألسنتكم بالجهل ﴿مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ ذنبًا سهلاً ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ جرمه.

ثم وعظ المخلصين فقال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا﴾ أي: لا يجوز لنا ذلك ﴿سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ يعني: هذا القول كذب عظيم، والبهتان: الكذب الذي يبهت صاحبه إذا سمعه.

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: ينهاكم ﴿أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ﴾ إلى مثل هذا القول ﴿أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ مصدِّقين.

---

(١) رواه الطبري في التفسير ١٩/ ١٢٩.

(٢) وهي شاذة، من الوَلق، وهو الكذب، وكذا الألق، والليق، انظر: تفسير الطبري ١٩/ ١٣١، الكشف والبيان ١٩/ ١٠٤.

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أمره ونهيه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ ١٨﴾ في حكمه حكم على القاذف.

ثم ذكر المنافقين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ أي: يظهر الزنا ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ صفوان وعائشة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ في الدنيا بالجلد، وفي الآخرة بالنار، وهو عبد الله بن أُبي وزيد بن رفاعة جلدهما النبي صلىٰ الله عليه وسلم ثمانين ثمانين، عن مقاتل(١).

وقيل: عذاب الدنيا الجلد، وفي الآخرة عذاب القبر، عن الضحاك(٢).

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ براءتهما ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ١٩﴾ أنهما فعلا ما قلتم.

ثم ذكر منَّته فقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بما قذفتم عائشة وصفوان، متروك الجواب، يعني: لعاقبكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٢٠﴾ لم يعجِّل بالعقوبة لكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني: حسان بن ثابت وأصحابه ﴿لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ آثاره في قذف عائشة وصفوان، ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر، أي: يأمر بالقول الفحش والفعل المنكر ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ يعني: بالإسلام والقرآن ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي: ما صلح أحد في الدين.

و«من» زائدة دخلت لتأكيد النفي ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ يصلحه بالتوبة ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالتهم في عائشة ﴿عَلِيمٌ ٢١﴾ بعقابهم.

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٤١٣، البسيط ١٦/ ١٦٩.

(٢) البسيط ١٦/ ١٦٩.

فلما نزل عذر عائشة قال لها رسول الله: «أبشري يا حميراء» فقالت عائشة: بحمد الله لا بحمدك[١]، وكانت عائشة تقول: نزلت فيَّ ست عشرة آية، لولا الوحي الذي أنزل الله كادت الأمة تهلك في سببي، فقرأ رسول الله هذه الآيات علىٰ المنبر، وكان مِسطح في نفقة أبي بكر، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه بعده، وكان فقيرًا، فنزلت[٢]: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾.

معناه: ولا يحلف[٣]، وقرئ: «ولا يتألَّ»[٤].

﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ أي: ذوي الغِنىٰ منكم ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ في الرزق وهو أبو بكر ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ﴾ أي: لا يعطوا ولا ينفقوا علىٰ ﴿أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي: ذوي القرابة، وكان مسطح ابن خالة أبي بكر ﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وكانت هذه الخصال الثلاثة: القرابة والمسكنة والهجرة اجتمعت في مسطح[٥].

ثم قال ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ أي ليتركوا ما كان منه، وليتجاوزا عن ذكر مسطح، ثم واجه أبا بكر فقال: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ ألا: تشتهون أن يتجاوز الله عنكم بصبركم وعفوكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن عفىٰ من عباده ﴿رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ بهم.

وقيل: غفور ولما سلف من ذنب مسطح، رحيم به، رخَّص له بالتوبة.

فلما سمع أبو بكر هذه الآية فقال: غضِبت علىٰ ذوي قرابتي في الله وتجاوزت عنهم لله، فأنفق عليهم بعد ذلك[٦].

---

(١) الحديث في صحيح البخاري ٣٣٨٨، وليس فيه: يا حميراء.
(٢) رواه البخاري ٢٦٦١، ومسلم ٢٧٧٠.
(٣) وهو قول المفسرين، يقال للحلف: الأليَّة، والأُلوة، والأَلوة، والإلوة (البسيط ١٦/ ١٧٢).
(٤) وهي قراءة أبي جعفر (النشر ٢/ ٣٣١).
(٥) الكشف والبيان ١٩/ ١١٣.
(٦) والقصة في الصحيحين، صحيح البخاري ٦٦٧٦، صحيح مسلم ٢٧٧٠.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾ يعني: بالمحصنات العفائف الغافلات عن الزنا والفواحش ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ يعني: عائشة بالقذف ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ بالجلد ﴿وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٢٣﴾ فجلدهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فأمَّا حَمنة ومِسطح وحَسَّان فتابوا، وأما الستة الآخرين فكانوا[١] منافقين وماتوا علىٰ نفاقهم، ثم بيَّن حالهم يوم القيامة:

﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤﴾ في الدنيا ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ﴾ أي: يوفر عليهم جزاؤهم الواجب، وقيل: جزاء ﴿دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾ يعني العدل ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥﴾ ظاهر عدله، محق في أفعاله، يبين لهم ما أشكل عليهم يومئذ.

ثم قال: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ﴾ يعني: الخبيثات من الكلام يعني للخبيثين من الرجال، يعني: عبد الله بن أُبي وأصحابه، عن الحسن والضحاك ومجاهد[٢].

وقيل: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والمعنىٰ أنَّ امرأة عبد الله بن أُبي خبيثة[٣] فهي للزوج الخبيث[٤].

---

(١) في الأصل: الأخرىٰ كانوا.

(٢) وهو رواية العوفي عن ابن عباس، تفسير الطبري ١٩/ ١٤٢، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٠٦، الكشف والبيان ١٩/ ١١٩.

(٣) في الأصل: خيثمة، وهو تصحيف.

(٤) تفسير الطبري ١٩/ ١٤٤، وهو قول ابن زيد، قال الطبري: وأولىٰ هذه الأقوال في تأويل الآية قول من قال: عنىٰ بالخبيثات: الخبيثات من القول -وذلك قبيحه وسيئه- للخبيثين من الرجال والنساء، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول، هم بها أولىٰ؛ لأنهم أهلها، والطيبات من القول -وذلك حسنه وجميله- للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول؛ لأنهم أهلها وأحقُّ بها. وإنما قلنا هذا القول أولىٰ بتأويل الآية؛ لأن

ثم قال: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ [وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ]﴾ أي: العفائف من النساء للأعفاء من الرجال، والأعفاء من الرجال للعفائف من النساء، ومحمد صلىٰ الله عليه وسلم عفيف وعائشة عفيفة(١).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: عائشة ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ أي: طاهرون مما يقول المنافقون ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ في الدنيا لذنوبهم ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٢٦﴾ أي: حسن في الجنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ [حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ]﴾ كان الناس في الجاهلية وأول الإسلام يدخل بيتًا غير بيته صباحًا، ويقول: حييتم صباحًا، وفي المساء يقول: حييتم مساء، وربما يصيب الرجلُ الرجلَ مع امرأته تحت لحاف واحد، فنزلت الآية(٢)، ونهاهم عن ذلك، وأمرهم بالسلام والاستئذان.

والاستئناس: الاستئذان، والأصل فيه: الاستبصار، يقال: آنست كذا أي أبصرت(٣).

وقال مجاهد: حتىٰ تنحنحوا(٤).

﴿وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ﴾ الاستئذان ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ منْ أنْ تدخلوا من غير إذن ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧﴾ تتعظون.

الآيات قبل ذلك إنما جاءت بتوبيخ الله للقائلين في عائشة الإفك، والرامين المحصنات الغافلات المؤمنات، وإخبارهم ما خصهم به علىٰ إفكهم، فكان ختم الخبر عن أولىٰ الفريقين بالإفك من الرامي والمرمي به، أشبه من الخبر عن غيرهم أهـ.

قلت: والآية تتسع للقولين معـًا، والله تعالىٰ أعلم.

(١) علىٰ قول ابن زيد السابق.

(٢) وقيل إنه جواب سؤال امرأة، كما في تفسير الطبري ١٩/ ١٤٧، وتفسير أبي الليث ٢/ ٥٠٧، الكشف والبيان ١٩/ ١٢٤.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٩.

(٤) تفسير الطبري ١٩/ ١٤٧. وفي بعض الألفاظ عن مجاهد: حتىٰ تجرسوا.

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا﴾ ساكنًا ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾ بغير إذن ﴿حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ بدخولها ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ﴾ فليس هذا بوقت إذن ﴿فَٱرْجِعُواْ﴾ ولا تدخلوا[1] ولا تقعدوا علىٰ أبواب الناس ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ أي: هو أمثل بكم في الإنسانية، وأصلح من الإلحاح والقعود علىٰ الباب ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ من الاستئذان وغيره.

ثم رخص في الحانات والبيوت التي علىٰ الطريق؛ مثل الرباطات، فقال ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ أي: ليس لها ساكن، يعني استئذان ﴿فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾ أي: منفعة من الحر والبرد[2] ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ من طاعة أو معصية ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ فيما أمركم ونهاكم.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ قال الضحاك: جاء رجل لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وبجبهته شجة، فسأله: ما هذه الشجة؟ فقال: كانت امرأة في الجاهلية كنت أصبت منها، فلقينها بعد إسلامها وأنا مسلم، فكلَّمتني، فلما أدبرت اتبعتها ببصري، فأصابني الجدار فشجني، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «إذا أراد الله بعبد خيرًا عجَّل عقوبته في الدنيا»[3].

معناه: قل للذين آمنوا يكفوا أبصارهم، و«من» زائدة.

وقيل: ذكر التبعيض لأن المراد كف النظر عن المحرمات لا المحلَّلات.

﴿وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ لم يذكر «مِنْ» تشديدًا وتغليظًا ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أي: أصلح ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ من المعاصي.

---

(١) في الأصل: ولا تخلوا.

(٢) والمقصود أي منفعة، حتىٰ نقل عنهم ذكر الخلاء والبول، أي الحمامات (تفسير الطبري ١٩/ ١٥٢، الكشف والبيان ١٩/ ١٤٠).

(٣) ورواه ابن مردويه عن علي، ولعله من رواية الضحاك عنه (الدر المنثور ٦/ ١٧٦).

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ عما حرم عليهن ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عن الزنا ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ نحرها وشعرها ومعصمها وقدميها وساقيها، إلا للزوج ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني: الوجه والعينين والكفين والأصابع[١].

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أي: يسدلن ويرخين بخمرهن على الصدور والنحور، حتىٰ لا يرىٰ منها شيء.

والخمار: المقنعة، يعني تسترن القلائد بها والأوشحة[٢] حتىٰ يكون أستر.

ثم أعاد الكلام فقال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ يعني: مواضع زينتهنَّ، وهو الصدر والساق والساعد والرأس، لأنَّ الصدر موضع الوشاح، والساق موضع الخلخال، والساعد موضع السوار، والرأس موضع الإكليل.

وإنما استثنينا هذه المواضع للضرورة في إظهارها عند البيع والشراء والشهادة وغير ذلك[٣].

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ١٥٥، زاد المسير ٣/ ٢٩٠، والصحيح عند الإمام أحمد أن الظاهر هو الثياب، وقال: الزينة الظاهرة الثياب، وكل شي منها عورة حتىٰ الظفر، كذا نقل ابن الجوزي. واختار ابن جرير أن الزينة الظاهرة: الوجه والكفان .

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٠٨، الكشف والبيان ١٩/ ١٥٢.

(٣) قال أبو الليث: والنظر إلىٰ النساء علىٰ أربع مراتب: في وجه: يجوز النظر إلىٰ جميع أعضائها، وهي النظر إلىٰ زوجته وأمته. وفي وجه: يجوز النظر إلىٰ الوجه والكفين، وهو النظر إلىٰ المرأة التي لا يكون محرماً لها، ويأمن كل واحد منهما علىٰ نفسه، فلا بأس بالنظر عند الحاجة. وفي وجه: يجوز النظر إلىٰ الصدر والساق والرأس والساعد، وهو النظر إلىٰ امرأة ذي رحم أو ذات رحم محرم، مثل الأخت والأم والعمة والخالة وأولاد الأخ والأخت وامرأة الأب وامرأة الابن وأم المرأة سواء كان من قبل الرضاع أو من قبل النسب، وفي وجه: لا يجوز النظر إلىٰ شيء، وهو أن يخاف أن يقع في الإثم إذا نظر (تفسير أبي الليث ٢/ ٥٠٩).

ثم استثنىٰ من أحلَّ له النظر إلىٰ زينتهنَّ فقال: ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ وهم: أصهارهنَّ أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن من غيرهن ﴿أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾ من النسب والرضاع ﴿أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ من النسب والرضاع.

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني: لا يبدين زينتهن إلا لنساء أهل ملتهنَّ، بخلاف اليهوديات والنصرانيات[١].

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ قال ابن عباس: من الولائد.

وقال ابن المسيب والشعبي: لا تغرنَّكم هذه الآية فإنها نزلت في الإماء، ولا ينبغي لامرأة أن ينظر عبدُها إلىٰ شعرها أو إلىٰ شيء من محاسنها[٢].

﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ قيل: هو الشيخ الكبير الذي يتبعك ليصيب من طعامك ولا حاجة له في أمر النساء، وقيل: هو [الصغير][٣]أو الطفل، وقيل: هو العنِّين والخصي والمجبوب[٤].

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: لم يطلعوا عليها ولا يعلمون لأي شيء يخلو الرجال بالنساء.

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ إذا مشين، يردن قرع

---

(١) وهذا مما يغفل عنه كثير من المسلمات، فحكم المرأة الكتابية كالرجل (انظر: تفسير الطبري ١٩/ ١٦٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٠٩، الكشف والبيان ١٩/ ١٥٤).

(٢) وفيه خلاف، انظر: تفسير الطبري ١٩/ ١٦٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٠٩، الكشف والبيان ١٩/ ١٥٥.

(٣) في الأصل: المعير، ولعل الصواب كما أثبت، فهي من عبارات المفسرين (النكت والعيون ٤/ ٩٥، تفسير السمعاني ٣/ ٣٢٥).

(٤) الكشف والبيان ١٩/ ١٥٧.

الخلخال ليخرج صوته، ليعلم أنها متخلخلة، كُنَّ النساء تُسمعن للرجال قعقعة الخلخال فنهىٰ الله عن ذلك.

وقد أجمعوا أنَّ الوجه والكفين ليسا بعورة، لجواز إظهارها في الصلاة.

ثم أمر الكل بالتوبة فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ الرجال والنساء يعني من أخلاق الجاهلية ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ لكي تسعدوا بالثواب وتنجوا من العقاب.

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ والأيِّم: مَن لا زوج له من النساء والرجال، وجمعه: الأيامىٰ، والمعنىٰ: زوِّجوا البنين والبنات من النساء والرجال.

﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ يعني: أنكحوا الأتقىٰ[1] من العبيد والإماء ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: يرزقهم بالنكاح من عطائه وماله، ولا يمنعه خفة ذات يده من قبول المهر، فإنَّ الله يغنيه بفضله.

وقد روي عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «من تزوج امرأة وهو لا يريد أن يوفر عليها مهرها لقي الله تعالىٰ زانيًا، ومن استدان دينًا وهو لا يريد أن يُعطيه لقي الله تعالىٰ سارقًا»[2].

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ أي: واسع بالعطية لخلقه عليم بأرزاقهم.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ أي: ليحفظ نفسه عن الحرام ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: سعة النكاح من المهر والنفقة، كما يقال: لِحاف لما يلتحف به، ولِباس لما يلبس.

---

(١) في الأصل: الأعفىٰ، وهو تصحيف فيما يظهر.

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١٠٤٤٥ من حديث صهيب بإسناد فيه مبهم، ورواه البزار ٨٧٢١، ٩٩٩٦من حديث أبي هريرة من طريقين عنه.

﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: رزقه ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ أي: يطلبون المكاتبة ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ أمر إباحة(١) ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: يسارًا، عن مقاتل. وصدقًا وأمانة، عن قتادة. وخيرًا، عن يحيىٰ بن أكثم(٢).

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أي: ضعوا عنهم شيئًا مما لزمهم في الكتاب، أمر إباحة، وقيل: آتوهم سهمهم من الصدقات(٣).

﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ﴾ أي: إماءكم ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ أي: الزنا ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ أي: تعفُّفًا، وذلك لا يقتصر علىٰ إرادة العفاف منهنَّ، بل لا يجوز إكراههن أردن التعفُّف أم لا.

﴿لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ لتأخذوا من أجورهنَّ.

وكان لعبد الله بن أُبي جارية ذات جمال، فأمرها بالزنا لتكتسب له من ذلك الوجه، فأبت، فضربها وأكرهها، فوقف علىٰ ذلك رجل من الأنصار، فأخبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فنزلت الآية(٤).

﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ﴾ علىٰ الزنا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ والوزر علىٰ المُكْرِه لا عليها.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ بالأمر والنهي والحلال والحرام ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾ في التوراة والإنجيل، أي: خبر مَن كان قبلكم من تحريم الزنا وإقامة الحدود ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ الموحدين من هذه الأمة.

---

(١) وفيه خلاف حكاه الطبري في تفسيره ١٩/ ١٦٧، واختار الوجوب لظاهر الآية.

(٢) انظر الأقوال في تفسير الطبري ١٩/ ١٧٨، تفسير أبي الليث ٢/ ٥١١.

(٣) تفسير السمعاني ٣/ ٥٢٨، زاد المسير ٣/ ٢٩٣.

(٤) روي هذا عن جابر وابن عباس ومجاهد وآخرين، تفسير الطبري ١٩/ ١٧٦، تفسير أبي الليث ٢/ ٥١١.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ هادي أهل السماوات والأرض[١]، وقيل: منور السماوات والأرض بشمسها وقمرها ونجومها، وقيل: منور قلوب أهل السماوات من الملائكة، وقلوب أهل الأرض من المؤمنين؛ بالمعرفة والتوحيد[٢].

وقيل: النور ما يكون ظاهرًا لا يخفىٰ، معناه: هو الظاهر لأسرار أوليائه من أهل السماوات والأرض، ليس بينه وبينهم حجاب.

وقيل: النور ما يعرف ضرورة، والكل من العباد يعرفون ضرورة أنَّ الله إلـٰههم[٣].

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ أي: مثل النور -الذي زين به قلوب المؤمنين- في قلوبهم كمشكاة، خص هذا النور وأضافه إلىٰ نفسه دون سائر الأنوار عزًا وكرامةً.

وقيل: مثل نوره يعني نور المؤمن في قلبه كمشكاة[٤].

﴿فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾ أي: كمصباح في مشكاة، يعني: كمصباح وضع في زجاجة، أي: قنديل، شبَّه نفس المؤمن بالمشكاة.

---

(١) فهم بنوره إلىٰ الحق يهتدون، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون، وهو رواية علي عن ابن عباس، واختاره الطبري (تفسير الطبري ١٩/ ١١٧).

(٢) قال الضحاك والقرظي: منور السماوات والأرض ومن فيهن (الكشف والبيان ١٩/ ٢٣٧).

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٥١٢.

(٤) وهذا مبني علىٰ الخلاف في عود الضمير، في نوره، فقيل للمؤمن، وهو قول أبي بن كعب، وقيل لمحمد وقيل للقرآن (تفسير الطبري ١٩/ ١٧٨، الكشف والبيان ١٩/ ٢٤٢). ولعل المروي عن أبي هو الراجح في هذه الآية، والله أعلم.

والمشكاة: كوة غير نافذة(١)، كما أنَّ المصباح داخل القنديل، والقنديل داخل المشكاة؛ كذلك المعرفة داخل القلب، والقلب داخل النفس، وكما أنَّ المصباح يضيء من داخل القنديل كذلك نور المعرفة يضيء من داخل القلب.

﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ﴾ قال أهل التحقيق: شبَّه قلب المؤمن بالكوكب لصفائه، ولا تقع المشابهة بينهما في الحقيقة، لأنَّه لو ألقىٰ من نور قلب المؤمن ذرة علىٰ جميع الكواكب والشمس والقمر لانخسفت.

ثم قال: ﴿دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾(٢) قيل: أراد بالشجرة إبراهيم لأنَّ نور المعرفة اتصل من إبراهيم إلىٰ هذه الأمة، وهم علىٰ ملته.

وقيل: الشجرة محمد صلىٰ الله عليه وسلم.

وقيل: الشجرة شجرة المعرفة(٣).

فمن قال هو إبراهيم؛ فيقول: هذه الملة ملته، ومن قال محمد؛ فيقول: الأمة أمته، ومن قال شجرة المعرفة؛ قال: المصباح منها توقَّدَ لأنَّ النور نور المعرفة.

ثم قال: ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ إنَّما مثَّلها بالزيتونة لأنها أصفىٰ الأدهان ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي: هذه الشجرة لا شرقية تمسها الشمس في جانب المغرب، ولا غربية

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ١٨٠.

(٢) في الأصل: دِرِّيء، توقَّدُ، فقرأ أبو عمرو والكسائي: دِريء، بكسر الدال مع المد المتصل والهمز، وقرأ حمزة وشعبة مثلهم لكن بضم الدال، وقرأ الباقون كما أثبت .
وقرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب: توقَّدَ، وقرأ نافع وابن عامر وحفص كما أثبت: يُوقَدُ، وقرأ الباقون مثلهم لكن بالتاء (النشر ٢/ ٣٣٢).

(٣) هذه الأقوال التي حكاها في الشجرة غريبة، وسيرتب عليها ما بعدها، وفيها تفسير إشاري، غير ظاهر (انظر: زاد المسير ٣/ ٢٩٦).

تمسها الشمس من جانب المشرق، وهي شرقية غربية، تمسها الشمس من الوجهين.

فمن قال: إن الشجرة إبراهيم؛ يقول: لم يكن إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا، ولكن كان حنيفًا مسلمًا.

ومن قال: الشجرة محمد؛ يقول: إنَّ محمدًا لم يكن من المشرق ولا من المغرب، بل كان من مكة بين المشرق والمغرب.

ومن قال: هي شجرة المعرفة؛ فقوله: لا شرقية ولا غربية أي: ليست هذه الشجرة دنياوية ولا عقباوية، بل هي ربانية رحمانية، فهذه الشجرة عروقها المعرفة، وجذوعها الطاعة، وفروعها كلمة الإخلاص، وماؤها القرآن، وثمرتها فوائد الحِكَم.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ﴾ أي: يكاد صفاوة قلب المؤمن يضيء بنور المعرفة؛ وإن لم يتكلم بكلمة الإخلاص(١).

---

(١) وعلىٰ تفسير أُبيِّ بن كعب قال: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ﴾ قال: مثل المؤمن، قد جعل الإيمان والقرآن في صدره كمشكاة، قال: المشكاة: صدره فيها مصباح، قال: والمصباح القرآن والإيمان الذي جعل في صدره، ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ﴾ قال: والزجاجة: قلبه ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ قال: فمثله مما استنار فيه القرآن والإيمان كأنه كوكب درّيّ، يقول: مضيء ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ والشجرة المباركة أصله المباركة الإخلاص لله وحده وعبادته، لا شريك له ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال: فمثله مثل شجرة التفّ بها الشجر، فهي خضراء ناعمة، لا تصيبها الشمس علىٰ أيّ حال كانت، لا إذا طلعت ولا إذا غربت، وكذلك هذا المؤمن قد أجير من أن يصيبه شيء من الغير، وقد ابتلي بها فثبته الله فيها، فهو بين أربع خلال: إن أعطىٰ شكر، وإن ابتلي صبر، وإن حكم عدل، وإن قال صدق، فهو في سائر الناس كالرجل الحيّ يمشي في قبور الأموات، قال: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ﴾ فهو يتقلَّب في خمسة من النور:

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ يعني: نور المعرفة نور، ونور القلب نور، والنفس من بين هذه الأنوار نور، والطاعة لله تعالىٰ نور، فهو نور علىٰ نور.

﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أضاف النور المذكور الموصوف ثانيًا إلىٰ نفسه، وهو دليل علىٰ [أنَّ] النور له في الأزل.

والمراد من الآخر هو الأول، أي: يوفق الله لطلب هذه الزيادة من هذا النور الذي يقربه لديه مَن يشاء من عباده، فله الاختبار، وعلىٰ العبد الاعتبار، ثم الاضطرار فيما ترجوا من إتمام النعمة عليهم، والشكر بقدر ما وصل إليه، فإن قام بشكر ما أولاه من النِعَم لم يمنعه الزيادة.

﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾ لأفعالهم وأقوالهم ليعرفوا مقاديرها، ويقفوا علىٰ قدر جزائها وثوابها ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ أي: من أمر العباد ومصالحهم، ومجازيهم بأعمالهم.

ثم قال ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ أي: هذه المصابيح في بيوت أمر الله أن ترفع، يعني: المساجد ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ بالوحدانية والأذان والإقامة ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا﴾ أي: يصلي له في المساجد ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ﴾ بالغدو والآصال بالتقديم والتأخير، رجال ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا تشغلهم عن ذكر الله التجارات والبياعات، لأنَّ الذكر باللسان ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ إذا حان ونودي بها، ويؤدوها بشرائطها ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ المفروضة ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ أي: خائفين من يوم ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ تكون القلوب لدىٰ الحناجر، والأبصار تدور حدقها في العيون، لا تطرف من هول يوم القيامة.

فكلامه نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلىٰ النور يوم القيامة في الجنة (تفسير الطبري ١٩/ ١٨١).

﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ لام القسم[(١)] ﴿أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ أي: بأكثر مما استوجبوا من النوال ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ﴾ بالواحد عشرًا و ومائة وسبع مائة، إلىٰ ما شاء الله من الأضعاف ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٨﴾ أي: إفراغًا وكثرة، وقيل: لا يحاسب علىٰ أجر إن زاد فيه أو نقص.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ﴾ السراب: شعاع ينحل كالماء الجاري علىٰ وجه الأرض حين يشتد حر النهار[(٢)].

والقيعة: جمع قاع، وهو المنبسط الواسع[(٣)].

شبَّهَ أعمال الكفار بالسراب في البراري الذي لا أصل له ﴿يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً﴾ يعني العطشان حين يراه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ أي: جاء العطشان إلىٰ السراب فلم يجده شيئًا، فكذلك أعمال الكفار تصير يوم القيامة هباءً منثورًا ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي: عند عمله بالمرصاد مستعدًا لعذابه مجازيًا له ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ﴾ أي: يوفر عليه مكافأة كفره ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾ إذا حاسب، وشديد العقاب إذا عاقب.

﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ﴾ عميق، يعني: مثل الكافر كمثل مَن هُو في ظلمات البحر في ليلة مظلمة، ذات غيم ومطر ﴿يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ﴾ أي: يغشىٰ البحر موج ﴿مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ﴾ أي: من بعده موجُ آخر ﴿مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة البحر، وظلمة الأمواج، فهلك أي: الكافر، قلبه مظلم، في صدر مظلم، في جسد مظلم، لا يبصر نور الإيمان.

---

(١) وقيل: لام الصيرورة، التبيان لأبي البقاء العكبري ٢/ ٩٧١ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٥٤، تفسير الطبري ١٩/ ١٩٥، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٧، البسيط ١٦/ ٣٠١.

(٣) البسيط ١٦/ ٣٠٢.

﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ أي: إذا أخرج يده من السفينة لم يرها، كذلك الكافر لا يبصر الحق في هذه الظلمات[١].

﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا﴾ في قلبه بالإيمان ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠﴾ أي: ليس له نور وهُدًىٰ علىٰ الصراط.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ الرؤية: العلم والخبر، أي: يصلي لله تعالىٰ، وقيل: يذكره بالوحدانية[٢].

﴿وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ﴾ في الهواء يسبحن أيضًا، باسطات الأجنحة، نصب علىٰ الحال[٣].

﴿كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ﴾ أي: كل واحد من المصلين يعلم كيف يصلي، فصلاة الشجر سجود ظله عن اليمين والشمال عند طلوع الشمس وغروبها، وهو تسبيحه أيضًا، وقيل: كلٌّ قد أُلْهِمَ صلاة نفسه وتسبيحه[٤].

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٤١﴾ يعني: بتسبيح الطير والأشياء كلها.

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٤٢﴾ في الآخرة يجزي كلاً بما عمل.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا﴾ يسوقه علىٰ الهواء، والسحاب: جمع سحابة ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ﴾ أي: يجمع ﴿ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا﴾ يركب بعضه بعضًا ليصير مراكمًا متصلاً بعدما كان منقطعًا[٥] ﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ﴾ يعني: يخرج المطر

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٥١٦.

(٢)تفسير الطبري ١٩/ ١٩٩.

(٣) التبيان ٢/ ٩٧٤.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٩، زاد المسير ٣/ ٣٠٠.

(٥) تفسير الطبري ١٩/ ٢٠١، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٩.

من وسطه ونتوئه وصدوعه ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾ مِن: صلة، يعني فيها برد.

قال ابن عباس: خلق الله تعالىٰ ثلاثة أجبل في السماء الدنيا من برد، جبلان منها قد فنيا، وبقي جبل إلىٰ يوم القيامة[١].

وقال ابن عمر: جبال السماء أكثر من جبال الأرض[٢].

﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي: البرد ﴿مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ﴾ فيضره ويصرفه عن من يشاء فلا يضره ﴿يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ﴾ أي: يدنو سنا برقه وهو ضوؤه ولمعانه ﴿يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٣﴾ يذهب بأبصار العباد.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما أخبرتك من السحاب والبرد والبرق ﴿لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾ في أمر الله تعالىٰ.

ثم زاد في البرهان فقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ﴾ أي: ماء النطفة؛ كما خلق بني آدم منها ﴿فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ﴾ مثل الحوت والحية ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ﴾ مثل بني آدم ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ﴾ قوائم، مثل: الخيل والبغال والجمال.

والدابة: اسم يقع علىٰ المُمَيِّز وغير المُمَيِّز، فلذلك ذكر «منهم» ولم يقل «منها» لأنَّ الآدمي فيه داخل، فغلَّب ما يعقل علىٰ ما لا يعقل ﴿يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٥﴾.

﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ﴾ مفصَّلات بالأمر والنهي، وواضحات بما ذكر الله من عجائبه[٣].

---

(١) لم أجده، ولعله من بعض مرويات الكلبي، وفي تفسير السمعاني ٣/ ٣٥٨، روايات أخرىٰ عنه.

(٢) وهو من مرويات مقاتل كما في تفسير أبي الليث ٢/ ٥١٧، وعنده: عن عمر، وليس ابن عمر.

(٣) في الأصل: مبيَّنات، علىٰ اسم المفعول، والتفسير عليها، وهي قراءة ابن كثير وشعبة والبصريين والمدنيين (النشر ٢/ ٢٤٩).

﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ أي: يرشد لمن تفكر في هذه العجائب.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤٦﴾ الذي لا عوج فيه.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ بأنَّه واحد ﴿وَبِٱلرَّسُولِ﴾ أنَّه مرسل ﴿وَأَطَعۡنَا﴾ أمره ونهيه ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾ أي: بعد إقرارهم بذلك ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٤٧﴾ نفىٰ الله عنهم تصديق الإيمان.

قال الكلبي: كان عثمان بن عفان اشترىٰ من علي ابن أبي طالب أرضًا فندَّمَه قومه، وقالوا: ردها عليه، فلم يزالوا به حتىٰ قال لعلي: خذ أرضك، فإنها لا ينالها الماء، وقال علي: اشتريتَها ورضيتَ بها، فقال عثمان: بيني وبينك رسول الله، فقال قوم عثمان: لا تخاصمه إلىٰ رسول الله فإنه ابن عمه، يقضي له عليك، فنزلت الآية فيهم[1].

قيل: هذا في بعض أقرباء عثمان لا في كلهم، والله أعلم.

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: دُعوا إلىٰ كتاب الله ورسوله، إلىٰ حكم رسوله ﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٤٨﴾ عن طاعة الله تعالىٰ وحكم رسوله.

---

(١) مبعث هذه الرواية كوامن الرفض في الكلبي، وقد ذكرت في غير موضع أنَّ الكلبيَّ متروكٌ في باب الرواية، متهم بالكذب، وأشد ما تكون روايته منكرةً في باب أسباب النزول، وقد اعتبرت رواياته في هذا الباب فوجدتها كذلك، وهو كمقاتل، أو مقاتل خير منه، وضربت لذلك أمثلة كثيرة في كتابي مشيخة الحافظ أبي القاسم الحسكاني، فليراجعه طالب الاستزادة.
ورواية الكلبي هذه (في تنوير المقباس ٢٩٧) وذكرها أبو الليث في تفسيره ٢/ ٥١٩، وأبو بكر الفارسي في أحكام القرآن (كما نقل عنه السمعاني في تفسيره ٣/ ٥٤١).
وقد ضرب عنها صفحا كثير ممن يعتمد علىٰ الكلبي وينقل أقواله، كالثعلبي في الكشف والبيان والواحدي في البسيط وابن الجوزي في زاد المسير فلم يذكروها.
فإن هذه الآيات نازلة في شأن المنافقين، كما ذكر ذلك من روي عنه تأويلها من أهل التأويل، كالحسن وقتادة ومقاتل، والله تعالىٰ أعلم.

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: لعثمان علىٰ قول الكلبي، وللمغيرة علىٰ علي حيث خاصمه في ماء وأرض، وهو قول الضحاك ﴿يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ إلىٰ رسول الله ﴿مُذۡعِنِينَ ۝٤٩﴾ خاضعين مسرعين.

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ﴾ بل في قلوبهم شك، بل شكوا في الله ورسوله بعد الإقرار، حيث اتهموه في قضيته ﴿أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ أي: يحكم لهم الرسول بخلاف ما يحكم لغيرهم ﴿بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٥٠﴾ الكافرون الضارون بأنفسهم.

ثم نعت الصديقين فقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وإجابتهم ﴿إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾ الرسول ﴿أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا﴾ قول ربنا ﴿وَأَطَعۡنَاۚ﴾ أمر نبينا ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥١﴾.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ﴾ فيما سلف من ذنوبه ﴿وَيَتَّقۡهِ﴾ فيما بقي من عمره ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾ بالجنة.

ثم ذكر المنافقين وحلفهم بالباطل ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ﴾ لأنهم قالوا: يا رسول الله، لو أمرتنا بالخروج إلىٰ الغزو لنخرجن، وقيل: إنْ أمرتنا بالخروج مِن أموالنا وديارنا لنخرجن، وحلفوا[1].

﴿قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ﴾ لا تَحلِفوا ﴿طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ﴾ خير من قسمكم، وقيل: قولكم هذا طاعة حسنة جميلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٥٣﴾ في السر والعلانية.

---

(١) تفسير الطبري ٢٠٦/١٩، وبنىٰ أبو الليث في تفسيره ٢/ ٥٢٠ علىٰ قصة نزولها في عثمان فحمل الطاعة المعروفة علىٰ الصادقة، ولا يخفىٰ ما فيه، وهو القول الثاني الذي ذكره المصنف.

﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ﴾ أي على الرسول ﴿مَا حُمِّلَ﴾ من أثقال النبوة وتبليغ الرسالة ﴿وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ﴾ أي: كلفتم من الطاعة ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ ترشدوا ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤﴾.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يعني: أمة محمد، عن الكلبي[1] ﴿لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: يجعلهم خلفاء الأرض حتى يعملوا بالعدل ﴿كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ من الأمم السالفة، حيث عملوا بالحق وعدلوا به، فهذه عِدةٌ من الله تعالى لا يخلف الله وعده.

وقال أبو سهل: يعني به عليًا يستخلفه كما استخلف الذين من قبلهم: أبا بكر وعمر وعثمان[2].

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ﴾ أي: اختار لهم، أي[3]: أن يكونوا غالبين على من خالفهم فتصفو لهم البلاد والعباد.

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ﴾ مَنْ عاداهم ﴿أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ وقال الضحاك: وليبدلنهم من بعد خوفهم من الله عز وجل في دار الدنيا أمنًا في الآخرة؛ حيث عملوا بالطاعة؛ يعبدونني لا يشركون بي شيئًا[4].

﴿وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ التمكين في الأرض ولم يعمل بطاعة الله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ الخارجون عن الطاعة.

---

(١) وهذا الوعد عام للأمة (تفسير الطبري ١٩/ ٢١٠).

(٢) مستند أبي سهل رواية باطلة وردت عن علي في ذلك، وقد رواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل (٥٧٠)، وهو حديث تفرد به حسين الأشقر، قال أبو معمر الهذلي: كذاب (ميزان الاعتدال ١/ ٥٣١) رواه عن صباح بن يحي، كذاب كذلك (لسان الميزان ٤/ ٣٠٣).

(٣) في الأصل: الى.

(٤) وهذا قول شاذ، بل الأمن المراد هو في الدنيا، كما دلت عليه الروايات.

ثم خاطب جميع المؤمنين فقال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ فيما يأمر ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ ولا تعذبون.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سابقين وهاربين فيها من الله تعالىٰ وعذابه ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾ لمن صار إليها، قرناؤهم الشياطين مقرنين في السلاسل والأغلال، معذبين بألوان العذاب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ هذه الآية موجبة للأدب الذي تركه عامة الناس، يقول: ليستأذنكم عبيدكم وإماؤكم ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ أي: صغار أولادكم ممن يعقل شيئًا ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ أي: في ثلاثة أوقات من الليل والنهار:

أولها: ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾ وهو وقت القيام من المضاجع.

والثانية: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ أي: تنزعونها[١] وقت الهواجر، وهو نصف النهار للقيلولة.

والثالث[٢]: ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ عند إفضاء بعضكم إلىٰ بعض[٣].

هذه الساعات ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ يعني، وقت كشف عوراتكم ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ﴾ أي: علىٰ ما ملكت أيمانكم بعد هذه الساعات حرج، يدخلون عليكم بغير إذن ﴿بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: يدخلون في الخدمة، الآية في الإماء والعبيد، عن ابن عباس[٤].

---

(١) في الأصل: بيرغوابها. وهو تصحيف.

(٢) في الأصل: فصل بين الواو ومن بـ: الثالث.

(٣) نحوه في تفسير أبي الليث ٢/ ٥٢٢.

(٤) تفسير الطبري ١٩/ ٢١٤.

وعن ابن عمر: هي في الرجال خاصة(١).

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ﴾ كما بيَّن أمر الاستئذان ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن يأتمر وبمن يتهاون بالأمر ﴿حَكِيمٞ ٥٨﴾ حكم الاستئذان في هذه الأوقات بحكمته.

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ﴾ أي: وقت الحلم، وهو البلوغ ﴿فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ﴾ في كل وقته ﴿كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ من العبيد البالغين والأولاد الكبار، فليس عليهم أن يدخلوا علىٰ أمهاتهم إلا بإذن.

واعلم أنَّ المذكورين في الآية صنفان: البالغ، وغير البالغ، فالبالغون من الأحرار والعبيد ليس لهم الدخول في حالٍ إلا بإذن، وغير البالغين منهم يستأذنون في الأوقات الثلاثة.

وأمَّا الإماء فحكمهنَّ حكم الصغار من الأحرار والعبيد، وينبغي أن يتعرف هذا الفرق فإنه غلط فيه كثير من الناس.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾ أمره ونهيه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٩﴾ حكم ما هو أصلح لهم.

ثم قال: ﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ وهي العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والولد(٢) ﴿ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا﴾ أي: لا يشتهون تزويجًا ولا مباضعة ﴿فَلَيۡسَ

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد ص٣١٠، والطبري ١٩/ ٢١١. والراجح عنده عموم الرجال والنساء. ووجه قول ابن عمر أن الاستئذان لأجل العورات، والجارية لا عورة بينها وبين سيدها، لأنهما يحلان لبعضهما البعض، فيجوز له أن ينظر إلىٰ عورتها ويجوز لها أن تنظر إلىٰ عورته، فلم يكن للاستئذان معنىٰ، وهو وجيه، والآية وإن كانت عامة إلا أن قول مثل ابن عمر -ولا سيما في تنزيل المعنىٰ- يصلح أن يخصصها، والله أعلم.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٢١٦.

﴿عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾ أي: حرج ﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ جلابيبهن ويمشين في درع وخمار وإزار ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍۖ﴾ المتبرجة: التي تظهر محاسنها وزينتها[١]، أي: غير كاشفات شعرها أو نحرها أو معصمها أو قدميها[٢].

﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ أي: يتعففن ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّۗ﴾ من وضعهن الجلباب ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقول خلقه لهنَّ حين يبرزن ﴿عَلِيمٌ ۝٦٠﴾ بما ينوين بوضع الأردية.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ هو متروك الجواب، وقيل: معناه ليس على الأعمىٰ حرج في ترك الجهاد ﴿وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ والأعرج: المُقعَد الذي لا يستطيع القتال، وكذلك الأعمىٰ فإنه لا يبصر العدو ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ والحرج: الضيق، وفي الدين: الإثم[٣].

وقيل: كانوا يتنزهون عن مؤاكلة الأعمىٰ والأعرج والمريض تعففًا لأنهم ضعفاء، فخافوا أن يكون منهم عليهم حيف في زيادة الأكل، فنزلت الآية[٤].

وقيل: كان الناس إذا خرجوا إلىٰ الغزو يسلمون المفاتيح لأبوابهم إلىٰ العميان والعرج والمرضىٰ، لأنهم لا يخرجون، وكانوا يقولون لهم: كلوا من بيوتنا ما يكفيكم، فكان العميان والعرج والمرضىٰ يتعففون عن الأكل من طعامهم، فنزلت الآية[٥].

---

(١) البسيط ١٦/ ٣٦٧.

(٢) وعن بعض السلف كأبي قلابة الرخصة لها في ظهور شيء من شعرها، وعن الحسن أن تمشي في درع وخمار وتصلي فيهما، وهذا مذهب فيه توسيع علىٰ القواعد لا ينبغي أن يترك، فهن في أمس الحاجة إلىٰ الرخصة (البسيط ١٦/ ٣٦٦).

(٣) معاني القرآن للفراء ٤/ ٥٣ .

(٤) تفسير الطبري ١٩/ ٢١٩، الكشف والبيان ١٩/ ٣٢٥.

(٥) وهو قول الزهري، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٢٢٠.

﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ مأثم ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ أي: من أموال عيالكم وأزواجكم، وقيل: بيوت أولادكم ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ [بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ](١) أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ معناه: بيوت عبيدكم وإمائكم، عن الكلبي.

وقيل: بيت الوكيل ومن جرىٰ مجراه(٢).

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ إذا كان غائبًا.

وكانوا يأكلون وحدانًا لا جمعًا، ويعدون الجمع ذنبًا، فقال الله تعالىٰ(٣): ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ أي: مجتمعين [أو] متوحدين، نصب علىٰ الحال(٤).

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ قال الحسن: يسلِّم بعضكم علىٰ بعض(٥).

وقيل: إذا لم يكن فيه أحد فقل: السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين(٦).

﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: تسليمًا وكرامة من الله أكرمهم بها ﴿مُبَٰرَكَةً﴾ فيها

---

(١) في الأصل: كتب الآية، ولم يتمها لطولها.

(٢) وكلا القولين مؤتلفان، لأن المملوك مما يجري للسيد التصرف فيه، فشابه حال الوكيل (تفسير الطبري ١٩/ ٢٢١، الكشف والبيان ١٩/ ٣٢٩).

(٣) روي هذا عن ابن زيد وقتادة وغيرهم، وقيل هؤلاء العرب هم الأنصار، كانوا لا يأكلون حتىٰ يأكل الضيف، تفسير الطبري ١٩/ ٢٢٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٠٣ .

(٥) رواه الطبري ١٩/ ٢٢٦.

(٦) روي عن عمرو بن دينار كما في تفسير الطبري ١٩/ ٢٢٥ .

بركة وأجر جزيل ﴿طَيِّبَةً﴾ أي: حسنة، وهو المغفرة من الله تعالىٰ ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ عن الله أمره.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ قد جمعهم ذلك على قضائه، كنحو صلاة الجمعة وحفر الخندق والغزو ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾ أي: لم يفارقوا النبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ في الرجوع ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ في الذهاب من عندك ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: المخلصون في ذلك ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ نزلت في عمر رضي الله عنه، استأذن رسول الله في الرجوع من غزوة تبوك، فقال: أذنت لك يا عمر، فوالله ما أنت بمنافق، أراد أنْ يسمع المنافقين[1].

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا أذن أحدًا من أصحابه يقول: أذنت لك غفر الله لك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ رخَّص لهم في الاستئذان بعدما شدد عليهم.

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ يعني: احذروا دعاءه إذا أسخطتموه، فإن دعاءه موجب، ليس كدعاء غيره[2].

وقيل: لا تقولوا له: يا محمد، كما يقول بعضكم لبعض، ولكن قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، وادعوه بالتعظيم[3].

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ يعني: خلافًا[4]، أي:

---

(١) كذا وقع عنده: عمر، وفي تفسير مقاتل ٢/ ٤٢٧، وفي تفسير أبي الليث ٢/ ٥٢٦ عن مقاتل: عثمان، وهذا القول ليس بصحيح.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٢٣٠، وهو الراجح عند الطبري، لدلالة السياق.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٢٧.

(٤) وهو قول مجاهد، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٢٣١.

يخرجون من بين ظهرانيكم، وهم المنافقون خلافًا من قوله: لاوذت لِواذًا إذا خَالفت، ولاذَ لِياذًا إذا التجأ(١).

وقيل: يخرجون من بينكم من المسجد يلوذ بعضهم ببعض، أو بسارية المسجد، كي لا يراهم أحد.

ثم قال ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي: أمر الله تعالىٰ ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ بليَّة يبتلون بها، قيل: الفتنة الكفر ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ القتل في الدنيا.

قال أبو سعيد الخراز: الفتنة إسباغ النِعَم مع الاستدراج مِن حيث لا يعلم العبد.

وقيل: الفتنة للعوام، والبلاء للخواص.

قال ابن عباس في معنىٰ الآية: أنَّ رسول الله إذا خطب يوم الجمعة يعيب المنافقين، وسمَّاهم رجسًا، فإذا سمعوا ذلك نظروا يمينًا وشمالاً، إن لم يبصرهم أحد يتسللون من المسجد، ولم يصلوا الجمعة، فنزلت الآية، والله أعلم(٢).

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الخلق والعجائب ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ من الإيمان والنفاق ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ في الآخرة للمحاسبة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟﴾ من خير أو شر.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾ من أفعال العباد ويجزيهم بها.

قال مؤلفه عبد الحميد الحاكمي رضي الله عنه: بلغنا أن شقيق بن سلمة

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٥٦.

(٢) وهو من رواية الكلبي كما في البسيط ١٦/ ٣٨٨.

قال: شهدت ابن عباس ولي الموسم، وقرأ سورة النور علىٰ المنبر وفسرها، فلو سمعتها الروم لأسلمت[١].

قال: وبلغنا عن أبي ابن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة النور أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضىٰ وفيما بقي»[٢] والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) رواه الطبري في التفسير ١/ ٨١، وفي بعض الروايات: سورة البقرة.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان١٩/ ٩، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٩١.

سورة الفرقان

مكية[١]، وهي سبعون وسبع آيات[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ تبارك: أصله من بروك البعير، وبروك الطير علىٰ وجه الماء، وهو: مداومته عليه.

ومعناه: تبارك أي هو ثابت أزلي لم يزل ولا يزال موصوفًا بالعظمة والقدرة والكبرياء، وهو ذو بركات بخلقه، والبركة: هو اسم كل فضل وبر، أي: به ينال كل شرف وفضل[٣].

وقيل: معناه تبرَّك الخلق باسمه وطاعته في كل أمر[٤].

وقوله: تبارك؛ تفاعل من البركة، ولا يقال فيه: يتبارك ولا متبارك، بل هي لفظة مخصوصة، والمعنىٰ: أنَّ الذي نزل الفرقان -يعني القرآن- علىٰ عبده محمد ذو بركات وفضائل بخلقه، ليكون القرآن للعالمين نذيرًا مخوِّفًا[٥].

وقيل: ليكون النبي صلىٰ الله عليه وسلم نذيرًا[٦].

---

(١) الكشف والبيان ١٩/ ٣٥٣، واستثني منها آيات من آخرها، زاد المسير ٣/ ٣١١.

(٢) لا خلاف بين علماء العدد في ذلك، البيان ١٩٤. وفي الأصل: تسعون، وهو تصحيف.

(٣) البسيط ١٦/ ٤٠٠.

(٤) سبق تفسيره في سورة الأعراف، آية: ٥٤.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٥٧.

(٦) وأجاز بعضهم ان يكون النذير هو القرآن (البسيط ١٦/ ٤٠٣).

والنذير: الداعي إلىٰ الرشد الصارف عن الغي، ومعناه: المنذر.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ مثل عيسىٰ وعزير ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ فيعازُّه في عظمته ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ مِن المخلوقين علىٰ إرادته ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ بحكمته.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ من الأصنام ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾ ولا يستطيعون ذلك ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: يُنحتون، وقيل: خَلقُ الله عز وجل ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي: الأصنام لا يقدرون دفع الضر عن أنفسهم، ولا جرَّ نفع إلىٰ أنفسهم ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾ أي: إماتة أحد ﴿وَلَا حَيَوٰةً﴾ أي: إحياء أحد، كيلا يموت ﴿وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾ أي: إحياء شيء بعد الموت.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أي: كفار مكة ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي: كذبٌ اختلقَه، يعنون القرآن ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ أي: علىٰ اختلاقه، عدَّاس مولىٰ حويطب، ويسار غلام عامر الحضرمي، وجبر مولىٰ عامر الحضرمي، وهؤلاء الثلاثة كانوا من أهل الكتاب، قرؤوا بعض التوراة[١]، فلما أسلموا كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يتعاهدهم[٢].

﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤﴾ أي: شركًا وكذبًا، حيث قالوا: إن محمدًا اختلقه.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أباطيلهم وترهاتهم اكتتبها ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ أي: كتبها محمد من هؤلاء الثلاثة ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ أي: أملوه عليه غدوًا وعشيًا[٣].

---

(١) الكشف والبيان ١٩/ ٣٥٨، البسيط ١٦/ ٤٠٦.

(٢) في الأصل: يعاهدهم. وهو تصحيف.

(٣) وهو مقولة النضر بن الحارث، فقتله الله يوم بدر (تفسير الطبري ١٩/ ٢٣٨).

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: يعلم القول الخفي من أهل السماوات والأرض، وقيل: يعلم عملهم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا﴾ لمن تاب من الشرك قبل أن يخلقهم ﴿رَّحِيمًا ۝٦﴾ حيث رخص لهم بالتوبة وستر على المذنبين.

﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ ما: منفصلة عن الكلام، يعني: أي شيء له؟ وما باله؟[1] ﴿يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ كما يأكله غيره ﴿وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ وهو طرق مكة ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ إنْ كان رسولاً كما يزعم، والملك يريدون به جبريل ﴿فَيَكُونَ﴾ جبريل ﴿مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ هلاَّ يكون له كنز ينفق منه ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ أي: بستان من نخيل وأعناب ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ ويتفرغ لتبليغ الرسالة ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨﴾ مخدوعًا، مغلوب العقل، وقيل: علم السحر[2].

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ أي: كيف وصفوا الأشباه حيث شبهوك بالمسحور ﴿فَضَلُّوا۟﴾ عن الهدى، وأخطؤوا في القول وتاهوا وتجبروا ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩﴾ أي: لا يجدون حيلة ولا مخرجًا عن مقالتهم، لتناقض كلامهم.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ الذين يقولون: لولا أنزل عليه كنزًا ويكون له جنة، يعني ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ لا جنة واحدة ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ۝١٠﴾ لا قصرًا واحدًا.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟﴾ ابتدأ بكلمة بل، ومعناه: قد كذبوا بقيام ﴿بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا﴾

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٥٨.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٣٠، والقول الأخير غريب.

أي: هيَّأنا ﴿لِمَن كَذَّبَ﴾ بقيام[١] ﴿بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١﴾ نارًا وقودًا.

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ وهي مسيرة مائة عام ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢﴾ مثل: زفير الحمار، تقول: إليَّ أهلي إليَّ أهلي.

﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا﴾ أي: طرحوا منها ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ بمنزلة الزج في الرمح ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ أي: مسلسلين مع الشياطين ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝١٣﴾ يعني: ينادون يا ويلاه يا هلاكاه.

﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾ تجيبهم الخزنة بهذا: لا تصيحوا علىٰ أنفسكم بويل واحد ﴿وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ۝١٤﴾ أي: نوحوا علىٰ أنفسكم نَوْحًا كثيرًا.

والثبور: مصدر لذلك لم يجمعه[٢].

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ الذي وُصف من جزاء الكافرين خير ﴿أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ۝١٥﴾ يصيرون إليها.

﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ ويشتهون ﴿خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ۝١٦﴾ في الدنيا.

قال مقاتل: يُسأل المتقون في الآخرة ما وعد لهم من الجنة في الدنيا، وهو قوله: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾[٣].

قال الزجاج: هو قول الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ﴾[٤].

---

(١) في الأصل: فرق بين الباء والساعة بـ: قيام.

(٢) فهو للقليل والكثير علىٰ لفظ الواحد (معاني القرآن للزجاج ٤/ ٥٩).

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٤٣٢.

(٤) معاني القرآن ٤/ ٦٠ ولفظه: مسؤول ذلك قول الملائكة..الخ.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1] الأصنام، ثم نأذنُ لها في الكلام ﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أنتم صرفتموهم عن التوحيد ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ أخطؤوا الطريق.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ تبرأت الآلهة مِن ذلك، ويقلن: أنت أجل من ذلك يا ربنا ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: لا يصلح لنا أن نتخذ غيرك وليًا، فكيف ندعو أحدًا إلىٰ عبادتنا ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ﴾ أي: عيشتهم ﴿وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ أي: تركوا التوحيد ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ هلكىٰ فاسدة القلوب.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ يعني: الأصنام ومَنْ عبدتموهم كذبوكم يا أهل مكة في ما قلتم ﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ ﴾ لا العابد ولا المعبود في ذلك اليوم ﴿صَرْفًا﴾ العذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ أي: منعًا للعذاب عن أنفسهم ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ أي: يشرك منكم يا أهل مكة وأدام[2] علىٰ شركه ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ فظيعًا لا انقطاع له.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ وهذا جواب لقولهم ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ الآية، يعني: الرسل كانوا يأكلون كما تأكل[3] ﴿وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ كما تمشي لطلب العيش، ثم قال ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ أي: ابتلينا الغني بالفقير، والرؤساء بالموالي.

---

(١) في الأصل: نحشرهم، وعليها جاء التفسير، وهي قراءة الجمهور، وقرأ أبو جعفر وابن كثير ويعقوب وحفص بالياء (النشر ٢/ ٣٣٣).

(٢) كذا في الأصل، ويمكن أن تكون: وأقام.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٦٠.

وهذا جواب كلام غير مذكور، وذلك لأنه لما أسلم الموالي والفقراء همَّ الرؤساء أن يسلموا، فوسوس لهم الشيطان أنْ قد سبقكم الفقراء والموالي، فإنْ أسلمتم بعدهم يكونوا أوفر حظًا منكم، فامتنعوا من الإسلام، فنزلت الآية(١).

أي: جعلنا السابقين من المسلمين فتنة للرؤساء من أهل مكة وبلية.

﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ أيها الرؤساء على فضيلة السابقين من الفقراء فادخلوا في الإسلام ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ بمن يؤمن ومن لا يؤمن ومن سبق ويبطئ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لا يخافون حسابنا وجزاءنا ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ حتى نراهم بأجنحتهم ويخبرونا أنه رسول الله ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فيخبرنا أنَّ محمدًا رسولي ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بما تمنوا رؤية ربهم ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ إذ رتبوا هذه الرتبة لأنفسهم.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ عند نزع الأرواح من الأجساد وعند النشر من القبور ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ بل البشارة تكون للمؤمنين ﴿وَيَقُولُونَ﴾ لهم الملائكة ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ أي: حرامًا محرمًا، يعني: البشارة حرام لكم(٢).

وقيل: حرامًا محرمًا دخولكم الجنة(٣).

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ أي: عمدنا إلى ما عملوا لغير وجه الله تعالى ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ أي: جعلناه كالغبار يسطع من حوافر الدواب تهب به الريح.

---

(١) وهو قول مقاتل والكلبي، انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٢٣٠، الكشف والبيان ١٩/ ٣٨٥، البسيط ١٦/ ٤٤٧.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٢٥٤.

(٣) وهو مندرج في القول السابق، لأن دخول الجنة أعظم بشرى.

وقيل: كالذي يدخل في شعاع الشمس في كُوَّة البيت، ترى الذر ولا يستطيع أن يمسَّ.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ مِن مستقر أهل النار ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ من مقيلهم.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ أي: عن الغمام، و«الباء» و«على» و«عن» تأتي كلها بمعنى، كما يقال: رميت بالقوس وعن القوس وعلى القوس[1].

معناه: تصدع السماء عن الغمام، والغمام مثل سحاب أبيض فوق سبع سماوات، كما روي في الخبر: «أنَّ دعوة المظلوم ترفع فوق الغمام»[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تشقق سماء الدنيا فتصير بمنزلة الغمام الأبيض، وهو الضباب الذي يضمحل أسرع شيء، ثم ينزل سكانها فيحيطون بالعالم، ثم تشقق السماء الثانية، فينزل سكانها فيحيطون بالعالم صفًا آخر، ثم كذلك كل سماء بعد سماء، حتى يصير ملائكة سبع سماوات صفوفًا حول العالم، فذلك قوله: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾[3].

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ يعني: الملكُ الحق يومئذ للرحمن ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ غير يسير.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ يعني: الكافر حين عاين ما كذب به، وهو القيامة، يأكل أنامل نفسه جزعًا ولا يشعر[4].

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٢٦٠، الكشف والبيان ١٩/ ٣٩٣.

(٢) رواه أحمد في المسند ٨٠٤٣، والترمذي ٢٥٢٦، وابن ماجه ١٧٥٢ ، وفيه ضعف.

(٣) وهو من رواية الكلبي فيما يظهر، وقد ذكره أبو الليث في سياق مختلف ٢/ ٥٣٥.

(٤) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٣٦ ، البسيط ١٦/ ٤٧٤.

قيل: إن الآية نزلت في عقبة بن أبي معيط حين صنع طعامًا ودعا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فامتنع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من أكل طعامه، فقال: إيش تريد؟ فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فقال: كل يا ابن أخي، فقال: لا حتىٰ تشهد، فشهد عقبة بذلك، فأكل من طعامه، فسمع بذلك أُبي بن خلف الجمحي، وكان من أخلاء عقبه، فقال له: صبأت يا عقبة، فقال عقبة: لا والله، ولكن أبىٰ رجل أن يأكل من طعامي فاستحييت أن يخرج من قبل أن يطعم فشهدت له، فقال له أُبي بن خلف: والله لا أرضىٰ عنك أبدًا حتىٰ تأتيه وتبزق في وجهه، وتطأ علىٰ عنقه، وتلطم وجهه، فأجابه إلىٰ ذلك، فذهب ووجد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ساجدًا، فوطئ علىٰ عنقه وقفاه حتىٰ ألزق الحصىٰ جبهة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فرفع رسول الله رأسه وقال: لله إن أصبتك خارجًا من الحرم لأقتلنك، فقال اللعين: يا ابن أبي كبشة كيف تصيبني خارجًا من الحرم، وكيف تستطيع قتلي؟ فأمكن الله رسوله من عقبة يوم بدر، فقال لعلي: يا علي خذ السيف واقتله، فقال: يا محمد تقتلني من دون قريش، فقال: نعم يا خبيث، تذكر يوم آليت بالله علىٰ ما صنعت بي، اضرب عنقه يا علي، فقال: وإلي ما الصبية يا محمد؟ فقال: إلىٰ النار، فقتله الله علىٰ يد رسوله يوم بدر، فأدركته الندامة حين عاين القتل، فقال ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ۝٢٧﴾ أي: سلكت معه طريق الإسلام ولم أرتد[1].

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ۝٢٨﴾ نداء توجُّع وتفجع، أسقطت هاؤه وبقيت الألف، معناه: يا ليتني لم أتخذ أُبي بن خلف خليلاً مصافيًا.

---

(١) هذا السياق الطويل هو من سياقات الكلبي، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٣٦، الكشف والبيان ١٩/ ٣٩٥. وقد رواه الطبري مختصرا عن جماعة من المفسرين، كابن عباس من رواية عطاء الخراساني -وهي ضعيفة- والشعبي ومقسم ومجاهد.

﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي: جهلني عن الإيمان والقرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي﴾ وقبلته وتكلمت به ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ﴾ يعني الكافر ﴿خَذُولًا ۝٢٩﴾ يتبرأ منه عند الحاجة، وهو يوم القيامة.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۝٣٠﴾ أي: متروكًا وهذيانًا[١].

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ كما جعلنا أبا جهل لك عدوًا ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝٣١﴾ لهم على الأعداء.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة واليهود ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ كما أنزلت التوراة جملة واحدة بمرة، وكان المعنى في تفريقه أنَّ فيه الناسخ والمنسوخ لمصلحة العباد، ولأن التوراة نزلت مكتوبة، بخلاف القرآن، ولأنَّ بعض القرآن جواب سؤالهم.

فقال الله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أنزلت ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أي: تحفظه بقلبك ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢﴾ بيَّناه تبيينًا، والترتيل: التبيين[٢].

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ أي: لا يخاصمونك بمثل من أمثالهم التي ضربوها لك ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني: أمثال القرآن ﴿وَأَحْسَنَ [تَفْسِيرًا] ۝٣٣﴾ مما أتوا به.

﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ أي: يساقون على وجوههم إلى جهنم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ في الآخرة ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٣٤﴾ في الدنيا من الذين آمنوا.

سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف يُحْشَر الكافر على وجهه؟

---

(١) جمع بذلك القولين الواردين في معنى الهجر، انظر: البسيط ١٦/ ٤٨٣.

(٢) وهو قول ابن زيد، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٢٦٦.

فقال: «إنَّ الذي أمشاه على رجليه[١] قادر أن يمشيه على وجهه»[٢].

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له ذنوبه: بلغنا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يُحْشَرُ الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث: ثلث على الدواب، وثُلث على أقدامهم ينسلون، وثُلث على وجوههم»[٣].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ۝٣٥﴾ معينًا له ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعني: القبط، باليد والعصا، ثم قال ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ۝٣٦﴾ مختصر، أي: ذهبا وبلغا، فلم يقبلوهما فأهلكناهم، والتدمير: الإهلاك بأمر عجب[٤].

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾ يعني: نوحًا وحده، ومن كذب نبيه فقد كذب الرسل ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ بالطوفان ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ أي: عبرة لمن بعدهم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ من الكافرين ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ۝٣٧﴾.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟﴾ أهلكناهم أيضًا ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ كان قوم نزولاً على بئر يعبدون الأوثان، ولا يظفرون بأحد يخالف دينهم إلا قتلوه ورسُّوه فيها، أي: ألقوه. وقيل: هم قوم شعيب[٥].

---

(١) في الأصل: رجله.

(٢) متفق عليه من حديث أنس، رواه البخاري ٤٧٦٠، ومسلم ٢٨٠٦.

(٣) رواه ابن راهويه في مسنده ١٢٨، وابن أبي داود في البعث ٢٢، والبزار في مسنده ٩٥٨٠. وقد رواه ابن جرير ١٩/ ٢٦٨ والترمذي ٣١٤٢ موقوفا على أبي هريرة، ومدار الحديث على علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، وله شاهد عند الترمذي ٣١٤٣ من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

(٤) انظر: البسيط ١٦/ ٥٠٠.

(٥) وقيل من قرى قوم ثمود، وقيل: هي الفلج باليمامة، وقيل: أنطاكية، وهو قوم ياسين.

﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾ لم نسمهم لك أهلكناهم.

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ من الأيام الصالحة للمطيعين، والأيام المردية للعاصين ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ أهلكناهم إهلاكًا.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ يعني: أهل مكة، سافروا إلىٰ الشام ومروا علىٰ قُريات لوط التي أُمْطرت عليهم الحجارة ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ فيعتبروا بها ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾ لا يخافون البعث.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ أي: لا يتخذونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ سخريًا، ويقولون ﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ أما وجد رسولاً غير يتيم أبي طالب.

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ أي: يستزلُّنا ﴿عَنْ آلِهَتِنَا﴾ وعبادتنا ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ في الآخرة ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ أجمل طريقًا هم أم محمد صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ قال مقاتل: كان الحارث بن قيس إذا هوىٰ شيئا عبده، فنزلت الآية فيه[1].

يعني: أرأيت من هواه إلٰهه يطيعه فيما يأمر[2].

﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ أي: لست بحافظ لهم حتىٰ تمنعهم عن عبادة آلهتهم ولا تُسأل عن أعمالهم.

(انظر: تفسير الطبري ١٩/ ٢٧٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٣٩، تفسير السمعاني ٤/ ٢٠، زاد المسير ٣/ ٣٢١) وأما هذا القول الذي ذكره المصنف فهو قول غريب.

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٤٣٨.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٢٧٤.

﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾ أي: لا تحسب ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ فينتفعون بما يسمعون وما يعقلون ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ أي: ما هم إلا كالبهائم في قلة التمييز، وقيل: همُّهم همَّ الدواب وهو الأكل والشُّرب ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ لأنَّ الأنعام تَعرف ربها وتسبِّح وتصلي وتسجد، وهم لا يعرفون ربهم، ومع ذلك ينسبون إليه الولد والشريك.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يعني: ألم تعلم، وهو من رؤية القلب، ومعناه: ألم ترَ إلىٰ صنيع ربك ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ كيف بسطه في المشرق والمغرب، وإمداده بعد طلوع الفجر إلىٰ طلوع الشمس عند أهل التفسير؛ مثل مجاهد والضحاك[1].

﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي: دائمًا لا شمس معه، كما في صفة أهل الجنة: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ حيث ما يكون الشمس يظهر الظل، وتعرف الأشياء بأضدادها، ولو لم تكن الشمس ما عرف الظل، ولولا النور ما عُرفت الظلمة.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ يعني الظل بعد غروب الشمس، وقيل: قبضًا يسيرًا أي: قليلاً قليلاً إلىٰ الزوال، بارتفاع الشمس، لأنَّ الظل بعد طلوع الشمس لا يذهب بدفعة واحدة، وإنما يذهب قليلاً قليلاً.

وقبضًا يسيرًا: أي خفيًا لا يطلع عليه أحد[2].

قال الواسطي: خاطب العامة بقوله: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ وأثبت للخاصة نفسه فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾.

---

(١) وهو قول المفسرين قاطبة، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٢٧٥.

(٢) وقيل: سهلا، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٧٠، البسيط ١٦/ ٥٢٤.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا﴾ أي: سكنًا تسكنون فيه ﴿وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتًا﴾ أي: راحة لأبدانكم ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ۝٤٧﴾ أي للنشور، تنشرون فيه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا﴾(١) إحياء، تنشر السحاب الذي به المطر الذي فيه حياة كل شيء.

وقرئ: نُشرًا، جمع نشور، مثل: رسول ورسل، وقرئ: بشرًا بالباء مبشرة(٢).

﴿بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ ينشر السحاب بين يدي المطر ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ۝٤٨﴾ طاهرًا تشربون منه وتتوضؤون به ﴿لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ﴾ أي: بالماء ﴿بَلۡدَةً﴾ أرضًا ﴿مَّيۡتًا﴾ بالنبات، ولم يقل: ميتة؛ لأنَّ البلدة أراد بها البلد، والبلد والبلدة واحد ﴿وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ﴾ أي: من جملة مخلوقاتنا ﴿أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ۝٤٩﴾ جمع إنسي، وقيل: جمع إنسان، وأصله: أناسين مثل سراحين(٣).

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: المطر بين الناس عامًا بعد عام، وفي بلد دون بلد ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ ويتفكروا ويعرفوا منشئها ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٥٠﴾ أي: أبوا عن التفكُّر يعني كفار مكة.

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِى كُلِّ قَرۡيَةٍ نَّذِيرًا ۝٥١﴾ يعني رسولاً، ولكن لم نشأ وبعثناك إلىٰ كافة الناس.

---

(١) في الأصل: نشرا، وعليها جاء التفسير، فقرأ ابن عامر: نُشْرا، وقرأ حمزة والكسائي وخلف: نَشْرا، وقرأ عاصم كما أثبت، وقرأ الباقون: نُشُرا (السبعة ٤٦٥، النشر ٢/ ٢٧٠).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٧٠.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٧١.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إذا دعوك إلىٰ دينهم، وذلك حين عرضوا عليه الأموال والنساء للتزويج ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾ يعني: جاهدهم بالقرآن لأنه لم يؤمر بعدُ بالقتال.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أي: أرسل ماء البحرين العذب والمالح، وخلىٰ بينهما، يقال: مرجت الدابة إذا خليتها ترعىٰ[1].

﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزًا، فهما في رأي العين مختلطان، وفي قدرة الله منفصلان ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٥٣﴾ أي: ممنوعًا كيلا يختلطا.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ أي: من النطفة إنسانًا ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا﴾ أي: جعل منه الولد والعم والخال والجد ﴿وَصِهْرًا﴾ والأصهار هم الأختان ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝٥٤﴾ حيث أراد أن ينشئهم أنشأهم ثانيًا كما خلقهم باديًا.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ﴾ إنْ عبدوه ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن تركوا عبادته ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ﴾ يعني أبا جهل وغيره ﴿عَلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ أي على الكفر بربه ﴿ظَهِيرًا ۝٥٥﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٥٦﴾ أي: مبشرًا بالجنة ونذيرًا بالنار.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ علىٰ الرسالة من جعل ﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٥٧﴾ لكن من أراد أن يتخذ ما ينفق علىٰ الفقراء إلىٰ ربه سبيلاً ليكون له عنده قدم صدق.

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٢٨١.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ أي: ثق واتكل على الله وفوِّض أمرك إليه ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: بحمد ربك يعني احمده منزهًا له عما لا يجوز في صفته ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨﴾ أي: هو عالم بذنوب عباده.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أي: الذي خلق السماوات والأرض هو الرحمن الذي أنكره قومك ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩﴾ أي: سل عن الله أهل العلم يخبروك.

وقال الضحاك: فادع به خبيرًا بأعمال خلقه[1].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ لأهل مكة ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ اخضعوا وصلوا ﴿قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ يا محمد، وقرئ: يأمرنا بالياء، يعني: يأمرنا الرحمن الذي زعمت أنت ولا نعرفه[2].

﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۝٦٠﴾ أي: زادهم سجود رسول الله صلى الله عليه وسلم تباعدًا عن الحق.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر برجًا، وجعل فيها ثمانية وعشرين منزلاً، وثلاث مائة وستين درجة ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أي في السماء ﴿سِرَٰجًا﴾ أي: شمسًا تقطع في كل شهر برجًا ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١﴾ أي: مضيئًا يقطع كل برج في يومين وثلث يوم[3].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ يخلف كل واحد صاحبه، يجيء أحدهما ويذهب الآخر، وقيل: خلفة أي: مختلفًا، أحدهما أبيض والآخر أسود[4].

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٢٨٧.

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالياء، وقرأ الباقون بالتاء (النشر ٢/ ٣٣٤).

(٣) انظر تفسير سورة النساء، آية ٧٨.

(٤) وكلاهما مروي عن مجاهد، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٢٩٠.

﴿لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ أي: يتعظ باختلافهما ﴿أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ٦٢﴾ لربه بالطاعة وترك المعصية.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذين استخلصهم لنفسه وهم خواصه ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ قال مجاهد: بالسكينة والتواضع[١]، وقيل: علماء حلماء أبرار أتقياء لا يجهلون إن جهل عليهم، عن الحسن[٢].

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾ بالقبيح ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ أي: سدادًا من القول وسكتوا، وقيل: كان هذا بمكة ثم نسخت بآية السيف[٣].

وقيل: يقولون قولاً يسلمون من المعصية.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤﴾ علىٰ أقدامهم.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ ادفع عنَّا عذاب النار ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥﴾ أي: بلاء وشقاء علىٰ أهلها لازمًا.

﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦﴾ منصوبان علىٰ التمييز[٤]، معناه: إنها ساءت في المستقر والمقام.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ﴾ فينفقوا في معصية الله ﴿وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾ لم يُمسكوا عن مواضع الحق، وكان إنفاقهم بين الإسراف وإقتار ﴿وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ قصدًا وعدلاً.

---

(١) رواه الطبري في التفسير ١٩/ ٢٩٣.

(٢) نحوه في تفسير الطبري ١٩/ ١٩٤.

(٣) وهو قول الكلبي، وتعقبه أبو الليث في تفسيره ٢/ ٥٤٤، بقوله: هذا خطأ لأن هذا ليس بأمر، ولكنه خبر عن حالهم، والنسخ يجري في الأمر والنهي.

(٤) التبيان ٢/ ٩٩١.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: من أنفق في حقٍّ مائة ألف فليس بسرف ولو أنفق درهمًا في غير حق كان سرفًا[١].

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ يعني هم خواص الرحمن، والذين[٢] ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ يعني النفس بالنفس، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم هذا التفسير[٣].

﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: زنا أو إشراك ﴿يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ جبلاً في النار، وقيل: أثامًا جزاء الإثم.

قال الشاعر:

جزىٰ الله ابنَ عُروة حيث أمسىٰ　　　عُقُوقًا والعقوقُ لهُ أثام[٤]

أي: جزاء.

وقيل: هو وادٍ في النار أو جُبٌّ في النار[٥].

﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فقوله: «يلق أثامًا» جزم علىٰ الشرط،

---

(١) هذه رواية الضحاك عن ابن عباس، كما في البسيط ١٦/ ٥٨٦.

(٢) ي الأصل: فصل بين الواو وَلا بـ:الذين.

(٣) روىٰ البخاري في الصحيح ٤٧٦١: عن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت - أو سئل - رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: أي الذنب عند الله أكبر، قال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك» قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني بحليلة جارك» قال: ونزلت هذه الآية تصديقا لقول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾.

(٤) البيت لبلعاء الكناني، وقيل شافع الليثي، انظر: مجاز القرآن ٢/ ٨١، تفسير الطبري ١٩/ ٣٠٣، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٤٥، الكشف والبيان ١٩/ ٤٨٧، البسيط ١٦/ ٥٩١.

(٥) وهو قول ابن عمرو ومجاهد وعكرمة، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٣٠٨، وزاد المسير ٣/ ٣٢٩.

ويضاعف: مجزوم، لأنه لقي الآثام.

﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩﴾ لا يموت ولا يكرم، وتضعيف العذاب هو أن يكون مرة إلىٰ الزقوم، ومرة إلىٰ الضريع، ومرة إلىٰ الآثام.

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ عن شِركه ﴿وَءَامَنَ﴾ بعد كفره ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ في الإيمان لربه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [ليس] أنَّ[1] السيئة تصير حسنة، ولكن التأويل أن السيئة تُمْحَىٰ بالتوبة، والكافر يُحْبِط الله عمله، وتثبتُ عليه السيئات، فالمؤمنون يكون لهم مكان الشرك توبة، ومكان الكفر إيمانًا، ومكان الفواحش عفافًا[2].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمًا ۝٧٠﴾ بعد التوبة.

هذه الآية نزلت بمكة، فلما هاجر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ المدينة كتب الوحشي إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم: هل لي من توبة، وقد أشركت، وقتلت وزنيت؟ فأنزل الله تعالىٰ بعد ثمان سنين[3]:

﴿وَمَن تَابَ﴾[4] من الشرك وآمن وصدق بتوحيد الله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ في التوحيد ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ۝٧١﴾ توبة خالصة[5].

---

(١) في الأصل: لأن، وهو تصحيف، والتصحيح من المصدر.

(٢) خلصه من معاني القرآن للزجاج ٤/ ٧٤.

(٣) وهذه المدة مروية عن الضحاك كما في تفسير الطبري ١٩/ ٣٠٧، أي أن آية النساء [٩٣] متأخرة وهي: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾ عن آية الفرقان، وقيل: بل ستة أشهر (تفسير الطبري ٩/ ٦٨، البسيط ١٦/ ٥٩٦). وهذا معنىٰ قولهم: نزلت الغليظة بعد اللينة.

(٤) تشابه علىٰ الناسخ فكتب أول الآية السابقة.

(٥) عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن ناسا، من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمدا صلىٰ الله عليه وسلم فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه

وقيل: متابًا مناصحًا نفسه.

فأمر رسول الله وحشيًا أن يخرب مسجد المنافقين، وقتل مسيلمة الكذاب علىٰ عهد أبي بكر، فلما قبل الله توبة الوحشي قال كفار مكة: كلنا عَمِل عَمَل الوحشي وقد قبل الله توبته، فلم ينزل فينا شيء، فنزلت ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾[1].

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي: الذين لا يحضرون مجلس[2] الذين يكذبون علىٰ الله ورسوله فيه، وقيل: مجالس الغناء[3].

﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ﴾ أي: بالباطل ومجالس اللهو ﴿مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ حلماء مُعْرِضين عن فعلهم.

واللغو: كل ما لم تأت به الشريعة ويجب طرحه وتركه[4].

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟﴾ وُعظوا ﴿بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ بالقرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ أي: لم يقعوا عندها كالأصم الذي لا يسمع، والأعمىٰ الذي لا يبصر، بل سمعوا سماع قبول واتعاظ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ أي: خواص الرحمن هم الذين يقولون ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا﴾ أي: نسائنا ﴿وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ في الدنيا، يعني: اجعلهم مطيعين

لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ﴾ ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [سورة الزمر:٥٣] متفق عليه، رواه البخاري ٤٨١٠، ومسلم ١٢٢.

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٤٦.

(٢) في الأصل: المجلس.

(٣) وهو قول مجاهد، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٣١٣.

(٤) البسيط ١٦/ ٦٠٣.

لك حتىٰ تقر به أعيننا، عن الكلبي[١].

﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤﴾ أي: اجعلنا صالحين يُقْتَدىٰ بنا في الخير، يعني: اجعلنا قادة وهُداة في الخير يُقتدىٰ بنا بعد موتنا.

ثم أخبر الله تعالىٰ عن مجازاتهم فقال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾ الدرجة العالية الرفيعة فوق الأعمدة من اليواقيت والزمرد ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ علىٰ أداء الفرائض واجتناب المحارم ﴿وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا﴾ بالتخفيف: أي يَرون، وبالتشديد يُقابلون[٢] ﴿تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝٧٥﴾ أي: تحية من الملائكة وسلامًا من الله عز وجل.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ﴾ الغرفة ﴿مُسۡتَقَرًّا﴾ أي: موضع قرار ﴿وَمُقَامًا ۝٧٦﴾ موضع إقامة.

﴿قُلۡ﴾ لأهل مكة ﴿مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي﴾ أي: ما يفعل لكم ربي، وأيُّ وزن لكم وقدر عند الله ﴿لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ﴾ أي: توحيدكم إياه.

والعبءُ في اللغة هو الثقل، ومنه عبأتُ المتاع إذا جعلت بعضه فوق بعض[٣].

وقال أبو سهل: لماذا يعذبكم ربي لولا دعاؤكم الشرك وعبادتكم الأوثان[٤].

---

(١) البسيط ١٦/ ٦١٢.

(٢) التخفيف: يَلْقَون، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف وأبي بكر شعبة، وقرأ الباقون بالتشديد (النشر ٢/ ٣٣٥).

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٣٢١، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٧٨، البسيط ١٦/ ٦١٩.

(٤) وهو يوافق قول ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٤٣٨، ولكن هذا القول يخالف قول أهل التفسير ويحتاج إلىٰ تقدير مضمر، (النكت والعيون ٤/ ١٦٢، زاد المسير ٣/ ٣٣٣).

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ الرسول والكتاب ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾ أي: ملازمًا، واللزام ما لزمك[١].

قال ابن عباس: اللزام يوم بدر[٢].

قال مؤلفه عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة الفرقان بُعِثَ يوم القيامة وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث من في القبور، ودخل الجنة بغير حساب»[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) البسيط ١٦/ ٦٢٤.

(٢) وهو قول جماعة من التفسير، البسيط ١٦/ ٦٢٤، زاد المسير ٣/ ٣٣٣.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٩/ ٣٥٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٩٢ .

سورة الشعراء

مكية كلها.

وقال الكلبي: الآيات التي يذكر فيها الشعراء وهي خمس آيات مدنية[١].

وهي مائتان [وسبع] وعشرون آية[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿طسٓمٓ ۝١﴾ قال قتادة: اسم من أسماء القرآن[٣].

وقال ابن عباس: هي من أسماء عَميَ علىٰ العلماء علمها[٤].

وقال الأنماري: تقديره بسم الله الرحمن الرحيم الظاهر الطالع علىٰ الغيوب، السميع الساتر للعيوب، المجيد بإعطاء السيوب.

وقيل: الطاء طَوله، والسين سناؤه، والميم ملكه، فمعناه: بطولي وبسنائي وملكي[٥].

---

(١) الكشف والبيان ٢٠/ ٧، زاد المسير ٣/ ٣٣٤، الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٨٧.

(٢) كذا في الأصل، سقط عليه الآحاد، وهذا في عد الكوفيين والشاميين والمدني الأول، وفي عد الباقين ست وعشرون (البيان في عد آي القرآن ١٩٦).

(٣) ومثله قال أبو روق، تفسير الطبري ١٩/ ٣٢٦، الكشف والبيان ٢٠/ ١٤، الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٨٨.

(٤) الكشف والبيان ٢٠/ ١٤ من رواية عكرمة عنه. وفي رواية علي عنه أنه قسم، وهو من أسمائه (تفسير الطبري ١٩/ ٣٢٦) لا يريد أن الكلمة كلها اسم من أسمائها، بل تدل علىٰ أسمائه، علىٰ نحو قول الأنماري الآتي.

(٥) الكشف والبيان ٢٠/ ١٥ .

وقيل: الطاء شجرة طوبىٰ، والسين سدرة المنتهىٰ، والميم محمد المصطفىٰ[١].

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ يعني: هذه آيات القرآن الذي وعدتم علىٰ لسان موسىٰ، ثم خاطب رسوله صلىٰ الله عليه وسلم فقال:

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي: قاتل نفسك ومهلكها بالتأسُّف ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ بما جئتهم من الآيات.

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾ أي: علامة ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾ ذليلين. وظلت: معناه تظلُّ، لأنَّ الجزاء يقع الماضي فيه بمعنىٰ المستقبل[٢].

وقيل: أعناقهم هو كبراؤهم[٣].

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ أي: كلما نزل شيءٌ من القرآن بعدَ شيءٍ؛ فهو أحدث من الأول نزولاً، والكلام في الذكر قد تقدم[٤].

﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥﴾ بالجحود، وهم أهل مكة.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ أي: بالقرآن والرسول صلىٰ الله عليه وسلم ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ أي: سيأتيهم ﴿أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦﴾ أي: نبأ ذلك وعلمه في القيامة.

وقيل: هو القتل ببدر[٥].

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٤٩، وهذا التفسير يخالف الأول.

(٢) وهو معنىٰ ما ذكره الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٨٢، وعنه الواحد في البسيط ١٧/ ١٢، وقيل: معناه فصارت (تفسير أبي الليث ٢/ ٥٤٩).

(٣) ذكره في تفسير الطبري ١٩/ ٣٣١.

(٤) تفسير سورة الأنبياء، آية ٢.

(٥) والثاني قول الكلبي، كما في البسيط ١٧/ ٢٢. قال الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٨٣: المعنىٰ فسيعلمون نبأ ذلك يوم القيامة، وجائز أن يعجل لهم بعض ذلك في الدنيا نحو ما نالهم يوم بدر.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ استفهام[(١)] بمعنىٰ التعجب ﴿إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧﴾ أي: من كل زوج حسن ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ لعبرة ودليلاً علىٰ وحدانيته ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾ أي: مصدِّقين بالتوحيد.

وقيل: الكريم المحمود من كل شيء، يقال: نخلة كريمة إذا طاب حملها وكبر، وشاة كريمة أي غزيرة اللبن[(٢)].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ المنيع في سلطانه المنتقم ممن لم يوحده ﴿الرَّحِيمُ ۝٩﴾ بالمؤمنين لمن تاب منهم عن الشرك.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ واذكر إذ أمر ربك موسىٰ ﴿أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝١٠﴾ الكافرين، وهم القبط ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١﴾ أي: قل لهم اتقوا الله وأطيعوه.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢﴾ أي: اعلم أنَّ فرعون وقومه يكذبون.

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ أي: أخاف أن يضيق صدري عن البلاغ ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ أي: لا يستمر لساني علىٰ الكلام عندهم، لأنهم ربوني وليدًا، وقيل: من مهابته ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ۝١٣﴾ ليعينني علىٰ أمري.

وقال مقاتل: أرسل إلىٰ هارون، أي: معي هارون، كقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ أي: مع أموالكم[(٣)].

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ﴾ أي: جنابة كانت مني، وهي: قتل القبطي ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝١٤﴾ مكانه.

﴿قَالَ﴾ الله تعالىٰ ﴿كَلَّا﴾ هو زجر وردع، معناه: لا تكن علىٰ هذا الظن وثق

---

(١) في الأصل: كررها مرتين.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٣٣٥، معاني القرآن ٤/ ٨٣، البسيط ١٧/ ٢٣، تفسير السمعاني ٤/ ٣٩.

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٤٤٦، البسيط ١٧/ ٢٨.

بالله[١].

﴿فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ۝١٥﴾ سامعون لقولكما وقولهم.

﴿فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦﴾ إليك، يعني: موسىٰ وحده رسوله.

وقال الزجاج: معناه إنَّا ذوَا رسالة رب العالمين[٢].

﴿أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝١٧﴾ أي: خل بسبيل بني إسرائيل من العبودية.

فلما جاء موسىٰ وهارون باب فرعون اللعين؛ ضرب موسىٰ الباب، فإذا مساميره قد وقعت، وإذا كل حجرة في القصر قد خربت، وكل باب فيه قد وقع، وفرعون قد وقع من سريره بضربة موسىٰ بابه، فلما دخل موسىٰ وأقبل إليه مال فرعون بيده اليمنىٰ فوضعها علىٰ حاجبيه؛ لأنه أتت عليه أكثر من أربعمائة سنة وثلاثين سنة[٣].

وقال لموسىٰ: ألست موسىٰ؟ قال: نعم، ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا﴾ أي صغيرًا حين وُلِدْت.

قيل: ليس من المروءة تذكار الصنائع، وفرعون ذكر صنيعه فليس فيه فتوة[٤].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٨٥.

(٢) كذا علىٰ التثنية، أي موسىٰ وهارون، وفي معاني القرآن للزجاج ٤/ ٨٥: ذوو.

(٣) وهذا من قبيل الإسرائيليات التي يغلب علىٰ القلب بطلانها، وانظر بعض الإسرائيليات في تفسير أبي الليث ٢/ ٥٥٢.

(٤) نحوه قول أبي الليث: أول ما بدأ فرعون بكلام السفلة، ومن علىٰ نبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه أطعمه (تفسير أبي الليث ٢/ ٥٥٢).

﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨﴾ يعني: ثلاثين سنة لا تدعي شيئًا من ذلك[١].

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ﴾ مِن قتل القبطي ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٩﴾ لشكر تربيتي إياك.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾ أي: قتل القبطي ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠﴾ التائهين يومئذ من النبوة، عن الضحاك[٢].

ومن الجاهلين، عن مقاتل[٣].

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ أنْ تقتلوني ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ علمًا وفهمًا ونبوة ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ٢١﴾ إليكم.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٢٢﴾ معناه: أو تلك نعمة تمنها بعد استعبادك بني إسرائيل؟[٤].

وقيل: معناه أتذكر إحسانك إليَّ؛ وتدع إساءتك إلىٰ بني إسرائيل في الاستعباد، فلئن ربيت واحدًا لقد قتلت واستعبدت الآخرين[٥].

---

(١) وهو قول مقاتل، تفسير مقاتل ٢/ ٤٤٧.

(٢) ذكره أبو الليث في التفسير ٢/ ٥٥٢، والثعلبي دون نسبة في الكشف والبيان ٢٠/ ٣٦.

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٤٤٧. وهو قول الجمهورن ونسبه الثعلبي لأكثر المفسرين (الكشف والبيان ٢٠/ ٣٦). وهذا والذي قبله بمعنىٰ واحد، لأن المراد من التائهين الجاهلين بتحريم هذا لأنه لم يوح إلي بعد (تفسير الطبري ١٩/ ٣٤١). ولأهل المعاني أقوال أخرىٰ تخالف قانون التفسير بالمأثور، ذكرها الثعلبي في الكشف والبيان ٢٠/ ٣٧.

(٤) وهو قول قتادة حيث حمل الآية علىٰ الاستفهام (تفسير الطبري ١٩/ ٣٤٣)، ويكون معنىٰ الاستفهام هو الإنكار (معاني القرآن للزجاج ٤/ ٨٦، الكشف والبيان ٢٠/ ٣٨).

(٥) وهذا القول أحسن من سابقه، وهو قول الفراء والطبري (معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧٩، تفسير الطبري ١٩/ ٣٤٢).

﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ﴾ حينئذ ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣﴾ و«ما»: حرف استفهام عن غير المميزين، معناه: أي شيء هو؟.

فأجابه موسىٰ بما هو دليل علىٰ أنَّ الله تعالىٰ فعل ما يعجز المخلوقين عن مثله ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ﴾ من خلق ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤﴾ فلم يعرض فرعون لجواب موسىٰ، وعدلَ عنه لأنه يحير، فـ ﴿قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥﴾ أوهم أنه لا يدري ما هو من الناطقين أو من الموات[1]، فزاد موسىٰ في البيان ﴿قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦﴾ فعجز اللعين عن جوابه، فـ ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧﴾ لأني أسأله عن الماهية فيجيبني عن الملك، وأسأله عن الجنس فيجيبني عن الملك[2].

﴿قَالَ﴾ موسىٰ لستُ بمجنون ولكن أدعوكم إلىٰ ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٨﴾ يعني: إن أنت تعقل يا خبيث، فتحيَّر فرعون و﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي﴾ في مصر ﴿لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ٢٩﴾ حتىٰ ترجع إلىٰ عبادتي، وترجع عن دعواك إني رسول رب العالمين.

قال الكلبي: كان سجنه أشد من قتله، لأنه كان يطرح الرجل في مكان يهوي به [في] الأرض فريدًا وحيدًا، لا يسمع شيئًا ولا يبصر شيئًا[3].

---

(١) من قوله: أوهم من زياداته علىٰ معاني القرآن للزجاج ٤/ ٨٧، فقد صدر عنه، وليست هذه الجملة فيه، وإذا لم تكن مصحفة فالمعنىٰ: أوهم فرعون أنه لم يفهم مراد موسىٰ، بسبب أن الناطقين وهما موسىٰ وهارون لم يبينا، أو من الموات: أي الإغفال، والله أعلم بالصواب.

(٢) قال ابن كثير: ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم؛ أن هذا سؤال عن الماهية، فقد غلط؛ فإنه لم يكن مقرًا بالصانع حتىٰ يسأل عن الماهية، بل كان جاحدا له بالكلية فيما يظهر، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه (تفسير ابن كثير ٦/ ١٣٨). ونقل الواحدي عن ابن الأنباري جوابًا طويلا (البسيط ١٧/ ٤٣).

(٣) الكشف والبيان ٢٠/ ٤٣، البسيط ١٧/ ٤٦. ونسب في بعض التفاسير إلىٰ ابن عباس، فهو من رواية الكلبي عنه (تفسير أبي الليث ٢/ ٥٥٣).

﴿قَالَ﴾ له ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ۝٣٠﴾ من الآيات ظاهرًا أنه من الله عز وجل تجعلني من المسجونين ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣١﴾ وكان في يد موسىٰ عصا من شجر الآس، فقال لفرعون: ما في يدي؟ قال: هذه عصا، ثم إنَّ موسىٰ ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ من يده ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝٣٢﴾ حيَّة ذكر صفراء عظيم، لها عُرف، ولها اثنتان وسبعون قائمة، واثنان وسبعون ضرسًا، قامت علىٰ ذنبها قد ملأت الدار، فأهوت إلىٰ فرعون لتأخذه فهرب اللعين منها، فوقع من وراء سريره من الفَرق، فقال: خذها عني يا موسىٰ، وخاف أن تبتلعه، فأخذه موسىٰ فصارت عصا.

فقال فرعون: هل من آية أخرىٰ، قال: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ أبرزها، وقال لفرعون: ما هذه؟ قال فرعون: هذه يدك، فأدخلها في جيب مدرعة له من صوف ثم أخرجها ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۝٣٣﴾ لها شعاع كشعاع الشمس[(١)].

﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ لأشراف قومه ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝٣٤﴾ حاذق بالسحر.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾ وخداعه ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝٣٥﴾ تشيرون علي.

﴿قَالُوٓا۟﴾ أي: الأشراف ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ احبسهما ولا تقتلهما حتىٰ تنظر ما أمرهما ﴿وَٱبْعَثْ﴾ أي: أرسل ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٣٦﴾ أي: في القرىٰ حول مصر من الشرط.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۝٣٧﴾ أشار أعداء الله إلىٰ ما أحب الله تعالىٰ، لأنه أحب أن يستنقذ السحرة من عبادة فرعون، ويُدخلهم دين الحق، ويجازيهم

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٥٣، وقد سبق تفسير ذلك في سورة الأعراف.

الجنة، فأشاروا إليه، فحبسهما فرعون(١).

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ ۝٣٨﴾ يوم السبت.

وكان عدد السحرة ثلاثمائة وستين(٢)، عدد أيام السنة، وقيل: كان يوم عيدهم.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ۝٣٩﴾ أمر مناديه بأن ينادي ليجتمعوا، وقال: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ۝٤٠﴾ على موسىٰ.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ للميعاد ﴿قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾ من المال ﴿إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ۝٤١﴾ لموسىٰ وهارون ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذًا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٤٢﴾ يكون لكم عندي منزلة بعد إعطاء المال.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ۝٤٣﴾ حتىٰ أنظر إليه.

وظاهر الكلام أمر، ومعناه التهديد، يقول: متىٰ ألقيتم بين يدي سحركم ترون عجزكم وضعفكم، كقوله تعالىٰ لإبليس: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾.

﴿فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ﴾ بأجمعهم ﴿بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ﴾ أي: بعِظَم فرعون وقيل: بقوة فرعون ﴿إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ۝٤٤﴾ لموسىٰ وهارون.

﴿فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ﴾ من يده ﴿فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ۝٤٥﴾ صارت

---

(١) إنما ذكر القرآن الإرجاء بمعنىٰ التأخير، ولم يذكر الحبس، فلعله أراد حبسهما يعني في مصر، لا يريد السجن، وهذا الذي ذكره ابن جرير في تفسيره ١٩/ ٣٤٦، والسمعاني ٤/ ٤٤، وقد ذكر أبو الليث نحو ما ذكر المصنف، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٥٤ .

(٢) سبق في سورة الأعراف أنْ ذكر أقوالا أخرىٰ في عددهم تخالف ما ذكره هنا، وهذا من الإسرائيليات.

العصا ثعبانًا، وفتحت فاها؛ فالتقمت الحبال والعصي في طرفة عين، ثم مالت برأسها فقتلت خمسًا وعشرين ألفًا في الزحمة، فلما عاين موسىٰ ذلك سجد شكرًا لله تعالىٰ، وسجد هارون معه.

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ فسجدت السحرة معهما و﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ وإنما: قالوا برب العالمين لأنهم سمعوا أنه قال: أنا رسول رب العالمين، فقال لهم فرعون: إياي تعنون؟ فقالوا: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ﴾ للسحرة علىٰ التوعد ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ أي: لموسىٰ بما يدعي من الرسالة ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ بالإيمان ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ أي: عالمكم ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ماذا نفعل[1] بكم، ثم بيَّن الوعيد فقال: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾ في جذوع النخل اللاتي علىٰ شاطئ نهر مصر.

﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ﴾ أي: لا بأس ولا ضرار علينا بما تفعل بنا ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ نرجع بعد القتل إلىٰ ثواب ربنا ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ﴾ أي: شركنا وسحرنا ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ من أهل مصر، فأمر الخبيث فقطعهم وصلبهم، فكانوا في أول النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء بررة.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾ أي: ببني إسرائيل إلىٰ البحر ليلاً ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾ يتبعكم فرعون بجنوده.

فاستعاروا من القبط دوابهم وحليهم، وساروا من ليلتهم قِبَل البحر، هارون علىٰ المقدمة، وموسىٰ علىٰ السَّاقة، وكانت ليلة السبت، فأصبح فرعون يوم الأحد، وجمع الجنود، وساروا يوم الاثنين عند الصباح في طلب موسىٰ وقومه، وهامان علىٰ مقدمة فرعون في ألفي ألف مقاتلة علىٰ الخيل

---

(١) في الأصل تصحفت إلىٰ: نقول.

الحصين[١]، ليست فيها رمكة[٢]، وفرعون في أكثر من خمسة آلاف ألف مقاتلة[٣]، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ يجمعون الناس في طلب موسىٰ وبني إسرائيل.

وقال فرعون: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ والشرذمة: القطعة من كل شيء من الناس والدواب والثياب وغيرها[٤].

﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾﴾ أي: مبغضون[٥]؛ لأنهم استعاروا متاعنا لزينة السبت ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾[٦] شاكون في السلاح، وقرئ: حاذرون، متيقظون[٧].

قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾﴾ أي: بساتين وأنهار جارية ﴿وَكُنُوزٍ﴾ من أموال ظاهرة من الذهب والفضة، سمي كنوزًا لأنهم لا يعطون حق الله منها ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ مساكن طيبة في القصور التي اتخذوها.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: ترك كذلك مُعدًّا مهيَّأً.

---

(١) في تفسير أبي الليث ٢/ ٥٥٥: ومعه ألف ألف ومأتي ألف، وفي الكشف والبيان ٢٠/ ٤٨: ألف ألف وخمسمائة ألف.

(٢) الرمكة: هي الفرس والبرذونة التي تتخذ للنسل (لسان العرب: رمك).

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٤٥٢، ونحوه في تفسير الطبري ١٩/ ٣٥١ عن قيس بن عباد.

(٤) وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا (تفسير الطبري ١٩/ ٣٥١، الكشف والبيان ٢٠/ ٥٠).

(٥) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٥٥.

(٦) في الأصل: حذرون، وعليها جاء التفسير، وهي قراء أبي جعفر ونافع وابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهشام بخلف عنه، وقرأ الباقون كما أثبت (النشر ٢/ ٣٣٥).

(٧) وقال ابن جرير في التفسير ١٩/ ٣٥٣: حَاذِرُونَ: بمعنىٰ: أنهم معدون مؤدون ذوو أداة وقوّة وسلاح، وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة: «وأنا لجميع حذرون» بغير ألف، وكان الفرّاء يقول: كأن الحاذر الذي يحذرك الآن، وكأن الحذر المخلوق حذرا لا تلقاه إلا حذرا .

وقيل: كذلك أفعل بمن يعصيني[١].

﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾ لأنَّه رد بني إسرائيل إلىٰ مصر بعد ما أغرق فرعون وقومه[٢].

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ۝٦٠﴾ لحقهم فرعون وجنوده عند شروق الشمس ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ جمع فرعون وموسىٰ عاين بعضهم بعضًا ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١﴾ يا موسىٰ أهلكتنا بأيديهم، فليت أنَّك تركتنا في أرض مصر يستعبدوننا، فالآن أدركونا وقدَّامنا البحر، ووراءنا العدو، وليس معنا سلاح.

﴿قَالَ﴾ لهم موسىٰ ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝٦٢﴾ سيعينني وينصرني.

فبعث الله ضبابة علىٰ قوم فرعون حتىٰ صار نهارهم كالليل، وقوم موسىٰ في نهار مشرقين، فنظر فرعون إلىٰ البحر ونظر إلىٰ أمر عظيم، وبعث الله تعالىٰ ثلاثة وثلاثين ملكًا يضربون دواب القبط ليلتئموا جميعًا، وجبريل علىٰ رمكة بلقاء قدام فرعون، وفرعون علىٰ ظهر الحصان، فلم يتمالك عنانه حتىٰ قذف نفسه إلىٰ فرس جبريل، وهامان عن يمينه، حلف بعزة فرعون إنما انفلق البحر لرؤيتك، ألا ترىٰ أنهم كانوا وقوفًا ولم ينفلق لهم، فاسلك بنا مسلك بني إسرائيل نأخذهم، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ﴾ أي: فضرب فانفلق وصار اثني عشر طريقًا يبسًا، كل طريق طوله فرسخان، وذلك يوم عاشوراء يوم الاثنين[٣] ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ۝٦٣ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ۝٦٤﴾ أي: قرَّبنا وجمعنا قوم فرعون علىٰ مسلك بني إسرائيل ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ من الغرق ﴿أَجْمَعِينَ ۝٦٥ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ۝٦٦﴾ فرعون

---

(١) القولان في تفسير أبي الليث ٢/ ٥٥٥.

(٢) علىٰ قول من قال إن بني إسرائيل عادوا إلىٰ مصر بعد غرق فرعون، والله أعلم بصحة ذلك.

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٤٥٢.

وقومه، في سبع ساعات من النهار[١].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ أي: في هلاك فرعون وقومه ونجاة موسىٰ وقومه، لآية لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾ أي: أكثر أهل مصر مصدِّقين بتوحيد الله تعالىٰ، ولو كان أكثرهم مؤمنين لم يعذبوا في الدنيا.

قال الكلبي: لم يؤمن من قوم فرعون إلا امرأته آسية، وابن عمه خربيل، ومريم بنت ماموس التي دلت علىٰ عظام يوسف[٢].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ بالرحمة من أعدائه ﴿الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ بأوليائه حين أنجاهم من الغرق.

قال مقاتل: مكث موسىٰ بمصر ثلاثين سنة، ثم قتل القبطي وهرب، وأقام بمدين عشر سنين، وبعثه الله تعالىٰ نبيًا وهو ابن أربعين سنة، ثم دعا فرعون وقومه ثلاثين سنة، ثم قطع البحر فعاش بعد ذلك خمسين سنة، ثم مات وهو ابن مائة وعشرين سنة[٣].

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ يعني: علىٰ أهل مكة خبر إبراهيم لأنهم من نسله، وهم يتقلدون بالآباء في عبادة الأصنام.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر ﴿وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ أي شيء تعبدون؟

﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ نقيم عليها عابدين.

---

(١) انظر بعض الروايات في ذلك في تفسير الطبري ١٩/ ٣٥٥، الكشف والبيان ٢٠/ ٥٧

(٢) الكشف والبيان ٢٠/ ٥٨، البسيط ١٧/ ٦١، تفسير السمعاني ٤/ ٥٢، وهو مروي عن مقاتل كما في تفسيره ٢/ ٤٥٣، وعنده: مريم بنت ناموثية، وعنده: حزقيل بدل خربيل.
وفي الكشف والبيان ٢٠/ ٥٨: حزبيل، ومريم بنت ناموسا.
وفي الأصل: ومنهم بيت ماموس، وهو تصحيف.

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٤٥٣.

﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ۝٧٢﴾ يعني: هل يجيبونكم إذ تدعونهم ﴿أَوۡ﴾ هل ﴿يَنفَعُونَكُمۡ﴾ في العبادة ﴿أَوۡ﴾ هل ﴿يَضُرُّونَ ۝٧٣﴾ في ترك العبادة.

﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ۝٧٤﴾ كما نفعل ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم﴾ معناه: اعلموا أنَّ ﴿مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ۝٧٦﴾ الأسبقون ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾ أي: جميع ما عبدتم عدو لي إلا رب العالمين.

ويحتمل أنهم كانوا يعبدون الله مع الأصنام، حتىٰ استثنىٰ الله تعالىٰ، وإنما ذكر الأصنام علىٰ الذكور لأنهم أقاموها مقام المعبود(١).

وقوله: عدو لي؛ يعني: وأنا عدو لهم أيضًا؛ لأن العداوة لا تكون إلا من اثنين.

ثم عدَّ إبراهيم نِعَم ربه فقال: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨﴾ يرشدني الذي خلقني في بطن أمي من ماء مهين، طُرحت الياء في يهدين لرأس الآية.

﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠﴾ وأصنامكم لا تفعل من ذلك شيئًا ﴿وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١﴾ للبعث(٢).

﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي﴾ أي: ذنبي ﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢﴾ أي: يوم الجزاء.

قال ابن عباس: الخطيئة التي طمع في مغفرتها قوله لسارة: هذه أختي، وقال لها إذا سألك فرعون حرَّان: من هذا الرجل معك؟ فقولي: هذا أخي، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ ۝٨٩﴾ وقوله: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ﴾(٣).

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٩٣.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٣٦٣.

(٣) وعلىٰ هذا أهل التأويل، انظر: تفسير الطبري ١٩/ ٣٦٣، الكشف والبيان ٢٠/ ٧٢.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٣﴾ أي: بآبائي المرسلين ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ۝٨٤﴾ فيمن بعدي، أي: ثناءً حسنًا، فليس أهل دين إلا يتولونه ويقرون بنبوته.

ثم قال ﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨٥﴾ ممَّن يرث الجنة في الآخرة ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ﴾ أي: تجاوز عنه وتب عليه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٨٦﴾ الجاهلين.

قيل: كان هذا الدعاء من إبراهيم في حياة أبيه، فلما أخبره جبريل أنه مات علىٰ الشرك تبرأ منه، وكان قد وعده بالاستغفار حيث قال: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾[1].

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧﴾ أي: لا تعذبني يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨﴾ من العذاب ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ خالص من الشرك.

قيل: سلامة القلوب من أربع، أولها من الشرك، والثاني من الأهواء المضلة، والثالث من الرياء والعجب، والرابع من ذكر كل شيء سوىٰ الله.

وقال أبو بكر الوراق: سلامة القلب الرضىٰ بمجاري المقدور من المحبوب والمكروه[2].

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٩٠﴾ أي: أُظهرت وقُرِّبت، وتأويله -والله أعلم-: قرب دخولهم الجنة ونظرهم إليها[3].

وأمَّا المتقون في الآية فهم الموحدون، يتقون الشرك.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۝٩١﴾ الضالين المضلين.

---

(١) انظر تفسير سورة التوبة، آية: ١١٤.

(٢) انظر بعض أقوالهم في تفسير الطبري ١٩/ ٣٦٥، الكشف والبيان ٢٠/ ٧٨.

(٣) لخصه من معاني القرآن للزجاج ٤/ ٩٤، في الأصل: إياها وهو تصحيف، والتصحيح من المصدر.

قال ابن عباس: يجاء بها من تحت الأرضين السابعة السفلىٰ، لها سبعون ألف زمام، يتعلق بكل زمام سبعون ألف ملك، حتىٰ إذا كانت من الخلائق مسيرة عام زفرت زفرة لا يبقىٰ مَلَك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثىٰ لركبتيه، يقول: رب، نفسي نفسي، غير محمد صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «أمتي أمتي»، حتىٰ توضع علىٰ يسار العرش، مفتحة أبوابها وأطباقها، مستعدة زبانيتها بمقامعها وسلاسلها(١).

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ من عذاب الله ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ يمتنعون من العذاب ﴿فَكُبْكِبُوا۟﴾ قال الأخفش: كبُّوا وقُلِبُوا علىٰ وجوههم، وأصل: كبكبوا كُبِّبُوا بالتشديد، فالكاف واحدة، والباء ثلاثة، فقلبت إحدىٰ الباءات كافًا، كما يقال: صرصر الريح، ولجلج، ووسوس(٢).

﴿هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾﴾ يعني: الشياطين، فليس أحد يدخل النار إلا وشيطانه معه في سلسلة ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [رؤساؤهم](٣) مع الشياطين ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾ أي: قد كنا في الدنيا في خطأ بيِّن وجهل وحيرة ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم﴾ معشر الشياطين ﴿ بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ يعني الشياطين، عن الضحاك(٤).

وقيل: رؤساء وهم الذين اقتدوا بهم في الضلالة.

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ يشفعون لنا ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ بيننا وبينه قرابة

---

(١) ثبت في صحيح مسلم (٢٨٤٢) عن عبد الله مرفوعا: يؤتىٰ بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها .

(٢) الكشف والبيان ٢٠/ ٧٩، البسيط ١٧/ ٧٨.

(٣) في الأصل غير محررة، ويدل عليها ما سيذكره لاحقا، وقد استأنست بتفسير الكلبي.

(٤) وهو قول مقاتل (الكشف والبيان ٢٠/ ٨٠).

يهتم بأمرنا ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلىٰ الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ بتوحيد رب العالمين.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في هلاك قوم إبراهيم ﴿لَآيَةً﴾ وقيل: فيما ذكر الله من حال الكفار وتمني رجوعهم عبرة لمن سمع.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ في الدنيا ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ يعني نوحًا وحده ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ أي: أخوهم في النسب لا في الدين ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ أي: توحدون ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ علىٰ وحي الله تعالىٰ ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ فيما أمركم بمعنىٰ أطيعوه ﴿وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ فيما دعوتكم.

﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ علىٰ ما جئتكم من الرسالة ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: جُعل كما يَطلب رسل المَلِك ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ أي: ما أجري وثوابي فيما دعوتكم وبلَّغتكم من الرسالة ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾ فيما أدعوكم إليه.

﴿قَالُوٓا﴾ له ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ﴾ نصدقك فيما تقول ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ وهم السفلة منَّا ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾﴾ أي: كنت لم أعلم أن الله تعالىٰ يهديهم للإيمان من بينكم ويخذلكم ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾ أي: ما حسابهم وجزاؤهم ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ أنَّ الله عالِم الغيب، وأنا لا أعلم، فسألوه أن يطرد الضعفاء من بين يديه فقال ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ أنذركم بالحجة الظاهرة.

﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ﴾ عن مقالتك بأنك رسول إلينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ بالحجارة ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ أي: احكم بيننا بالفصل الذي فيه نجاتنا، وهلاك عدونا ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ من الغرق ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾﴾ المملوء

الموقر من الناس وسائر الحيوان ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ أي: بعد ركوب نوح ﴿ٱلْبَاقِينَ ١٢٠﴾ من قومه.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في هلاك قوم نوح ونجاة نوح ﴿لَآيَةً﴾ لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٢١ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٢﴾.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٢٣ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ في النسب ﴿هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٢٥ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٢٦ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٢٧﴾ وقد ذكر تفسيره إلىٰ قوله: رب العالمين.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ١٢٨﴾ قيل: كانت علامات وأعلام يرفعونها علىٰ الطرق ليضل بها[1] السابلة لاشتباه الأعلام عليهم[2].

وقيل: كانوا يهيئون مواضع علىٰ أفواه الأزقة والأسواق يقعدون فيها ويسخرون ويستهزؤون [من] الناس.

والريع: ما ارتفع من الأرض، وقيل: هو فج أي طريق واسع[3].

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ حصونًا ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ١٢٩﴾ في الدنيا، يعني لعلكم تُخَلَّدُون، وقيل: المصنعة الحوض، وجمعه المصانع، أي: تشيدونها ولا تتفكرون في الموت[4].

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ١٣٠﴾ يعني: أخذتم أخذ الجبارين بالقهر

---

(١) في الأصل: به.

(٢) نحوه في البسيط ١٧/ ٩٤. وفي الأصل أهمل كلمة: السابلة، وفي البسيط: السائلة وهو تصحيف.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٣٧٣، الكشف والبيان ٢٠/ ٩٣.

(٤) تفسير الطبري ١٩/ ٣٧٥، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٦٢، الكشف والبيان ٢٠/ ٩٤.

والغضب، والجبار: العالي علىٰ غيره، لعظيم سلطانه، وهو مدح في صفة الله تعالىٰ، وذمٌّ في صفة العباد.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٣١ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم﴾ أعطاكم من الخير ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ ۝١٣٢﴾ ثم بيَّن ذلك فقال ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ۝١٣٣﴾ أي: زادكم من الأنعام والأولاد ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٣٤﴾ أنهار جارية لم تكن لقوم نوح ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣٥﴾ وهو القيامة ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ۝١٣٦﴾ نهيتنا أو لم تنه ﴿إِنْ هَٰذَا﴾ الذي تأمرنا به ﴿إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ۝١٣٧﴾ أي: عادة أمم الماضين لأنهم كانوا يحيون ثم يموتون.

وقرئ: «خَلْق الأولين»، أي: اختلاقهم الكذب[1].

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝١٣٨ فَكَذَّبُوهُ﴾ بالرسالة والعذاب ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بالريح العقيم، فكذلك قومك نهلكهم بتكذيبهم إياك ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝١٤٠﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ۝١٤١﴾ أي: قوم صالح صالحًا ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ في النسب ﴿صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٤٢ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٤٣ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٤٤ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٤٥ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا﴾ أي في شِرْككم ﴿آمِنِينَ ۝١٤٦﴾ ولا تعذبون كما عُذِّب الأمم من قبلكم ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٤٧ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۝١٤٨﴾ ثمرها لين لطيف، ما دام في كُفرَّاه، فإذا خرج من الكُفُرَّىٰ فليس بهضيم[2].

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ﴾ أي فيها ﴿بُيُوتًا﴾ صفوفًا ومخادع

---

(١) وهي قراءة أبي جعفر وابن كثير (النشر ٢/ ٣٣٥).

(٢) الكشف والبيان ٢٠/ ٩٩، والكفرىٰ سبق تعريفه، وهو وعاء الطلع.

﴿فَرِهِينَ ۝١٤٩﴾[1] أي: مرحين أشرين بطرين، وقرئ: «فارهين»؛ أي: حاذقين أنتم في فعله[2].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٥٠ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ۝١٥١﴾ المشركين، وهم التسعة الذين ذكرهم الله: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾.

﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۝١٥٢﴾ أجابه قومه: و﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۝١٥٣﴾ قيل: المخلوقين، وقيل: ممن سُحِر مرة بعد مرة[3].

﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ خلقك كخلقنا، فإنْ أوتيت الرسالة من بيننا ﴿فَأْتِ بِآيَةٍ﴾ لنبوتك ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝١٥٤﴾ وقد خرجوا إلىٰ عيدهم فقال لهم صالح: ما تشاؤون من الآية؟ قالوا -علىٰ وجه الاستهزاء-: تسأل ربك أن يخرج لنا من هذه الصخرة الصمَّاء الملساء ناقة عشراء وبراء، فصلَّىٰ صالح ركعتين ودعا ربه ذلك، فإذا الصخرة تفلقت عن الناقة، تمخض عن ولدها، وهم ينظرون[4].

﴿قَالَ﴾ صالح ﴿هَذِهِ نَاقَةٌ﴾ الله أخرجها لكم من الصخرة كما سألتم ﴿لَهَا شِرْبٌ﴾ أي: قِسم من الماء ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ۝١٥٥﴾ يومًا لها ويومًا لكم، تسقيكم من اللبن في يومها حتىٰ يروىٰ الصغير والكبير ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ بعقْر وقتل ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥٦﴾ في هذه الدنيا ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ۝١٥٧﴾ علىٰ عقرها، قيل: ندموا حين نزل العذاب، وقد مرت قصتها في سورة هود.

---

(١) في الأصل: فرهين، وعليها التفسير، وهي قراءة من سوىٰ الكوفيين وابن عامر (النشر ٢/ ٣٣٦).

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٣٨٢، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٩٦، الكشف والبيان ٢٠/ ١٠٢.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٣٨٤، وصحح القول الأول.

(٤) تفسير الطبري ١٩/ ٣٨٦، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٦٤.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ صيحة جبريل فماتوا أجمعين ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً﴾ أي في قصة قوم نوح وهود وصالح لآية لأهل مكة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾.

ثم قال ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ يعني عملهم الخبيث ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ كناية عن فروجهنَّ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ من الحلال إلىٰ الحرام.

﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ عن قولك هذا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ من سدوم ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ أي: المبغضين ﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ ابنتيه ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ وهي امرأته وكانت منافقة ﴿فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾ بقيت في القرية للهلاك ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ بعد خروج لوط من بينهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم﴾ علىٰ شذَّاذهم ممن كان خارج القرية ﴿مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ يعني: قوم لوط الذين أنذروا بالعذاب فلم يؤمنوا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ الأيكة: الغيضة، وهو الشجر الملتف، يقال: كان شجرهم الدوم، وهو شجر المقل(١).

كذبوا شعيبًا وحده، وهو شعيب بن نُويب بن مدين بن إبراهيم.

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٦٥. والمقل هو الكندر الذي يتبخر به اليهود، وهو صمغ شجرة شائكة، والدوم: المقل المكي (تاج العروس ٣٠/ ٤١٤).

﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ﴾ ولم يكن شعيب من نسلهم فلذلك لم يقل أخوهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ١٧٧ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٧٨ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٧٩ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٠ * أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ﴾ الوزن ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ١٨١﴾ منهما، وكانوا تجارًا ﴿وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ١٨٢﴾ يعني العدل، وقيل: القبان ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ حقوقهم ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: لا تسعوا فيها ﴿مُفۡسِدِينَ ١٨٣ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٨٤﴾ يعني: خلق الأمم الماضين.

قال ابن عباس: الجبلة الواحدة عشرة آلاف[1].

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٨٥ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ لا تفضلنا بشيء فكيف نتبعك ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ١٨٦﴾ أي: ما نظنك إلا من الكاذبين ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بسكون السين، أي: جانبًا، وبفتح السين: قطعًا[2]، لنهلك وتنجوا منها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٨٧ قَالَ﴾ شعيب ﴿رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨٨﴾ من خير أو شر ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بالرسالة وبما أوعدهم ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾ ألقىٰ في غيظتهم شدة الحر، فكانوا يلهثون من الحر لهث الكلاب، فعذَّبهم الله بالحر سبعة أيام، فبينما هم كذلك إذ نشأت سحابة سوداء فيها ريح باردة، فخرجوا إليها ليستظلوا تحتها، فأصابتهم منها نار فاحترقوا[3].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٩١﴾.

---

(١) انظر: البسيط ١٧/ ١١٩.

(٢) انظر: سورة الإسراء، آية: ٩٢.

(٣) مثله في الكشف والبيان ١٧/ ١١٩.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني القرآن ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٩٢﴾ أي مُنْزَل من الله، وهو سيد الخلائق أجمعين ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يعني: حتىٰ حفظته بقلبك ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ١٩٤﴾ لقومك كما أنذر الرسل قبلك ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ١٩٦﴾ قيل: نعتك ونعت أمتك في كتب الأولين، ويحتمل: أنَّ القرآن كان مكتوبًا في كتب الأولين(١).

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾ أي: لم يكن لأهل مكة آية لنبوة محمد ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٩٧﴾ وذلك أنَّ أهل مكة بعثوا إلىٰ أهل الكتاب يستخبرونهم عن محمد وما يدَّعي من الرسالة، فأخبروهم أن ذكره في كتابنا، وأنه مبعوث من أرضكم، وهو نبي فهذا دليل كافٍ علىٰ رسالته(٢).

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ١٩٨﴾ أي: علىٰ رجل ليس بعربي اللسان ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ أي: علىٰ كفار مكة لقالوا: لا نفقه كلامك، و﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ١٩٩ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾ يعني الكفر ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ٢٠٠﴾ يعني: أدخلنا التكذيب في قلوبهم كما أدخلنا التصديق في قلوب المؤمنين ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ٢٠١﴾ يوم بدر، وقيل: عند الموت.

﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٢٠٢﴾ بنزولها ﴿فَيَقُولُوا۟﴾ عند نزول العذاب ﴿هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ٢٠٣﴾ مؤجلون حتىٰ نتوب.

قال الضحاك: يقولون حين عاينوا ملك الموت(٣).

---

(١) وعن أكثر المفسرين أن المقصود: ذكر القرآن، كذا قال الثعلبي في الكشف والبيان ٢٠/ ١١٥.

(٢) وهذه رواية الكلبي عن ابن عباس (الكشف والبيان ٢٠/ ١١٦، البسيط ١٧/ ١٢٥)، وروىٰ ابن جرير نحوه مختصرا عن مجاهد وابن جريج، تفسير الطبري ١٩/ ٣٩٨.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٦٨.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ وهو قولهم متىٰ العذاب ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ يا محمد ﴿إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم﴾ من العذاب ﴿مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ في الدنيا ﴿مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾﴾ يخوفونهم بعذابنا ﴿ذِكْرَىٰ﴾ أي: يذكرونهم ذكرىٰ ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾ بإهلاكهم.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ لأنهم كانوا يقولون: تأتيه الشياطين بالقرآن، وهم يسمعون من الملائكة، فقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾.

﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ﴾ ما هم بأهل لذلك ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾ ذلك، لأنهم ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ أي استماع خبر السماء ﴿لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ أي: ممنوعون، لأنَّ السماء حُرِسَتْ بالشهب التي ترمىٰ إليهم ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ فإنه لا شريك له ﴿فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ يجوز أنْ يكون الخطاب للرسول والمراد غيره.

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ أي: خوِّفهم بالقرآن، وابتدأ بهم الأقرب فالأقرب، فبدأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بفاطمة، وقال: «يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أُغْنِي عنكِ من الله شيئًا غير أن رحمًا سأبلها ببلالها»(١).

---

(١)عن أبي هريرة، قال: لما أنزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، دعا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قريشا، فاجتمعوا فعم وخص، فقال: «يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئا، غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها» رواه البخاري ٢٧٥٣، ومسلم ٢٠٤، واللفظ له.

ثم قال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ أي: لين جانبك وتواضع لهم ﴿فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢١٦﴾ من الكفر والشرك ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧﴾ أي: فوِّض أمرك إلىٰ الله فإنه منيع في انتقامه ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨﴾ وحدك إلىٰ الصلاة، وقيل: تقوم من منامك[١].

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩﴾ يعني: تبين صلاتك وركوعك وسجودك مع المصلين في الجماعة، وهذا دليل تفضيل الجماعة[٢].

وقال ابن عمر ومعاذ: الذي يراك حين تقوم بالليل، وتقلبك في أصلاب الآباء من الأنبياء والمرسلين، مثل آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل عليهم السلام[٣].

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لمقالة قريش: تنزلت به الشياطين ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾ بعقابهم.

وقيل: سميع لدعاء عباده، عليم بوجوه مصالحهم.

قل لكفار مكة ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١﴾ ثم بيَّن ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٢٢٢﴾ أي: فاجر كذَّاب، منهم مسيلمة وكعب بن الأشرف، وقيل: هم الشعراء والكُهَّان، ليس من كاهن إلا ومعه شيطان، وليس من شاعر يقول خنًا إلا ومعه شيطان يلقنه[٤].

ثم قال ﴿يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ يعني الشياطين يسترقون كلام الملائكة ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ٢٢٣﴾ حين يخبرون الكهنة أنَّه يكون في الأرض كذا وكذا.

---

(١) أي إلىٰ الصلاة، وكان مجاهد يقول: أينما كنت (تفسير الطبري ١٩/ ٤١١).

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٤١٢، الكشف والبيان ٢٠/ ١٣٢.

(٣) لم أجده عنهما، لكن رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٠/ ١٣٦ من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٤) تفسير الطبري ١٩/ ٤١٤، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٧١ .

ثم وصف شعراء الجاهلية فقال: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ يعني الشياطين يلقنونهم ذلك، وقيل: الغاوون الرواة من الشعراء[١].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾ أي: في كل من أودية الكلام يتكلمون، وفي كل من الحق والباطل يهجون ويمدحون.

والهائم: المخالف للقصد، عن الأخفش[٢].

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ ما لا يمكنهم فعله، لأنَّ الشاعر لا يأتي علىٰ ما يتصلف[٣].

ثم استثنىٰ شعراء المسلمين: حسان بن ثابت، وابن رواحة، وكعب بن مالك، ممن يمدحون الله ورسوله في شعرهم فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ في أشعارهم بالثناء علىٰ الله، والمدح لرسوله، وأما هجاء شعراء المشركين رسول الله فقال هؤلاء الثلاثة: ائذن[٤] لنا يا رسول الله فلننتصر لك، فقال: إنَّ الله لم يأمرني بذلك، فنزلت[٥].

﴿وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ أي: انتصفوا من المشركين وهجوهم من بعدما صاروا مظلومين، من جهة الكفار، فقال لهم رسول الله صلىٰ الله عليه

(١) أي رواة الشعر الذي فيه مذمة، وهو قول بن عباس، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٤١٥، البسيط ١٤٧/١٧.

(٢) وأبي عبيدة، انظر: مجاز القرآن ٢/ ٩١، الكشف والبيان ٢٠/ ١٤٥.

(٣) كذا، والمعنىٰ: أن الشعراء يقولون قد فعلنا كذا وكذا، وقلنا كذا، فيمدحون بذلك أنفسهم وهم كذبة (تفسير أبي الليث ٢/ ٥٧١).

(٤) صورتها في الأصل: انذر.

(٥) لم أجده هكذا، وفي تفسير مقاتل ٢/ ٤٦٧ وتفسير الطبري ١٩/ ٤١٨، والكشف والبيان ٢٠/ ١٤٧ نحوه.

وسلم: «انتصروا ولا تقولوا خنا، ولا تذكروا الآباء والأمهات»[١].

ثم أوعد شعراء المشركين فقال ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أي: أشركوا وآذوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ أي: مكان يرجعون في الآخرة.

وقال ابن عطاء: سيعلم المعرض عنا ما الذي فاته منَّا[٢].

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدَّق بنوح وكذَّب به، وبهود وشعيب وصالح ولوط وإسحاق ويعقوب وموسىٰ وعيسىٰ عليهم السلام، وبعدد من صدَّق بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم وكذَّب»[٣]. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

❁ ❁ ❁

---

(١) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ١٥٣ مرسلا عن أبي حسن البراد (ووقع في التفسير: المبرد، وهو تصحيف) وحديث أبي حسن البراد رواه الطبري في تفسيره ١٩/ ٤١٩، وابن أبي حاتم في تفسيره ٩/ ٢٨٣٦، ولكن لم يخرجا هذه اللفظ فيه.

(٢) قال الزمخشري: ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول، ولا أنكىٰ لقلوب المتأملين، ولا أصدع لأكباد المتدبرين، وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ، وقوله الذين ظلموا وإطلاقه، وقوله أي منقلب ينقلبون وإبهامه، وقد تلاها أبو بكر لعمر رضىٰ الله عنهما حين عهد إليه، وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها (الكشاف ٣/ ٣٤٥).

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٠/ ١٢، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٩٣.

سورة النمل

مكية[1]، وهي تسعون[2] وخمس آيات في المدني، وأربع في البصري، وثلاث في الكوفي[3].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١﴾ طس: اسم مِن أسماء الله تعالىٰ أقسم به، ثم ابتدأ فقال: تلك آيات القرآن، أي: هذه السورة تلك الآيات التي وُعدتم بها والكتاب المبين.

﴿هُدٗى وَبُشۡرَىٰ﴾ نُصب علىٰ الحال[4]، أي: هذه الآيات هادية ومبشرة بالجنة لمن أجاب محمدًا ﴿لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٣﴾ يصدقون أنها كائنة البشارة لمن هذه صفته[5].

ثم نفر[6] الكفار فقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ بشركهم ﴿فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٤﴾ يترددون في ضلالتهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ۝٥﴾ المغبونون بما فاتهم من الجنة، ويستوجبون من الدركات في النار.

---

(١) الكشف والبيان ٢٠/ ١٥٧، الدر المنثور ٦/ ٣٤٠.

(٢) في الأصل: سبعون، وهو تصحيف شائع.

(٣) والشامي كالبصري، والمكي كالمدني (البيان في عد آي القرآن ١٩٩).

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٣٥.

(٥) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٧٢.

(٦) كذا في الأصل، لكن مهملة، ولعل الصواب: نعت.

ثم خاطب رسوله فقال ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: تلقن القرآن ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾ في أمره ﴿عَلِيمٍ ۝٦﴾ بخلقه، وبما كان قبل كونه.

ثم ابتدأ بخبر موسىٰ فقال ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ امرأته حين رأىٰ النار عند رجوعه من عند أختانه ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ رأيتها من بعيد فامكثوا أنتم ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ من عند النار يعني بخبر الطريق ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ بشعلة نار في رأس حطب ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧﴾ بها وتدَّفِئون من شدة البرد.

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ يعني: النار، خرج الكلام علىٰ لفظ النار وإن لم تكن نارًا لما قد سبق لفظها ﴿نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ يعني: مَن عند النار، وهو موسىٰ، ومن حولها: يعني الملائكة[1].

وقيل: «من في النار» أي: من في طلب النار، وهو موسىٰ.

وقيل: «من» بمعنىٰ «ما»، و«ما» صلة في الكلام، معناه: بورك في النار وما حولها من الأمكنة، لأنه قال في آية أخرىٰ ﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾[2].

قال قتادة رحمه الله: أمَّا النار فيزعمون أنه نور رب العالمين[3].

وقال ابن عباس: تبارك من في النور[4]، وأنار الله به موسىٰ لأنه حيث انتهىٰ

---

(١) حكاه أبو الليث في تفسيره ٢/ ٥٧٣، وهو غريب، لأن في لا تفسر بعند.

(٢) اختلف أهل التأويل في المعني بقوله: من في النار، قيل: عنىٰ جل جلاله نفسه بذلك، وهو قول ابن عباس في رواية العوفي، وقول سعيد بن جبير.

وقيل: بوركت النار، وهو قول مجاهد، ونسبه لابن عباس، واختلفوا في النار، فقيل كانت نورا لا نارا، وقيل بل كانت نارا، روىٰ هذه الأقوال ابن جرير في التفسير ١٩/ ٤٢٩.

(٣) رواه الطبري في التفسير ١٩/ ٤٢٨.

(٤) أي أنه نوره سبحانه، ولا يسأل كيف كان ذلك، لأن هذا لا تدرك كيفيته، فهو كتجليه للجبل، وكباقي صفاته التي نؤمن بها، نعرف معانيها ولا ندرك كيفيتها.

إلىٰ الشجرة صار في النور.

﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨﴾ تنزيه نفسه، دليل علىٰ أن ما قاله بعض أهل التأويل من التشبيه باطل.

ثم قال ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩﴾ يعني: الذي يناديك أنا الله المنتقم ممن عصاني، الحكيم: حكمت أن لا شريك لي.

﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ﴾ التي في يدك فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا﴾ علىٰ الأرض ﴿تَهۡتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا﴾ هاربًا من الفَرَق، لأنه رآها بقوائمها لها عُرف كعُرف الفرس، تأخذ الحجارة فتقضمها، وسمع موسىٰ صرير أضراسها، ولَّىٰ مدبرًا ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾ ولم يرجع، ولم يلتفت[1].

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٠﴾ دوني[2]، لأنه مقام تكريم لا مقام إهانة وتعذيب.

ثم استثنىٰ وقال: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ تم الكلام، ثم ابتدأ[3] ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ﴾.

وقيل: إلاَّ من ظلم: أراد به موسىٰ لما فرط منه بقتل القبطي، ثم بدَّل حُسنًا بعد سوء: وهو التوبة بعد الذنب[4].

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٤٣١.

(٢) كذا في الأصل، ويحتمل أن يكون الصواب: لدي، كما في تفسير الكلبي ٣١٦، والبسيط ١٧/ ١٧٣ . ولو قال: عندي، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٤٣١، لكان حسنا.

(٣) وهذا بعيد، لأن الاستثناء إما أن يكون متصلا فيقبح الوقف، فضلا عن أن يكون تاما، وإما منقطعا، فيقبح الوقف بين المعطوفين.

والمذكور في كتب الوقف: أن التمام علىٰ راس الآية: المرسلون (المكتفىٰ ١٥٢).

(٤) تفسير الطبري ١٩/ ٤٣١، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٧٤.

﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١﴾ لا أعاقبه.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ في مدرعتك، فأدخلها مما يلي صدره ثم أخرجها، فإذا لها شعاع كشعاع الشمس ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي: برص ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ أي: هاتان الآيتان في تسع آيات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ أي: مرسل إلىٰ فرعون وقومه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝١٢﴾ خارجين عن الطاعة.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ جاءهم موسىٰ بآياتنا التسع مبصرة ظاهرة ينظرون إليها بأعينهم: العصا مرة، واليد مرة، والطوفان مرة ﴿قَالُوا۟﴾ عند ذلك ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٣﴾ خداع بيِّن.

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا﴾ كفروا بالآيات، وقيل: جحدوا بألسنتهم ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ أيقنوا بعلومهم أنها من الله وليست بسحر ﴿ظُلْمًا﴾ لأنفسهم ﴿وَعُلُوًّا﴾ عتوًا وتكبرًا ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝١٤﴾ فرعون وقومه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ بالقضاء، وقيل: فهمًا ونبوّة ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾ بالنبوة والكتاب وتسخير ونطق الطير ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٥﴾ المقرين بوحدانيته.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ يعني: علمه ومُلكه والنبوة ومجلس القضاء ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ من تسخير الجن والإنس والريح وغيرها ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾ لنا من الله تعالىٰ.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾ أي: جمع.

وذلك في مسيره من بيت المقدس إلىٰ اصطخر فارس، وكان جنوده يومئذ أربعمائة ألف؛ عن يمينه مائتي ألف كرسي للإنس، وعن يساره مائتي ألف كرسي للجن، فكان الإنس والجن علىٰ الكراسي، والأحبار علىٰ المنابر؛ عن يمين الكرسي خمسة وثلاثين منبر لأحبار الإنس، وعن يساره مثله للجن،

والشياطين تخدُّ له الأرض خدًّا، والريح تحمله، والطير تظله، والأحبار على المنابر يتكلمون، والجن والإنس على الكراسي يستمعون العلم، وسليمان جالس فوق عرشه[١].

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ أي: يساقون، وقيل: يُحبس أولهم على آخرهم كي لا يفوت بعضهم بعضًا[٢].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ قيل: هو واد بالشام[٣]، وكان سليمان قال للريح: لا يتكلمن أحد في بر أو بحر من طير أو إنسان أو حيوان إلاَّ هبَّبْتِ بكلامه وألقيتها في سمعي.

﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ﴾ وكانت قائمة في صخرة ملساء ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ أي: لا يكسرنكم بأقدام دوابهم ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ بهلاككم.

أجرى النملة مجرى الآدميين في الكلام لأنه نطق كما ينطق الآدمي، وإلا فالواجب أن يقال: ادخلنُ مساكنكن لا يحطمنكن سليمان.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾ للطافته في القول، وحُسن الرعاية في الأهل، ووصف سليمان وجنوده بالعدل: إنهم لو شعروا لا يحطمونهم.

ثم إنَّ سليمان حمد الله على ما أنعم عليه بتعليم نطق البهائم ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ أمهِلني، وفي اللغة: كفني إلا عَنْ شكر نعمتك ووفقني عليه[٤].

---

(١) هاهنا روايات إسرائيلية طويلة في تفسير الثعلبي الكشف والبيان ٢٠/ ١٩٦فيها نحو الذي ذكره المصنف.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٤٣٨ .

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٧٦.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١١٢.

﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ داود وبتشايع[١] من قبل.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ ألهمني أنْ أعمل ما ترضىٰ ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ﴾ بنعمتك ومنّتك عليّ: النبوة ﴿فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩﴾ مع آبائي المرسلين الجنة.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ في مسيره ذلك، وهو الهدهد، والتفقُّد: طلب الشيء في حال غيبته، وإنما تفقده لأنَّه كان عرَّافًا بالماء، وكان يرىٰ الماء في الأرض كما يرىٰ الماء في الزجاجة، فلما[٢] غاب الهدهد عن مركزه ووقعت[٣] الشمس في مكانه علىٰ سليمان[٤] ﴿فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ من بين الطيور ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠﴾ وحرف «أم» إذا لم يسبقه استفهام كانت[٥] الميم صلة، كقوله ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ معناه: أيقولون، يعني: أكان من الغائبين[٦].

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وإنما قال ذلك لأنَّ العُقاب كان ملك الطيور، فقال: ما أرسلتُه إلىٰ أمر من أمورك، فغضب سليمان.

قال ابن عباس: عذابه نتفه وتشميسه[٧].

---

(١) كذا في الأصل، والمشهور أنها: ايشا، وفي بعض المصادر: آيسا (تفسير السمعاني ٤/ ٨٧). وقيل إن أمه هي امرأة أوريا التي امتحن بها داود، كما في الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ١٧٦، وكل هذا من الإسرائيليات، وقيل: إن المراد بالوالدين إبراهيم وأبنائه الأنبياء (معالم التنزيل ٦/ ١٥٢).

(٢) في الأصل: فإذا، وهذا كثير عنده، يكتب فإذا في موضع فلما.

(٣) في الأصل: ووقع.

(٤) البسيط ١٧/ ١٩٦.

(٥) في الأصل: كان.

(٦) وهو قول مقاتل والكسائي (البسيط ١٧/ ١٩٧).

(٧) الكشف والبيان ٢٠/ ٢٠٩.

﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ لأقتلنه ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ بعذرٍ بيِّن لغيبته.

قال الضحاك: إنَّ هدهد سليمان لقي هدهدًا آخر من ناحية سبأ، فقال هدهد سليمان: إنَّ في أرضنا ملكة يقال لها بلقيس، لها ثلاثمائة وستون جاثليق، كل جاثليق أمير علىٰ عشرة آلاف، ووصف سرير ملكها وما فيه من الدر والياقوت والذهب والفضة، قال هدهد سليمان: إن لنا ملكًا تحمله الريح بين السماء والأرض، وتعمل له الشياطين ووصف حاله وشأنه كما كان، فافتخرا، فحمل ذلك الهدهد هدهد سليمان حتىٰ بُصَر سريرها، ووقف علىٰ أمر عظيم، فأقبل مسرعًا حتىٰ انتهىٰ إلىٰ سليمان، فخرَّ ساجدًا بين يديه يضرب بجناحيه(١)، وهو قوله ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ثم حضر ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي: علمت ما لم تعلم يا نبي الله ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ لا شك فيه.

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ واسمها بلقيس ﴿وَأُوتِيَتْ﴾ أي: أعطيت ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ باليمن للملوك من المال والجنود والسلطان والزينة ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ سرير لا يشبه سريرك، لأنَّ سريرها مائة وعشرون خدعًا، طوله في السماء ستون ذراعًا مكلل بالجوهر وقوائمه اللؤلؤ والياقوت، والمرأة اسمها بلقيس وهي أبوها من الإنس وأمها من الجن(٢).

﴿وَجَدتُّهَا﴾ يا نبي الله ﴿وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ شركهم وسجودهم للشمس ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: ردَّهم وصرفهم الشيطان عن عبادة الله تعالىٰ ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ لا يبصرون الدين.

---

(١) الكشف والبيان ٢٠/ ٢١٥، وزعم في هذه الرواية أن اسم هدد سليمان يعفور، واسم هدد اليمن: عنفير، وهذا من الإسرائيليات.

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٤٧٣، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٧٨، البسيط ١٧/ ٢٠٨، تفسير السمعاني ٤/ ٩٠، معالم التنزيل ٦/ ١٥٦.

﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ﴾ يعني: قال سليمان: يسجدون للشمس ولا يسجدوا لله.

وقرئ: «ألاَ يسجدوا لله»، بالتخفيف، علىٰ الأمر، معناه: ألا يا هؤلاء اسجدوا لله الذي يخرج الخبء(١).

ويحتمل أنَّ هذا قول الهدهد، يعني: قلت لهم: ألا يا هؤلاء اسجدوا لله(٢).

﴿ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ﴾ القطر ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ والنبات ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ﴾ في أنفسهم(٣) ﴿وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ بألسنتهم.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾

﴿قَالَ﴾ سليمان له ﴿سَنَنظُرُ﴾ في أمرك ﴿أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا﴾ إلىٰ مدينتهم ﴿فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي: إلىٰ بلقيس ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ ارجع من عندهم واجلس ناحية تراهم وتسمع حديثهم ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: ماذا يقولون فيما بينهم.

فذهب الهدهد بكتاب سليمان طائرًا فوجدها جالسة علىٰ عرشها، فألقىٰ الكتاب في حجرها، ففزعت وظنت أن الكتاب من السماء، عن الضحاك(٤).

---

(١) قرأ أبو جعفر والكسائي ورويس: ألاَ -مخففة- ووقفوا في الابتداء: ألا يا، وابتدؤوا: اُسجدوا بهمزة مضمومة علىٰ الأمر (النشر ٢/ ٣٣٧).

(٢) توجيه هذه القراءة نقله الفراء عن الكسائي، فقال في معاني القرآن ٢/ ٢٩٠: حدثني بعض المشيخة، وهو الكسائي، عن عيسىٰ الهمداني قال: ما كنتُ أسمع المشيخة يقرؤونها إلا بالتخفيف علىٰ نية الأمر، وهي في قراءة عبد الله: «هلاَّ تسجدون لله» بالتاء فهذه حجة لمن خفف. وفي قراءة أبي: «ألا تسجدون لله الذي يعلم سركم وما تعلنون» وهو وجه الكلام، لأنها سجدة، ومن قرأ: «ألاَّ يسجدوا» فشدد فلا ينبغي لها أن تكون سجدة، لأن المعنىٰ: زين لهم الشيطان ألا يسجدوا والله أعلم بذلك.

(٣) في الأصل: يخفون، يعلنون، بالياء، وهي قراءة

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٤٧٦، الكشف والبيان ٢٠/ ٢٣٧.

فـ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ حسن شريف بأنه من الله، فقال: وقيل كرمه ختمه.

فعُنوان الكتاب: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ﴾ وداخل الكتاب: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾ أي: لا تتكبروا عن طاعتي ﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ مصالحين منقادين.

فلما قرأت علىٰ بطارقتها قالت حينئذ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾ الأشراف من قومي ﴿أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾ أي: شاوروني ﴿مَا كُنتُ﴾ فيما مضىٰ من الزمان ﴿قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ وحكمًا محكمًا ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾ حتىٰ تحضروني وتشاوروني.

﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ﴾ عدد من الرجال والسلاح ﴿وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ في القتال ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ أي: الحكم والتدبير بعدُ إليك ﴿فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ لنا فنتبعك.

فنطقت بعلم وحكم و﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ يعني إذا دخلوا مدينة عنوة خربوها بالغارة والقتل ﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ بالقهر والغلبة ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ هؤلاء بنا إنْ غلبونا.

وقال: الضحاك كذلك يفعلون من قول الله تعالىٰ، كأنَّه قال: صدقت بلقيس كذلك يفعلون[1].

﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ﴾ فمنتظرة ﴿بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ بالجواب من عنده، فإن كان صاحب الدنيا يرضىٰ بالمال، وإن كان صاحب النبوة كما يدَّعي لا ينظر فيه، قالوا عند ذلك: رأيت رأيًا حسنًا.

---

(١) وهو رواية ابن جريج عن ابن عباس (تفسير الطبري ١٩/ ٤٥٥).

وقوله: «بم» حرف الجر مع «ما»، في الاستفهام يحذف منها الألف فرقًا بين الخبر والاستفهام.

قيل: بعثت إلىٰ سليمان من الجواري والغلمان كثيرًا، وقيل من كل صنف ألفًا علىٰ زي واحد ولباس متشابه، وحقة فيها جواهر، وقالت: إنْ ميَّز بين الغلام والجارية وأخبر بما في الحقة وردها علينا كلها فهو نبي، وإن لم يميِّز وقبل فهو ملك يرضىٰ بالمال، وعندنا ما يرضيه[1].

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ﴾ فميَّز سليمان بين الجواري والغلمان بالوضوء، لأن الغلمان كانوا يصبون الماء علىٰ ظاهر سواعدهم، والجواري علىٰ باطن سواعدهن، فميز بينهم بذلك، وأخبر بما في الحقة وردَّها، و﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ﴾ أتعطونني المال وأنا أكثر خلق الله مالاً ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ أي: أعطاني ﴿خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ﴾ مما أعطاكم، يعني: النبوة والمُلك والإسلام خير من هديتكم ﴿بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ﴾ إن رددتما إليكم ﴿تَفۡرَحُونَ ٣٦﴾ وأمَّا أنا فلا [أقبلُ] منكم إلا الإسلام.

ثم قال لوفدهم: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ بالهدية ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ﴾ أي: جموع من الجن والإنس ﴿لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أي: لا طاقة لهم بقتالها ﴿وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ﴾ مذللين مغللة أيديهم إلىٰ أعناقهم ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾ إن لم يؤمنوا.

فلمَّا رجع الهدهد إلىٰ سليمان وأخبره أنَّهم عزموا الخروج إليه مسلمين قال سليمان حينئذ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا﴾ بسرير بلقيس ﴿قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨﴾ وقال مقاتل: إنما عَلِمَ سليمان أنها تسلم بوحي الله إليه[2].

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٤٥٥، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٨١، تفسير السمعاني ٤/ ٩٦، معالم التنزيل ٦/ ١٦١.

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٤٧٧.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ مارد منهم وشديد(١)، الأزهري: العفريت [النافذ في الأمر المبالغ فيه](٢) مع خبث ودهاء.

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ أي: عن مجلسك ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ٣٩﴾ علىٰ ما فيه من الجواهر.

فقال نبي الله: أريد أعجل من ذلك ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهو آصف بن برخيا بن شمعيا كاتب سليمان(٣)، وكان يعلم اسم الله الأعظم ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ قيل: قبل أن يأتيك الذي تراه من بعيد، فارتد طرف نظرك إليك من نظره، وقيل: تمد بصرك حتىٰ تحسر، وقيل: هو أن تبعث رسولاً إلىٰ منتهىٰ بصرك فلا يرجع إليك بصرك حتىٰ يؤتىٰ به(٤).

وقال الزجاج: بقدر ما تفتح عينيك ثم تطرف(٥).

فدعا باسم الله الأعظم، وقد قال له سليمان: أسرعت إن فعلت، فدعا آصف: يا حي يا قيوم، وقيل: يا ذا الجلال والإكرام، فخرج العرش من تحت كرسي سليمان(٦).

﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ سليمان ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ أي: من عطاء ربي هذا السرير، وكانت بلقيس قد أقبلت إلىٰ سليمان، وتركت العرش في اليمن

---

(١) في الأصل: والشديد.

(٢) في الأصل بدل ما بين الحاصرتين: كلمة مصحفة صورتها: القعنىٰ. لكن مهملة، وما أثبته من تهذيب اللغة للأزهري (٢/ ٢١٢).

(٣) الكشف والبيان ٢٠/ ٢٦٨.

(٤) النكت والعيون ٤/ ٢١٤.

(٥) معاني القرآن ٤/ ١٢١.

(٦) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٨٣.

في سبعة أبيات بعضها فوق بعض، أبوابها مقفلة بقفل عظيم، ومفاتيح الأقفال معها.

﴿لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ نعمه، وقال: أأشكر حيث يكون في مملكتي من يدعو فيستجاب له في الحال، أم أجحد هذه النعمة.

﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ ومنفعة شكره له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠﴾ يعني: غني عن شكره، وكريم إن شكره زاده.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ وهو: أن يزاد فيه وينقص، وقيل: أمر بجعل أعلىٰ العرش أسفلاً، وأسفله أعلىٰ[1].

﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۝٤١﴾ ثم قال لها إذا حضرت ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ قيل: كانت الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان، فقالت: إنَّ في عقل بلقيس لممًا، وإن رجلها كرجل الحمار، فأمر سليمان [بتغيير][2] عرشها، وقيل [يغيره] يوسعه، وأمر الماء بأن يجري من تحت الصرح وفيه السمك، فلما جاءت بلقيس قيل: أهكذا عرشك؟ تجربةً لعقلها، فعرفت عرشها وأنكرت، فلم تقل هو هو ولا ليس هو، ولكن ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ ثم رفعت ثوبها عن ساقها، ظنت أنه مسلك لجة، فنظر سليمان إلىٰ أحسن ساق[3].

ثم قال سليمان: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ يعني أُعطينا علم مملكتها من قبل مجيئها، لأنَّه أخبره الهدهد عن قصتها ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۝٤٢﴾ مخلصين لله بالتوحيد، حمد الله علىٰ نعمه.

---

(١) البسيط ١٧/ ٢٤٧.

(٢) في الأصل: كلمة مصحفة، ويشبه أن يكون الصواب ما أثبت.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٤٧٣، الكشف والبيان ٢٠/ ٢٧٦.

وقيل: هذا من كلام بلقيس، يعني: نحن أعطينا العلم بنبوة سليمان، وإنما أُتيَ إليه بعرشي ليكون دليلاً ومعجزةً علىٰ نبوته، وصرنا مسلمين منقادين.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وردها سليمان عن ما كانت تعبد من دون الله، يعني: عبادة الشمس ﴿إِنَّهَا كَانَتْ﴾ قبل صد سليمان ﴿مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ وذلك أنَّ بلقيس كانت أمها من الجن، فقال الآدميون لسليمان: لعل أنَّ لبلقيس حافر كحافر الحمار، نازعة إلىٰ أمها، فغضب الجن بذلك، وقالوا لسليمان: إنا نصنع شيئًا تنظر إلىٰ ساقها ورجلها، فإن لم يكن لها حافر تزوجتها، فقال: نعم، فجعلوا الصرح، والصرح: القصر.

وقيل: إنَّ الجن وصفوها بهذه الصفة خوفًا أن يكون لسليمان منها ولد يستخدمون الجن، فأمر سليمان بالصرح وهو صحن القصر، وأجرىٰ فيه الماء، وجعل فوق الماء حاجبًا من الزجاج، والسمك كانت تلعب في الماء، وكرسي سليمان من قِبَل ذلك النهر، فكلما قصد إلىٰ سليمان ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ يعني القوارير ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ فكان قدماها كقدم الآدميين، ولكن ساقها شعراء، فمقتها بذلك سليمان، فأمر سليمان الجن بأن يحتالوا لذلك شيئًا، فاتخذوا النورة، فأصل الزجاج والنورة من يومئذ[(١)].

فلما رأت بلقيس مُلك سليمان علمت أنَّ مُلكها جنب مُلك سليمان ليس بشيء ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بعبادة الشمس ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: علىٰ يديه ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

فتزوجها سليمان، وولدت له ولدًا يسمىٰ داود بن سليمان[(٢)]، ووقع عند

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٤٧٤.

(٢) أي علىٰ اسم جده.

سليمان عينًا[١]، واتخذت الجن الحمامات لأجلها[٢].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحّدوه ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ يعني قومه ﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ في دين الله، وخصومتهم مذكورة في سورة الأعراف: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ إلى آخر الآيتين.

﴿قَالَ﴾ لهم صالح ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ بالعذاب ﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ العافية ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ مِن شرككم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ ولا تعذبون.

﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ وقد أصابنا قحط وشدائد، وليس ذلك إلاّ بشؤمك وشؤم أصحابك ﴿قَالَ﴾ صالح ﴿طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: ما أصابكم من القحط مكتوب لازم من عند الله وبقضائه يكون ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي: تبتلون بالشر والخير.

﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ أي: في أرض الحجر تسعة نفر ﴿يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ يعملون بالمعاصي من شرب الخمر والزنا وأنواع الفسق، ولا يصلحون أن يعملوا بالطاعة، ولا يقرون بوحدانية الله عز ذكره.

﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ يعني: تحالفوا به، وذلك حين قتلوا الناقة، فأوعدهم

---

(١) كذا، ومعناه: أن الغلام وقع موقعا عظيما عند سليمان، والله أعلم، وفي تفسير مقاتل -وهو من مصادر المصنف- : فولدت له داود بن سليمان ، عليهم السلام ، وأمر لها بقرية من الشام يجئ لها خراجها ، وكانت عذراء فاتخذت الحمامات من أجلها.

(٢) وهذا أحد قولين، فقد قيل إنه نكحها الملك ذو تبع، والله أعلم، تفسير مقاتل ٢/ ٤٧٨، الكشف والبيان ٢٠/ ٢٨١.

صالح بالعذاب إلىٰ ثلاثة أيام، ونزوله في الرابع.

قالوا ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ أي نقتل صالحًا وأهله في الليل، وأهله: مَن كان في دينه ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾ لعصبته ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ أي: ما حضرنا قتل صالح، ولا ندري مَن قتله ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٤٩﴾ فيما نقول.

وقرئ: «لتبيتُنه»، و«لتقولُنَّ» بمعنىٰ[1]، وبالنون علىٰ الحكاية.

و«مَهلَك»: بفتح الميم واللام، موضع الهلاك.

و«مَهلِك»: بفتح الميم وكسر اللام، بمعنىٰ الإهلاك.

و«مُهلَك أهله»: بضم الميم وفتح اللام، إهلاك أهله، إهلاك صالح[2].

﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠﴾ كيف يصير أمرهم، قصدوا قتل صالح وكان صالح يتعبد، فخرجوا إليه ليقتلوه، فجلسوا في غار وكمنوا له في غار، فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ ذلك الجبل فانهار عليهم، فصار الغار قبرًا لهم إلىٰ يوم القيامة، وعظامهم فيه إلىٰ اليوم[3].

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾ بالعذاب، وهو الاستئصال في الغار ﴿وَقَوْمَهُمْ﴾ بعدهم ﴿أَجْمَعِينَ ۝٥١﴾ بصيحة جبريل.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ﴾ أي: مساكن ثمود ﴿خَاوِيَةًۢ﴾ خربة ﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ من شركهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ هلاك قوم صالح ﴿لَأٓيَةً﴾ لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥٢﴾ وهم أهل التوحيد.

---

(١) كذا في الأصل، وأظن الصواب: بالتاء. وهي قراءة حمزة والكسائي (النشر ٢/ ٣٣٨).

(٢) الفتح فيهما قراءة شعبة، والفتح ثم الكسر قراءة صاحبه حفص، والباقون بالضم ثم الفتح، والخلاف هنا كالخلاف في سورة الكهف سواء (النشر ٢/ ٣١١).

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٤٧٩، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٨٧.

﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بصالح ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ الشرك ومخالفة صالح.

﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ﴾ يعني: أرسلنا، وقيل: اذكر لوطًا إذ قال لقومه ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ أنها فاحشة، ثم فسرها فقال ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ عن الله أمره.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ﴾ يعني: لوطًا وأهله من قريتكم: سَدوم ﴿إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ يتنزهون عن صنيعنا.

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ﴾ يعني ابنتيه من العذاب النازل ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ المنافقة ﴿قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ جعلناها من الباقين في العذاب.

﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ الذين أنذروا بالعذاب فلم يؤمنوا.

﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ يا محمد على إهلاك الكفرة من الأمم الخالية ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ اختارهم لدينه وبعثهم لأداء رسالته، ثم قال ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ﴾ يعني عبادة الله خير ﴿أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ من الآلهة أيها الكفار.

﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ يعني: الأصنام خير أم من خلق السماوات والأرض ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ﴾ أي: الماء ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾ ذات نبت حسن ﴿مَّا كَانَ لَكُمۡ﴾ لا طاقة لكم ﴿أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ﴾ من الأرض ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ يفعل فعله، أو يعينه على صنيعه ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ

﴿يَعۡدِلُونَ ۝٦٠﴾ به أصنامهم بعد ما يقرون أنه خالقهم وخالق أصنامهم[1].

ثم زاد في البيان فقال ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا﴾ مبني على الكلام الأول، وقرارا: مستقرًا للخلق على ظهرها، وللأموات في بطنها ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾ بينها ﴿أَنۡهَٰرٗا﴾ من الماء ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ﴾ أي: الجبال الثوابت تمسكها أنْ تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ﴾ الملح والعذب، لا يُفسد أحدهما الآخر ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦١﴾ ما يلزمهم بفعلهم.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ أي: ليس أحد يجيب المضطر غيره ﴿وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ يرفع عنكم الضر ﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي: سكانها بعد قوم تفانوا ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ أي: ما أقل ما تنتفعون بما ترون من عجائب صنعي.

المضطرُّ: بمنزلة رجل وقع في بئر وسُدَّ عليه رأس البئر، فلا يجد ثقبًا يخرج منه، ولا حبلاً يتعلق به، فرفع يده إلى الله، فلم يجد له عند الله حسنة فاستحيا من الله، ثم لما نظر إلى عمله فوجده معيوبًا، وإلى نفسه وجدها عاجزة، وإلى كافة الخلق وجدهم أعجز منه، فانقطع من الكل إلى مَن له الكل، فيدعو الله باضطراره فلا يجيبه إلا هو.

﴿أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ﴾ أي: ينشر السحاب بين يدي المطر ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٦٣﴾ أي: هو أعلى من أن يكون له شريك.

﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ بني آدم من النطفة، أي: عبادة الأصنام خير أم عبادة من يبدأ الخلق ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي: يبعثه بعد الموت في الآخرة ﴿وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

---

(١) أي يميلون عن الحق ويجورون (تفسير الطبري ١٩/ ٤٨٤).

﴿وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ يفعل ذلك كفعل الله ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ أي: حجتكم ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤﴾ في مقالتكم أنَّ لله تعالىٰ شريكًا.

﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ يعني: قيام الساعة ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾ أي: وقت يبعثون.

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ قال أبو سهل: كان أهل مكة أصنافًا ثلاثة، فالصنف الأول: منهم عبدة الأوثان، يقولون: إن الساعة كائنة، وإن الملائكة والآلهة تشفع لهم.

والصنف الثاني: هم الشاكَّة، يقولون مرة إنها كائنة، ومرة يقولون غير كائنة.

والصنف الثالث: منهم الزنادقة، أنكروها رأسًا، وقالوا: من مات فقد قامت قيامته.

فذكرهم الله تعالىٰ في هذه الآية بـ«بل» و«بل» و«بل»، لأنَّ بل لتدارك الغلط والرجوع وإثبات كلام مبتدأ: بل. وهو معنىٰ قول محمد بن السائب الكلبي[1].

وقال الزجاج: ادَّارك علمهم بالتشديد، معناه: تدارك وتكامل يوم القيامة؛ إذ عملوا أنه حق كان[2].

ثم قال: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦﴾ جهلة لا يعرفون ذلك اليوم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يعني: أُبي بن خلف وغيره ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧﴾ أحياء من القبر[3] كما يعدنا محمد.

---

(١) في هذه الآية كلام طويل لأهل العلم، وهذا الذي ذكره أبو سهل تحكم لا دليل عليه، انظر للاستزادة: تفسير الطبري ١٩/ ٤٨٧، البسيط ١٧/ ٢٨٥ فقد أحسن وأجاد.

(٢) معاني القرآن ٤/ ١٢٧.

(٣) في الأصل: حيا من العين، وهو تصحيف.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا﴾ خُوفنا ﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ وعيدك فلم نر من ذلك شيئًا ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ ليس هذا ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦٨ قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٦٩﴾ من الأمم الماضين، كذلك يصيب قومك مثل ما أصاب الأولين.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: علىٰ كفار مكة إن لم يؤمنوا ﴿وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝١٢٧﴾ أي: غمٍّ، والضَّيق: بفتح الضاد ما يدخل علىٰ الإنسان من الغم فيضيق به قلبه[1].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي: الوعد الذي تخوفنا به، وقِّتْ لذلك وقتًا ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٧١ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ أي: دنا منكم دنو الرديف من المردف ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ۝٧٢﴾ من العذاب، يعني: القتل ببدر، عن مقاتل[2]. وسائر العذاب في الآخرة.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ببعث الرسل؛ ليحذروهم وينذروهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝٧٣﴾ الله فيوحدوه.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي: ما يضمرون في قلوبهم من عداوتك ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٤﴾ بألسنتهم التكذيب لك.

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني: ما غاب عن العباد علمه من نزول العذاب وأمر البعث وأسرار العباد ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٧٥﴾ يعني: مثبت في اللوح المحفوظ مع علم الله بها.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: بيَّن ليهود المدينة ﴿أَكْثَرَ

---

(١) البسيط ١٧/ ٢٨٨.

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٤٨٤.

﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦﴾ من الأحكام.

﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى﴾ يعني: بيان ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم﴾ بين اليهود يوم القيامة ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾ الحق ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٧٨﴾ بخلقه.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: ثق بالله ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩﴾ أي: على الدين المستقيم.

ثم ضرب لكفار مكة مثلاً بالأموات فقال ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: لا تفهم الموعظة بقلوبهم ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ أي: الدعوة إلى التوحيد(١) ﴿إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ۝٨٠﴾ مكذّبين، وهو كقول الأصم.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ إلى الإيمان، أي: لا تقدر أن تهدي من عميت بصائرُ قلبه عن الإيمان ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: ما يفهم، وقيل: لا يفهم الإيمان إلا من يصدق بالقرآن وعجائبه ويعلم أنه من الله(٢) ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ ۝٨١﴾ أي: مخلصون بالتوحيد.

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ إذا وجب العذاب والسخط على الكفار ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ﴾ حينئذ ﴿دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ معها عصا موسى، وخاتم سليمان، فتختم وجه المؤمن بالخاتم فيبيض وجهه، وتسم وجه الكافر بالعصا فيسود وجهه، وترفع الأسماء من الخلق؛ فيقال: يا مؤمن، ويا كافر، ولها ثلاث خرجات، أول خروجها(٣) ما بين الصفا والمروة(٤).

---

(١) في الأصل: التهديد، وهو تصحيف.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٤٩٥، البسيط ١٧/ ٣٠١.

(٣) في الأصل: خرجها.

(٤) تفسير الطبري ١٩/ ٤٩٧.

﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ تقول ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: بخروجنا ﴿لَا يُوقِنُونَ ۝٨٢﴾ حتىٰ خرجنا.

قيل: تخرج ولها أربع قوائم وريش وجناح، فيبلغ رأسها السحاب، فيرىٰ أهل المشرق والمغرب رأسها وعنقها، وهي قائمة في مكانها، فإذا رآها الخلق كلها عادت إلىٰ مكانها من حيث خرجت(١).

وتزلزلت الأرض في ذلك اليوم ساعات، وأمسىٰ الناس خائفين، فإذا أصبحوا جاءهم الصارخ أنَّ الدجال قد خرج، فيفر المؤمنون كلهم إلىٰ بيت المقدس، والدجال يدَّعي الربوبية، ومعه جبل من خضرة وجبل من دخان، فيقول: من يتبعني أدخلته جنتي، ومن عصاني أدخلته ناري، فيتبعه سبعون ألفًا من اليهود، عليهم ثياب الساج، قيل: يا رسول الله، وما الساج؟ قال: ألبسة من طيالس خُضر، ويسير في الأرض كلها أربعين يومًا، فيريد مكة فيرده الملائكة يضربون وجهه، وكذلك المدينة.

فيأتي بيت المقدس فينزل عيسىٰ ومعه راية الغلبة، يعني الحربة، فيطعنه بحربته طعنة واحدة فيقتله، ثم يكون بعد ذلك مقتلة عظيمة، حتىٰ ينادي الشجر والحجر: يا مؤمن هلم إلىٰ هذا الكافر ورائي فاقتله، ثم بلغ عيسىٰ عليه السلام وقد أغاروا علىٰ البيت، فيبعث عيسىٰ برسوله إلىٰ مكة، فرجع الرسول وقد توفي عيسىٰ عليه السلام، وصلىٰ عليه رجل من هذه الأمة، ويدفن في البيت الذي دُفِنَ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.

ثم يخرج يأجوج ومأجوج فيغلبون علىٰ كل شيء، ثم تطلع الشمس والقمر من مغربهما، فإذا توسطا السماء عادا إلىٰ مكانهما، وعند غلبة يأجوج

---

(١) وفي ذلك رواية في تفسير الطبري ١٩/ ٤٩٨.

ومأجوج انطلق المؤمنون إلىٰ بيت المقدس، ثم يبعث الله تعالىٰ ريحًا حمراء يمانية؛ فتقبض أرواح المؤمنين، ثم يبقىٰ شرار الناس، فيمكثون مائة ساعة، ثم تقوم الساعة عليهم[(١)].

﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوۡجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أبو جهل بن هشام، والوليد بن المغيرة، من أهل مكة، ومن كل أمة قائدهم: قادتهم، وهم ممن يُكَذِّب بالقيامة وخروج دابة الأرض وغيره ﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ ٨٣﴾ أي: يحبس أولهم علىٰ آخرهم ثم يُقْذَفُونَ في النار.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ يوم القيامة ﴿قَالَ﴾ الله تعالىٰ لهم ﴿أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ﴾ ﴿أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨٤﴾ في الكفر ﴿وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ﴾ أي: وجب الغضب والعذاب عليهم بشِركهم ﴿فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ٨٥﴾ أي: لا يتكلمون بحجة.

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ يعني كفار مكة عجائب قدرته، ثم بيَّن ذلك فقال: ﴿أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ أي: يستقروا في الليل المظلم ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ مضيئًا ليلتمسوا فيه من رزقه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ ٨٦﴾ بالرب والبعث.

﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ وهي النفخة الأولىٰ.

روىٰ الضحاك عن ابن عباس: أنها ثلاث نفخات، نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين، فهذه نفخة الفزع، نفخ إسرافيل في الصور،

---

(١) عقد الثعلبي في الكشف والبيان ٢٠/ ٣٢٤ فصلا لأخبار الدابة، فليراجعه من أراد الاستزادة، وأخبارها مذكورة في كتب أشراط الساعة.

ويبعثه الله علىٰ شرار خلقه(١).

﴿فَفَزِعَ﴾ به ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فماتوا كلهم ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ قال ابن عباس: وقع الاستثناء علىٰ الشهداء لأنهم أحياء في الجنة(٢).

وقيل: هو جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل، ثم يموتون بعد ذلك.

وقيل: هم خدم الجنة لا يموتون(٣).

﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ البر والفاجر أذلاء صاغرين.

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ يومئذ ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي: ثابتة في رأي العين ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ في الهواء، حتىٰ تصير هباءً منثورًا ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ نصب علىٰ المصدر، كأنَّه قال: صنع الله صُنعًا ﴿ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ﴾ أحسن وأحكم خلق كل شيء ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ﴾ عالِم ﴿بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ من خير أو شر.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ قال الضحاك: بالتوحيد يوم القيامة(٤) ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ أي: بها ينجوا من النار ويفوز بالجنة ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ لا يموتون في الجنة أبدًا.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي: بالشرك، ولا يزكو عملٌ مع الشرك ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ أي: كبُّوا علىٰ وجوههم ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ استفهام بمعنىٰ الحجة.

---

(١) لا خلاف بينهم أن المراد هو النفخة الأولىٰ، تفسير الطبري ١٩/ ٥٠٣، الكشف والبيان ٢٠/ ٣٤٤، البسيط ١٧/ ٣١١.

(٢) وهو قول الجمهور، تفسير الطبري ١٩/ ٥٠٣، الكشف والبيان ٢٠/ ٣٥٤.

(٣) نقل القولين الأخيرين أبو الليث في تفسيره ٢/ ٥٩٥.

(٤) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٩٥.

﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ﴾ يعني مكة ﴿ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾ جعلها حرامًا، وقرئ: «التي حرمها»، يعني الله عز وجل[١].

﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ﴾ في السماء والأرض، وهو خالقهم وهم عبيده ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩١﴾ المخلصين لله بالتوحيد.

﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ﴾ أي: أمرت أنْ أتلوا القرآن عليكم يا أهل مكة ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ أبصر عند تلاوة القرآن ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي﴾ أبصر ﴿لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ﴾ أي: جهل وتاه وتحيَّر عن القرآن ﴿فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝٩٢﴾ لمن لا يؤمن بتلاوة القرآن.

﴿وَقُلِ﴾ لهم ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ يعني المحامد ﴿سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ كلها لله ﴿فَتَعۡرِفُونَهَاۚ﴾ بتحقيق ما كذبتم بعد الإنكار والجحود، عن مقاتل[٢]. وهو الدخان وانشقاق القمر، عن الكلبي[٣]، وما يجيء بعد ذلك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٩٣﴾ حين جحدوا القرآن.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة النمل كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من كذَّب وصدَّق بموسىٰ وهود وشعيب وصالح ولوط وإبراهيم وإسحق ويعقوب وسليمان، ويخرج من قبره وهو ينادي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له»[٤].

تمت سورة النمل بحمد الله تعالىٰ وعونه.

---

(١) في الأصل: الذي، وهو تصحيف، وهذه القراءة شاذة، تنسب لابن عباس، كما في الكشف والبيان ٢٠/ ٣٦٧.

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٤٨٧.

(٣) نقله الواحدي في البسيط ١٧/ ٣٢٤.

(٤) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والباين ٢٠/ ١٥٩، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٩٤.

سورة القصص

وهي ثمانون وثمان آيات[١]، مكية، غير آية واحدة وهي ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ إلىٰ آخرها[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ تقدم تفسيره[٣].

﴿نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ﴾ أي: يقرأ عليك جبريل بأَمْرنا خبر موسىٰ ﴿وَفِرۡعَوۡنَ﴾ وما جرىٰ بينهما ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: بالصدق ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣﴾ بالقرآن.

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: تعظَّم وطغىٰ في أرض مصر، لأنَّ ملكه لم يعد أرض مصر[٤] ﴿وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾ يعني: بني إسرائيل فرقًا ﴿يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ﴾ يستخدمهم ﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ﴾ وقد تقدم تفسيره[٥] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤﴾ في أرض مصر.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بإرسال موسىٰ وهلاك فرعون ﴿وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾ أي: أردنا أن نجعلهم أئمة قادة في الخير يُقْتَدىٰ بهم

---

(١) باتفاق الجميع (البيان في عد آي القرآن ٢٠١).

(٢) فنزلت هذه الآية في الجحفة، مهاجره إلىٰ المدينة، الكشف والبيان ٢٠/ ٣٧١، البيان ٢٠١، زاد المسير ٣/ ٣٧٤.

(٣) آية(١) من سورة الشعراء.

(٤) أي أن الأرض هنا عام أريد به الخصوص.

(٥) آية (٤٩) من سورة اليقرة.

﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ أي: وارثي أهل مصر ومملكة فرعون.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ننزلهم في أرض مصر ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ وزيره ﴿وَجُنُودَهُمَا﴾ القبط ﴿مِنْهُم﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ من ذهاب المُلك.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ واسمها: يوخابذ بنت لاوي[١] بن يعقوب ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ يعني: ألهمناها بإرضاعه.

وقال مقاتل: أمرها جبريل بذلك، وكانت أرضعته ثلاثة أشهر، وخافت أنه يبكي من قلة اللبن فيسمع الجيران بكاء الصبي، فيقع الخبر إلىٰ فرعون[٢].

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ أن يصيح ﴿فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ وهو نهر النيل، اجعليه في التابوت ثم اقذفيه في البحر، وإني أوكِّل ملكًا علىٰ تابوته ليحفظه، فصنعت التابوت وقيَّرته، ثم وضعت فيه موسىٰ، ثم ألقته في البحر، فذهب به الماء هاهنا وهنا حتىٰ استمسك التابوت إلىٰ شجرة مما يلي قصر فرعون، فلما ظفروا به أراد فرعون قتله، فأعطت آسية للكُهَّان مالاً عظيمًا حتىٰ لا يعينوا علىٰ قتله، فسألهم فرعون عن حال الصبي، فقالوا: مضت تلك الليلة التي قلنا يولد فيها غلام يكون كذا وكذا، فتركه فرعون ووهبه لآسية.

قوله ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ علىٰ القتل والغرق ﴿وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾ عليه من فراقك منه ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ قيل: في هذه الآية أمران، ونهيان، وبشارتان، واسمان.

---

(١) كذا في الأصل مجودة، ومثله في الكشف والبيان ٢٠/ ٣٧٩، وزاد المسير ٣/ ٣٧٥، وفي تفسير مقاتل٢/ ٤٨٩: يوكاند من ولد لاوي بن يعقوب، وفي تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٥٠ أقوال أخرىٰ.

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٤٩٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٩٩.

﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ﴾ الالتقاط: إصابة الشيء من غير طلب[1]، وآل فرعون: جواريه، وقيل: آسية بنت مزاحم.

﴿لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا﴾ أي: عدوًا في الهلاك ﴿وَحَزَنًا﴾ يقتل الأكابر، وما أخذوه ليكون لهم عدوًا وحزنًا، ولكن في العاقبة صار كذلك، وهذه اللام لام الصيرورة.

وقيل: لام العاقبة، ومعناهما قريب[2].

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ٨﴾ مشركين.

﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ﴾ خاطبته بلفظ كما يخاطب الملوك ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ في صنيعتنا إذا كبر فنستعين به علىٰ أمر دنيانا ﴿أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ إذ[3] لم يولد لك ولا لي، فيكون هو بمنزلة الولد ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ أنَّ هلاك فرعون علىٰ يديه.

﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ﴾ من كل همٍّ وذكرٍ إلا همَّ موسىٰ وذكره[4].

وقيل: فرغ قلبها إلا من ذكر الله للثقة منها بوعده، لأن الله تعالىٰ وعدها بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ﴾.

﴿إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ﴾ أي: قد كادت لتبدي به، أي: لتُظهر أنه ابني لشدة الجزع، بعدما ألقته في البحر وهي تلطم وجهها وتجزع، كادت تقول: يا

---

(١) تهذيب اللغة ١٦/ ٢٤٩، البسيط ١٧/ ٣٣٦.

(٢) وقيل: لام التعليل، انظر: معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٣٣، البسيط ١٧/ ٣٣٦، الكشاف ٣/ ٣٩٤، الدر المصون ٨/ ٦٥١.

(٣) في الأصل: إذا.

(٤) وهو قول ابن عباس (تفسير الطبري ١٩/ ٥٢٧). ونسبه الثعلبي لأكثر المفسرين (الكشف والبيان ٢٠/ ٣٩٢).

بنيَّاه، أو تقول بعد ما أخذوه: هذا ابني[١].

﴿لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠﴾ معناه: لولا أنْ شددنا قلبها بالصبر لتكون من المصدِّقين بوعدنا.

﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ﴾ أي: اتبعي أثره، واسمها مريم بنت عمران[٢] ﴿فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ﴾ أي: بُعد ولا توهم أنَّها ترىٰ التابوت ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١١﴾ أنَّها تقص التابوت.

﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ﴾ أي: منعناه لأنَّ التحريم لا يثبت في حق الأطفال؛ كانت المراضع تأتي إليه أفواجًا وأخته حاضرة تنظر، وهو لا يقبل ثدي أحد.

﴿فَقَالَتۡ﴾ أخته ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ﴾ أي: يقبلون منكم إرضاعه ﴿وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ١٢﴾ قال هامان حينئذ: خذوها حتىٰ تقول لنا قصة هذا الصبي، ومَن له ناصحون مَنْ هم؟ وما منزلة هذا الغلام منهم؟ فألهمها الله تعالىٰ إلىٰ أن قالت: إنما قلت لنصيحة الملك، فقال: دعوها، فقد صدقت، ائتنا يا صبيَّة بما تقولين[٣]، فأقبلت أم موسىٰ، فلما شمَّ ريحها أقبل علىٰ الثدي، فقال لها فرعون: إنك أمه، قالت: لا، قال: فكيف قَبِلَ ثديك؟ قالت: أيها الملك إني امرأة طيبة الريح حلوة اللبن، ما شم ريحي صبي إلا قبل ثديي، فدفعوا إليها موسىٰ، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ﴾ ببُعده.

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٥٢٩، الكشف والبيان ٢٠/ ٣٩٥.

(٢) الكشف والبيان ٢٠/ ٣٩٧، فهي مريم بنت عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٦٠٠، الكشف والبيان ٢٠/ ٤٠٠.

﴿وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾: إنَّا رادوه إليها ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾ من القبط ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ١٣﴾ ما يُراد بهم.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ قوته ﴿وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ أي: اعتدل في القوة والشباب: أربعين سنة[1] ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ أي: فهمًا وعلمًا بالتوراة ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤﴾ أي: نثيب الموحدين المطيعين من الرسل.

﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ﴾ أي: مدينة عين شمس من مدائن مصر ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا﴾ عند انتصاف النهار، وقيل: بعد العشاءين[2] ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ﴾ يتنازعان ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ﴾ أحدهما إسرائيلي، والآخر قبطي ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي: استنصر من موسىٰ الإسرائيلي ﴿عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ القبطي، لأنَّ القبطي أراد أن يسخِّر الإسرائيلي في عمله فامتنع عليه، فأراد موسىٰ أن يحجز بينهما، فلم يحل عنه القبطي، فغضب موسىٰ ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ أي: ضرب القبطي ﴿فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ أي: قضىٰ الله عليه الموت، فلما نظر إليه موسىٰ ميتًا ﴿قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾ نفخ فيَّ حتىٰ غضبت ﴿إِنَّهُۥ عَدُوّٞ﴾ لبني آدم ﴿مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦﴾ قيل: في معنىٰ الآية تقديم وتأخير، وبين قتل موسىٰ القبطي وبين مغفرة الله تعالىٰ له عشر سنين، لأن مغفرته عند الشجرة حين قال الله تعالىٰ: ﴿لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠﴾ إلىٰ قوله ﴿فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١﴾، وظاهر الآية متصل.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾ بالمغفرة ولم تعاقبني ﴿فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ١٧﴾ قال أبو سهل الأنماري: فاعصمني حتىٰ لا أكون عونًا

(١) وهو قول مجاهد (تفسير الطبري ١٩/ ٥٣٥) وعنه وعن قتادة: ثلاثا وثلاثين سنة.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٥٣٨.

للمشركين.

قيل: وعد أن لا يكون ظهيرًا لهم، ولم يستثن، فابتلاه الله تعالىٰ من الغد(١).

وقيل: معناه القسم، يعني بإنعامك علي لا أكون ظهيرًا للمجرمين.

﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ كي لا يؤخذ فيُقتل ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ يستغيث به علىٰ قبطي آخر يسخره، فلما رآه موسىٰ؛ أي ﴿قَالَ﴾ للإسرائيلي ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ۝١٨﴾ أي: ضال بيِّن الضلالة، ثم قصد إعانته علىٰ القبطي بعد تغليظ القول ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ﴾ أي: يأخذ ﴿بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ وهو القبطي، ظنَّ الإسرائيلي أنه قصدَ قصده، وأراد أخذه بما سبق من القول ﴿قَالَ﴾ يا موسىٰ ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تقتل في الغضب ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ۝١٩﴾ بين المتشاجرين.

وجاء في التفسير أنَّ الإسرائيلي كان السامري، فلما سمع القبطي ذلك ترك الجدال وذهب إلىٰ فرعون وأخبره أنَّ القاتل للقبطي موسىٰ، فجاء خِربيل بن يوخابيل ابن عم فرعون وأخبر موسىٰ خبر القوم، وما تشاوروا في أمره بقتله(٢): ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ أسفلها ﴿يَسْعَىٰ﴾ أي: يعدو ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ

---

(١) نحوه في تفسير السمعاني ٤/ ١٢٨.

(٢) كذا في الأصل: خربيل، مجودا، وقد تكرر في هذا الكتاب، مما يدل علىٰ أنه هكذا هو في أصله. ومثله في تفسير أبي الليث ٢/ ٦٠٢، وهو تصحيف من المحقق، ففي النسخ الخطية: حزقيل.

وفي بعض المصادر: حزقيل بن صبورا، وقيل: شمعون، وقيل: شمعان، وقيل: طالوت، وهو مؤمن آل فرعون في قول الأكثر، انظر: الكشف والبيان ٢٠/ ٤٢٠، البسيط ١٧/ ٣٦٣، تفسير السمعاني ٤/ ١٢٩، الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٦٦.

﴿يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ﴾ أي: قوم فرعون يتشاورون في قتلك لقتلك القبطي ﴿فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢٠ فَخَرَجَ مِنۡهَا﴾ أي: فخرج من القرية ﴿خَآئِفٗا﴾ أن يُؤخذ فيُقتل ﴿يَتَرَقَّبُۖ﴾ الطلب ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢١﴾ من شر القبط.

قال مقاتل: أتاه جبريل وأمره بأن يسير تلقاء مدين، وأعطاه العصا فسار من مصر إلىٰ مدين عشرة أيام.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ﴾ بغير دليل وهو يخشىٰ أن يضل الطريق ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝٢٢﴾ أي: يُبصرني عَدل الطريق.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾ أي: أشرف عليه ﴿وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ﴾ أي: جماعة ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ﴾ أنعامهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ أي: بِقُرب الناس ﴿ٱمۡرَأَتَيۡنِ﴾ جاريتين ﴿تَذُودَانِۖ﴾ أي: تحبسان أغنامهما كي لا تخالط غنم القوم ﴿قَالَ﴾ لهما موسىٰ ﴿مَا خَطۡبُكُمَاۖ﴾ أي: ما بالكما.

قال الزجاج: ما تخطُبان؟ أي: ما تريدان بذود الغنم عن الماء؟[1].

﴿قَالَتَا لَا نَسۡقِي﴾ أي: لا نقدر علىٰ سقي الغنم ﴿حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ﴾ شياههم عن الماء، ونحن ننتظر فضول الماء في الحوض ﴿وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ۝٢٣﴾ لا يقدر علىٰ معونتنا.

قال الضحاك: هما ابنتا شعيب النبي صلىٰ الله عليه وسلم، اسم أكبرهما صفورا واسم الأخرىٰ عبرا، وكانتا توأمين[2].

قال الكلبي: هما ابنتا بثرون ابن أخي شعيب، وشعيب قد مات قبل ذلك

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٣٩.

(٢) الكشف والبيان ٢٠/ ٤٢٧. وهكذا ثبت اسمهما في الأصل، وفي زاد المسير ٣/ ٣٧٩: صبورا بالباء بدل الفاء، وهو تصحيف، وانظر الخلاف في ذلك في الكشف والبيان ٢٠/ ٣٤٣، والله أعلم

بعد ما عمي، فدُفِنَ بين الحجر والمقام[١].

فأتىٰ موسىٰ أهل الماء وسألهم أن يهبوا له دلوًا من ماء، فقالوا: إن شئت أتيناك بالدلو فاستقيت أنت، وكان يجتمع علىٰ الدلو نفر منهم، أربعون رجلاً حتىٰ يخرجوا الدلو من البئر، فأدخل موسىٰ الدلو وحده، واستقىٰ وحده، وصبَّ في الحوض ودعا بالبركة، ثم قرب غنمهما حتَّىٰ شربت ورويت، فذلك قوله تبارك وتعالىٰ[٢] ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ أي: ظل شجرة من حر الشمس، وهو يمسح العرق ويقول ﴿[فَقَالَ] رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾.

قال الضحاك: يعني بالخير هاهنا الخبز، يعني: إني فقير إلىٰ ما كنت تعطيني من خبز، لأنه مضىٰ سبعة أيام لم يذُق إلا بقلة الأرض.

فرجعت الجاريتان إلىٰ أبيهما وأخبرتاه بالقصة، وبما دعا موسىٰ في الظل، قال شعيب: ما أحسب الرجل إلا جائعًا، يا صفورا ادعيه حتىٰ نُشْبِعُهُ، فأقبلت إليه صفورا وهو قوله تعالىٰ: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ كمشي العذارىٰ، وقيل: مستترة بكُم درعها[٣].

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ﴾ ليكافئك علىٰ ﴿مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ وبين شعيب وبين موسىٰ ثلاثة أميال، فشق ذلك علىٰ موسىٰ، ولكن ذهب لِوَحشته[٤]، فقام ومشىٰ معها، فهبَّت الريح وألصقت ثوبها ببدنها وكانت عجزاء، فقال لها موسىٰ: يا أمة الله امشي خلفي ودليني الطريق، ففعلت به ذلك، حتىٰ

---

(١) الكشف والبيان ٢٠/ ٤٢٧. وفي الأصل: بثرون مهملة غيرة منقوطة، وهكذا ضبطها في تفسير الثعلبي، وفي موضع آخر منه ٢٠/ ٤٣٧ عن الكلبي: يثرون، فالله تعالىٰ أعلم.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٥٥٥.

(٣) الكشف والبيان ٢٠/ ٤٣١.

(٤) يعني: كان مستوحشا ولذا تبعها (تفسير أبي الليث ٢/ ٦٠٤).

بلغا المنزل[١].

فدخل موسىٰ علىٰ شعيب، فقال له شعيب: من أنت يا عبد الله؟ فقال: أنا موسىٰ بن عمران بن قهاث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام[٢]، قال: إنك من أولاد الأنبياء، فأخبره بخبر ولادته وتربيته وقتله القبطي، وهربه إلىٰ يومه، فقال شعيب عند ذلك: لا تخف، وهو قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥﴾ يعني: فرعون وقومه ولا سلطان له في أرضنا.

﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا﴾ وهي صفورا ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾ وله قوة وأمانة، قال شعيب: هذه قوته قد حدثتني به، فما أمانته؟ فقصَّت عليه ما كان منه في الطريق، فـ﴿قَالَ﴾ شعيب ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾ أيتهما شئت أزوِّجها ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾ أي: سنين ترعىٰ غنمي، فيكون ذلك إعطاء مهرها، وعليَّ إعطاء مهرها بعد ذلك ﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ أي: يكون تطوعًا من عندك، ليس هو من شرط لازم، فإن فعلتَ ذلك معروفًا علىٰ كِبَر سني وضعفي فأنت مأجور ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ﴾ في تكليفك ما لا طاقة لك به إن لم تطب نفسك بذلك ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ يعني: من الرافقين بك من كل معروف أقدر عليه.

﴿قَالَ﴾ موسىٰ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الشرط ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ﴾ كما ذكرت ﴿أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ﴾ من الثمان أو العشر ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ﴾ أي: لا سبيل لك عليَّ من طلب

---

(١) الكشف والبيان ٢٠/ ٤٣٢.

(٢) كذا في الأصل: قهاث، ويقال فيه: قاهث. وفي تفسير الثعلبي الكشف والبيان ٢٠/ ٤٨٩: موسىٰ بن عمران بن فاهث. وهو تصحيف، سيأتي التنبيه عليه في ذكر قارون.

الزيادة ومنع الأهل مني ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۝٢٨﴾ شاهد وحافظ.

وقد رُوي عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنَّه سُئل: أي مدة عمل موسىٰ؟ قال: أوفاه، يعني العشرة(١).

وجاء في التفسير: أنَّ شعيبًا قال له في السنة الثامنة: كل شاة ولدت أنثىٰ في هذه السنة فالولد لك، فولدت كلها أنثىٰ، وفي السنة التاسعة قال: كل شاة ولدت ذكرًا في هذه السنة فالولد لك، فولدت كلها ذكرًا.

ثم قال له في السنة العاشرة: كل حمل جاء أبرق فهو لك، فجاءت كلها أبرق، فاجتمع عند موسىٰ نتاج ثلاث سنين، فأخذ وهمَّ بالرجوع إلىٰ مصر، ليخرج أمه وأخته من استخدام آل فرعون إلىٰ الشام(٢).

قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ من عند شعيب أخذ في قفة مائلاً عن الطريق في ليلة باردة، وقد ضل الطريق وذلك ليلة الجمعة ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ أي: من ناحية الجبل عن يمينه بأرض المقدسة نارًا ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ [إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا]﴾ مكانكم فإني رأيت لمع النار ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ أي: استخبر صاحب النار عن الطريق ﴿أَوْ﴾ آخذ ﴿جَذْوَةٍ﴾ أي قطعة(٣) ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ علىٰ رأس العود ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٢٩﴾ بها من البرد.

---

(١) روىٰ البخاري في الصحيح ٢٦٨٤ عن سعيد بن جبير، قال: سألني يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضىٰ موسىٰ، قلت: لا أدري، حتىٰ أقدم علىٰ حبر العرب فأسأله، فقدمت، فسألت ابن عباس، فقال: «قضىٰ أكثرهما وأطيبهما، إنَّ رسول الله إذا قال فعل».

(٢) الكشف والبيان ٢٠/ ٤٣٨، وهاهنا قد ذكر الثعلبي قصصا إسرائيلية، منها ما يشهد القلب ببطلانه، ومنها ما لا يعلم صحته من كذبه.

(٣) في الأصل: قبضة، وهو تصحيف، والتصحيح من كتب التفسير، ولا سيما الكلبي فإنه قال: قطعة، ومقاتل، فإنه قال: شعلة (تفسير مقاتل ٢/ ٤٩٥، الكشف والبيان ٢٠/ ٤٤٤).

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ أي: موضع الصَّلاء[١].

﴿نُودِيَ مِن شَاطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾ وإنما سمع الصوت من الشجرة في زعمه[٢]، والنداء كان من فوق العرش[٣]، ناداه يا موسىٰ ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾ أنا الذي أسمعتك كلامي. قال ابن عباس: وكان موسىٰ رأىٰ في الشجر نورًا، فظنه نارًا، فأخذ من حشيش الأرض ليقتبس منها فخرج منها نور ولسان فوق رأس موسىٰ ذاهبًا في السماء، فألقىٰ موسىٰ ما في يده من الحشيش، فأقبل هاربًا في الأرض إذ رأىٰ تلك العجيبة، فنودي أن يا موسىٰ: إنه أنا الله رب العالمين، فرجع يصطك كل شيء منه فرقًا، وهذا أول كلام الله تعالىٰ لموسىٰ[٤].

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۚ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ في الخفَّة مع عظم الثعبان ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ خوفًا منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْۚ﴾ ولم يلتفت، فنودي ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ۝٣١﴾ منها.

وَ ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ﴾ اليمنىٰ ﴿فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ برص ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِۖ﴾ أي: يدك من الخوف، إذا هالك أمر ضم يدك إليه لتسكن[٥].

---

(١) كذا في الأصل، وهو صحيح، والصلاء النار (تاج العروس ٣٨/ ٤٣٥).

(٢) أي بحسب ما سمع موسىٰ وظن.

(٣) وقد سبق له أن نقل تأويل الاستواء علىٰ العرش بالاستيلاء، وهنا يثبت النداء من فوق العرش، علىٰ معنىٰ: علا علىٰ العرش.

(٤) يشبه أن يكون من رواية الكلبي، فإني لم أجده في مصادر المأثور.

(٥) تفسير الطبري ١٩/ ٥٧٥، معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٤٣، الكشف والبيان ٢٠/ ٤٤٨، وهذا هو المشهور في تفسير هذه الآية.

وقيل: الرهب هو الكم، وتأويله: اضمم إليك جناحك في كُمك[١].

وقيل: أحْضِر قلبك معك من خوفك كي لا تخاف[٢].

﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: حجتان وآيتان، قد أعطاكهما لتذهب بهما ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ وهو القبطي ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ مكانه ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾ أي: عونًا ﴿يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ إني: أخاف أن لا يصدقني فرعون بما أرسلتني إليه.

قال الله تعالىٰ ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ سنقوي ظهرك ﴿بِأَخِيكَ﴾ هارون ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾ حججًا.

﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ أي: إلىٰ قتلكما، وقف تام[٣].

ثم قال: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: بآياتنا التسع غلبتما

---

(١) وهو قول بعض أهل المعاني، وذلك فيما زعموا علىٰ لغة حمير (الكشف والبيان ٢٠/ ٤٥٠) وعده الزمخشري من بدع التفسير، فقال (في الكشاف ٣/ ٤٠٩): ومن بدع التفاسير: أن الرهب: الكم، بلغة حمير وأنهم يقولون: أعطني مما في رهبك، وليت شعري كيف صحته في اللغة؟ وهل سمع من الأثبات الثقات الذين ترتضي عربيتهم؟ ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية؟ وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل؟ علىٰ أن موسىٰ عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة إلا زرمانقة من صوف لا كمىٰ لها.

(٢) وهذا تخريج علىٰ المجاز، وهو بعيد.

(٣) وهو قول الأخفش وابن جرير، وجوزه المهدوي والقرطبي (انظر: تفسير الطبري ١٩/ ٥٧٩، المكتفىٰ في الوقف والابتدا ١٥٧، الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٨٧).
قال الداني: المعنىٰ عندهم: أنتما ومن اتبعكما الغالبون بآياتنا، وهذا لا يصح إن قدر «بآياتنا» صلة لقوله «الغالبون»؛ من حيث لا يجوز أن يفرق بين الصلة والموصول، ويصح إن قدر تبيينًا مثل قوله ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الأعراف:٢١].

من خالفكما[١].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ اليد والعصا ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى﴾ افتراه موسىٰ ﴿وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا﴾ الذي تقوله ﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٦﴾.

﴿وَقَالَ﴾ له ﴿مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ﴾ في الرسالة والتوحيد ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ﴾ يعني: أعلم بمن تكون له ﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ﴾ النصر علىٰ عدوه في الدنيا والجنة في الآخرة؛ لنا يكون أولكم.

ثم ابتدأ فقال ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٣٧﴾ أي: فرعون وقومه[٢].

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ﴾ لأهل مصر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ﴾ أي: الأشراف من قومي ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ أي[٣]: لا تطيعوا موسىٰ في ترك عبادتي[٤] ﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا﴾ اصنع لي قصرًا عاليًا، هو أول من طبخ الآجر، عن الضحاك[٥].

حتىٰ أشرف علىٰ ذلك القصر ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ أصعد إلىٰ السماء وأنظر إليه ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾ يعني موسىٰ ﴿مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨﴾ وأنه ليس في السماء إله[٦].

---

(١) جوز الزجاج الوجهين، أي: أن تكون آياتنا من صلة يصلون، والمعنىٰ: لا يصلون إليكما تمنعان منهم بآياتنا، وأن تكون آياتنا متصلة بنجعل لكما سلطانا بآياتنا، أي حجة تدل علىٰ النبوة بآياتنا (معاني القرآن ٤/ ١٤٤).

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٦٠٨.

(٣) في الأصل أقرب إلىٰ: كي، وهو تصحيف.

(٤) وهذه إحدىٰ كلمتيه التي أخذه الله بهما (تفسير أبي الليث ٢/ ٦٠٨).

(٥) وهو قول مقاتل ومجاهد وابن زيد (تفسير الطبري ١٩/ ٥٨٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٦٠٨، الكشف والبيان ٢/ ٦٠٨).

(٦) تفسير الطبري ١٩/ ٥٨١.

قال الله تعالىٰ ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ﴾ أي: فرعون ﴿وَجُنُودُهُۥ﴾ عن الإيمان ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: أرض مصر ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: بالباطل ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩﴾ إذا ماتوا.

﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ﴾ أغرقناهم في البحر ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ الكافرين.

﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾ أي: قادة في الشرك يدعون الخلق إلىٰ الكُفر ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ٤١﴾ من عذاب الله تعالىٰ.

﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ﴾ يعني الغرق ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ٤٢﴾ مُسودة أوجههم، مُزرقة أعينهم.

وقيل: من المقبوحين يعني الهالكين، والعرب تقول: قبَّحه الله أي أهلكه(١).

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ بيانًا لبني إسرائيل؛ لمن آمن منهم ﴿وَهُدٗى﴾ من الضلالة؛ لمن عمل به ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾ من العذاب لمن اتبعها ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٣﴾ فينتفعون به.

﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ﴾ بجانب الجبل حين تغرب الشمس ﴿إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ﴾ أوحينا إليه بالرسالة إلىٰ فرعون ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٤٤﴾ لذلك.

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا﴾ أُممًا بعده ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ﴾ فنسُوا ما كان من خبر موسىٰ، فجددنا علىٰ لسانك لتخبرَهُم بذلك؛ فيدل علىٰ نبوتك ﴿وَمَا

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٠٦، البسيط ١٧/ ٤٠٢.

كُنتَ ثَاوِيًا﴾ مُقيمًا ﴿فِىٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾ عند أختان موسىٰ ﴿تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٤٥﴾ إليك أخباره؛ لتخبرهم بذلك؛ يعني: أهل مكة.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا﴾ أي: كلَّمنا موسىٰ.

وذكر في التفاسير: أنَّ موسىٰ عليه السلام قال: يا رب هل خلقت أمة أفضل من أُمتي؟ قال: نعم، أُمة أحمد، أتريد أن أسمعك كلامهم؟ قال: نعم، فناداهم: يا أُمة أحمد، فقالوا كلهم في الأصلاب والأرحام: لبيك اللهم لبيك، قال الله تعالىٰ: أجبتكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني، سبقت رحمتي عليكم غضبي، هذا النداء بجانب الطور(١).

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه: بلغنا عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «كتب الله تعالىٰ كتابًا قبل أن يخلق الخلق بألفي عام، ثم وضعه الله تعالىٰ علىٰ العرش، وفيه: يا أُمة محمد قد أعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني، ومن لقيني يشهد أن لا إله إلا أنا وأن محمدًا عبدي ورسولي مخلصًا بها دخل الجنة»(٢).

---

(١) وهو من الأخبار الإسرائيلية من رواية وهب بن منبه، كما في الكشف والبيان ٢٠/ ٤٦٢.

(٢) رواه الطبري في التفسير ١٩/ ٥٨٥، الثعلبي في الكشف والبيان ٢٠/ ٤٦٣ عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير مقطوعا عليه من قوله. وإسناده صحيح.
هكذا رواه سفيان ويحيىٰ بن عيسىٰ عن الأعمش، ورواه حمزة بن حبيب الزيات عن الأعمش فوصله بذكر أبي هريرة ، رواه النسائي في السنن الكبرىٰ ١١٣١٨، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٤٣، وذكر أبي هريرة فيه شاذ.
ورواه حرملة بن قيس عن أبي زرعة فوصله بذكر أبي هريرة، رواه الطبري. وفيه ابن وكيع ضعيف.
وله شاهد عند الثعلبي في الكشف والبيان ٢٠/ ٤٦٤ من حديث سهل بن سعد ، وفي إسناده كذاب.

فهذا ما جرىٰ من ذكر محمد وأُمته مع موسىٰ عليهما السلام.

﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يعني العرب ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ يتعظون.

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ معناه: لولا أن يصيب قومَك قريشًا عذاب يوم القيامة بما اكتسبوا في كفرهم ﴿فَيَقُولُوا۟﴾ عند نزول العذاب ﴿[رَبَّنَا لَوْلَآ]﴾ هلاَّ ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ مع الكتاب ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ ونعمل بكتابك ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ برسولك، أي: لولا ذلك لم يُحْتج إلىٰ إرسال الرسول ومواترة الاحتجاج، فأرسلناك يا محمد رسولاً كي لا يقولوا يوم القيامة: «إنا كنا عن هذا غافلين».

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ يعني الإسلام ﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ من الآيات ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟﴾ يعني أجدادهم ﴿بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾[١] وهو موسىٰ وهارون تعاونا، وقيل: موسىٰ ومحمد تعاونا[٢] ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ بموسىٰ وبمحمد، وهو قول أهل مكة.

وقيل: قول أهل مصر في زمن موسىٰ وهارون[٣].

﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾

وآخر عند أبي نعيم في الحلية ٧/ ٣١٣ عن حذيفة، تفرد به أبو مسلم عبد الرحمن بن واقد عن ابن عيينة، وهو منكر. والحديث حديث أبي زرعة بن عمرو بن جرير، والله أعلم.

(١) في الأصل: ساحران، وعليها جاء التفسير، وهي قراءة الجمهور سوىٰ الكوفيين (النشر ٢/ ٣٤١).

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٥٨٨.

(٣) وهو قول مجاهد كما في تفسير الطبري ١٩/ ٥٨٩.

وأما من قرأ: سِحران، أراد التوراة والإنجيل (الكشف والبابن ٢٠/ ٤٦٧).

يعني: أرشد وأثوب في القرآن، فـ ﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ بأنهما ساحران.

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ على ما تدعوهم إليه من التوحيد، وقيل: إن لم يأتوا بمثل القرآن والتوراة[1] ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ولا حُجة لهم بكفرهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى﴾ أي: بيان ﴿مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ لدينه الإسلام ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ بيّنا لهم في الوعظ وخبر الأُمم السابقة، وقيل: أتبعنا الكتب على أثر الكتب والرسل على أثر الرسل[2].

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ ينتبهون من رقدة الغفلة.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ﴾ يعني: الإنجيل من قبل القرآن، وهم مؤمنوا أهل الكتاب، أربعون رجلاً، اثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من رهابين أهل الشام[3].

﴿هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ أي: بالقرآن.

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ آياتنا بينات[4]، يعني: القرآن.

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٥٩٢.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٦١٢، الكشف والبيان ٢٠/ ٤٦٨.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٦١٢. وعن قتادة قال: كنا نُحدَّث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحقّ، يأخذون بها، وينتهون إليها، حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم، فآمنوا به، وصدّقوا به، فأعطاهم الله أجرهم مرتين، بصبرهم على الكتاب الأوّل، واتباعهم محمدًا صلى الله عليه وسلم، وصبرهم على ذلك، وذكر أن منهم سلمان، وعبد الله بن سلام (تفسير الطبري ١٩/ ٥٩٥).

(٤) كتب هاتين الكلمتين بالحمرة على أنهما من الآية، فيحتمل أنها تفسير، أو أنها من خطأ الناسخ.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾ صدقنا بـ: ﴿إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا﴾ من قبل هذا القرآن ﴿مُسۡلِمِينَ ۝٥٣﴾ لله بالتوحيد، عن مقاتل.

وقيل: من قبل رسول الله آمنا بأنه يكون نبيًا[١].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ ضعفين ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ علىٰ دينهم وتمسكهم بالإسلام ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ لأنَّ كفار مكة كانوا يشتمونهم علىٰ متابعة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فصفحوا عنهم وردوا معروفًا، يعني: يدفعون الأذىٰ بالقول الجميل.

﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٥٤﴾ في طاعة الله.

ثم لقنهم فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ﴾ أي: الشتم ﴿أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ﴾ أي: تمسَّكوا عنه، عن الجواب وسكتوا ﴿وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا﴾ أي: ديننا ﴿وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ دينكم ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ أكرمنا الله بالإسلام ﴿لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٥٥﴾ لا نطلب مجادلة الجاهلين.

﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ قيل: كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يحرص علىٰ إيمان عمه أبي طالب لتربيته له في صباه، وذبِّه عنه عند تبليغ الرسالة[٢].

---

(١) وهو قول الضحاك فيما حكىٰ عنه الطبري في تفسيره ١٩/ ٥٩٦.

(٢) روىٰ البخاري في صحيحه ٣٨٨٤، ومسلم في صحيحه ٢٤، عن ابن المسيب، عن أبيه، أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه النبي صلىٰ الله عليه وسلم وعنده أبو جهل، فقال: «أي عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزالا يكلمانه، حتىٰ قال آخر شيء كلمهم به: علىٰ ملة عبد المطلب، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «لأستغفرن لك، ما لم أنه عنه» فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا

وليس معنىٰ الكلام: إنك لا تهدي من تحبه، معاذ الله أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يحب كافرًا، لأنَّ الكافر عدو الله، فكيف يحبُّه رسوله وحبيبه؟.

ولكن المرادُ: إنَّك لا تهدي من أحببت هدىٰ الله [له]، ورسول الله كان يحب هداية الكفار رحمة[١].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ يرشدهم إلىٰ دينه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ أي: عالم بمن قدَّر له الهدىٰ.

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ يعني: قريشًا ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ والتَّخطُّف: أخذ الشيء علىٰ وجه الاستلاب[٢].

نزلت الآية في الحارث بن عامر بن نوفل القرشي، قال للنبي صلىٰ الله عليه وسلم: إنا نعلم أنَّ الذي تقوله حق، ولكن يمنعنا عن الإيمان مخافة أن تخطفنا العرب من أرضنا، فأكذبه الله تعالىٰ[٣]؛ فقال: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ نسكنهم فيه آمنًا من أن يهاج فيه ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ يُحمل إلىٰ الحرم من ألوان الـ ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ في حال كفرهم، فكيف نسلط عليهم غيرهم إن آمنوا.

تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١١٣﴾ [سورة التوبة:١١٣]، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.

وروىٰ مسلم في الصحيح ٢٥ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لعمه عند الموت: «قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة، فأبىٰ ، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية ».

(١) الكشف والبيان ٢٠/ ٤٧١.

(٢) تهذيب اللغة ٧/ ٢٤١، البسيط ١٧/ ٤٢٤.

(٣) الكشف والبيان ٢٠/ ٤٧٥، البسيط ١٧/ ٤٢٣، ونسبه للكلبي ومقاتل والمفسرين.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾ توحيد الله ولا يشكرونه.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ فيما خلا ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ نصب على الظرف[1]، أي: طغوا في نعمة الله وكفروا به كما فعل أهل مكة فأهلكناهم بالعذاب ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ﴾ منازلهم ﴿لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ من المسافرين، وقليلاً: نصب على المصدر، معناه: سُكنًا قليلاً[2].

﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥٨﴾ الأرض ومَنْ عليها ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أي: مُعذِّب أهل القرى ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ أي: في أعظم مدينتها، والأم: هاهنا أراد مكة ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ الرسول ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ۝٥٩﴾ مُذنبون مع شركهم.

وقد قال في آيةٍ أخرى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ۝١١٧﴾ لأنَّه أراد بالظلم في تلك الآية هو الكفر، ولا يعذب الله قومًا في الدنيا بكفرهم لأنَّه أعدَّ للكفار دار الجزاء، وهي الآخرة، فإنما يُهلكهم بإظهار المنكرات والقبائح فيما بينهم، وفي هذه الآية بيَّن أنه يأخذهم بالظلم، فاستوى المعنيان.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾ يا أهل مكة ﴿مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ تتمتعون أيامًا معدودةً، وعن قليل يعود إلى فناء ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ مما أعطيتم من الدنيا ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٠﴾ أنَّ الباقي أفضل من الفاني.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ يعني: الجنة في الآخرة والنصرة في الدنيا، يعني به

---

(١) وقيل: على التفسير (إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٦٤).

(٢) أي: القليل منها سُكن (الدر المصون ٨/ ٦٨٧).

النبي صلى الله عليه وسلم وعدناه ﴿فَهُوَ لَاقِيهِ﴾ لا مُحالة ﴿كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: منفعة الحياة الدنيا ثم يضمحل ذلك، وهو أبو جهل لعنه الله[1].

﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ في النار معاقبًا بها، أي: ليس هذا وذاك سواء، أي: ليس حال من متَّعه الله متاع الغرور كمن أكرمه بالنبوة في الدنيا، ونهاية الشفاعة في العقبى[2].

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ يعني: ينادي كفار مكة ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ يعني تعبدونه، وتزعمون أنه شريك لي في تلبيتكم، تقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك، ادعوهم ليستجيبوا لكم.

﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ وجب عليهم العذاب ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ أضللنا ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ أي: أضللناهم كما ضللنا عن الهدى بأنفسنا[3] ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: تبرَّأنا منهم وأقبلنا إليك ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ أي: لم يطيعونا بأمرنا إنما اتبعوا أهواءهم.

﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ أصنامكم ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ بدفع العذاب ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ القادة والسفلة ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾ في الدنيا لم يروا العذاب في الآخرة.

وهذا الجواب محذوف، والكلام[4] مختصر.

وقيل: معناه رأوا العذاب في الدنيا كما أبصروه في الآخرة لو كانوا مهتدين

---

(١) وهو قول مجاهد وابن جريج (تفسير الطبري ١٩/ ٦٠٥، الكشف والبيان ٢٠/ ٤٨٠).

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٦١٥.

(٣) في الأصل: أنفسنا هم.

(٤) في الأصل: عن الكلام.

بالإسلام؛ لأنه ثبت بالقرآن وبإخبار رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إياهم، فهو بمنزلة المشاهد[١].

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ﴾ يعني: ينادي الرب عزَّت قدرته لكفار مكة، ويقول: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦٥﴾ يسأل لأهل الشرك، أي: ما ذا أجبتُم رسلكم.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ أي: تاهوا عن الحجج ﴿يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ۝٦٦﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضًا عن الحجج، وذلك حين انقطع الكلام وكلَّت الألسن، وقد كانوا يتساءلون في الدنيا.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ وصدَّق بتوحيد الله عزَّ وجل ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يعني: أدَّىٰ الفرائض ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ۝٦٧﴾ في الآخرة.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ يعني: الشقي والسعيد، ويختار لدينه ونبوته من يشاء كما اختار محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم.

وهذا جواب قول الكفار: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١﴾.

﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ أي: ليس لهم اختيار النبوة، ثم نزَّه نفسه قال ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٨﴾ من الأصنام.

والاعتقاد فيه: أنَّ الله تعالىٰ شاء منْ كلٍّ علىٰ ما علم أنه يكون منه، وكذلك يختار، وكذلك يقضي، وكذلك كتب علىٰ العبد ما علم أنه يكون منه، إذ لا يجوز أن يكون شيءٌ بخلاف ما علم، لأنَّ فيه الجهل بالعاقبة أو العجز، وكلاهما منفيَّان من صفات الرب عزَّت قدرته.

---

(١) في الأصل: الشاهد، والصواب ما أثبته، أي العذاب الغيبي كأنه مشاهد بخبر القرآن والسنة عند المؤمنين.

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ ما تُسِرُّ قلوبهم وما يضمرون في صدورهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٦٩﴾ بألسنتهم، يعني: السر والعلانية.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعني: يحمده أولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الجنة إذا دخلوها ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يعني: القضاء بين خلقه ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠﴾ في الآخرة.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: قل لأهل مكة، ما تقولون إنْ جعل الله عليكم الليل سرمدًا إلىٰ يوم القيامة، فتبْقَوْن في ظُلمة ولا نهار معه ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: مَنْ معبودٌ سوىٰ الله ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝٧١﴾ الموعظة والحُجَّة.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لا ليل معه ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ وتستريحون من الإعياء ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٧٢﴾ قدرة الله عزَّ وجل.

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ والنهار: ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ تطلبُوا من رزقه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٣﴾ ربكم.

واللامات كلها خاص لا عام، لأنَّه لو جعل الليل للسكون لا غير ما تحرَّك فيه متحرِّك، ولو جعل النهار للابتغاء ما استراح ولا نام فيه أحدٌ[(١)].

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٧٤ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: اخترنا وميَّزنا من كل أُمةٍ شهيدًا عليهم بالبلاغ، وهم الأنبياء يشهدون علىٰ تبليغ رسالات الله إليهم ﴿فَقُلْنَا﴾ للكفار حينئذٍ ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ أي: حُجتكم في تكذيبكم إيَّاهم ﴿فَعَلِمُوٓا۟﴾ حينئذٍ ﴿أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾

---

(١) البسيط ١٧/ ٤٤٤.

أي: الوحدانية والحُجَّة ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝٧٥﴾ أي: بطل افتراؤهم.

ثم ذكر قصة قارون فقال: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: تَطوَّل عليهم بكثرة المال.

وكان هو من بني إسرائيل، ابن عم موسىٰ[١].

وقيل: كان من العلماء يُعلِّم التوراة، فقال ذات يومٍ: إن لموسىٰ النبوة، ولهارون الحبورة، وليس لي شيء من ذلك، فردَّ نبوَّة موسىٰ، وبغي عليهم، والبغي: طلب العلو بلا حقٍ[٢].

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ المال المجموع بعضًا علىٰ بعضٍ، هذه لغة.

ومعنىٰ الكنز في الشريعة: كل ما لم يُعْطَ منه حق الله.

﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ هو جمع مِفتح[٣]، وقيل: جمع مَفتح[٤] وهو الكنز[٥].

﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ أي: تُنقَل بالجماعة من الناس ﴿أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ قيل في

---

(١) واسمه: قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، وموسىٰ بن عمران بن قاهث، علىٰ ما ذكر الطبري ١٩/ ٦١٥، والواحدي في البسيط ١٧/ ٤٤٦، وغيرهم، ووقع عند الثعلبي في (الكشف والبيان ٢٠/ ٤٨٩): فاهث، بالفاء، وهو تصحيف.

(٢) وهو المال (تفسير الطبري ١٩/ ٦١٦)، وقيل: كان عاملا لفرعون علىٰ بني إسرائيل فبغىٰ وظلم (الكشف والبيان ٢٠/ ٤٩٠، زاد المسير ٣/ ٣٩٢).

(٣) أي ما يفتح به، والمراد علىٰ هذا أنه المفتاح (الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٣١٢).

(٤) في الأصل: جع يفتح، وهو تصحيف.

(٥) أي علىٰ هذا القول: المراد الخزائن، والكنز نفسه، لا المفتاح الذي يفتح به، وهو قول عامة المفسرين، والتفريق بالفتح والكسر معروف عندهم (الكشف والبيان ٢٠/ ٤٩٣، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٦٦، الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٣١٢).

التفسير: كان يحمل مفاتيح خزائنه سبعون نفرًا، وقيل: أربعون(١).

والنوء: النهوض بالثقال، يُقال: نُؤت بالحِمْل وأناءني الحِمْل؛ إذا أثقلك(٢).

وكان أبو عبيدة يقول: ما إنَّ العصبة لتنوء به، على القلب(٣).

وقد قيل: إن المفاتح جمع مفتاح، فحذف حرف واحد(٤).

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ﴾ قال ذلك زهاد قومه، أي: لا تمرح ولا تَبْطر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝٧٦﴾ البَطِرين المَرِحين الأشرين.

وفي الخبر عن معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يبغض الفرحين البذخين المرحين، ويحب كل قلب حزين، ويبغض أهل البيت اللَحْميين، ويبغض كل حَبْرٍ سمين» فقالوا: يا رسول الله، وما أهل بيت اللَحميين؟ قال: «الذين يأكلون لحوم الناس بالغيبة» قيل: فما الحَبْرُ السَّمين قال: «المُتجبِّر بعلمه الذي لا يُخبر الناس»(٥).

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ من سعة المال ﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ يعني: الجنَّة ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني: أحسن إلى نفسك لأن نصيبك من الآخرة لا يمنعك عن نصيبك في الدنيا، واعمل في الدنيا بطاعة الله ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ يعني: أحسن الشكر لله كما أحسنَ إليك في الإنعام.

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٦١٧.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٥٥.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١١٠، تفسير السمعاني ٤/ ١٥٥.

(٤) البسيط ١٧/ ٤٤٩، ونسبه لمجاهد وقتادة وخيثمة.

(٥) رواه الديلمي ١/ ٢/ ٢٤٣، كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ٣١١٧، وقال: موضوع. لأن في إسناده إسماعيل الشامي متهم بالوضع.

وقيل: أحسِن إلىٰ الفقراء كما أحسن الله إليك[١].

﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالبَطر والخُيلاء والجُحود ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿قَالَ﴾ قارون الخبيث لعنه الله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ أعطِيْتُ المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ أي لعلمٍ عندي من صنعة الذهب والفضة، ليس لأحدٍ عليَّ فيه مِنَّة، عن الضحاك[٢].

وقال مقاتل: أُعطيت المالَ علىٰ خير[٣] علم الله تعالىٰ أني أصلح له[٤].

قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الماضية ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال، منهم نمرود بن كنعان الجبَّار، وشداد بن عاد ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ سؤال استعلام بل يُسألون سؤال توبيخ.

وقال الكلبي: يُسأل الكافر عن دينه ولا يُسأل عن ذنبه[٥].

وقيل: هذا في وقتٍ دون وقتٍ[٦].

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ علىٰ بغلةٍ شهباء عليها سرج من ذهبٍ، ومعه ألف جارية، علىٰ بغالٍ شُهْب وسروج من ذهب، عليهن ثياب أرجوان، ومعه

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٦٢٠.

(٢) وهي صنعة الكيمياء، في زعم الكلبي وأصحابه (الكشف والبيان ٢٠/ ٥٠١)، ورده العلماء (معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٥٦، البسيط ١٧/ ٤٦٠).

(٣) في الأصل: غير، وهو تصحيف.

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٥٠٦.

(٥) البسيط ١٧/ ٤٦١.

(٦) انظر: تفسير الطبري ١٩/ ٦٢٧، البسيط ١٧/ ٤٦٢.

أربعة آلاف فارس، بلباس الأرجوان والخِفاف البيض[١]، وقد نهىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن الثياب الحمر والأرجوان؛ لأنه زيّ قارون[٢].

فلما رأوْهُ علىٰ تلك الحال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ ويطلبون زينتها ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ وافرٍ من المال.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وهو يُوشَع بن نون، ونفرٌ معه ممن أُعطي علم الزهد والتوكل الراغبين ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ معناه: الويل لزمكم ثواب الله لأهل الطاعة خيرٌ لمن آمن وعمل صالحًا مما أوتي قارون ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي: هذه الفعلة أو هذه الكلمة.

وقيل: ولا يلقىٰ الجنة لأنَّ ثواب الله الجنة ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ علىٰ أمر الله تعالىٰ.

قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ قال الحسن البصري: لما بَنَىٰ قارون دارًا مرتفعًا مُشرفًا، وفرغ منها، صنع طعامًا وجمع فيه الناس وأطعمهم، ودعا بامرأةٍ جميلةٍ أجمل أهل زمانه، وهي بِغيَّة، وجعل لها جُعْلاً عظيمًا أنْ تقول علىٰ موسىٰ كذبًا، وهو أن تقول: راودني موسىٰ إلىٰ نفسه، فأجابت المرأة، ووعد لها

---

(١) تفسير الطبري الكشف ١٩/ ٥٢٧، والبيان ٢٠/ ٥٠٥، البسيط ١٧/ ٤٦٣.

(٢) عن علي نُهيَ عن مياثر الأرجوان ولبس القسي وخاتم الحرير، رواه أحمد ٩٨١ بسند صحيح.

قال ابن الأثير (في النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ١٥٠): «أنه نهىٰ عن ميثرة الأرجوان» الميثرة بالكسر: مفعلة، من الوثارة. يقال: وثر وثارة فهو وثير: أي وطيء لين. وأصلها: موثرة، فقلبت الواو ياء لكسرة الميم. وهي من مراكب العجم، تعمل من حرير أو ديباج.

والأرجوان: صبغ أحمر، ويتخذ كالفراش الصغير ويحشىٰ بقطن أو صوف، يجعلها الراكب تحته علىٰ الرحال فوق الجمال. ويدخل فيه مياثر السروج، لأن النهي يشمل كل ميثرة حمراء، سواء كانت علىٰ رحل أو سرج.

أنك تجيء غدًا عند اجتماع الناس في داري وتشكوا من موسىٰ، فلما أصبح وارتفع النهار وامتلأت الدار من الناس؛ لم تحضر المرأة، فأُرسِلَ[1] إليها رسولاً وإلىٰ موسىٰ رسولاً فحضرا جميعًا، وأقامهما بين يديه، وقال: يا موسىٰ إن هذه تشكو منك فمالها؟ فقال موسىٰ: لا أدري بيني وبينها شيء، ثم سألها موسىٰ: مَالَكِ يا هذه؟ فقالت: إن قارون أمرني بكذا وكذا، وجعل لي من الجُعل كذا وكذا، حتىٰ أقول فيك كذا وكذا، فغضب موسىٰ غضبًا شديدًا، وقال: يا عدو الله أنكرت ربوبية الله، وبلغ جرأتك علىٰ الله حتىٰ قلتَ فيَّ ما قلت، فخرج من عنده وشكا إلىٰ الله، فقال: يا رب إلىٰ كم تُنظره، أنكر ألوهيتك، ورمىٰ رسولك، فأوحىٰ الله إليه: يا موسىٰ جعلتُ الأرض مطيعةً لك، فمُرْها كيف شئت، فدخل موسىٰ علىٰ قارون غضبانًا وقال: يا عدو الله، كذَّبتني وجحدتَ ربوبية الله، وعبدتَ دونه، أما تخاف الله، فغضب قارون فقام وهَمَّ به، وعنده جماعة من أشراف قومه، فقال موسىٰ: يا أرض خُذيهم، وكان قارون علىٰ فراش مبسوط علىٰ سريرٍ مرتفعٍ، فأخذت الأرض بأقدامهم وغاب فرشه في الأرض، وأخذت الأرض بقدميه، وأخذ من الحاضرين مثل ما أخذ من قارون، وكان موسىٰ قائمًا يُوَبِّخهم ويُشدِّد عليهم، فتضرعوا إليه: يا موسىٰ ارحمنا وكُفَّ عنا، فجعلوا يتضرعون ولا يزداد موسىٰ إلا غضبًا، حتىٰ أخذت الأرض بأنفسهم، لم يبق علىٰ الأرض إلا رؤوسهم، وكانوا يطمعون في عفو موسىٰ، فقال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم واستوت الأرض بهم، فقال الله تعالىٰ: يا موسىٰ تضرَّع إليك عبادي ولم ترحمهم، فوعزتي لو أنهم دعوني واستجاروا بي لأنجيتهم، فلما خسفت الأرض قارون تكلَّم بنو إسرائيل، وقالوا: إن موسىٰ فعل بقارون كذا حتىٰ يرث ماله، فسأل موسىٰ ربه وقال: يا رب إن عبادك اتهموني، فاجعل

---

(١) في الأصل: فأرسلت.

الأرض مُطيعة لي، فجعلها له مُطيعة، فقال موسىٰ: يا أرض خُذي دار قارون بما فيها، وكان بعد هلاك قارون بثلاثة أيامٍ، فانخسفت الدار والخزائن والغلمان والجواري والدواب كلها في الأرض[١].

ثم قال: ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يمنعونه ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ۝٨١﴾ بنفسه.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ أي: منزله وما فيه من الزينة ﴿يَقُولُونَ﴾ بعضهم لبعضٍ ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ قال قتادة: أولا ترىٰ أن الله[٢].

وقال الضحاك: ولكن الله[٣].

وقيل: معناه يا رحمة لك[٤].

وقال الخليل بن أحمد: «وَيْ» مفصولة مِنْ «كأن» وتستعمل كلمة «وَيْ» في الندم علىٰ ما سلف، فكأن القوم تنبَّهوا وقالوا: وَيْ نادمين علىٰ ما فرط منهم[٥].

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ علىٰ مَنْ يشاء ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أنعم الله علينا إذ لم يعطنا كما أعطىٰ قارون ﴿لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٢﴾ ويُقال فيه: أليس أن القول وما اشتق منه لا يجيء بعده أنَّ فكيف جاء «يقولون ويكأن الله»؟.

---

(١) الخبر رواه الطبري عن ابن عباس (تفسير الطبري ١٩/ ٦٣٠) بإسناد فيه المنهال بن عمرو، وقد رواه غيره فجعله عن عبد الله بن الحارث لم يذكر ابن عباس، وهو الصحيح.

(٢) رواه الطبري في التفسير ١٩/ ٦٣٤، وعنه قول آخر: أو لا يعلم.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٦٢١.

(٤) وهو غريب.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٢، معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٥٧، تفسير أبي الليث ٢/ ٦٢١.

قلنا: كلمة ويكأن كلمتان، فصارتا كلمة واحدة كما في حضرموت وبختنصر.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ وما فيها من النعيم ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: عتوًا وتكبرًا ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ أي: لا يريدون عملاً بالمعاصي ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ٨٣﴾ المتواضعين الموحِّدين.

قال الصادق: الكِبر من نظر إلىٰ نفسه، والفساد مَنْ نظر إلىٰ الدنيا.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ أي: المعرفة بتوحيد الله ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ معناه: فله منها خيرٌ يعني يحصل الخير بالتوحيد، وهو الجنة والثواب والنجاة من النار.

وقيل: ثواب الله خيرٌ له من عَمَلِهِ.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي: بالشرك ﴿فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٨٤﴾ إلا جزاء شركهم.

وظاهر الآية يقتضي أنَّ ثواب الحسنة يكون أكثر من العمل، وثواب السيئة لا يكون إلا واحدًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ نزلت الآية بالجُحْفَة، وذلك أنَّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم لما خرج من الغار ليلة الهجرة وأخذ سمت المدينة حتىٰ بلغ الجُحفة، فرأىٰ الطريق التي تؤدي إلىٰ مكة، فاشتاق إليها، وذكر مولده، فنزل جبريل بهذه الآية[١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ يعني بتبليغ الرسالة، وقيل فرض عليك العمل بالقرآن[٢].

---

(١) وهو مروي عن مقاتل والضحاك والكلبي تفسير أبي الليث ٢/ ٦٢٢، البسيط ١٧/ ٤٧٤، الكشف والبيان ٢٠/ ٥١٨، تفسير ابن كثير ٦/ ٢٦٠.

(٢) وهما بمعنىٰ.

﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ يعني: إلىٰ مكة، وقيل: إلىٰ الجنة[١].

﴿قُل﴾ لأهل مكة ﴿رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ بالتوحيد وطريق الصواب من عنده، وأنا الذي جئت به ﴿وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٨٥﴾ أي: ربي أعلم بمن كان في خطأ بيِّن وذلك أنتم أيها المشركون.

وقيل: قل يا محمد: ربي أعلم مَنْ جاء بالهدىٰ أم أنتم؟.

﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ أن يُوحىٰ إليك القرآن ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ﴾ نصب علىٰ الخروج من أول الكلام[٢]، معناه: إلا أن الله رحمك رحمةً ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا﴾ أعوانًا ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ ٨٦ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: يصرفك عن آيات الله، أي: الوحي ﴿بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ﴾ وذلك حين دعاه الكفار ليُزوِّجوه أحسن نسائهم، ويُقاسموه بشطر أموالهم؛ ليترُكَ مقالته ودعوته إلىٰ الإيمان، فأنزل الله هذه الآية[٣].

﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ إلىٰ توحيد ربك ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٨٧ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ﴾ فإنه واحد لا شريك له، الخطاب لرسول الله والمُراد أُمَّته ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ كل شيءٍ من الحيوان ميِّت إلا الله جل جلاله، وتعالىٰ عن صفات المحدثين.

---

(١) والقول الثاني قول ابن عباس وأصحابه وأبي سعيد الخدري (تفسير الطبري ١٩/ ٦٣٩) وعن ابن عباس: لرادك إلىٰ الموت، وكذا قال سعيد بن جبير، وعنه قول ثالث: مكة، ومال ابن جرير إلىٰ تصحيح ذلك كله، لأن المعاد من العود.

(٢) قال السمين الحلبي (في الدر المصون ٨/ ٧٠٠): فيه وجهان، أحدهما: هو منقطع أي لكن رحمك رحمة، والثاني: أنه متصل. قال الزمخشري: «هذا كلام محمول علىٰ المعنىٰ، كأنه قيل: وما ألقىٰ إليك الكتاب إلا رحمة» فيكون استثناء من الأحوال أو من المفعول له.

(٣) وهو قول مقاتل (البسيط ١٧/ ٤٧٨).

إلا وجهه: منصوب علىٰ الاستثناء، ويحتمل كل شيء هالكٌ إلا وجهه يعني إلا مَنْ عمل لله، أو عُمل لله، فإنه يبقىٰ لا يفنىٰ[١].

﴿لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ أي: له القضاء والتقدير.

وقيل: له الحكم في قبول الأعمال وردَّها.

﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ في الآخرة يجزيكم بأعمالكم.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة القصص كان له من الأجر بكل حرفٍ عشر حسنات، ولم يبق مَلكٌ في السماوات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقًا»[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٦٤٣.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٠/ ٣٧٣، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٩٥.

سورة العنكبوت

مكيَّة، إلا عشر آيات من أوَّلها كأنها مدنيات، علىٰ قول ابن عباس[1].

وهي ستون وتسع آيات[2].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾ الكلام في «الم» قد مرَّ فيما تقدَّم[3].

والحسبان والظنُّ بمعنىٰ واحدٍ.

قال مقاتل: نزلت في مهجع بن عبد الله وفي أبيه وأُمِّه، ومهجع أول قتيل من المسلمين ببدر، وهو أول من يُدعا من شهداء هذه الأُمة إلىٰ الجنة، فجزع عليه أبواه جزعًا، فنزلت الآية بيانًا لأبويه ولغيرهما أنه لابُدَّ للمسلم من البلاء في ذات الله تعالىٰ[4]، وقال: أحسب الناس ﴿أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾.

وقيل: نزلت في المنافقين، تكلَّموا بكلمة الشهادة ظاهرًا وهم مع الكفرة باطنًا، فلما طُولبوا بإقامة الطاعات ثقل ذلك عليهم، فنزلت الآية فيهم: أحسب

---

(١) الكشف والبيان ٢١/ ٧، زاد المسير ٣/ ٣٩٨، الدر المنثور ٦/ ٤٤٩.

(٢) بالاتفاق، البيان في عد آي القرآن ٢٠٣.

(٣) سورة البقرة، آية (١).

(٤) وهذا يقتضي أنها مدنية، وهو قول مقاتل. وفي رواية عطاء عن ابن عباس وقول الشعبي أنه لما نزلت آية الهجرة كتب به المسلمون إلىٰ إخوانهم في مكة، والناس هم: سلمة بن هشام والوليد بن الوليد وعياش بن أبي ربيعة وعمار بن ياسر (تفسير الطبري ١٩/ ٩، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٤، الكشف والبيان ٢١/ ١٠، البسيط ١٧/ ٤٨٥).

الناس أن يتكلموا بكلمة الإسلام فيُتْرَكون ولا يُفتنون، أي: لا يبتلون بالأعمال من شرائع الدِّين[١].

وقال ابن عطاء: أَظَنَّ الخلق أنهم يتركون مع دعاوي المحبة، ولا يطالبون بحقائقها، وحقائق المحبة هو صَبّ البلوىٰ علىٰ المُحبِّ وتلذُّذه بالبلاء.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من أهل الإيمان، بعضهم صُلِبَ، وبعضهم أُلقي في النار، وبعضهم أُغْلِيَ به القِدْر ورُمي فيه.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في إيمانهم، معناه: ليرين الله المخلَصين في إيمانهم عند استعمالهم الشرائع التي كُلِّفوا إقامتها.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ أي: ليرين الكاذبين في نيَّاتهم، فعلامة الإخلاص: اتِّباع ما أمر به والانتهاء عما نهىٰ عنه.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: كفروا بالله تعالىٰ ويعبدون الأصنام ﴿أَن يَسْبِقُونَا۟﴾ بشركهم وخُبث أفعالهم ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤﴾ بئس ما يقصون لأنفسهم؛ بأن يفوتونا ولا نجزيهم بأعمالهم الخبيثة.

قيل: نزلت في أبي جهل[٢].

﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ أي: ثواب الله، أي: تأمَّل جزاء الله فليفرح ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ﴾ فإن البعث لكائن، وإن ثواب الله لواجب، وفيه إضمار: يعني ليعمل العبد للغاية فإنَّ أجله لآتٍ.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾ لمقالتهم، العليم بنيَّاتهم.

---

(١) وهو قول غريب.

(٢) وعن الكلبي: في الذين بارزوا يوم بدر (تفسير أبي الليث ٢/ ٦٢٥).

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾ يعني: ثواب جهاده لنفسه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ أي: من الجن والإنس وسائر الخلق، لا يُنقص من مُلكه عصيانهم جناح بعوضة.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ السيئة: الخِصلة التي تسوء صاحبَها عاقبتُها، والتكفير: إبطال السيئة بالحسنة، والإحباط: إبطال الحسنة بالسيئة، لنكفرن عنهم سيئاتهم: لنمحونها.

﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٧﴾ أي: نجازيهم بإحسانهم ولا نجازيهم بمساوئهم.

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ﴾ قيل: نزلت في سعد بن أبي وقاص، وذلك أنَّ أُمَّهُ حمنة[1] نذرت أن لا تأكل ولا تشرب ولا تستظل من حرٍّ ولا بردٍ؛ حتىٰ يكفُرَ سعد بمحمدٍ صلىٰ الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ يعني سعدًا ﴿بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ مالك وحمنة بنت أبي سفيان ﴿حُسۡنٗاۖ﴾ أي: بِرًّا لهما وعطفًا عليهما[2].

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ أي: قاتلاك في المثَل ﴿لِتُشۡرِكَ بِي﴾ الأصنام وتكفر بي ﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ أي: لا علم لك أن لي شريكًا ولا شركاء ﴿فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ﴾ يا سعد فيما دعواك إليه فإن ذلك ليس من البرِّ والإحسان ﴿إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ أي: مرجع الوالدين والولد ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٨﴾ في الدنيا من الخير والشر والكفر والإيمان.

---

(١) هي حمنة بنت أبي سفيان بن أمية، انظر: تنوير المقباس ٣٣٢، تفسير السمعاني ٤/ ١٦٨، معالم التنزيل ٦/ ٢٣٣.

(٢) رواه الطبري عن قتادة (تفسير الطبري ٢٠/ ١٢).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّٰلِحِينَ ۝٩﴾ لنُنْزِلهم في الجنان مع الأنبياء، ويُقال: الصالحون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين(١).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ أي: عُذِّب بسبب دين الله ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ بالضرب والسياط ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ في النار لمن كفر به ورجع عن دينه.

نزلت في: عياش بن أبي ربيعة، أسلم وعذَّبه أبو جهل والحارث بن هشام، وأجبراه علىٰ الكفر فكفر(٢).

---

(١) المعنىٰ: في مدخل الصالحين، وهي الجنة، ولا شك أن الخلفاء الأربعة من سادة الصالحين، لكن الآية عامة.

(٢) وهذا قول الكلبي ومقاتل، وهو باطل، فلو كان عياش قد ارتد لما كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم يدعو له في القنوت، كما لا يخفىٰ، وقد ذكره من يعتمد علىٰ الكلبي ومقاتل، كأبي الليث في تفسيره ٢/ ٦٢٦، والبسيط ١٧/ ٤٩٧، وقد نسب إلىٰ ابن عباس، أي من رواية الكلبي.

والصحيح في ذلك ما رواه الطبري في تفسيره ٢٠/ ١٣عن ابن عباس بإسناد صحيح: قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بإسلامهم، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم وقتل بعض، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا، فاستغفروا لهم، فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ﴾ [سورة النساء:٩٧] إلىٰ آخر الآية، قال: فكتب إلىٰ من بقي بمكة من المسلمين بهذه الآية أن لا عذر لهم، فخرجوا، فلحقهم المشركون، فأعطوهم الفتنة، فنزلت فيهم هذه الآية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾إلىٰ آخر الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا وأيسوا من كلّ خير، ثم نزلت فيهم ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَٰهَدُوا وَصَبَرُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١٠﴾[سورة النحل:١١٠] فكتبوا إليهم بذلك: إن الله قد جعل لكم مخرجا، فخرجوا، فأدركهم المشركون، فقاتلوهم، حتىٰ نجا من نجا، وقُتل من قُتل.

﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ﴾ يعني: عياش ومَنْ كان في مِثل حاله ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ﴾ علىٰ دِينكم ولم نرتد عن الإسلام.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾ من الطمأنينة علىٰ الإيمان، والانشراح بالكفر، ثم أسلم عياش بعد ذلك وحَسُنَ إسلامه.

قال أبو معاذ النحوي: من عجيب كلام العرب وسعته أنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ ولم يقل: آمنت بالله، أخرجه علىٰ الجمع، ثم قال: ﴿فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ﴾ أخرجه علىٰ الواحد، ثم قال: ﴿جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ علىٰ الواحد، ثم قال: ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ﴾ أخرجه علىٰ الجمع.

[﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ١١﴾].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من الفقراء ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ ارجعوا إلىٰ ديننا ﴿وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ لفظه الأمر، وتأويله الشرط والجزاء، معناه: إن تتبعوا خطاياكم في الآخرة؛ إن كان لكم فيه إثم، فأعلم الله كذبهم فقال: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ﴾ قليل ولا كثير ﴿إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٢﴾ في مقالتهم.

﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ﴾ أي: ليستوجبُنَّ عقوبة آثامهم التي اكتسبوها في كفرهم ﴿وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ﴾ آثامًا مع آثام مَنْ أضلوهم من غير أن ينقص من آثام مَنْ تبعهم ﴿وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣﴾ أنهم يحملون أوزار غيرهم.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ ليدعوهم إلىٰ الله ويحذِّرهم من عقابه ﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾ يدعوهم، فأبوا أن يجيبوا فكان أطول منك لبثًا يا محمد ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ بتكذيبهم رسولَهم ﴿وَهُمۡ

﴿ظَٰلِمُونَ ١٤﴾ لأنفسهم، كافرون بربهم، سُمي طوفانًا لأنه طاف بهم وأحاطهم بالهلاك، وسُمي القتل الفزيع[١] والموت الجارف: طوفان، لما يشمل كثيرًا من الناس.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ أي: الذين معه في السفينة ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾ أي: سفينة نوحٍ ﴿ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٥﴾ أي: عِبرة لمن بعد نوح من العالمين، لأنَّ خشبها كانت ملقية علىٰ جبل الجودي إلىٰ قريبٍ من هذه الأعوام[٢].

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: أرسلنا إبراهيم.

وروي عن أبي حنيفة والنخعي أنهما كانا يقرآن: وإبراهيمُ، بالرفع علىٰ الابتداء[٣].

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحِّدوه واخشَوْه ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: توحيده ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من عبادة الأوثان التي نحتتم بأيديكم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٦﴾.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ أي: تتخذون الأصنام بأيديكم ثم تزعمون أنها آلهة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لا يقدرون أن يرزقكم بل الله رازقكم ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ لأنَّ الرزق من عنده ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ١٧﴾ أي: إلىٰ مجازاته في الآخرة.

﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ يا أهل مكة محمدًا ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ بالرسل ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ [ٱلْمُبِينُ] ١٨﴾ أي الإنذار من الله عزَّ وجل إن لم يؤمنوا.

---

(١) في الأصل: الفزريع.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٦٤.

(٣) أي: ومن المرسلين إبراهيم (الكشاف ٣/ ٤٤٧).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ألم يعلموا ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ من النُطف والعَلق وغيره ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ في الآخرة من التراب ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: إعادة الخلق ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ لتعتبروا في أمر البعث ﴿فَانْظُرُوا﴾ بعد السَّيْر ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ يعني: خلق السماوات والأرض وما بينهما.

وقيل: يعني اقرؤوا القرآن واعتبروا من أخبار الأُمم الماضية.

وقيل: سافروا حتىٰ تَرَوْا بيوتهم خاوية(١).

﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ وقدرتي في الآخرة كقدرتي في الدنيا.

«النشأة» و«النشاءة»: بالمد والقصر لغتان(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من إنشاء الخلق والليل والنهار ﴿قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بعد الموت والبعث ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ مَنْ كان أهلاً ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾ ترجعون.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: هاربين وفائتين من عذابه ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ يعني: ولا من السماء بمعجزٍ ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا [نَصِيرٍ] ﴿٢٢﴾﴾ ينفعكم وناصر ينصركم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بمحمدٍ والقرآن ﴿وَلِقَائِهِ﴾ البعث ﴿أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ أي: جنتي ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٦٢٩، زاد المسير ٣/ ٤٠٤.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمر: النَّشاءة، وقرأ الباقون: النشأة (النشر ٢/ ٣٤٣).

ثم رجع إلىٰ ذكر إبراهيم ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ حين دعاهم إلىٰ التوحيد ﴿ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ بالنار، فألقوه في النار فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا، وهو في روضةٍ خضراءٍ، عن يمينه جبريل وعن يساره الملائكة المُقرَّبون يُحدِّثونه، ويضحكون علىٰ فعلة الكفرة، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ النار التي لم تحرق إبراهيم ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ أي: عبراتٍ ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وَقَالَ﴾ لهم إبراهيم: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني: لتتوادوا بها في الدنيا ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ حتىٰ تتبرأ القادة من الأتباع، ويلعن الأتباع، لأنهم زينوا للأتباع الكفر(١).

وقوله: «مودةً بينكم» نصبه علىٰ أنه مفعول: «إنما اتخذتم»، وبالرفع علىٰ الخبر(٢).

ثم قال: ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: مصيركم النار، للعابد والمعبود والقادة والسَّفلة ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ من عذاب الله.

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ وصدَّقه، وهو أول من صدَّق بإبراهيم حين رأىٰ أنه لم تضره النار ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ أي: إلىٰ رضا ربي.

وقيل: مهاجر من هذه الأرض إلىٰ أرض لربي أعبده فيها، هاجر من أرضه ومعه لوط وسارة أخت لوط إلىٰ حرَّان(٣).

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٦٣٠.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس بالرفع من غير تنوين، ويلزم منه خفض بينكم: مودةُ بينِكم، وكذا قرأ حمزة وحفص وروح إلا أنهم نصبوا مودة: مودةَ بينِكم، وقرأ الباقون: مودةً بينَكم (النشر ٢/ ٣٤٣).

(٣) وعلىٰ هذا القول فلوط ابن عمه وليس ابن أخيه، وهذا قول شاذ.

وقيل: إلىٰ أرض المقدَّسة، وهو ابن خمس وستين سنة[١].

فلما خرج سلَّط الله البعوضة علىٰ نمرود حتىٰ أهلكه، فأراه الله في الدنيا حقارة نفسه إذ لم يقدر علىٰ أن يدفع عن نفسه أضعف خلقٍ لربه.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ بالانتقام من أعدائه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ حكم له في الهجرة صلاحًا.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ﴾ بعد الهجرة ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ولد الولد ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ﴾ إبراهيم ﴿ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة والإنجيل والزبور، وكان ذلك في ولد إسحاق، إلىٰ أنْ بَعث الله تعالىٰ محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم فتحوَّلت النبوة والكتاب إلىٰ ولد إسماعيل.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ وفائدة هذا الكلام كيلا يظن أحدٌ أنه لما آتاه أجره في الدنيا بطل في الآخرة. هو الثناء الحسن، وقيل: كون الأنبياء من ولده[٢].

﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ مع آبائه المرسلين في الجنة.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ يعني: وأرسلنا لوطًا، واذكر لوطًا إذ قال لقومه ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ المعصية وهي ما تلتمسونها من أدبار الرجال والنساء ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ فيمن مضىٰ، و«مِن» ههنا زائدة، يعني أحدًا من العالمين[٣].

---

(١) كذا في الأصل، ولعله هكذا في مصادره، ولكنه غير صحيح أو هو تصحيف، والصحيح: ابن خمس وسبعين سنة، كذا في المصادر، وهو منقول عن مقاتل (انظر: الكشف والبيان ٢١/ ٣٥، تفسير السمعاني ٤/ ١٧٦، معالم التنزيل ٦/ ٢٣٨، الكشاف ٣/ ٤٥١).

(٢) زاد المسير ٣/ ٤٠٥.

(٣) سبق التنبيه علىٰ كلمة زائدة، ومثل هذا لا ينبغي إطلاقه في حق القرآن الكريم، لكن العذر لهم أن المفسرين ينظرون للمعنىٰ، فعدوها زائدة، وأما الناظر في أسرار القرآن وبلاغته فيجد لها فائدة.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ أي سبيل الولد.

وقيل: معناه قطع الطريق السابلة، لأنهم يطلبون السابلة ويأخذونهم لعملهم الخبيث، وكانوا إذا ظفروا بابن السبيل نكحوه وشجُّوه وغرَّموه ثلاثة دراهم، وكان لهم قاضٍ يقضي بذلك(١).

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ قيل: كانوا يضرطون في مجالسهم ويصفعون ويبزقون في وجوه بعضهم بعضًا، ويخذفون كلَّ من مرَّ بهم، ولهم خصال عشرٌ كلها مذمومة مع اللواطة(٢).

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ بأن العذاب نازلٌ بنا.

﴿قَالَ﴾ لوطٌ ﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾ بشَّروه بإسحاق ﴿قَالُوا﴾ لإبراهيم ﴿إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ يعنون قُريات لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ مشركين.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ ابن أخي ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ العجوز ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ في المدينة للهلاك، ثم مضوا من عنده إلىٰ سَدُوم.

---

(١) انظر: الكشف والبيان ٢١/ ٣٩.

(٢) وهي كما وردت عن مكحول: مضغ العلك، وتطويق الأصابع بالحناء، وحل الإزار، وتنقيض الأصابع، والعمامة التي يلف بها الرأس، والسلنية، ورمي الجلاهق، والصفير، والخذف، واللوطية. (الكشف والبيان ٢١/ ٤٢، معالم التنزيل ٦/ ٢٤٠).
وفي تفسير أبي الليث ٢/ ٦٣١: هي الرمي بالبندق والصّفير، والحذف، ومضغ العلك، وحل إزار القباء، واللعب بالحمام، وشرب الخمر، وضرب العود والمزامير، واللوطية.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ أي: ساءه مجيئهم خوفًا من قومه ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ﴾ أي: اغتمَّ بسبب مجيئهم اغتمامًا، وسطعت امرأة لوط النار في مخبزها، فلا يمر بها أحدٌ إلا قالت: بغيتكم عندنا، حتىٰ امتلأت منهم دار لوط، واغتمَّ به لوط فنشر جبريل جناحه ﴿وَقَالُواْ﴾ إنا رسل ربك فـ ﴿لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ﴾ يعني: ابنتيك زعوتا وريثا[1] ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣﴾ أي: تكون.

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا﴾ أي: حجارة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٣٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ﴾ أي: الحجارة المنضودة والماء الأسود في موضع القرية ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٣٥﴾ عن الله أمره.

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحِّدوه ﴿وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ واخشوا البعث ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٣٦﴾ بنقصان المكيل والموزون بعد الشرك.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بالنبوة ونزول العذاب ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ الصيحة والزلزلة ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٣٧﴾ ميِّتين كجثوم الطَّير.

﴿وَعَادٗا﴾ أي: أهلك عادًا قوم هود ﴿وَثَمُودَاْ﴾ قوم صالح ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ يا أهل مكة ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ﴾ يعني: آثارهم باقية عند مروركم ببلادهم ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الطريق الواضح وهو الإسلام ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ٣٨﴾ يظنون أنهم علىٰ الحق.

وقيل: معجبين بضلالتهم[2].

---

(١) سبق ذكر ذلك في تفسير سورة الأعراف، آية: ٨٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٦٩، زاد المسير ٣/ ٤٠٧.

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: أرض مصر ﴿وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩﴾ فائتين بأعمالهم الخبيثة.

﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ﴾ أي: عذَّبناهم بشركهم وكفرهم ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا﴾ وهم قوم لوط ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ صيحة جبريل قوم صالح وشعيب ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ وهم قوم لوط وقارون ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ﴾ قوم نوح وموسىٰ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ بتعذيبهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾ بشركهم.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ﴾ من الأصنام، وهم أهل مكة شبَّههم ﴿كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ﴾ أي: نسجت لنفسها مسكنًا لا ينفعها في دفع قرٍّ ولا حرٍّ، وكذلك الكافرون يعبدون شيئًا لا يضرهم ولا ينفعهم، ومنفعة بيت العنكبوت أكثر من منفعة الأصنام مع هذا، لأن بيتها يحبس عليها الذباب فتصيده، والوثن لا ينفع عابده شيئًا بل يضرُّه.

﴿وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ﴾ لأن الرِّيح يَهُبُّ به من وهنه وضُعْفه، فكذلك الوثن أضعف الأولياء لعابديها.

﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾ أي: يهتدون المَثَل المضروب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ﴾ يعني الأوثان ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ بالانتقام ممن عَبَدَ دونه ﴿ٱلۡحَكِيمُ ٤٢﴾ في أمره حكم بتخليدهم في النار إذا ماتوا علىٰ الكفر.

﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ﴾ كما بيَّنا من صفة العنكبوت وبيته مع الوثن وعابده ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾ الموحِّدون، الذين يعقلون عن الله أمره.

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ آية خلقها للحق، وطلب الحق من الخلق.

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني القرآن على أهل مكة ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بشرائطها ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الخمس ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ الفحشاء: المعاصي، والمُنكر: ما لا يُعرف حقًا في الشريعة، ويجوز أن يكون معناه: إذا تفكَّر في ما يقرأ من القرآن نهاه ذلك عن الفحشاء والمنكر(١).

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: ذكر الله إياكم بمغفرته أكبر من ذِكركم إيَّاه بطاعته في صلواتكم.

وقيل: ذكر الله بالتوفيق أكبر من ذكر العبد بالطاعة، ويحتمل أن يكون شديدٌ على الإنسان لمخالفة الهوى، كقوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ وقيل: ولذكر الله أكبر من أن يؤديه العبد كما يستحقه.

وقيل: ذكر الله أكبر من ذكر العبد لأن الله تعالىٰ إذا ذكر العبد ألقىٰ ذكره في الملكوت، والعبد لو ذكر الله جميع عُمره لا يزيد في ملكه قدر ذرَّة(٢).

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ في السرِّ والعلانية.

---

(١) انظر: تفسير أبي الليث ٢/ ٦٣٥، وقال ابن جرير: فإن قال قائل: وكيف تنهىٰ الصلاة عن الفحشاء والمنكر إن لم يكن معنيا بها ما يتلىٰ فيها؟ قيل: تنهىٰ من كان فيها، فتحول بينه وبين إتيان الفواحش، لأن شغله بها يقطعه عن الشغل بالمنكر، ولذلك قال ابن مسعود: من لم يطع صلاته لم يزدد من الله إلا بعدا. وذلك أن طاعته لها إقامته إياها بحدودها، وفي طاعته لها مزدجر عن الفحشاء والمنكر (تفسير الطبري ٢٠/ ٤٢).

(٢) حاصل ذلك أن لأهل التأويل قولين: الأول: ذكر الله لكم أفضل من ذكركم، والثاني: ذكر الله أفضل من كل شيء (تفسير الطبري ٢٠/ ٤٥، البسيط ١٧/ ٥٣٤، زاد المسير ٣/ ٤٠٩).

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الخطاب للنبي صلىٰ الله عليه وسلم وحده، وأهل الكتاب: أراد به عبد الله بن سلام وأصحابه من المؤمنين، ثم استثنىٰ كفار اليهود فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ مشركوهم.

يعني: جادلهم باللتي هي أحسن، يعني عظهم بالقرآن.

وقيل: لا تجادلوا أهل الكتاب: يعني مؤمنيهم ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1].

ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ وهم كفرتهم، أقبلوا عليهم وجادلوهم، ثم ذكر في التقديم: ﴿وَقُولُوٓاْ﴾ لمؤمنيهم ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ من القرآن والتوراة ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾ أي: كما أخبرناك في الكتاب جادلهم، ثم مدح مؤمنيهم فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ علم التوراة ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ بالقرآن ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ أيضا ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ أي: لا يُنكرها بعدما يعرفها ﴿إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧﴾ من اليهود، بنعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ﴾ أي: من قبل القرآن ﴿مِن كِتَٰبٖ﴾ و«مِن» زائدة ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ﴾ أي: لم تكتب كتابًا بيمينك، لأنَّ نعتك في التوراة: أحمد عربي حَرمي أُمِّيٌّ، ولو كنت تكتب لارتاب المبطلون، أي: شكَّ فيك كفار مكة واليهود.

فإن قال قائل: قد شكُّوا فيه وإن لم يكتب، فأيُّ فائدة وإن لم يكتب؟

قلنا: لأنهم شكُّوا في رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، والشك فيه نوع من العلم، والشك في الشيء ليس بجهل به، ولا الشَّاك جاهل بالمشكوك فيه، فإذا صار الشكُّ رَيبًا لم يبق فيه نوعٌ من العلم.

---

(١) الكشف والبيان ٢١/ ٧٠، البسيط ١٧/ ٥٣٨.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي: صار شكَّهم رَيْبًا فازداد جهلهم، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لا يكتب لِعِظم قَدْرِهِ، وذاك أعجب لمعجزته، وأبعد من توجُّه الظنَّة عليه؛ كيلا[1] يظن به ظانٌّ أنه يكتب القرآن من غيره[2].

﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾ يعني القرآن ﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ وهم يعرفونها، يعني: مؤمني أهل الكتاب.

وقد تعلَّقت المعتزلة أنَّ القرآن مخلوق بهذه الآية، لأنَّ الصدور بائنة من الله تعالىٰ.

وجوابهم: أنَّه ليس المعنىٰ في صدور الذين أوتوا العلم أي ثابتة فيها، ولكن: معلوم فيها، لأن الصدور موضع العلم[3].

قوله: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ أي: نَعْتك ونعت دِينك ﴿إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ كعب بن الأشرف وغيره.

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ﴾ كما كانت الأنبياء تجيء بها، مثل شق البحر وعصىٰ موسىٰ وغيره.

﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ إن شاء أنزلها وإن شاء لم ينزل ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ﴾ مُخوِّف ﴿مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ بلغةٍ تعرفونها.

---

(١) في الأصل: كما، والصحيح ما أثبت.

(٢) البسيط ١٧/ ٥٤٠.

(٣) وهذا علىٰ القول أن الآيات هي القرآن، وعلىٰ القول: أن المقصود ورود محمد صلىٰ الله عليه وسلم ونعته في كتبهم فلا إشكال، تفسير الطبري ٢٠/ ٥١، معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٧١، الكشف والبيان ٢١/ ٧٥.

﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ﴾ من الآيات ﴿أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةً﴾ لمن آمن به وعمل بما فيه ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾ أي: منفعة ﴿لِقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ ٥١﴾.

﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ﴾ بأنِّي رسوله ﴿يَعۡلَمُ[مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ]﴾ سر أهل السماوات وسر أهل الأرض ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ باليهودية[1] ﴿وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ وبدينه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٥٢﴾ أي: مُحْرَمون من الثواب ويستوجبون من العذاب.

قال أهل مكة عند ذلك: إن لم تأتنا يا محمد بالآيات فأتنا بالعذاب الذي تَعِدُنا، فنزل[2]: ﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ﴾ ويطلبون منك العذاب مُعجَّلاً ﴿وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ أي: مُدةٌ مضروبةٌ ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾ مُعجَّلاً ﴿وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ﴾ فجأةً ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٣﴾ بنزوله.

﴿يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ﴾ يسألونه ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٤﴾ أي: يجمعهم جميعًا وتحيط بهم.

﴿يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ يأخذهم ويعلوهم من فوق رؤوسهم ﴿وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ﴾ لأهل النار ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٥٥﴾ أي: جزاء أعمالكم.

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يا أهل التوحيد من ضعفاء أهل مكة؛ إن كنتم في ضيقٍ بمكةٍ من إظهار الإيمان ﴿إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾ بالمدينة آمنة من العدو

---

(١) قول أهل التأويل أن الباطل هنا هو الشرك (تفسير الطبري ٢٠/ ٥٤، البسيط ١٧/ ٥٤٤)، وتخصيصه باليهودية فيه نظر.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٤، وفي الكشف والبيان ٢١/ ٧٧، تخصيصه بالنضر بن الحارث.

﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ أي: وحِّدوني بالمدينة علانيةً، واتركوا مكة.

وربما كان بعضهم يكره مفارقة الوطن وترك الأموال والأولاد فنزل قوله[1]: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ أي: لابد من مفارقة الكل بالموت ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٥٧﴾ للمجازاة.

ثم ذكر ثواب المهاجرين حتىٰ رغبوا فيه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بعد الهجرة ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا﴾ مساكن من الخيام والقصور ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أي: تحت غرفها الأنهار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝٥٨﴾ أي: ثواب الموحِّدين والمطيعين.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ علىٰ مضض الهجرة والفقر وأداء الفرائض ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩﴾ يثقون به في الرزق وكفاية الأمر أينما كانوا.

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ والدَّابة: كل ما يَدُبّ علىٰ وجه الأرض، لا تحمل رزقها أي: لا تجمع ولا تخبئ، وبعضها لا تطيق حمل رزقها ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ إن هاجرتم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦٠﴾ السميع لقولِكُم، حين قلتم: مَنْ يطعمنا بالمدينة وليس لنا هناك مالٌ وأقارب؟ العليم بأرزاقكم، مِن أين يرزقكم؟

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ لأنهم لا يستطيعون أن يجحدوا صُنعه ﴿فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٦١﴾ يُصْرَفون من خالق السماوات والأرض إلىٰ عبادة الأصنام.

﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ﴾ أي: يقتر علىٰ مَن يشاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٦٢﴾ من إصلاح عباده في البسط والتقتير.

---

(١) الكشف والبيان ٢١/ ٨١.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي: مطرًا ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ أي: يُبْسها وقحطها ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ فعَلَ ذلك ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إقرارهم بأن الخالق هو الله ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ بأن الحمد لله.

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ وباطلٌ، يعني: كلهوٍ ولعبٍ في سرعة فنائه وانقضائه، ولأنها فانية والآخرة باقية ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ أي: دار الحيوان ولا موت فيها ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ ذلك، والحيوان لا نظير له من الكلام[1].

﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ يعني كفار مكة ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ حين اضطربت بهم الأمواج وخافوا على أنفسهم الهلاك ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ﴾ من أهوالها ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ حين أَمِنُوا من الغرق.

﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ يعني: يشركون ليكفروا نعمة التنجية ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ لكي[2] يعيشوا في كفرهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ إذا نزل بهم العذاب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ يأمنون فيها من القتل والإغارة ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ يُقْتلون ويُسْبَوْنَ وهم في الحرم آمنون، يأكلون ويشربون، ويعبدون غيري ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: الأصنام ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ إذ مُكِّن لهم في الحرم، وأطعمهم من الجوع، وآمنهم من الخوف.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بأنَّ له شريكًا ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي:

---

(١) البسيط ١٧/ ٥٥٦.

(٢) في الأصل: لكن، وهو تصحيف.

مَنْ أظلم ممن كذَّب بالحق، يعني: الإسلام والقرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾ أي: جاء به محمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى﴾ أي: منزل ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ ٦٨﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ أي: حاربوا الكفرة بسبب دِيننا الإسلام، وهو النبي صلىٰ الله عليه وأصحابه.

وقال أبو سهل: جاهدوا أهواءهم من أجل ديننا[١].

﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ لنُعرِّفنَّهم سبيل الحق الذي إذا أخذوا فيها أورثتُهم الجنَّة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ بالعون لهم والدَّفع عنهم.

قال بعض أهل التحقيق: الطريق إلىٰ الله واضحٌ، والوصول إليه بالمجاهدة، والمجاهدة: فَصْل النفس عن الشهوات، ونزع القلوب عن الأماني والشبهات، وخُلو السرِّ عن النظر إلىٰ الخلق، والرجوع إلىٰ رب السماوات، فحينئذٍ صحَّ لك المجاهدة.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة العنكبوت كان له عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومنافق»[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) وهو معنىٰ قول أبي الليث في تفسيره ٢/ ٦٤١ .وهو قول مذكور في معنىٰ الجهاد هنا كما في الكشف والبيان ٢١/ ٩٥.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢١/ ٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٩٦.

سورة الرُّوم

مكيَّة[1]، وهي ستون آية في المدني والكوفي والبصري[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿الٓمٓ﴾ تقدَّم تفسيره، ومعناه: أنا الله أعلم[3].

ثم قال: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ قيل: أهل فارس غلبوا علىٰ بعض أطراف أرض الروم من ناحية الشام، فأخبر بذلك أهل مكة، فسروا بذلك، وقالوا لأصحاب محمد صلىٰ الله عليه وسلم: كما غلب عبدة النيران علىٰ أهل الكتاب كذلك نغلب عليكم، فأنزل الله: ﴿الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾[4].

أنا الله أعلم أنَّ الروم غُلبت وقُهرت في أدنىٰ الأرض مما يلي أرض فارس.

﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ أي: الرُّوم من بعد ما غُلبوا ﴿سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ [فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ]﴾ فارس، والغلْب والغلَبة لغتان[5].

فسمع أهل مكة ذلك وأنكروا، فخَاطَر أبو بكر أُبيَّ بن خلف علىٰ أن الرُّوم تغلب فارس إلىٰ ثلاث سنين بثلاث ذَودٍ من الإبل، فجاء أبو بكر وأخبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بما فعل، فقال: «يا أبا بكر زد في الخطَر وأبعد في

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢١/ ٩٩، زاد المسير ٣/ ٤١٥.

(٢) وكذا في الشامي، وخمسون وتسع في المدني الأخير والمكي (البيان ٢٠٥).

(٣) سورة البقرة آية (١).

(٤) رواه الطبري في تفسيره ٢٠/ ٦٨، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٢١/ ١٠٤ مطولا.

(٥) وهما مصدر غلبتُ (معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٧٧، البسيط ١٨/ ٩).

الأجل»، فرجع أبو بكر إلىٰ أُبي بن خلف وقال: هل لك أن تزيد في الخطر وتُبعد في الأجل؟ فقال: نعم، فخاطره علىٰ عشرٍ من الإبل إلىٰ سبع سنين، فلما قصد أبو بكر الخروج إلىٰ المدينة مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لزمه أُبي بن خَلَف وقال: أعطني كفيلاً، فكفَّله أبو بكر ابنه عبد الله، وذهب.

فلمَّا قصد أُبي بن خلفٍ الخروج إلىٰ أُحدٍ لزمه عبد الله بن أبي بكر وطلب منه كفيلاً، وقال: والله لا أدعُك حتىٰ تعطيني كفيلاً، فأعطاه كفيلاً وذهب، فجُرح جراحًا بعريش أُحُد، ورجع إلىٰ مكة ومات بتلك الجراحة، وغلبَ الرُّوم علىٰ فارس عام الحُديبية عند رأس سبع سنين من مخاطرة أبي بكر رضي الله عنه[١].

والبِضْع: ما بين الثلاث إلىٰ التسع.

ثم قال الله تعالىٰ: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: الحُكم والقضاء والمشيئة ﴿مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ وقبلُ وبعدُ مرفوعان علىٰ الغاية، لأنَّه حرف من الكلمة ما يتوهم به تمام المعنىٰ، واختصر عليه، فصارت غايةً لما بعدها، لأنَّ تمام المعنىٰ إنما يكون بإضافة الكلمة إلىٰ المُراد[٢].

ومعناه: لله الأمر قبل أنْ تغلب الروم ومن بعد ما غلبت الروم.

فإذا سقطتْ الإضافة سُمِّي ذلك غاية، وإنما اختصَّا بالضمِّ دون النصب والكسر؛ لأنَّ إعرابهما في الإضافة النصب والكسر، فعُدِلا عن ذلك، وحُرِّكا بعض الحركتين اللتين كانتا تدخلان بحق الإعراب، والله أعلم[٣].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ٢٠/ ٦٨ عن ابن عباس. وعنده عن عكرمة نحوه، وانظر: تفسير السمعاني ٤/ ١٩٧ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٠٣٦.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٤.

وقيل: لله الأمر من قبل كل شيءٍ له قبلٌ، ومِنْ بعد كل شيءٍ له بَعْدٌ، كقوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ أي: أولٌ ما له أول، وآخرٌ ما له آخرٌ(١).

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤﴾ عند ظهور الروم علىٰ فارس يفرحون بتصديق وعد الله تعالىٰ علىٰ لسان رسوله وتكذيب الكفار ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾ كما نصر أهل الكتاب علىٰ المجوس ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ بالنقمة من أبي جهل وأصحابه يوم بدر ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم.

وقيل: ظهور أهل الروم علىٰ فارس يوم بدر، وكان ذلك موعودًا لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فلهذا فرح المؤمنون(٢).

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ نصب لأنَّه مصدرٌ بمنزلة قوله: وَعَدَ الله وعدًا(٣).

﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ لنبيِّه بالنصرة والدَّوْلة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾.

﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ما كان من أمر الدنيا والمعاش والمكاسب ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ﴾ أي: أمر الآخرة والبعث والثواب والعقاب ﴿هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ وهم الثانية بدل هم الأول، وهو للتأكيد لغفلتهم، كما يُقال: رأيته إياه(٤).

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ وَقفٌ تام، ثم ابتدأ فقال: ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ ليُحِقَّ قضاءه فيهم، ويُبيِّن علمه منهم، الذي قد علمهُ أنه كائنٌ.

---

(١) زاد المسير ٣/ ٤١٦.

(٢) وهو قول السدي، كما في معالم التنزيل ٦/ ٢٦١. وقول أبي سعيد الخدري من رواية عطية عنه، رواه الطبري في تفسيره ٢٠/ ٧٣.

(٣) أي مصدر مؤكد (إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٨٠).

(٤) والأولىٰ ابتداء، والثانية ابتداء ثانٍ، وجملته خبر الأولىٰ (إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٨٠).

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أجل البعث ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني مشركي العرب ﴿بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ يعني البعث.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟﴾ بعد السَّير ويتفكروا، وقيل: ألم يقرؤوا القرآن فيعتبروا به[1].

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ﴾ أي: صار آخر أمر ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كانوا أقوىٰ منهم بالأبدان ﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ قَلبوها للعمارة والحَرْث ﴿وَعَمَرُوهَآ﴾ بَنَوْا عليها ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ يعني: أكثر من عمارة أهل مكة ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالأمر والنهي فلم يؤمنوا فأهلكهم الله ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بالهلاك ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ بالكفر.

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ أي: صار عاقبة الذين كفروا النار في الآخرة ﴿أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠﴾ يسخرون بالآيات.

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ من النُّطفة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ يُحييه بعد الموت ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾ إلىٰ مجازاته.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝١٢﴾ المشركون، المُبْلَس: السَّاكت المتحيِّر[2] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾ آلهتهم ﴿شُفَعَٰٓؤُا۟﴾ سمَّاهم شركاء لأنهم كانوا يشركونها في بعض أموالهم وحُرُوثهم ﴿وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝١٣﴾ أي: كان المعبودون -نحو الملائكة والأصنام- بشركائهم ومَنْ عَبَدَهم كافرين، كما قال في سورة مريم: ﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾.

---

(١) وهذا غريب، لأن السير في الأرض لا يكنىٰ به عن القراءة إلا علىٰ بعد شديد، وهو خلاف الظاهر وقول أهل التأويل.

(٢) المنقطع الحجة (معاني القرآن ٤/ ١٧٩).

ثم قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤﴾ بعد الحساب إلىٰ الجنة والنار، فلا يجتمعون أبدًا، ونظيره: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ۝٤٣﴾.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝١٥﴾ يُكرمون ويُنعمون، وقيل: يُسرُّون والسرور الحُبْرَة، ويُقال: كل حبرة تتبعها عَبرة، وقيل هو السماع في الجنة(١).

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ البعث ﴿فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝١٦﴾ أي: مُشْهدون حاضروا العذاب.

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ بمعنىٰ الأمر، أي: صلُّوا لله صلاة المغرب والعشاء الآخرة ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧﴾ صلاة الفجر.

ثم قال في التقديم: ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨﴾ صلاة الظهر ﴿وَعَشِيًّا﴾ صلاة العصر ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨]﴾ يحمده الملائكة والمؤمنون فيهما، وهذه الآية تجمع الصلوات الخمس(٢).

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يُبْسها ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١٩﴾ من قبوركم، مبعوثون للحساب والجزاء.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدَّالة علىٰ توحيده ﴿أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ معجون بالماء، أي: آدم ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ۝٢٠﴾ أي: صرتم بشرًا تنشرون في الأرض.

---

(١) ويجمع ذلك كله: أصناف النعيم (تفسير الطبري ٢٠/ ٨٢).

(٢) عن أبي رزين قال: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن الصلوات الخمس في القرآن، قال: نعم، فقرأ ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ قال: صلاة المغرب ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧﴾ قال: صلاة الصبح ﴿وَعَشِيًّا﴾ قال: صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨﴾ صلاة الظهر، ثم قرأ: ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ [سورة النور:٥٨] وعن مجاهد نحوه (تفسير الطبري ٢٠/ ٨٤).

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أجناسًا من النساء ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ مودةً بالتزويج ورحمة أن تَلِدَ له فيعطف عليها وعليه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ لَعِبْرَةً ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ في صُنع الله.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ في الهواء ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ علىٰ وجه الماء ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ لغاتكم، وألوان وجوهكم، وصُوَركم[1] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إنَّ في اختلاف الألوان والصور ﴿لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ دالة علىٰ وحدانية رب العالمين، من الجن والإنس.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي: طلب الرزق بالنهار ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الموعظة.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ خوفًا للمسافر وطمعًا للمُقيم ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ جمودها وخمود نباتها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ عن الله أمره.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ علىٰ أمكنتهما فلا يزولان ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بدعوة إسرافيل ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ من بطن الأرض بدعوته.

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الخلق ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ خاضعون مُطيعون.

ومعنىٰ الطَّاعة ههنا: هو أن خلق السماوات والأرض مخلوقون بإرادة[2]

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٨٧.

(٢) في الأصل: كإرادة، وهو تصحيف فيما يظهر.

الله لا يقدِر أحدٌ علىٰ تغيير الخِلْقة منهم، فدلَّ ذلك علىٰ أن الطاعة يُراد طاعة المشيئة، لا طاعة العباد(١).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ من النطف ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ يجعله بشرًا سميعًا بصيرًا وقيل يعيده للنشأة الأخرىٰ ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أي: هيِّن عليه الإعادة.

وقيل: أيسر عليكم يا معشر الكفار، لأنَّ الإعادة في طبعكم وعقلكم أيسر من خلق الشيء من لا شيء.

ومعنىٰ الأول أوضح، لأن أفعل يذكر ويُراد به الفاعل، قال الشاعر:

تمنَّىٰ رجالٌ أنْ أموتَ وإنْ أمُتْ فتلكَ سبيلٌ لست فيها بأوْحدِ(٢)

يعني بواحد(٣).

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الصفة العليا بالقدرة، وقيل: الصفة العليا بأن لا مثل له ولا شبيه له، لا إله إلا هو له الصفات الشريفة ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ حكم أن لا مثل له.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يا معشر الكفار لأنَّ أنفسكم أقرب منكم ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ من عبيدكم وإمائكم ﴿مِّن شُرَكَآءَ﴾ و«من» زائدة أي: شركاء ﴿فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من الأموال ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ حتىٰ كنتم أنتم ومماليككم في الأموال سواء ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾

---

(١) أي: المشيئة القدرية الكونية، لا المشيئة الشرعية، فهم لا يخرجون عن ما قدره عليهم، وعن ابن عباس: الطاعة هنا مخصوصة في الحياة والموت والنشور، وهو معنىٰ ما ذكره المصنف في الإرادة الكونية القدرية، وهذا الذي رجحه ابن جرير في التفسير ٢٠/ ٩١، البسيط ١٨/ ٤١.

(٢) البيت لمالك بن القين الأنصاري، وقد ذكره في تفسير الطبري ٢٠/ ٩٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٢٠/ ٩٢، وتلخيص الواحدي لهذه الأقوال في البسيط١٨/ ٤١ فقد أجاد.

أي: هل يخاف بعضكم عبده المملوك كما يخاف بعضكم من بعضٍ، يعني: إذا لم ترضوا لأنفسكم أن يكون عبيدكم شركاءكم في أموالكم؛ فلماذا ترضون لربكم أن تجعلوا معه شركاء في ملكه[١].

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٢٨﴾ يفهمون.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ في الشرك أن له شريكًا ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ أي: مَنْ يقدر أن يُرْشِدَ إلىٰ التوحيد لمن قد أضله الله ﴿وَمَا لَهُم﴾ أي: للكافرين ﴿مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٩﴾.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ﴾ أي: أخلِص أنتَ يا محمد لله في دِينه وعبادته واستقم علىٰ الإسلام ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ منصوب بمعنىٰ: اتبع[٢] ﴿ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾ إقرارهم بالتوحيد يوم الميثاق ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: لدين الله الذي خلق العباد عليه، نفي بمعنىٰ النهي، أي: لا تتبدلوا ولا تغيِّروا[٣].

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ الحق المستقيم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾[٤].

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ أي: أقيموا وجوهكم منيبين، نصب علىٰ الحال[٥]، أي: راجعين إليه بالتوحيد من الكفر.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٨٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٨٥. وقال ابن جرير: نصبت علىٰ المصدر (تفسير ابن كثير ٢٠/ ٩٧).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٨٥.

(٤) قال ابن جرير: ذلك الدين القيم: أي إقامتك وجهك للدين حنيفا، غير مغير ولا مبدل، هو الدين القيم، المستقيم الذي لا عوج فيه عن الاستقامة من الحنيفية إلىٰ اليهودية والنصرانية وغير ذلك من الضلالات والبدع المحدثة (تفسير الطبري ٢٠/ ٩٩).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٨٥.

﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ أطيعوه ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي: لا تكونوا بمنزلة أهل الشرك ولا منزلة أهل الكتاب.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ فِرقًا وأحزابًا ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ يعني: بما عندهم من الدِّين معجبون مسرورون؛ لأنهم يَرَوْن أنهم علىٰ الحق.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ شدة وبلاء، وهو الجوع الذي كانوا فيه سبع سنين ﴿دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ مُقبلين ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ أعطاهم من عنده رخاءً وخصبًا ومطرًا ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ بالله الأصنام.

﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ يعني: لكي يكفروا النعمة من ذهاب الضر، ثم ابتدأ فقال: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ يا أهل مكة في الدنيا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ إذا نزل بكم العذاب.

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ أي: هل أنزلنا علىٰ أهل مكة كتابًا أو حُجَّةً ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: يتكلَّم ويشهد أن الله أمرهم بذلك الشرك، يعني: ليس لهم عذر ولا حجة في شركهم.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ أي: كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾ مطرًا أو نعمةً وخصبًا ﴿فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ قحطٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الشرك ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ من رحمة الله.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ يوسع المال والخير علىٰ مَنْ يشاء ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: يُقتر علىٰ من يشاء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ بالله وبمحمدٍ عليه الصلاة والسلام.

﴿فَـَٔاتِ﴾ أي: أَعْطِ ﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ في الرَّحِمِ ﴿حَقَّهُۥ﴾ وهو صلة الرحم ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: مارَّ الطريق، فأعط حقهما من الكسوة والطعام

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذُكر من الإعطاء ﴿خَيْرٌ﴾ من الإمساك ﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ رضا الله لا مراءاة الناس ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ المُصيبون من الخير.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ يُقرأ: «آتيتم» بالمَدِّ والقصر، فالمد: معناه أعطيتُم، والقصر: معناه فعلتم[1].

﴿مِّن رِّبًا﴾ أي: هدِيَّة وعطيَّة ﴿لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: لتكثر أموالكم من أموال الناس، «في» بمعنىٰ «من»، تقدير الآية: ما تُهْدُوا إلىٰ إخوانكم لِيُهْدُوا لكم أكثر من ذلك[2] ﴿فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يقبله منكم، ولا يُثيب عليه؛ لأنه ليس ذلك لله.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ أي: صدَقةٍ تريدون وجه الله، أي: رضا الله لا مكافأة الناس ولا مراءاتِهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ عُدُولٌ عن المخاطبة إلىٰ المغايبة، أي: المضعفون في صدقاتهم ونفقاتهم.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ إلىٰ انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء المُدَّة ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بعد البعث ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ أي: آلهتكم ﴿مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ من الخلق والرِّزق والإحياء ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾ أي: تنزيهًا وطهارةً وعُلوًّا له ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يكون رجوعًا عن المخاطبة إلىٰ المغايبة.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ البر: المفاوز، والبحر: القرىٰ إذا كان علىٰ شط الماء[3].

---

(١) قرأ ابن كثير بالقصر: أتيتم، والتأويل: من المجي، وقرأ الباقون بالمد (النشر ٢/ ٢٢٨).

(٢) وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وطاوس وقتادة والضحاك، الكشف والبيان ٢١/ ١٦٢.

(٣) والعرب تسمي الأمصار بحرا، تفسير الطبري ٢٠/ ١٠٨.

وقيل: أول فساد في البر قتل قابيل أخاه هابيل، وفي البحر: أخذ جلندا كل سفينة صالحة غصبا (تفسير الطبري ٢٠/ ١٠٩، تفسير أبي الليث ٣/ ١٥).

وقيل: البر الجاهل والبحر العالم[١].

وقيل: أهلك العباد في البرِّ: مثل قوم لوط وعاد، وفي البحر: مثل قُريات لوط.

وقيل: ظهر الفساد في البرِّ بالجدوبة وقحط المطر، والبحر بنقصان الثمر في الزهاء[٢].

﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ أي: بكفر أهل مكة وسائر الكفار ﴿لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾ أي: عقوبة بعض ما عملوا في الدنيا ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ يتوبون إلىٰ الله.

وقيل: نهلك البعض لعل مَنْ بقي منهم يرجع عن ذلك[٣].

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: سافروا في البلدان ﴿فَٱنظُرُواْ﴾ اعتبروا ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ فعذَّبناهم، فكذلك أنتم يا أهل مكة.

﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ﴾ أي: أخلِصْ دينك الإسلام المستقيم ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ﴾ أي: لا يقدر أحد ردَّ ذلك اليوم دون الله ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يتفرَّقون، فريق في الجنة وفريق في السَّعير.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ﴾ أي: عقوبة كفره ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ ووحَّده ﴿فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ يفرشون[٤]، ويجمعون الثواب والكرامة في الجنَّة.

---

(١) وهو غريب، وأقرب إلىٰ الإشارة منه إلىٰ التفسير.

(٢) الكشف والبيان ٢١/ ١٦٤، البسيط ١٨/ ٧١.

(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ١١٠.

(٤) وهو تفسير الكلبي، كما في البسيط ١٨/ ٧٤.

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ هي لام القسم، أي: ليجزيهم من فضله وثوابه في الجنَّة أبدًا ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٤٥﴾ أي: لا يرضىٰ عمل المشركين.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ لخلقه بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ يصيبكم ﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ بالمطر ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ﴾ علىٰ وجه الماء ﴿وَلِتَبْتَغُواْ﴾ بركوبكم السُّفن ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: رزقه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٤٦﴾ ربكم لنعمه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ كما أرسلناك إلىٰ قومك ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ العلامات والأمر والنهي؛ فلم يؤمنوا ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾ بالعذاب ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ مع الرسل بنجاتهم وهلاك أعدائهم.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ إن شاء طبق ما بين المشرق والمغرب، وإن شاء لم يجاوزه علىٰ بلدةٍ ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ بجزم السِّين، قراءة أبي عمرو[1]. وكِسَفًا: بنصب السِّين قراءة الباقين، أي قطعًا[2].

﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ الودق: المطر الكثير من خلال السحاب ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٤٨﴾ يفرحون بالمطر ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ۝٤٩﴾ آيسين.

وفائدة تكرار «من قبل» أي: من قبل أن ينزل عليهم من السماء، ومن قبل وصوله إلىٰ الأرض[3].

---

(١) النشر ٢/ ٣٠٩.

(٢) الكشف والبيان ٢١/ ١٧٢، البسيط ١٨/ ٧٦، وانظر: تفسير سورة الإسراء، آية: ٩٢.

(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ١١٥، معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٨٩، والبسيط ١٨/ ٧٧، الدر المصون ٩/ ٥١.

وقيل: إنَّ قَبْلَ الأولىٰ لتنزيل القرآن، وقبل الثانية لتنزيل المطر.

وقيل: يكرر للتأكيد[١].

﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ انظر يا محمد إلىٰ أثر المطر الذي هو رحمة الله علىٰ عباده ﴿كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ حين اخضرَّت الأرض بعد ما كانت مُغبارَّة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: الذي فعل هذا ﴿لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾ وباعثهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠﴾ من البعث والموت.

﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا﴾ حارَّة أو باردة مهلكة ﴿فَرَأَوۡهُ﴾ يعني: الزرع ﴿مُصۡفَرّٗا﴾ بعد خُضْرَته قد تغيَّر ويبس ﴿لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: صاروا من بعد اصفرار الخُضرة ﴿يَكۡفُرُونَ ٥١﴾ يعني: يقيمون علىٰ الكفر، أو يتكلَّمون بكلمة الكفر ولا يعتبرون[٢].

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ بقلوبهم، أي: لا تُفقه مَنْ كان قلبه ميتًا ﴿وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ أي: الدعوة إلىٰ الهُدىٰ ﴿إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٥٢﴾ أعرضوا عن الحق هاربين، وعنك مكذِّبين.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ﴾ كفرهم وتجبُّرهم وعماهم ﴿إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بكتبنا ورسلنا، أي: لا تقدر أن تفهم كلامك إلاَّ للمؤمنين خاصة ﴿فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٥٣﴾ مخلصون لله بالتوحيد والعبادة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾ أي: من نطفة ضعيفة، خلقًا ضعيفًا، أسير جوعه، وضريع شبعه، ورهين شهوته، ولا ينفك منها إلا المعصومون[٣].

---

(١) وهو قول الأخفش في معاني القرآن ٢/ ٦٥٨، واختاره ابن جرير.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ١١٦، الكشف والبيان ٢١/ ١٧٥.

(٣) الكشف والبيان ٢١/ ١٧٥.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ﴾ أي: قوّاكم في حال الشبيبة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ﴾ هرمًا ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ أي: يحوِّل ما يشاء من حالٍ إلىٰ حالٍ ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ۝٥٤﴾ يعلم بخلقه ويقدر علىٰ تحويلهم.

وقوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾ فهي بنصب الضاد وضمِّها، وهما لغتان(١)، والضعف مصدر أقيم مقام الصفة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ۝١٣٢﴾ أي للمتقين(٢).

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ يحلف الكافرون ﴿مَا لَبِثُواْ﴾ في قبورهم ﴿غَيۡرَ سَاعَةٖۚ﴾ وقيل: ما لبثوا في نعيم الدنيا غير ساعة(٣).

﴿كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ۝٥٥﴾ أي: مثل هذا الكذب كانوا يكذبون في دار الدنيا أن لا قيامة ولا بعث.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ أي: البينات من عند الله بالعلم، والتصديق بالبعث بأنه كائنٌ ﴿لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: فيما كتب الله لكم في اللوح المحفوظ من آجالكم ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ﴾ منذ خُلقتم إلىٰ أن بُعثتم.

وقيل: مُقَدَّمٌ مُؤخرٌ، أي: قال: الذين أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان، أي: أوتوا الإيمان، لقد لبثتم إلىٰ يوم البعث(٤).

---

(١) قرأ عاصم وحمزة بفتح الضاد، وقرأ الباقون بضمها، وعن حفص اختيار الضم مخالفة لروايته عن عاصم (النشر ٢/ ٣٤٥).

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٥٠.

(٣) والأول ذكره ابن جرير في التفسير ٢٠/ ١١٩، وأبو الليث ٣/ ١٨، والثاني قول مقاتل والكلبي (الكشف والبيان ٢١/ ١٧٨، البسيط ١٨/ ٨٤).

(٤) وهو مروي عن قتادة والكلبي (تفسير الطبري ٢٠/ ١١٩، البسيط ١٨/ ٨٦). ويقول قتادة عن التقديم والتأخير: هذا من مقاديم الكلام، ومن لم يفهم عبارته هذه يحمل كلامه علىٰ الغلط،

وقيل: لقد لبثتم في كتاب الله أي علم الله إلىٰ يوم البعث[١].

﴿فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٥٦﴾ إذ كنتم في الدنيا وكنتم لا تُصدِّقون الرسل.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾ حين اعتذروا وسألوا الرَّجعة إلىٰ الدنيا ليؤمنوا، وذلك حين قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ الآية.

﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٥٧﴾ أي: لا يُقبل عُذرهم ولا يُعتبون.

﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ﴾ لأهل مكة ﴿فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾ أي: كل عجيب من الأمثال والعِبَر والدلائل ﴿وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ﴾ كما سألوها ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ من أهل مكة ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ٥٨﴾ ما أنتم إلا كاذبون مُفترون[٢].

﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٩﴾ أي: يختم بالكفر قلوب الذين لا يعلمون توحيد الله؛ حتىٰ لا يعرفوا ما يُقال لهم.

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ يا محمد في إظهار دينك ونصرتك عليهم، وثبِّت يقينك عليه، فإنه لا شك فيه ﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ﴾ أي: لا يستفزنك عن دينك الذين هم في ضلالٍ شاكون.

فقد رأيت بعض المحققين يعلق علىٰ مقولته هذه بأنها خطأ، مع إقراره أن في الآية تقديما وتأخيرا، فليتنبه لمصطلحات الأئمة.

(١) وهو قول الزجاج في المعاني ٤/ ١٩٢.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ١٩.

قال مقاتل: وذلك أنَّ النضر بن الحارث دعا وقال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾، الآية[١]، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾ بالعذاب، فإني أُعذِّبهم في وقتهم، فقُتِلَ اللعين يوم بدرٍ صبراً، ضرب علي بن أبي طالب عُنقه بحضرة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وسيقتْ[٢] روحه إلىٰ النار.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه: بلغنا عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل مَلَكٍ يُسبِّح لله تعالىٰ في السماوات والأرض وأقيل ما صنع من يومه وليلته تلك»[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ١٧.

(٢) في الأصل: وسيق.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢١/ ١٠٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٩٧.

سورة لقمان

مكيَّة، غير آية واحدة: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ﴾ الآية، مدنية[١].

وهي أربع وثلاثون آية[٢].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿الم ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝٢﴾ قد تقدَّم ما وجب في حروف الهجاء.

وتلك: إشارة إلىٰ الآيات، والآيات مضافة إلىٰ الكتاب، والحكيم: هو المُحْكَم من الخلل والتناقض والعيب[٣].

﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣﴾ لمن أقرَّ به من الموحِّدين.

ثم نعتهم فقال: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ [أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥]﴾.

قال شاه الكرماني[٤]: ثلاثة من علامات الهُدىٰ: الاسترجاع عند المصيبة، والاستكانة عند النعمة، ونفي الامتنان عند العطيَّة.

---

(١) الكشف والبيان ٢١/ ١٨٣.

(٢) ثلاث وثلاثون آية في المدني والمكي، وأربع للباقين (البيان في عد آي القرآن ٢٠٦).

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٠.

(٤) شاه بن شجاع الكرماني، أبو الفوارس، من أبناء الملوك، زاهد، صحب أبا تراب النخشبي، وتوفي قبل سنة ٣٠٠، له رسائل وكتب (تاريخ الإسلام ٦/ ٩٥١).

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ وكان النضر بن الحارث الداري[١] قد اشترىٰ قينةً مغنيةً، ووقرَ بغلٍ من كتب الأعاجم، فكان لا يظفر بأحدٍ ممن يريد الإسلام إلا انطلق به إلىٰ منزله، ويجلس قينته ويقول لها: أطعميه واسقيه وغنِّيه.

وكان يقرأ بنفسه من كتب الأعاجم ويقول: إن محمدًا يُحدِّث حديث عاد وثمود وأنا أُحدِّث حديث رستم وأسفنديار، وهو يأمر بالصوم والصلاة، وإنِّي أطعم الطعام وأسقي الشراب وأُسمع الغناء، هذا أحسن أم ذاك[٢].

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ أي: يصرف الناس عن دين الله ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ﴾ أي: يتخذ القرآن سخرية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦﴾ يهانون فيه.

ثم أخبر عن كِبْره فقال: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا﴾ عن الإيمان ﴿كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ﴾ أي: صممًا ﴿فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧﴾ وهو القتل يوم بدر[٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾ يتنعَّمون فيها.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ لا خُلْفَ لوعده فيما بشَّر لنضر من العذاب، وفيما وَعَدَ المؤمنين من الثواب الجزيل ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في مُلْكه بالانتقام ممن

---

(١) هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كندة بن عبد الدار بن قصي، فلذا قال في نسبه: الداري (الكشف والبيان ٢١/ ١٨٦).

(٢) وهو قول الكلبي ومقاتل (تفسير أبي الليث ٣/ ٢١، الكشف والبيان ٢١/ ١٨٦).
والسلف فسروا اللهو هنا بالغناء والاستماع له، قال الزجاج: أكثر ما جاء في التفسير أن لهو الحديث هو الغناء، لأنه يلهي عن ذكر الله، وقال الواحدي: وأكثر المفسرين علىٰ أن المراد بلهو الحديث هو الغناء (تفسير الطبري ٢٠/ ١٢٨، معاني القرآن للزجاج ١٨/ ٩٥، البسيط ١٨/ ٩٤).

(٣) وهو من تتمة قول الكلبي ومقاتل، ومن لم يقل بذلك من عامة المفسرين فقد حملوا الآية علىٰ العذاب المنتظر في الآجل، وهو يوم القيامة (تفسير الطبري ٢٠/ ١٣١).

كَفَر به ﴿ٱلۡحَكِيمُ ۝٩﴾ للمؤمنين بالحنَّة.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ أي: لا عمد لها تحتها، ولا علاقة فوقها ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ أي: الجبال الثوابت ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ تتحرَّك بكم من تحتكم ﴿[وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ] وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا﴾ أي: في الأرض ﴿مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝١٠﴾ من كل صنفٍ من النبات حسن مُبهجٍ سَارٍّ للقلوب.

﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ﴾ أي: ما ذكر من السماء والأرض والجبال وغيرها، خَلْق الله، أي: مخلوق الله، ذكر المصدر وأراد به المفعول، كالصَّيْد يُذكر ويُراد به المصيد(١).

﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: الأصنام التي تعبدونها من دونه، ثم قال: ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ من أهل مكة ﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝١١﴾ أي: في جهالةٍ وتيهٍ وخُسران بيِّن.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ قال ابن عباس: لم يكن نبيًا ولا ملكًا، ولكن كان رجلاً راعيًا أسود، رزقه الله العتق، ورضي وصيته لابنه، فقصَّ أمرَهُ في كتابه(٢).

الحكمة: الفهم والعلم وإصابة القول مع العمل(٣).

﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ﴾ أي: كن لله مُطيعًا بما أكرمك من الحكمة.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٢.

(٢) وأكثر المفسرين علىٰ ذلك، إلا رواية عن عكرمة بإسناد ضعيف، أنه كان نبيا (تفسير الطبري ٢٠/ ١٣٥، تفسير أبي الليث ٣/ ٢٣، الكشف والبيان ٢١/ ١٩٧، تفسير ابن كثير٦/ ٣٣٣).

(٣) وهو مروي عن بعض السلف، كمجاهد (تفسير الطبري ٢٠/ ١٣٥).

وقيل: الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لربِّ الخلائق.

﴿وَمَن يَشْكُرْ﴾ لِنِعَمِ الله ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ وله منفعة ذلك ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بالله فلم يوحِّده ولم يشكر نعمه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ أي: غنيٌ عن حمد الحامدين، حميدٌ في أفعاله.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ أي: ذنب عظيم لا شيء أعظم منه.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ قيل: نزلت في سعد بن أبي وقاص، وكان اسم أبيه مالك، وأُمُّه حَمنة بنت أبي سفيان[1] ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: شدةً بعد شدةً، وقيل: ضعفًا علىٰ ضعفٍ ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ أي: فطامه ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى﴾ بالتوحيد والطاعة ﴿وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ بالتربية ﴿إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ أي: مصيرك ومصير والديك إليّ.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ أي: أكرهاك ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ بأن لي شريكًا ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في ذلك ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ بالبرِّ والإحسان ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ أي: دِين مَنْ أقبل إليَّ بالطاعة، وهو محمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: إلىٰ مجازاتي رجوعكم ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ من خيرٍ أو شرٍ.

وهذا كلام معترض بين قصَّة لقمان، ثم رجع إلىٰ قصَّة لقمان فقال[2]:

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ١٣٨، تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣١.

(٢) قال الطبري: «فإن قال لنا قائل: ما وجه اعتراض هذا الكلام بين الخبر عن وصيتي لقمان ابنه؟. قيل: ذلك أيضـًا -وإن كان خبرا من الله تعالىٰ ذكره عن وصيته عباده به- وأنه إنما أوصىٰ به لقمان ابنه، فكان معنىٰ الكلام: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ ولا تطع في الشرك به والديك ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ فإن

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ﴾ قال مقاتل: قال ابن لقمان: يا أبتاه، إن عَمِلْتُ بالخطيئة حيث لا يراني أحد، كيف يعلمها الله؟.

فأجابه[١]: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ أي: وزن حبَّة خردل، وصفها بغاية الصغر، لأنَّ ما دونها لم يكن وزن مُقَدَّر في موازيننا.

﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ [أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ]﴾ من الصخور الصُّمِّ التي لا مدخل فيها لأحدٍ، وإنما ذكر الصخرة والسماوات والأرض لأنَّ أستر الأشياء وأخفاها على الأرض ما كان في جوف صخرة، لا سبيل للبصر إليه.

أو يكون في أرضٍ واسعةٍ لا يوصل إليه [و] لا يُمكن.

[وَ] لو ضيِّعت حبَّة خردل في البادية مع طولها وعرضها وعمقها لم يطمع أن يظفر بها أحدٌ بالطلب، فكيف ما كان في السماوات السبع والأرضين السبع.

ومعنى الآية: أن الله عالمٌ بأعمال العباد حتى لو أنَّ مثقال حبة من خردل من أعمالهم وأوزارهم في أسدِّ مكانٍ وأوسع فضاءٍ لا يخفى على الله مكانه، ولم يتعذَّر عليه إحضاره وتحصيله[٢].

وقيل: هي الصخرة التي تحت الأرضين[٣]، والله أعلم.

الله وصَّى بهما، فاستؤنف الكلام على وجه الخبر من الله، وفيه هذا المعنى، فذلك وجه اعتراض ذلك بين الخبرين عن وصيته» تفسير الطبري ٢٠/ ١٤٠.

(١) تفسير مقاتل ٣/ ٢١. وسمى ابن لقمان: أنعم.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ١٤٠.

(٣) وهو قول السدي، ورواه عن ابن عباس بإسناده الضعيف، رواه الطبري في تفسيره ٢٠/ ١٤١، ولفظه: خلق الله الأرض على حوت، والحوت هو النون الذي ذكر الله في القرآن ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [سورة القلم:١] والحوت في الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خَبِيرٌ ۝١٦﴾ بمكانها.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بشرائطها ﴿وَأۡمُرۡ﴾ عباد الله ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ أي: التوحيد ﴿وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ أي: الشِّرْكِ والمعاصي ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ من الأذىٰ بسبب المعروف والمنكر ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبر على الأذىٰ ﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝١٧﴾ وحزمها.

وهو مما أوجب الله علىٰ العباد العمل بها[1].

﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي: لا تُعرض عن الناس تكبُّرًا ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ أي: مختالاً متكبرًا فإنما أنت خُلِقْتَ من الأرض ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ﴾ في مشيه ﴿فَخُورٖ ۝١٨﴾ بنعم الله علىٰ خلقه[2].

ملك، والملك علىٰ صخرة، والصخرة في الريح، وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء، ولا في الأرض.

والسدي يشابه الكلبي ومقاتل من حيث إن له أقوالا ينسبها إلىٰ ابن عباس بإسناده المطروق، وغالب ذلك يكون من قبيل الإسرائيليات، وهو خير منهما بكثير.

قال ابن كثير (في تفسيره ٦/ ٣٣٨): ذكره السدي بإسناده ذلك المطروق عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة من الصحابة إن صح ذلك، ويروىٰ هذا عن عطية العوفي، وأبي مالك، والثوري، والمنهال بن عمرو، وغيرهم. وهذا والله أعلم، كأنه متلقىٰ من الإسرائيليات التي لا تصدق، ولا تكذب، والظاهر -والله أعلم -أن المراد: أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة، فإن الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه.

(١) الكشف والبيان ٢١/ ٢٠٩.

وقال أبو الليث (في تفسيره ٣/ ٢٦): وصارت هذه الآية بيانـًا لهذه الأمة، وإذنـًا لهم، أن من أمر بالمعروف ونهىٰ عن المنكر ينبغي أن يصبر علىٰ ما يصيبه في ذلك، إذا كان أمره ونهيه لوجه الله تعالىٰ، لأنه قد أصاب ذلك في ذات الله عز وجل.

(٢) معاني القرن للزجاج ٤/ ١٩٨.

﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي: امش مشيًا بين مشيين، لا في غاية السُّرعة، لأنه يؤدي إلىٰ الخفَّة والحُمْق، ولا في غاية التَّأنِّي لأنه يؤدي إلىٰ التكبُّر.

والقصد: مشي بين المشيين(١).

﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أي: اخفض صوتك ولا تكن صيَّاحًا سليطًا علىٰ الناس فتؤذيهم بلسانك، فيكون عندهم كالحمار النَّاهق ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ١٩﴾.

ثم ذكر آلاءه ونعماءه فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: بعض ما في السماوات وما في الأرض، فالمُسخَّر في السماوات ما يرونهم بالعَيْن، لأنَّ بعض المسخرات يُرىٰ، فالشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والمطر والملائكة، كلها مُسخَّرة للآدميين.

وتسخيرها: ما سببَّ فيها من منافعهم والاهتداء بالنجوم وفي الأرض من البحار والجبال والمفاوز، وما فيها من الأنعام والوحش والسَّمَك في الماء، ليأكلوا بعضها ويركبوا، وينتفعوا بجلود بعضها فذلك تسخيرها للآدميين.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾:

قال ابن عباس: سألتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن النعمة الظاهرة والباطنة، فقال: «أمَّا ما ظهر منها هو الإسلام، وما سَوَّىٰ من خلقك، وما أسبغ عليك من الرزق، وأما ما بَطَنَ فما سَتَرَ من مساوئ عملك فلم يفضحك بها»(٢).

---

(١) البسيط ١٨/ ١١٥.

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢١/ ٢٣٥، من حديث جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، وهذا إسناد باطل عند أهل العلم، فجويبر منكر الحديث، والضحاك لم يلق ابن عباس، وهذا الحديث ليس له أصل في المرفوع عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

قال أبو سهل: الظاهرة الخلَق الحسن، والباطنة العافية في البدن(١).

وقيل: الظاهرة توفيق الطاعة والباطنة قبولها(٢).

قال أبو بكر الورَّاق: الظاهرة استواء الخلق والباطنة حُسن الخُلق، ولهذا دعا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقال: «اللهم فكما أحسنت خَلقي فأحسن خُلقي»(٣).

وقيل: الظاهرة ما أعطىٰ الله العبد من نعيم الدنيا، والباطنة ما منع عنه نعيم الدنيا كيلا يُشغله عن الله، لأنَّ المنع من الله إعطاء(٤).

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ أي: يجادل في كتاب الله بالجحود له بغير علمٍ آتاه الله ﴿وَلَا هُدٗى﴾ من الله ﴿وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾ أنار حُجته وبرهانه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ لأهل مكة ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ آمنوا بكتابه واعملوا بما فيه ﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ أي: نسلُك طريق آبائنا ونتبع مناهجهم ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٢١﴾ لفظ استفهام بمعنىٰ التوبيخ(٥).

---

(١) الكشف والبيان ٢١/ ٢٣٤، البسيط ١٨/ ١٢٠.

(٢) وكل هذا من قبيل التفسير بالمثال، والجامع لذلك: أن النعم الظاهرة التي تُرىٰ أو يراها الناس، والباطنة التي لا ترىٰ ولكنها تدرك وتعقل.

(٣) حديث صحيح رواه أحمد عن ابن مسعود ٣٨٢٣، وعائشة ٢٤٣٩٢.

(٤) ذكر الثعلبي في الكشف والبيان ٢١/ ٢٤٠ نحوا من ثلاثين قولا في النعمة الظاهرة والخفية.

(٥) وقال الأخفش: بمعنىٰ التقرير، أي: الشيطان يدعوهم لذلك (الكشف والبيان ٢١/ ٢٤٢).

المعنىٰ: لو كان الشيطان يدعو آباءهم إلىٰ عذاب السعير ويتبعونه فهؤلاء يتبعون آباءهم، والمعنىٰ: كيف يتبعون آباءهم وآباؤهم تبعٌ للشياطين ضُلال غير مهتدين(١).

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يخلص عمله لله فيوجِّهه إلىٰ الله علىٰ أيدي الكتبة ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مخلصٌ مُوحِّدٌ ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ فقد تمسَّك بالعروة الوثيقة: شهادة أن لا إله إلا الله.

وقيل: وهو محسنٌ، أي: مُؤدٍ للفرائض موقنٌ بالقدر، فقد تمسك بالعروة الوثقىٰ، ومَن وحَّد الله ولم يؤمن بالقدر كان تكذيبه بالقدر نقضًا لتوحيده، فالتوحيد والقدر منظومان في السِّلْكِ بمنزلة الرأس من الجسد.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ٢٢﴾ أي: مصير العباد إليه فيجزيهم لأعمالهم.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ وعذابهُ علينا هيِّن ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ في الدنيا من الكفر والمعاصي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٣﴾ من الخير والشر.

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ من الدنيا وسرورها ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ٢٤﴾ لا ينقطع أبدًا ولا يفنىٰ.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ أي: هؤلاء الكفار ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ﴾ علىٰ إقرارهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٢٥﴾ توحيد الله.

ثم عظَّم نفسه فقال: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن عبادة خلقه، المحمود في فعاله ﴿ ٱلْحَمِيدُ ٢٦﴾.

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ١٤٩.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ [وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ]﴾ معنىٰ الآية -والله أعلم-: لو أن أشجار جميع الأرض صارت أقلامًا والبحر يصير مِدادًا، والأبحر السبعة صارت للبحر مددًا، كما قال في آيةٍ أخرىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ وصار الخلق كلهم كتبة علىٰ اعتبار البحور والأشجار ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ وعجائبه، وانكسرت الأقلام، ونفد ماء البحور السبعة(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في سلطانه ﴿حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ في كلامه، يجمع الكثير من معانيه في قليل من لفظه.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ مختصرٌ، معناه: كخلق نفس واحدة، وكبعث نفس واحدة، يناديهم إسرافيل: أن قوموا فيقوموا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لمقالتهم في إنكار البعث ﴿بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ بأخبائهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ يجزيهم بتكذيبهم البعث مع إخبار الله بذلك.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: بيَّن صنعه ليعلموا أنه الحق لا شريك له ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ من الآلهة ﴿ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ القاهر فوق خلقه بالعُلوّ ﴿ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ لا شيء أكبر منه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ﴾ بالرياح ﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي: منَّتِه ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ وعجائبه في إجراء السفن علىٰ وجه الماء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ كلها

---

(١) فكلمات الله لا تدرك، وكلمات الله هي كلامه سبحانه وتعالىٰ (تفسير الطبري ٢٠/ ١٥١، تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩، الكشف والبيان ٢١/ ٢٤٦، معالم التنزيل ٦/ ٢٩٢).

﴿لَآيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ علىٰ أمر الله ﴿شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾ بتوحيد الله.

وقيل: صبَّار علىٰ البلاء في البحر، شكور لنعم الله إذا أنجاه من أهوال البحر[١].

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾ الموج: جمع موجة.

والظُّلل: الجبال، وقيل: كالسحاب[٢].

﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ﴾ قال ابن عباس: وحَّدوه[٣].

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ عند رؤية أهوال البحر ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ﴾ الله ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ عدل بوفاء العهد، وهما قسمان؛ اكتفىٰ بذكر أحدهما عن الآخر، المعنىٰ: فمنهم مقتصد ومنهم جاحد.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ القرآن، وقيل: العهد[٤] ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غدَّار بالعهد ﴿كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ لله بنعمه، والختر أقبح الغدر[٥].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ الخطاب لجميع العالم، يعني: وحِّدوه وأطيعوه فيما أمركم ونهاكم.

﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ﴾ أي: يُغن عن والده ﴿شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: البعث كائنٌ ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ وما فيها من زهرتها ونعيمها مِن الاستعداد لأمر الآخرة ﴿وَلَا

---

(١) وهو من تفسير مقاتل (انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٢٤، البسيط ١٨/ ١٢٤).

(٢) القولان في البسيط ١٨/ ١٢٥.

(٣) الكشف والبيان ٢١/ ٢٤٩.

(٤) وقال ابن جرير: وما يكفر بأدلتنا وحججنا.

(٥) تفسير الطبري ٢٠/ ١٥٧، الكشف والبيان ٢١/ ٢٥٠.

﴿يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٣٣﴾ وهو الشيطان[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ قال مقاتل: إنَّ رجلاً اسمه وارث بن عمرو جاء إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقال: أخبرني يا رسول الله عن القيامة، متىٰ تكون؟ وأخبرني عن السماء، متىٰ تُمطر؟ فإني ألقيتُ حبًّا في الأرض وأنا أتمنَّىٰ المطر، وأخبرني أن امرأتي قد استثقلت ما في بطنها، أَذَكَرٌ في بطنها أم أنثىٰ؟ وهذا مولدي قد عرفت فأخبرني أين أموت؟ وإنِّي قد عملتُ الأمس واليوم كذا وكذا عن الغد ما أنا فاعلٌ فيه؟ فأنزل الله تعالىٰ[٢]:﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ لم يطلع عليه ملكًا مقربًا لا نبيًا مرسلاً ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ ولا يُعْلِمُ متىٰ يُنْزِل المطر وفي أي أرضٍ يقلّ وفي أرضٍ يكثُر؛ حتىٰ يوحي الله إلىٰ الخازن أن غَرْبِلْ كذا وكذا قطرةً فلا يجاوزه.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ عند امتشاج الماءَيْن ذكرًا أو أنثىٰ، تمامًا أو غير تمام، شقيًا أو سعيدًا، هذا مخزون عن العباد.

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خيرٍ أو شرٍّ ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ في سَهْلٍ أو جبلٍ، أو برٍّ أو بحرٍ، كل هذا مخزونٌ لا يعلمه إلا الله، فمن انتحله فهو كاذبٌ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿خَبِيرٌ ۝٣٤﴾ بعلم هذه الأشياء متىٰ تكون، فلمَّا نزلت هذه الآية قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «أين السائل عن الساعة؟»

---

(١) وهو قول أهل التأويل من السلف، انظر: تفسير الطبري ٢٠/ ١٥٩، الكشف والبيان ٢١/ ٢٥١.

(٢) تفسير مقاتل ٣/ ٢٥، وروىٰ ابن جرير نحوه مختصرا عن مجاهد وعمرو بن شعيب (تفسير الطبري ٢٠/ ١٦٠).

فقال المحاربي: ها أنا ذا يا رسول الله، فقرأ النبيُ صلىٰ الله عليه وسلم عليه هذه الآية[١].

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه وتجاوز عن سيئاته: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ هذه السورة كان لقمان له رفيقًا مُصافيًا، وأُعطي من الأجر بعدد كل مَن عمل بالمعروف وعمل بالمُنكر عشر حسنات»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) الكشف والبيان ٢١/ ٢٥٣.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢١/ ١٨٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٩٨.

سورة السجدة

مكيَّة عند مقاتل.

وقال غيره: إلا ثلاث آياتٍ نزلت في علي رضي الله عنه وفي الوليد بن عقبة ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ إلىٰ قوله ﴿تُكَذِّبُونَ ۝٢٠﴾[1].

وهي ثلاثون آية[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ مُقدَّمٌ مؤخرٌ، يعني: تنزيل الكتاب من رب العالمين لا ريب أنه من رب العالمين عند المخلِصين.

ثم ابتدأ فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ بل يقولون، أهل مكة، افتراه محمد من تلقاء نفسه، قال الله تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ﴾ بالوحي أي: تخوِّف ﴿قَوْمًا﴾ يعني: أهل مكة ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: لم يأتهم رسولٌ مخوِّف قبلك، و«من» زائدة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣﴾ كي يهتدوا من الضلالة مَنْ أراد الله هُداه.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من السحاب والرياح والشمس والقمر والنجوم وما في الأرض من الجبال والبحار والمياه ﴿فِى سِتَّةِ

---

(١) القولان في تفسير مقاتل ٣/ ٢٦، وزاد المسير ٣/ ٤٣٧، ولم يستثن الثعلبي ولا آية (الكشف والبيان ٢١/ ٢٥٩).

(٢) وفي البصري عشرون وتسع (البيان في عد آي القرآن ٢٠٧).

﴿أَيَّامٍ﴾ ولم يقل: بستة أيامٍ، لأنه خلقها بطرفة عين وأقل، ولكن أوقع المخلوقات في هذه الأيام.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ أي: استوىٰ عنده كل شيء مما خلقه، ليس شيء أقرب منه من شيءٍ، ولا شيء أبعد منه من شيءٍ.

وقوله: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ هو فوق العرش عُلوًّا ومقدرةً لا مكانًا، وأنه فوق العرش بائنٌ عن مخلوقاته بلا كيفٍ(١).

وكلمة: «ثم» دخل في الكلام لترادف الأخبار لا لتعقيب الفعل.

﴿مَا لَكُم﴾ يا أهل مكة ﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ يهمه أمركم ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يشفع لكم من الملائكة وغيرهم كما زعمتم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾ فيما بيَّن من عجائب صُنعه.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يرسل المَلَك بالوحي من السماء إلىٰ الأرض فيقضي ما أمره به ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ﴾(٢) لمسيركم ﴿أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ في حسابكم، خمسمائة سنة للإقبال وخمسمائة سنة للإدبار(٣).

﴿ذَٰلِكَ﴾ بتقدير أمره وقضائه ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ قال الأخفش: بسكون اللام أجود، معناه أَحْسَنَ خلْقَ كل شيء، ويؤيد ذلك: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾(٤).

---

(١) سبق التنبيه علىٰ تفسير الاستواء فيما مضىٰ.

(٢) في الأصل: يكون مقدراه.

(٣) أي للصعود والنزول، وهذا من أدلة أهل السنة الله في العلو مستو علىٰ العرش، تفسير الطبري ٢٠/ ١٦٧، الكشف والبيان ٢١/ ٢٦٣.

(٤) أي: أتقن الخلق، وعلىٰ هذا جاء قول ابن عباس: أما إن است القرد ليست بحسنة، ولكن أحكم خلقها (تفسير الطبري ٢٠/ ١٧٠). وهذا القول هو المرجح عند ابن جرير.

وقيل: أحسن كل شيء خلقه، أي: ألهمهم ما يحتاجون إليه وعلَّمهم، وبدأ خلق آدم من طينٍ[(١)].

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ أي: ذريته من نطفة تنسل من الصلب، وهو سلالة آدم ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾ ضعيفٍ.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ والآية على التقديم والتأخير، معناه: وبدأ خلق الإنسان من طينٍ ثم سوَّاه ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ ثم جعل نسله من سلالةٍ من ماءٍ مهينٍ.

ثم خاطب الكل، قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ أي: جعل لكم السمع لكي تسمعوا بها الحق، والأبصار لتبصروا بها الحق، والأفئدة لكي تفهموا بها الحق ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ أي: شكركم بما صنع قليل، بل لا تشكرون الله البتَّة، ويحتمل: قليلاً ما تشكرون من نعمه.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني بُلينا وذهبت الجلود والعروق واللحوم وبليت الأجساد والعظام وصرنا ترابًا ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ بعد الموت ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾ منكرون بالبعث.

﴿قُلْ﴾ لمنكري البعث يا محمد ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ يقبض أرواحكم عند انقضاء آجالكم: ملك الموت ﴿ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ سُلِّط على قبض أرواحكم واسمه عزرائيل.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا من صفة عزرائيل أنَّ له أربعة أجنحة، جناحٌ بالمشرق، وجناحٌ بالمغرب، وجناحٌ في أقصى العالم من حيث يجيء ريح الدَّبور، وجناح في أقصى العالم من حيث يجيء ريح الصبا، ورِجلٌ

---

(١) وهو مفهوم قول مجاهد، لأنه ناظر هذه الآية بقوله ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة طه:٥٠] (تفسير الطبري ٢٠/ ١٧١).

له بالمشرق وأخرىٰ بالمغرب، والخلق كلهم بين رجليه، ورأسه فوق السماء العليا، وجسده كما بين السماء والأرض، ووجهه عند ستر الحجاب[1].

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ١١﴾ إلىٰ مجازاته، وإنما: قيل للرجوع إلىٰ الجزاء رجوعًا إلىٰ الله تعالىٰ لأنه أفخم للجزاء، إذ المضاف يُعَظَّمُ شأنه بحسب ما أُضيف إليه.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ من أهل مكة، إذا بُعثوا وعاينوا ما كذَّبوا ﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ﴾ من الخزي ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ قائلين ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ ما عمينا عن رؤيته، وسمعنا كلام محمد في الدنيا، فكذَّبنا به وعايناه ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ إلىٰ الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ ونؤمن بما كذَّبنا ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢﴾ مُصدِّقون.

قال الله تعالىٰ جوابًا لهم: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ لو أردنا أن نهديهم جميعًا لأعطينا كل نفس تقواها، ولكن الله لم يشأ ذلك ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾ وجب الوعد مني أنَّ هؤلاء قد خلقتهم للنار؛ وبعمل أهل النار يعملون ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ١٣﴾ أي: من كفار الإنس والجن.

﴿فَذُوقُواْ﴾ أي: قالت لهم الخزنة: ذوقوا العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ أي: بما تركتم الإيمان بالبعث ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ تركناكم في العذاب جزاء ترككم الإيمان في الدنيا ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ الدائم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٤﴾ من الكفر.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا﴾ أي: وُعظوا بها وبما فيها من الوعد والوعيد ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا﴾ علىٰ وجوههم ورُكبهم ﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ

(١) هذا البلاغ هو قول مقاتل والكلبي (كما في الكشف والبيان ٢١/ ٢٧٤).

رَبِّهِمْ﴾ صَلَّوْا لربهم بأمره وتوفيقه ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾ كما استكبر أهل مكة.

ثم نعتهم فقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ أي تتباعد.

نزلت الآية في الأنصار الذين كانت منازلهم بعيدة من المسجد بالمدينة، فكانوا يُصَلُّون المغرب ولا يرجعون إلىٰ منازلهم، يخافون فَوْت العشاء، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يُؤَخِّر العشاء الآخرة(١).

وقيل: نزلت في صلاة الليل، والمعنىٰ: ترتفع جنوبهم عن مواضع النوم والفرش(٢).

---

(١) رواه أبو داود في السنن ١٣٢١ ، والترمذي في السنن ٣١٩٦، عن أنس، وفي إسناده الحارث الراسبي ضعيف.

(٢) ويشهد له حديث معاذ مرفوعا: قيام العبد في الليل، رواه أحمد ٢٢٠٢٢ بإسناد ضعيف.

قال ابن جرير: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم، شغلا منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفا وطمعا، وذلك نبوّ جنوبهم عن المضاجع ليلاً؛ لأن المعروف من وصف الواصف رجلاً بأنَّ جنبه نبا عن مضجعه، إنما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم في وقت منام الناس المعروف، وذلك الليل دون النهار، وكذلك تصف العرب الرجل إذا وصفته بذلك، يدلُّ علىٰ ذلك قول عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه في صفة نبيِّ الله صلىٰ الله عليه وسلم:

يَبِيتُ يُجافِي جَنْبَهُ عَنْ فِراشِهِ ... إذا اسْتَثْقَلَت بالمُشْرِكِينَ المَضَاجِعُ

فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله تعالىٰ ذكره لم يخصص في وصفه هؤلاء القوم بالذي وصفهم به من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم من أحوال الليل وأوقاته حالاً ووقتًا دون حال ووقت، كان واجبًا أنْ يكون ذلك علىٰ كلِّ آناء الليل وأوقاته.

وإذا كان كذلك كان من صلىٰ ما بين المغرب والعشاء، أو انتظر العشاء الآخرة، أو قام الليل أو بعضه، أو ذكر الله في ساعات الليل، أو صلىٰ العتمة ممن دخل في ظاهر قوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ لأنَّ جنبه قد جفا عن مضجعه في الحال التي قام فيها للصلاة قائما صلىٰ أو ذكر الله، أو قاعدًا بعد أن لا يكون مضطجعًا، وهو علىٰ القيام أو القعود قادر، غير أن

﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ﴾ يعبدونه ﴿خَوۡفٗا﴾ من عذابه ﴿وَطَمَعٗا﴾ في رحمته ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦﴾ يتصدقون ويؤدون الزكاة.

﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم﴾ أُعدَّ لهم وادَّخر لهم في الجنة ﴿مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ ما تقر به أعينهم، وقيل: حور العين ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ صلَّىٰ ما بين المغرب والعشاء عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مرة، حفظ الله نفسه ودينه وأهله وآخرته ودُنياه»[١].

وفي خبر آخر عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال: «مَنْ عقَّب بين المغرب والعشاء بالصلاة؛ بُني له قصران مسيرة ما بينهما مائة عام، بينهما[٢] من الشجر ما لو نزل به أهل المشرق والمغرب لأوحلتهم[٣] -يعني أوسعتهم-

---

الأمر وإن كان كذلك، فإن توجيه الكلام إلىٰ أنه معني به قيام الليل أعجب إليَّ؛ لأن ذلك أظهر معانيه، والأغلب علىٰ ظاهر الكلام، وبه جاء الخبر عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم» (تفسير الطبري ٢٠/ ١٨١).

(١) فيه حديثان: الأول: رواه ابن ماجه ١٣٧١ عن عائشة بلفظ: من صلىٰ بين المغرب والعشاء عشرين ركعة بنىٰ الله له بيتا في الجنة، وفي إسناده يعقوب بن الوليد ، قال أحمد: من الكذابين الكبار. وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة ٤٦٧ حيث ذكره وذكر بعض الأحاديث القريبة منه.
الثاني: من صلىٰ بين المغرب والعشاء عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة الحمد، وقل هو الله أحد بنىٰ الله له في الجنة قصرين لا فصل فيهما ولا وَصْم. رواه ابن عدي في الكامل ٥/ ١٤٩ وهو موضوع كذلك، فيه عمرو بن جرير البجلي منكر الحديث، وقد تفرد به عن الثوري (لسان الميزان ٦/ ١٩٥).

(٢) في بعض المصادر: فيهما.

(٣) كذا في الأصل، وفي بعض نسخ تفسير الثعلبي: لأرحلتهم، بالراء، وفي بعضها: لأدخلنهم، وفي بعضها: لأوسعتهم.

وهي صلاة الأوابين في غفلة الناس، وإنَّ مِنَ الدعاء المستجاب الذي لا يُردُّ دعاء ما بين المغرب والعشاء»[١].

قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ۝١٨﴾ نزلت في عليٍّ رضي الله عنه والوليد بن عقبة، وذلك أنَّ الوليد بن عقبة قال لعلي رضي الله عنه: أنا أشبُّ منك شبابًا، وأجلد منك جلادة، وأحد منك سنانًا، وأفصح منك لسانًا، فقال له عليٌّ: كذبت يا خبيث، اسكت فإنك فاسق، فأنزل الله تعالىٰ تصديقًا لقول علي: «أفمن كان مؤمنًا» أي: مُقرًّا بوحدانية ربه، ومصدِّقًا بقلبه، وهو علي، «كمن كان فاسقًا»: منافقًا خارجًا عن طاعة الله، وهو الوليد، «لا يستوون» وإنما قال بلفظ الجمع ليدخل فيه كل مؤمن ومنافق، وصالح وفاسق إلىٰ يوم القيامة[٢].

ثم بيَّن منزلتهما فقال: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يعني عَليًّا ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا﴾ ثوابًا ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٩﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ خرجوا عن طاعة الله مثل الوليد ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ يعني: مرجعهم ومصيرهم إليها ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ لأنَّ جهنم بنارها تموج فتُلقيهم إلىٰ أعالي الأبواب، فطمعوا في الخروج، فتضربهم خزنة النار بالمقامع، فيهوي أحدهم بتلك الضربة إلىٰ قعرها[٣].

﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٠﴾ بأنَّه غير كائنٌ.

---

(١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢١/ ٢٨٦، من حديث ابن عمر، وهو حديث منكر، في إسناده النضر بن حميد عن سعد، وكلاهما منكر الحيث.

(٢) رواه الطبري في التفسير ٢٠/ ١٨٧ عن عطاء بن يسار، وهو قول السدي، ورواية الكلبي وعطاء عن ابن عباس، الكشف والبيان ٢١/ ٢٩٨، البسيط ١٨/ ١٥٣.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٨.

وإنما قال: «الذي» وَ«به» مع أنه النار مؤنثة لأنَّه رجع الكلام إلىٰ معنىٰ العذاب، والله أعلم(١).

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ قال الضحَّاك: يعني الجوع الذي أصابهم سبع سنين؛ حتىٰ أكلوا فيها الكلاب والجيف، دون العذاب الأكبر: القتل ببدر(٢).

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ لكي يتوبوا فيما بين العذابين.

وقيل: الأدنىٰ هو القتل ببدر، والأكبر النار في الآخرة(٣).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾ يعني [لا] أحد أكفر وأظلم ممن وُعظ بالقرآن ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ تكذيبًا لها ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ بالعذاب.

نزلت في المُطعمين ببدرٍ، انتقم الله منهم بضرب أعناقهم(٤).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ قبل ما أعطيناك القرآن ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ أي: لا تشكنَّ في لقائك موسىٰ ليلة المعراج، فإنك ستلقاه، فلقيه رسول الله مرَّة بالمقدس، ومرَّة في السماء(٥).

وقيل: لقيه قائمًا في قبره يُصلِّي، عن الضحاك(٦).

---

(١) نحوه في تفسير أبي الليث ٣/ ٣٨.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٠٨، الكشف والبيان ٢١/ ٢٩٩.

(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ١٨٨، ١٩١.

(٤) وقيل: أراد بهم المنكرين للقدر (تفسير الطبري ٢٠/ ١٩٣، الكشف والبيان ٢١/ ٣٠٠).

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩.

(٦) في صحيح البخاري ٣٣٩٤، ومسلم ١٦٨: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ليلة أسري بي رأيت موسىٰ: وإذا هو رجل ضرب رجل، كأنه من

﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾ قائدًا لبني إسرائيل.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿أَئِمَّةً﴾ قادةً في الخبر ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يدعون أُممهم الهدىٰ ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ أي: الصبر علىٰ الأذىٰ ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ بأنها من الله.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ يقضي بين الأنبياء وأُممهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ في أمر الدين.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ [كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ]﴾ ألم يتبين لأهل مكة ما فعلنا بالأُمم قبلهم، وإهلاكنا إياهم، وهم ﴿يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ يمرُّون علىٰ مدائنهم، حين خرجوا إلىٰ الشام يمرُّون علىٰ الحِجْر، وقُريات لوط، فيرَوْن آثارهم باقية، وأجسادهم خاوية.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ وعِبَر ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ التي ليس فيها شيءٌ من النبات[1] ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ﴾ أي: بالماء وهو المطر ﴿زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ﴾ من كلإٍ ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ من حبوبها ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ ذلك ليتيقَّنوا بالبعث.

رجال شنوءة، ورأيت عيسىٰ، فإذا هو رجل ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس، وأنا أشبه ولد إبراهيم صلىٰ الله عليه وسلم به، ثم أتيت بإناءين: في أحدهما لبن وفي الآخر خمر، فقال: اشرب أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته، فقيل: أخذت الفطرة أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك .

وفي صحيح مسلم ٢٣٧٥: عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: أتيت - وفي رواية مررت - علىٰ موسىٰ ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره.

(١) أرض جزر أي جدب لا نبت فيها، فهي ناعمة ملساء (معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢١١، تفسير أبي الليث ٣/ ٤٠).

﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني: كفار مكة ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ يعني: به العذاب الذي تخوِّفونا به متىٰ هو.

وقيل: يعنون به فتح مكة؛ لأنَّ أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كانوا يتذاكرون بمكة أنَّ الله سيفتح لهم مكة، فكان أناسٌ من بني خزيمة وبني كنانة يسمعون ذلك ويهزؤون بهم، ويقولون: متىٰ هذا الفتح(١).

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٨ قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ [وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ] ۝٢٩﴾ من القتل، وإن كانوا مخلصين، وإن كان ينفعهم في الآخرة.

وذلك أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لما فتح مكة بعث خالد بن الوليد إلىٰ أسفل مكة، فخرج جماعة من بني خزيمة من مكة وتحصَّنوا بجبلٍ من وراء الحرم، وكانوا ممن يهزؤون بأصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقال لهم خالد: انزلوا، فقالوا: نحن مسلمون، فقال خالد: إن كنتم مسلمين فانزلوا، فنزلوا، فوضع فيهم السيف حتىٰ قتل منهم كثيرًا، فسمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال: «اللهم إني أتبرأ مما فعل خالد اللهم إني لم أَرْضَ به»، ثم بعث دِيَّة المقتولين من غنائم خيبر، فلم ينفعهم إيمانهم من القتل(٢).

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أمر رسوله بالصفح، وهذا منسوخٌ بآية السيف ﴿وَٱنتَظِرْ﴾ يا محمد بهم العذاب، أي: القتل ببدر ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ۝٣٠﴾ هلاكهم.

---

(١) وهو رواية الكلبي، كما في تفسير أبي الليث ٣/ ٤٠، ونحوه روي عن أهل التأويل، انظر: تفسير الطبري ٢٠/ ١٩٨، الكشف والبيان ٢١/ ٣٠٧.

(٢) نقله أبو الليث في تفسيره ٣/ ٤١. وعنده: أبرأ بدل: أتبرأ.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ هذه السورة فكأنما أحيا ليلة القدر، وكُتبت له سبعون حسنةً وحُطَّت عنه سبعون سيئة، ورُفعت له سبعون درجة»(١).

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢١/ ٢٦٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٩٩.

سورة الأحزاب

مدنية(١)، وهي سبعون وثلاث آيات(٢).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ﴾ جاء في التفسير أنَّ [أبا] سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السُلمي حضروا المدينة بعد صلح الحُديبية، ونزلوا علىٰ عبد الله بن أُبي وسائر المنافقين، وتشاوروا في هُدنة تكون بين قريش وبين النبي صلىٰ الله عليه وسلم، علىٰ أنَّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم يترك بعض الشدة، وراء الانحناء(٣)، ويساعد الكفار في بعض الشرائع فرفعوا ذلك إلىٰ(٤) رسول الله فكره منهم ذلك، وهمَّ بقتلهم، فنزلت(٥).

يا أيها النبي اتق الله: في نقض العهد، ولا تطع الكافرين والمنافقين: في مُسامحة المشركين(٦).

---

(١) إجماعا، ويدل علىٰ ذلك اسمها، فالأحزاب هي غزوة الخندق، انظر: الكشف والبيان ٢١/ ٣١١، زاد المسير ٣/ ٤٤٦.

(٢) باتفاهم، البيان في عد آي القرآن ٢٠٦.

(٣) كذا في الأصل، والظن أنه مصحف، والمراد: أن يذكر آلهتم بخير.

(٤) في الأصل: علىٰ، وهو تصحيف.

(٥) هذا من مرويات مقاتل والكلبي، فإذا رأيته منسوبا لابن عباس فاعلم أنه من طريق أحدهما، انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٣٣، تنوير المقباس ٣٥٠، تفسير أبي الليث ٣/ ٤٢، وقد ذكره الثعلبي والواحدي ومن بنىٰ عليهما من غير إسناد.

(٦) والصحيح أن هذا توطئة لما في السورة من أحكام، ولما جرىٰ بين النبي صلىٰ الله عليه وسلم وبين المشركين من مفاوضات ومباحثات، وليس علىٰ اختصاص حادثة بعينها، والله أعلم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون قبل كونه ﴿حَكِيمًا ۝١﴾ حكم فيما خلقهُ قبل خَلْقِه.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: اعمل بالقرآن الذي أُنزل عليك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾ من خيرٍ وشرٍّ، راجع الخطاب إلىٰ الأُمَّة في آخر الآية.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: ثِقْ بالله في جميع ما ينوبك في أمر دينك ودُنياك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ أي: كفاك الله ربًّا وحرزًا ومانعًا.

والوكيل: القائم بالتدبير لغيره، وحكمة الله تدعو إلىٰ أن الله قائم بالتدبير لعباده، وهو وكيلٌ عليهم من أوكد الوجوه وأعلاها.

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ قيل: كان معمر بن لبيد من أهل مكة، وكان من أحفظ العرب لأخبار العرب، حتىٰ قالت قريش: له قلبان قلبٌ يسمع وقلبٌ يحفظ، ولولا ذلك لما بَلَغَ حفظُه ما بلغ، حتىٰ انهزم معمر من حرب بدر، وكانت[1] إحدىٰ نعليه في رجله والأخرىٰ في يده، وهو يعدو، فتلقَّاه أبو سفيان في الطريق، قال له: ما فعل الناس؟ قال: انهزموا، قال: ما بالُ نعلك في يدك والأخرىٰ في رجلك؟ فقال: والله ما شَعُرتُ إلا أنهما جميعًا في رجلي، فعلموا حينئذٍ أن لو كان له قلبان ما نسي النعل في يده، ونزلت هذه الآية، لم يجعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه فكيف يكون ذلك لمعمر؟[2].

---

(١) في الأصل: وكان.

(٢) رواه ابن جرير في التفسير ٢٠/ ٢٠٥ عن بعض التابعين، ولكن روىٰ قبل ذلك بإسناد جيد عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية فقال: قام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يوما فصلىٰ فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: إن له قلبين، قلبا معكم، وقلبا معهم، فأنزل الله الآية، وهذا أصح في سبب النزول، فإن قصة جميل بن معمر الجمحي التي ذكرها بعضهم

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ والمظاهَرة أن يشبه امرأته بظهر الأم أو ظهرها أو فرجها، بهذه الأعضاء من أُمِّه[١].

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ أي: ليس زيد بن حارثة ابنًا لرسول الله، لأنهم كانوا قالوا: إن محمدًا تزوَّج امرأة ابنه، وهو نهانا عن ذلك.

وكان رسول الله اتخذ زيدًا بمكان الولَد، فالله تعالىٰ بيَّن وقال: كما لا يكون في جوف الرجل قلبان ولا تكون المرأة لزوجها المظاهِر منها أُمًّا؛ فلا يكون زيد لمحمدٍ ابنًا[٢].

﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ تذكرونه بألسنتكم: زيدًا ابن محمد، وهو كذِب علىٰ نبيكم ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ ويأمرنا بالعدل ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ④﴾ للعباد.

ثم علَّمهم فقال: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ﴾ انسبوا زيدًا إلىٰ أبيه حارثة ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وأصوب من نسبته إلىٰ محمد ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾ لتنسبوهم إليهم ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ عبد الله وعبد الرحمن ﴿وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ أي: قولوا فلان مولىٰ فلان ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ وقلتم زيد بن محمد ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فعليكم الإثم به إذا نسبتم الولد إلىٰ غير أبيه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ⑤﴾.

كانت في بدر، وهذه السورة نزلت في السنة الخامسة، فهي متأخرة عن القصة، لو كانت وقعت، والله أعلم.

(١) وستأتي أحكام الظهار في سورة المجادلة إن شاء الله.

(٢) في صحيح البخاري ٤٧٨٢، ومسلم ٢٤٢٥: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أن زيد بن حارثة، مولىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتىٰ نزل القرآن ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾».

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ في السَّمع والطَّاعة.

وقيل: بالوراثة، ثم نسخ بآية القسمة(١).

وقيل: محبة النبي أوجب علىٰ المؤمنين من محبتهم أنفسهم(٢).

﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ يعني: أزواج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ المؤمنين في الحق والحُرْمة كأمهاتهم.

فلما نزلت هذه الآية زاد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم شفقة علىٰ أمته، فقال: «أنا أولىٰ بالمؤمنين، مَنْ تَرَكَ مالاً فلورثته، ومَنْ تَرَكَ دَيْنًا فقضاؤه عليَّ، ومَنْ ترك كلاً فإليَّ»(٣).

ثم قال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٍ﴾ أي: القرابات وإنْ بَعدوا أولىٰ بالميراث من الأجنبي.

وكان في بدء الإسلام يتوارثون بالهجرة لا بالقرابة، فصارت هذه الآية ناسخة لما كانوا يتوارثون بالهجرة(٤).

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: القرآن، وقيل: اللوح المحفوظ(٥).

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٥.

(٢) انظر الأقوال الواردة في ذلك في تفسير الثعلبي الكشف والبيان ٢١/ ٣٢٤، ويجمع ذلك كله: أن النبي أحق بالمؤمنين من أنفسهم بأنفسهم، فإنه بمثابة الوالد لهم، يدلهم علىٰ كل خير، ويحذرهم من كل شر، فمن هنا لا يعترض علىٰ حكمه، ويسمع لقوله، ويلتزم بسنته، ويلزمه من الحقوق علىٰ المسلمين أعظم مما يلزم كل واحد لنفسه ولأقرب الخلق إليه، بأبي هو وأمي صلىٰ الله عليه وسلم.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري ٢٢٩٨، ومسلم ١٦١٩ عن أبي هريرة.

(٤) وهذا متفق عليه بين أهل التأويل، تفسير الطبري ٢٠/ ٢١٠، الكشف والبيان ٢١/ ٣٢٩.

(٥) الكشف والبيان ٢١/ ٣٣١، ومن الغريب قول القرظي: المقصود في التوراة.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ الواو زائدة يعني المؤمنين المهاجرين ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ﴾ يعني ترضخوا لأصدقائكم وصيَّة ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ الاصطناع بالمعروف وصلة الرحم ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦﴾ يعني في اللوح المحفوظ مكتوبًا[١].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ وهم في صلب آدم ولهم نورٌ يتلألأ، عن الضحَّاك.

والميثاق: أن يُبَلِّغُوا الرسالة إلىٰ أُمَّتهم[٢].

﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ في التقديم والتأخير ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ﴾ قال الضحَّاك: لم يكن عيسىٰ نطفة في صلب آدم، فأخذ ميثاقه من نور عرشه، وجميع الأنبياء غير عيسىٰ كانوا نطفًا في صلب آدم[٣].

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم﴾ أي: من الأنبياء ﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ أنْ يعبدوه ويدعوا الخلق إلىٰ عبادته وأن يُصَدِّق بعضهم بعضًا.

وقال الكلبي: أخذ علىٰ مَنْ تقدَّم أن يبشر بمن تأخَّر منه، فبشَّر نوحُ بإبراهيم، وإبراهيم بموسىٰ، وموسىٰ بعيسىٰ، وعيسىٰ بمحمدٍ عليهم الصلاة والسلام[٤].

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ﴾ أي: أخذ الميثاق ليسأل المرسلين المبلِّغين عن صدقهم فيما بلَّغوا، هل أدَّيتم رسالاتي وماذا أُجبتم فيها.

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٢١٢.

(٢) البسيط ١٨/ ١٨٢.

(٣) غريب، لم أقف عليه.

(٤) ذكره أبو الليث في تفسيره ٣/ ٤٦ دون نسبة، واختصره الواحدي في البسيط ١٨/ ١٨٢.

﴿وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ الجاحدين بنبوة رسوله ونِعَمه وآياته ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ وهو دفع بأس عدوكم عنكم بغير القتال ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ من المشركين؛ أبو سفيان ومَن مَعه ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا﴾ من الملائكة ﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾ والقصة في ذلك: أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لما قَدِمَ المدينة صالح يهود بني قريظة وبني نضير، علىٰ أن لا يكون معه ولا عليه، فنقضوا عهدهم، وسيِّدهم: حيي بن أحطب، ركب إلىٰ مكة وحثَّ [أبا] سفيان بن حرب علىٰ قتال رسول الله مع كنانة وغطفان، فاجتمعوا خمسة عشر ألفًا، وأقبلوا إلىٰ المدينة، وشق بنو قريظة ونضير صحيفة العهد، وأقبل الأحزاب إلىٰ المدينة، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خَندقَ حول المدينة باستشارة سلمان، وجاء الأحزاب ونزلوا وراء الخندق، ومكثوا شهرًا، وشاقوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يُعطيهم تمر المدينة سنة حتىٰ يرجعوا، فأبىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقالوا: نصفها، فرضي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وأراد أن يكتب به كتابًا، فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله، أَقَدْ أُوحي إليك في هذا شيءٌ؟ فقال: «لا، ولكن رأيتُ العرب كلهم رَمَتْكم عن قوسٍ واحدةٍ، فأردُّ بهذا البعض، وأقاتل البعض» فقال: نحن في الجاهلية لا يقدرون أن يأخذوا منَّا تمرة واحدة، إلا بشراءٍ أو قِرىٰ، فحين أكرمنا الله بك نعطيهم الدنيَّة، والله لا نعطيهم إلا السَّيف، فشقَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الكتاب، وقال لرسولهم : «نعطيكم السَّيْف» فأرسل أبو سفيان إلىٰ حيي بن أحطب أن أخرُج غدًا للقتال مع قومك، وكان يوم الجمعة، فقال حُيي بن أحطب: غدًا يوم السبت ولا نقاتل فيه، فقال أبو سفيان: نؤخِّرُ القتال إلىٰ الأحد، ولكن أعطونا رهنًا من أبنائكم تطمئنَّ به قلوبنا، فقال حيي بن أحطب: لا يدخل علينا الليلة أحدٌ ولا يخرج من عندنا، فخاف أبو سفيان المكر، وهَمَّ بالرجوع

إلىٰ مكة، فأرسل الله عليهم ريحًا قلعت[١] الأوتاد، وأطفأت النيران، وجالت الخيول بعضها في بعضٍ، وكبَّرت الملائكة في جانب العسكر، فهُزم أعداء الدِّين بلا قتالٍ، فذلك قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني: الملائكة[٢].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩﴾ في أمر الخندق.

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ أي: فوق الوادي من قِبَلِ المشرق[٣]: مالك بن عوف، وعيينة بن حصن[٤]، وبنو غطفان مع يهود بني قريظة[٥].

﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ مِن بطن الوادي من قبل المغرب: أبو سفيان وأهل مكة مع قريش[٦].

﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ مالت وتحيَّرت من كثرة عددهم ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ أي: قلوبكم، والألف واللام يدلان علىٰ الإضافة، كقوله: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾، يعني: اشتد الخوف وانتفخت الرِّئات.

﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠﴾ وأيستم من النصرة[٧].

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ اختُبروا للقتال ﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾ أُجهدوا وحُرِّكوا تحريكًا شديدًا[٨].

---

(١) في الأصل: قلع.. أطفأ.

(٢) لخص المصنف قصة الخندق، وهي مطولة في تفسير الطبري ٢٠/ ٢١٥، والكشف والبيان ٢١/ ٣٣٣، والبسيط ١٨/ ١٨٤.

(٣) في الأصل: الشرق، والتصحيح من المصادر، ومن مقابلته بعد قليل بالمغرب.

(٤) في الأصل: نصر، وهو تصحيف، والتصحيح من المصادر.

(٥) الكشف والبيان ٢١/ ٣٤١.

(٦) تفسير الطبري ٢٠/ ٢١٧، الكشف والبيان ٢١/ ٣٤١.

(٧) وهو ظن بعضهم لا كلهم (تفسير الطبري ٢٠/ ٢٢١).

(٨) في معاني القرآن للزجاج: ٤/ ٢١٩: أزعجوا إزعاجا شديدا وحركوا.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ وذلك أنَّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم حين ابتدأ في الخندق ضرب بيده مِعْولاً علىٰ الأرض، فتلألأ منه نورٌ، فكبَّر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقال: «إن الله فتح عليَّ اليمن»، وضرب ثانيًا فخرج أضوأ منه، فقال: «فتح الله عليَّ الشام والمغرب»، ثم ضرب ثالثًا فتلألأ نور أضوأُ منهما، فكبَّر وقال: «فتح الله عليَّ المشرق».

فقال مُعتب بن قُشير: إن أحدنا يريد أن يقضي حاجتَه فما يقدر أنْ يتباعد من الفَرق، فكيف نملك الشام واليمن والروم[١]، هذا غرورٌ بيِّن فنزلت الآية، ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ وهو مُعتب بن قشير، الآية.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني: المنافقين ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ أي: المدينة ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ لا وجه لكم بالإقامة كلكم بالخندق مع محمد عليه السلام ﴿فَٱرْجِعُواْ﴾ إلىٰ منازلكم بالمدينة، حتىٰ لو كانت هزيمة أخذتم[٢] حذركم، وإن كان الظفر كنتم مع محمد ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ خالية، يعني: بني سلمة وبني حارثة من الأنصار[٣] ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ أي: ليست بخاليةٍ كما زعموا ولا يخافون السَّرق[٤] ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ من القتال.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾ أي: علىٰ المنافقين ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي: أقطار المدينة ونواحيها ﴿ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ﴾ أي: دُعوا إلىٰ الشرك ﴿لَأَتَوْهَا﴾ أي: جاؤوها

---

(١) رواه الطبري في التفسير ٢٠/ ٢٢٢ عن مجاهد مختصرا، وابن زيد مطولا.

(٢) في الأصل: أحدكم، أهو تصحيف.

(٣) في الكشف والبيان ٢١/ ٣٦٢: بنو حارثة بن الحارث. وهو مروي عن ابن عباس من طريق العوفي، كما في تفسير الطبري ٢٠/ ٢٢٦.

(٤) وهو مروي قتادة، تفسير الطبري ٢٠/ ٢٢٦.

بالقصر، وبالمد: لأعطوها[١].

وقيل: لو دُعوا إلىٰ الشرك أجابوا إليه ﴿[وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ]﴾وما مكثوا بعد الإجابة بالمدينة ﴿إِلَّا يَسِيرًا ١٤﴾.

﴿وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ يعني: يوم أُحد قبل الخندق، لمَّا نزل في الفارِّين ما نزل ﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ أي: لا يفرُّون ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ﴾ الذي عاهدوه ﴿مَسْـُٔولًا ١٥﴾ عنه يوم القيامة.

﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ ولا بُدَّ لكم من الموت ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ﴾ إنْ فررتم [﴿إِلَّا قَلِيلًا ١٦﴾] إلا مُدةً يسيرة إلىٰ منتهىٰ آجالكم.

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يمنعكم من عذاب الله ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ مصيبةً أو هزيمةً ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ دولةً ونصرةً ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم﴾ لأنفسهم ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ١٧﴾ مانعًا عن الهزيمة.

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ المانعين بما يأمرونهم بالرجوع إلىٰ المدينة، المخوِّفين لهم[٢] ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ في المنافقين، وكانت اليهود دعوا إلىٰ أنفسهم وقالوا: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ دعوا محمدًا[٣]، ثم قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨﴾ أي: لا يأتون الحرب إلا رياءً وسُمعةً من غير احتساب.

---

(١) قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن ذكوان بخلف: بالقصر، أي: لأتوها، وقرأ الباقون بالمد، أي: لآتوها (النشر ٢/ ٣٤٨). وانظر في تأويل القراءتين: معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٢٠.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٢.

(٣) وقال قتادة وغيره: هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه، دعوا هذا الرجل فإنه هالك (تفسير الطبري ٢٠/ ٢٣٠، الكشف والبيان ٢١/ ٣٦٦).

﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۚ﴾ نصب على الحال(١)، أي: يأتون الحرب بخلاً عليكم بالظفر والغنيمة(٢) ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ﴾ وذهب للقتال(٣) ﴿رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾ يعني: المنافقين من الجُبْنِ ﴿تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ﴾ في الجفون ﴿كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ تضطرب حدقاتهم في الحماليق(٤)، كمن هو في غشيان الموت ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم﴾ أي: آذوكم ﴿بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ﴾ يقول: إن خاطبوكم في المال فهم من أشح الخلق على أموال الغنيمة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ﴾ أي: جهادهم ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٩﴾.

﴿يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ﴾ من الخوف فيهم ﴿وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ إلى المدينة ثانيًا ﴿يَوَدُّواْ﴾ يعني: المنافقين ﴿لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ يكونوا من أهل البادية ﴿يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ﴾ ما فعل محمد وأصحابه ﴿وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم﴾ عند القتال ﴿مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ٢٠﴾ رياءً وسُمعةً.

﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ يا معشر المنافقين ﴿أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ اقتداء صالح حيث باشر القتال بنفسه، والاقتداء بالرسول: اتباع سُننه وترك مخالفته ﴿لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ أي: يخاف الله ويخاف مخالفته ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ بالقلب واللسان.

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ﴾ الجنود يوم الخندق مُقبلين ﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ لأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام قال لأصحابه: «إنَّ الأحزاب

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢١١.
(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٢٣١.
(٣) في الأصل: وذهب القتال، وهو يحيل المعنى.
(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٣.

خرجوا إليكم وهم سائرون إليكم إلىٰ عشرة أيامٍ»[(١)].

﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ﴾ حضور الأحزاب ﴿إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴿٢٢﴾﴾ انقيادًا لقضاء الله.

ثم ابتدأ فقال: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ﴾ أي: وَفُوا ﴿مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ إذ نذروا ليلة العقبة: أن نقاتل ولا نَفِرَّ إذا لاقينا ﴿فَمِنۡهُم﴾ أي: المخلصين ﴿مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾ وفىٰ نذره، فقاتل حتىٰ قُتل يوم أُحد، وهو حمزة عَمُّ رسول الله وأصحابه[(٢)] ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ﴾ أجله والوفاء للعهد ﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾ كتبديل المنافقين.

﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ﴾ في وفاء العهد ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ بنقض العهد ﴿إِن شَآءَ﴾ إذ شاء ﴿أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ إن تابوا من النفاق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا﴾ لمن تاب منهم ﴿رَّحِيمٗا ﴿٢٤﴾﴾ به بعد التوبة.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يوم الأحزاب ﴿بِغَيۡظِهِمۡ﴾ أي: بغمِّهم ﴿لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ﴾ لم يروا سُرورًا وظفرًا ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ﴾ بالملائكة والريح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا﴾ بنُصرة المؤمنين ﴿عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾﴾ بالنقمة علىٰ الكافرين.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ أي: عاونوهم ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعني: بني قريظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمۡ﴾ أي: حصونهم، والصياصي كل ما يُعَدُّ للامتناع[(٣)].

يُقال لقرن الثور: صِيصَة، ولشوكة الديك صِيصة، لأنَّه للامتناع[(٤)].

---

(١) وهو قول الكلبي، حيث نقله أبو الليث في تفسيره ٣/ ٥٣ ، والسمعاني في تفسيره ٤/ ٢٧٠، دون نسبة. ونقله الواحدي في البسيط ١٨/ ٢١٦ مصرحا باسمه.

(٢) وفي تفسير الطبري روايات عن بعض من قضىٰ نحبه (تفسير الطبري ٢٠/ ٢٤٠).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٢٣.

(٤) البسيط ١٨/ ٢٢٣.

وذلك: أنه لما رجع أبو سفيان إلىٰ مكة؛ وأجلىٰ رسول الله بني النضير من ديارهم إلىٰ الشام قبل ذلك بسنتين، فإذا انهزم الأحزاب خافت بنو قريظة من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فتحصَّنوا في حصنهم، وكان حيي بن أحطب من بني النضير، وقد وعد الأحزاب أنْ يُخرج إليهم بني قريظة، لأنَّه من الأشراف فيهم، فلما فرغ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من حزب الأحزاب جاء جبريل، وقام عند منبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وعليه عصابة صفراء، والغبار علىٰ وجهه، لأنَّه كان في أدبار جيش أبي سفيان وغطفان، وكانت عائشة تغسل رأس رسول صلىٰ الله عليه وسلم من الغبار، فقال له جبريل عليه السلام: يا محمد إن أهل السماء ما وضعوا سلاحهم وقد وضعتم سلاحكم، اخرُج إلىٰ بني قريظة، فقال: «يا جبريل كيف أصنع وهم في حصنهم؟»، فقال: اخرج إليهم والله لأدُقَّنَّهم بالخيل والرجال؛ كما تُدَقُّ البيضة علىٰ الصفا، ولأخرجنَّهم من حصنهم، فنادىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بالخروج، وأتاهم وحاصرهم عشرين ليلةً، حتىٰ نزلوا علىٰ حكم سعد بن معاذ، وكان سعد رمي يوم الخندق في أكحله، فسأل الله عز وجل أن لا يُميته به حتىٰ يشفيَه من بني قريظة لمظاهرتهم الأحزاب، فأبقاه الله حتىٰ حكَّموه يومئذٍ، فحكم فيهم أن يُقتل مقاتليهم، وتُسْبَىٰ ذراريهم، ففعل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كما حكم سعد، وكان ذراريهم تسعمائة وخمسين، فقسمها بين المهاجرين، وقتل حيي بن أخطب مع المقاتلين كلهم، فذلك قوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾[1].

---

(١) روىٰ البخاري ٣٠٤٣ ومسلم ١٧٦٨ عن أبي سعيد قال: لما نزلت بنو قريظة علىٰ حكم سعد هو ابن معاذ، بعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وكان قريبا منه، فجاء علىٰ حمار، فلما دنا قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «قوموا إلىٰ سيدكم» فجاء، فجلس إلىٰ رسول الله صلىٰ

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ الخوف من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿فَرِيقًا﴾ منهم ﴿تَقْتُلُونَ﴾ أربعمائة وخمسون رجلاً ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾ تسعمائة وخمسين رابيًا من ذراريهم(١).

ثم قال: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ من المزارع والحيطان ﴿وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾ ومتاعهم ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ﴾ أي: لم تملكوها بعد، يعني: خيبر سيجعلها الله لكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ يتم هذه النعمة عليكم.

الله عليه وسلم، فقال له: إن هؤلاء نزلوا علىٰ حكمك، قال: فإني أحكم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبىٰ الذرية، قال: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك».

وروىٰ البخاري ٤١٢٢، ومسلم ١٧٦٩ : عن عائشة رضي الله عنها، قالت: أصيب سعد يوم الخندق، رماه رجل من قريش، يقال له حبان بن العرقة وهو حبان بن قيس، من بني معيص بن عامر بن لؤي رماه في الأكحل، فضرب النبي صلىٰ الله عليه وسلم خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما رجع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعته، اخرج إليهم، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: فأين؟ فأشار إلىٰ بني قريظة، فأتاهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فنزلوا علىٰ حكمه، فرد الحكم إلىٰ سعد، قال: فإني أحكم فيهم: أن تقتل المقاتلة، وأن تسبىٰ النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم قال هشام، فأخبرني أبي، عن عائشة: أن سعدا قال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلي أن أجاهدهم فيك، من قوم كذَّبوا رسولك صلىٰ الله عليه وسلم وأخرجوه، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له، حتىٰ أجاهدهم فيك، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتتي فيها، فانفجرت من لبته فلم يرعهم، وفي المسجد خيمة من بني غفار، إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد يغذو جرحه دما، فمات منها رضي الله عنه .

(١) كذا في الأصل، وفي البسيط ١٨/ ٢٢٤: سبعمائة وخمسين. وفي تفسير أبي الليث ٣/ ٥٧: قتل أربعمائة وخمسون، وسبىٰ من النساء والصبيان ستمائة وخمسون، وفي رواية الكلبي كانوا سبعمائة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ أي: تخترن بقاء الدنيا وزهرتها ﴿فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ﴾ متعة الطلاق كما يمتع الرجل امرأته إذا طلَّقها سِوىٰ المهر ﴿وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾ أي: طلاقًا بالسُنة من غير ضرارٍ، فعرض رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أغيار علىٰ نسائه، فقُلْنَ: بل نختار الله ورسوله، فأمسكهنَّ[1].

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ ثوابها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ المُطيعات الصالحات منكن ﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾ ثوابًا وافرًا.

فلما اخترن الله ورسوله أنزل الله تعالىٰ: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ الآية.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ بعد التخيير.

قال الضحَّاك: الفاحشة منهن النشوز[2].

وقال الكلبي: أراد به الزنا الظاهر[3].

مقاتل: العصيان البيِّن[4].

﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ ضعفي ما علىٰ غيرها: الجلد والرَّجم[5]، لأنَّ كرامتهن بشرف رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أكبر فعقوبتهن بالجُرم أبلغ ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠﴾ أي: عذابهن هيِّنٌ.

﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: تُطِعْ ﴿وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾ من الطاعات

---

(١) وهذا مروي في صحيح البخاري ٢٤٦٨، ومسلم ١٤٧٥.

(٢) وهو مروي عن ابن عباس (البسيط ١٨/ ٢٢٨).

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٨. وهو اختيار الطبري في تفسيره ٢٠/ ٢٥٥.

(٤) البسيط ١٨/ ٢٢٨.

(٥) هذا علىٰ أن المضاعفة في الدنيا، وقيل في الآخرة (تفسير الطبري ٢٠/ ٢٥٥).

﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ ثوابها ضعفين، مكان كل حسنة عشرين.

وفي الآية دليلٌ علىٰ أنَّ أجر العالم العامل أفضل كما فُضِّلْنَ، وعقوبة ذنب العالم أعظم كما ضوعف لهن العذاب[١].

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ في الجنة.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ يعني: لستن كسائر النساء في القَدْر والمنزلة.

وإنما قال: أحد ولم يقل: واحدة؛ لأنَّ أحد مع حرف النفي عام يتناول المُذكَّر والمؤنث والواحد والجمع، ويقع علىٰ بني آدم والبهائم، يُقال: ما في الدار أحد؛ يُنبئ عن خلوِّ الدار من أجناس الخلق؛ لأن أحدًا لا يُنبئ عن العدد.

ولو قال: ما في الدار واحد يتوهم أن يكون فيها اثنين أو ثلاثة؛ لأنَّه عدد، ولأنه: لا يُقال أحد اثنان ثلاثة، ولكن يُقال: واحد اثنان ثلاثة، فإذا زاد علىٰ العشرة يُقال: أحد عشر، ولا يُقال واحد عشر، لأنَّ واحد عشر يتوهم فيه أنْ يكون واحد من العشرة، وليس هذا في أحد عشر، فاعرفه[٢].

﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ يعني: كنتنَّ متقيات مطيعات لله ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ وهو اللِّين من الكلام ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ يعني: حُب الزنا ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ لا فُحش فيه ولا هجر.

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ الأصل فيه: اقررن، من قولك: قررتُ بالمكان فخفَّف وأسقط أحد الرائين، ونقلت حركة الراء إلىٰ القاف[٣].

---

(١) وقال ابن عيينة: يغفر للجاهل سبعون، مالا يغفر للعالم واحد (تفسير أبي الليث ٣/ ٥٩).
(٢) وسيأتي في تفسير سورة الإخلاص.
(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٢٥، البسيط ١٨/ ٢٣٤.

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ التبرُّج: التبختر مع إظهار الزينة وما يستدعي شهوة الرَّجُل ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ وهو زمن نمرود الجبار الذي وُلِدَ فيه خليلُ الله، كنَّ النساء يتخذن الدُّروع من اللؤلؤ فتلبَس وتمشي وسط الطريق لا شيء عليها غيره(١).

﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ فيما أمركن ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ أي: يرفع عنكم أقذار الجاهلية يا ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾.

ويتناول أهل البيت: كل مَن اتصل برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من جهة نسبٍ أو سببٍ علىٰ العموم(٢).

﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣﴾ من الذنوب.

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ أي:

---

(١) وهو قول الكلبي كما في البسيط ١٨/ ٢٣٧. وقيل: ما بين عيسىٰ ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وقيل: ما بين نوح وإدريس، وهاهنا يذكرون خبر الزنا الأول، فقد روىٰ ابن جرير بإسناد حسن عن ابن عباس: تلا هذه الآية ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ قال: كان فيما بين نوح وإدريس، وكانت ألف سنة، وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل، والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صباحا، وفي النساء دمامة، وكان نساء السهل صباحا، وفي الرجال دمامة، وإن إبليس أتىٰ رجلا من أهل السهل في صورة غلام، فأجر نفسه منه، وكان يخدمه، واتخذ إبليس شيئا مثل ذلك الذي يزمر فيه الرعاء، فجاء فيه بصوت لم يسمع مثله، فبلغ ذلك من حولهم، فانتابوهم يسمعون إليه، واتخذوا عيدا يجتمعون إليه في السنة، فتتبرج الرجال للنساء، قال: ويتزين النساء للرجال، وإن رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم ذلك، فرأىٰ النساء، فأتي أصحابه فأخبرهم بذلك، فتحولوا إليهن، فنزلوا معهن، فظهرت الفاحشة فيهن (تفسير الطبري ٢٠/ ٢٦١).

(٢) وهذا تلخيص حسن.

احفظن القرآن بحلاله وحرامه وأمره ونهيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤﴾ عالمًا بكنَّ وأعمالكن.

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ يعني: الموحِّدين من الرجال والموحدات من النساء ﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ والإيمان: التصديق ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ والقنوت: الطاعة مع الخضوع ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ والصِّدق: الإخلاص في العمل بلا رياءٍ ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ علىٰ المصائب والمرازي، وعن الفواحش والمعاصي ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ والخشوع: التواضع لله ورسوله ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ من أموالهم علىٰ الفقراء والمساكين ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ قيل: شهر رمضان، وقيل من كل شهر ثلاثة أيام[1].

﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ من الزنا والفواحش ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ بالقلب واللسان ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم﴾ بهذه الخصال ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٣٥﴾ في الآخرة.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ له ﴿أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ أي: الاختيار بخلاف اختيار الله ورسوله.

نزلت في عبد الله بن جحش وزينب بنت جحش أخته، حيث قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لعبد الله بن جحش: إني رضيتُ لأختك زيدًا فزوَّجها إيَّاه، فقال: حتىٰ استأمرها يا رسول الله، فاستأمرها فأبت، فأخبر رسول الله بإبائها، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم لزينب: «زوِّجي نفسك زيدًا» فقالت: يا رسول الله لا يكون ذلك أبدًا، مولىٰ يتزوجني، وما من امرأة أوسمُ ولا أجهل منِّي، وكان عبد الله بن جحش وأخته زينبُ ابنا عمة رسول الله آمنة بنت عبد المطلب،

(١) وهو قول مقاتل (تفسير أبي الليث ٣/ ٦١).

فنزلت الآية[١].

وما كان لمؤمن: عبد الله، ولا مؤمنة: زينب، إذا قضىٰ الله ورسوله، الآية.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ أي: أخطأ خطًا بيِّنًا، فحينئذٍ قالت زينب: أمري بيدك يا رسول الله، فأنكحها زيدًا.

ثم قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالتوفيق للإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالتحرير، يعني: زيدًا ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ ولا تُطلِّقها ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في فراقها، لعلها لا تريد فراقك ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ﴾ أي: تضمر في قلبك ما الله مظهره، وهو حبك فراقه إياها.

وذلك أنَّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم أتىٰ زيدًا يزوره فوجده غائبًا عن المنزل، وكانت زينب تدقُّ طيبًا لها، فاطلع عليها رسول الله فجأةً فغطَّت وجهها بيدها، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم لباقةً وحُسنًا: «يا زينب، سبحان مقلب القلوب» مرَّتين ورجع.

فلما أقبل زيد أخبرته زينب بذلك، وقالت: استأذنه في طلاقي فاستأذن زيد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وشكا من زينب، وقال: إنها تؤذيني بلسانها، وتعصيني في أمري، وتتكبَّر عليَّ.

فقال رسول الله: «أمسك عليك زوجك» وهكذا في اليوم الثاني والثالث، فنزلت الآية: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾[٢].

---

(١) رواه الطبري عن ابن عباس من طريق العوفي، ومن طريق ابن لهيعة، وعن مجاهد وقتادة من قولهما، (تفسير الطبري ٢٠/ ٢٧١). وعن ابن زيد أنها نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط.

(٢) رواه الطبري ٢٠/ ٢٧٤ عن ابن زيد من قوله، وذكره أبو الليث في تفسيره ٣/ ٦٢، عن ابن عباس، أي من رواية الكلبي.

قال علي بن الحسين: كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قد أخبره الله أنَّ زينب تكون امرأة له في الدنيا والآخرة، فهذا كان يخفيه(١).

ولو قيل: إنَّ قلبه صلىٰ الله عليه وسلم مال إليه، ويُخفي، لا يُعاب به علىٰ الرسول صلىٰ الله عليه وسلم لأنه آدميٌ شهوانيٌ، ورجوليته أشد من سائر الرجال(٢).

روي عن قتادة قوله: وكان يخفي في نفسه ود أن زيدا طلقها، هكذا قال قتادة، ولم يزد علىٰ ذلك، وقال مثله الكلبي وزاد: إرادة تزوجها (البسيط١٨/ ٢٥١)، ومثله قال مقاتل في تفسيره ٣/ ٤٨.

فهذا المروي في أن الذي أخفاه في نفسه هو الإعجاب بها والرغبة بزواجها وهي في عصمة زيد، لم يطلقها بعد، لا يثبت منه شيء في ميزان النقد، بل هو باطل رواية ودراية.

فهذه الروايات مما يجب أن تنزه عنه كتب التفسير، كما فعل ابن كثير في تفسيره ٦/ ٤٢٦، وابن حجر في فتح الباري ٨/ ٥٢٤.

(١) رواه الطبري في التفسير ٢٠/ ٢٧٤ وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان، ضعيف الحديث.
وعن السدي نحوه، رواه ابن أبي حاتم، كما في فتح الباري ٨/ ٥٢٣.

(٢) حاشا لله أن يكون الأمر لأجل الشهوة، وهو الذي عُرض عليه أجمل النساء من قريش وغيرها فلم يأبه لهن، وزينب بنت عمته، وهو يعرفها، فلو كان الأمر لأجل شهوة لخطبها قبل أن يزوجها زيدا، وكيف يقال في حق المصطفىٰ صلىٰ الله عليه وسلم مثل هذا الكلام، وهو وإن كان قصده بوصف: شهواني جنس بني آدم، إلا أنه ما كان ينبغي له أن يقوله في سياق ذكر النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

ولكن هذا من الدخيل في التفسير، فلما رووه تكلفوا له المخارج.

فأما هذه الرواية فقد بينا ما فيها.

وأما التفسير، فقد بين الله ما الذي كان يخفيه رسوله في نفسه في آخر الآية، وذلك أن الله عز وجل لما أبطل التبني في أول السورة، وكان إبطاله عن طريق الأمر، أراد سبحانه أن يبطله بالفعل، وذلك لأنه حرم علىٰ الرجل نكاح مطلقة ابنه، فلما لم يكن زيد ابنا لرسول الله، أمره الله بنكاح زينب، وهذا الذي كان يخشاه، وكان يأمر زيدا بإمساكها لأجله، خشي أن يؤمر بنكاحها لتحقيق هذه الحكمة التشريعية فيتقول الناس من المنافقين والمشركين واليهود،

﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ﴾ أن يقولوا: تزوَّج محمد امرأة ابنه ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ في ترك طاعته ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ قيل: الوطر كناية عن الطلاق، يعني: إذا طلَّقها وانقضت عدَّتها أحللناكها بالتزويج[١].

قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «لو كتمتُ شيئًا من القرآن كتمتُ هذه الآية»[٢].

ويقولون: محمد ينهىٰ عن نكاح زوجة الابن وقد نكح زوجة ابنه، إذ كان الابن بالتبني عندهم بمنزلة الابن للصلب، فأما المؤمنون فما زادهم هذا الفعل إلا تقريرًا للحكم وتثبيتًا للأمر.

وجائز أن يكون الأمر كما قال السدي وعلي بن الحسين أن الله أعلمه بمآل ذلك، فكان يخشىٰ قالة الناس.

فإن قيل: هل كان التبني بهذه المنزلة من الحاجة إلىٰ أن يقلع من المجتمع بالأمر والفعل معًا، فالجواب نعم، فقد كان من الأمور الذائعة الشائعة، وقلَّ بيت إلا وفيه من هذا القبيل، ثم لك أن تتوهم عظم هذا الأمر المعتاد بينهم، كيف أنَّ الرجل منهم إذا تبنوه يدخل علىٰ نسائهم، ويرث من أبيهم، ويكون كأنه واحد منهم، ثم تنزل آية واحدة فتبطل ذلك كله، فتحتجب النساء منه، بمن فيهن التي كانت بالأمس أمه، بل ويحل له أن ينكح من كن بالأمس أخوات لهن، ولذا وجدت بعض الحالات القليلة التي جلَّت فيها الرزية فاستثناها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ وجه معين، كالمرأة التي أمرها رسول الله أن ترضع سالما، وكان رجلا.

فلما كان الأمر بهذه المنزلة قلع الله هذه العادة من قلوبهم قولا وفعلا، كي لا يرج الناس للحكم تخفيفا، ولا له ناسخا، ولكي يسلكوا الجادة المستجدة، والحالة الدائمة، والله تعالىٰ أعلم.

(١) البسيط ١٨/ ٢٥٦.

(٢) لا يعرف ذلك من قوله صلىٰ الله عليه وسلم، بل في صحيح البخاري ٧٤٢٠ عن أنس قال: لو كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كاتما شيئا لكتم هذه الآية، وفي صحيح مسلم ١٧٧ عن عائشة مثله.

ثم قال: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ أي: إثم ﴿فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ أي: في تزوُّج نساء مَنْ تبنوهم ﴿إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ﴾ أي: بعد انقضاء عدَّتهن بموتٍ أو طلاقٍ ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ في تزوُّج رسول الله زينب ﴿مَفْعُولًا ٣٧﴾ كائنًا مكتوبًا في اللوح المحفوظ.

فلما انقضت عِدَّتها بعث رسول الله زيدًا إليها ليخطبها علىٰ رسول الله، فقال لها زيد: جزاكِ الله خيرًا، قد علمتُ أنك تطيعيني أمري وتبرِّين قسمي، فبكت زينب، ثم قال لها: إنَّ رسول الله يخطبك بعثني إليك لأخطبك عليه، فضحكت وفرحت[1].

ثم قال الله عز وجل: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ﴾ أي: كتب الله له من أمر النساء ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ نصب علىٰ المصدر، يعني: كثرة النكاح سُنة الله[2] ﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ﴾ محمد من الأنبياء، كداوود وسليمان، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم له ثلاثة عشر زوجة، ومات عن تسع ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: رُخصته للأنبياء بالتزويج ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا ٣٨﴾ قدَّر لهم ذلك.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ من الرسل، وقيل: أراد به رسول الله خاصةً ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾ في تبليغ الرسالة عنه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٣٩﴾

---

(١) في صحيح مسلم ١٤٢٨ من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لزيد: «فاذكرها علي»، قال: فانطلق زيد حتىٰ أتاها وهي تخمر عجينها، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري، حتىٰ ما أستطيع أن أنظر إليها، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ذكرها، فوليتها ظهري، ونكصت علىٰ عقبي، فقلت: يا زينب: أرسل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئا حتىٰ أوامر ربي، فقامت إلىٰ مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فدخل عليها بغير إذن.. الحديث. وهذا حديث غريب بهذه السياقة..

(٢) وفيه ثلاثة أقوال ذكرها الواحدي في البسيط ١٨/ ٢٥٨.

أي: شهيدًا علىٰ الرُسل.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ حيث قلتم زيد بن محمد ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ ولكنْ محمد رسول الله.

يعني: لم يكن أبا أحدٍ لم يلده، لأنه وُلِدَ له ذكورٌ: إبراهيم والقاسم والطيب والمطهر، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أبُ المؤمنين عن طريق التبجيل والتعظيم.

﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ لا نبي بعده، ولو كان له ابن يكون نبيًا بعده[1].

وقيل: لم يكن أبا أحد من رجالكم لأنَّ أولاده ماتوا قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال[2].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أعمالكم وأقوالكم ﴿عَلِيمًا ۝٤٠﴾ يجزيكم بها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١﴾ بالقلب واللسان.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ صلُّوا لله عز وجل غدوةً وعشيًا.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ أي: يغفر لكم ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ يستغفرون لكم.

وصلوات الله علىٰ العباد: البركة في أعمالهم، والصلاح في معايشهم، والمغفرة لذنوبهم[3].

---

(١) روىٰ البخاري ٦١٩٤ عن ابن أبي أوفىٰ أنه قال: لو كان بعد النبي صلىٰ الله عليه وسلم نبي لكان إبراهيم، وروىٰ أحمد في المسند ١٢٣٥٨ عن أنس موقوفا: لو عاش إبراهيم ابن النبي لكان صديقا نبيا، وإسناده حسن.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٩٦.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٦٥.

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ مَنْ ظلمات الكفر إلىٰ نور الإيمان، ومن شبهات الدنيا إلىٰ نور الطاعات ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ حيث أخرجهم في الأُمَّة المرحومة.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ أي: يقول الله لهم: السلام عليكم مرحبًا بعبادي المؤمنين الذين رضوا في الدنيا بإتباع أمري ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾ في الجنة مع التحية ﴿أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ مساكن طيبة حسنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ علىٰ أُمَّتك بالبلاغ ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لهم بالجنة لمن أطاعني ﴿وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ مُخوِّفًا لمن كفر بالنار.

﴿وَدَاعِيًا﴾ لخلقه إلىٰ دينه وطاعته ﴿[إِلَى ٱللَّهِ] بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: بأمره ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ نورًا ساطعًا مُضيئًا، يعني: ذا سراج منير وهو القرآن(١).

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فرِّح قلوبهم بالبشرىٰ ﴿بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ ثوابًا جسيمًا في الجنة.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ من أهل مكة ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ من أهل المدينة ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ أي: تجاوز عنهم فأنا أكافئهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ اكتف بالله وكيلاً حافظًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: تزوَّجتم ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ﴾ المسيس ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ لها أن تتزوَّج بآخر في الحال، ثم قال: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ وهو إن لم يُسَمِّ لها مهرًا؛ وعقد عقدة النكاح ثم طلَّقها قبل المسيس، فتجب المُتعة علىٰ قدر يسار الرجُل وإعساره، وإن دخل

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٣١.

بها يجب لها مهر نسائها من جانب الأب، لا وكس ولا شطط[١].

وأما المتعة: ثلاثة أثواب درعٌ وخمارٌ وجلبابٌ[٢].

﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ أي: طلاقًا بالسُّنةِ من غير إضرارٍ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾ أي: نساءك ﴿ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهن ﴿وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾ أي: أحللنا لك ولائدك، مثل مارية القبطية أم إبراهيم، وريحانة، وقيل: جويرية[٣].

﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ﴾ أي: فتح الله عليك من الغنائم، أحلَّ لك بدون عقد النكاح ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾ حلَّ لك نكاحها عقدًا ﴿وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾ مِن بني عبد المطلب ﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾ من بني زهرة.

ثم شرط الهجرة وقال: ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾ من مكة إلىٰ المدينة، فإن لم تهاجر معك فلا تحل لك نكاحها[٤].

قيل: إنَّ هذا الحكم نُسِخَ.

﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً﴾ وهي أم شَريك بنت جابر العامري، وكانت تُسمَّىٰ أم المساكين، وقيل: هي زينب بنت خُزيمة[٥] ﴿إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ بالكسر

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٢٨٣، البسيط ١٨/ ٢٦٩.

(٢) سبق تفسير الممتعة في سورة البقرة، آية: ٢٣٦.

(٣) وجويرية بنت الحارث زوجة علىٰ الصحيح (تفسير أبي الليث ٣/ ٦٨).

(٤) فيه قولان، قيل: المسلمات، وقيل: المهاجرات (تفسير الطبري ٢٠/ ٢٨٦، الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٢٠٧).

(٥) قيل لم يكن عنده صلىٰ الله عليه وسلم من الواهبات، وهو قول ابن عباس، كما في تفسير الطبري ٢٠/ ٢٨٨، وفي صحيح البخاري ٥١١٣ أن خولة بنت حكيم من الواهبات، وقيل:

علىٰ المستقبل وبالنصب علىٰ الماضي(١).

﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ يتزوَّجها من غير صداقٍ ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنَّ المؤمنين إذا قبلوا ذلك لزمهم المهر بالدخول [أ]و الموت.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ [فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ]﴾ أي: على الرجال أن لا يتزوَّجوا فوق الأربع ولا يتزوَّجوا إلا بشهودٍ ومهورٍ.

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ أحللنا لهم وطء ولائدهم بغير عددٍ ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ في الهِبَة بغير مهرٍ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٠﴾.

﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ أي: تؤخِّر نكاح من تشاء من بنات العمِّ والعمَّة وغيرهما ﴿وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ تضمها إليك بنكاح.

وقال الكلبي: «ترجئ من تشاء» أي: توقف لها فلا تأتيها بلا طلاقٍ تطلقها، مثل سودة وجويرية وصفية وميمونة، وتضم إليك من تشاء: فتأتيها، مثل عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة وحبيبة(٢).

﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾ أي: آثرت ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ عن الإتيان إليهن.

وقيل: مَنْ تزوَّجت ممن تركتها ورددتها إلىٰ نكاحك(٣).

منهن أم شريك، وقيل: ميمونة بنت الحارث، وقيل: زينب بنت خزيمة، انظر: تفسير الطبري ٢٠/ ٢٨٨، تفسير أبي الليث ٣/ ٦٧، الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٢٠٨.

(١) قرأ الحسن: أن، بالفتح، وهي قراءة شاذة (الكشف والبيان ٢١/ ٤٩٣).

(٢) وهو قول طائفة من المسرين، كأبي رزين وقتادة، وقالوا: إن الإرجاء هنا بمعنىٰ التأخير، فلا تقسم، والإيواء بمعنىٰ الضم، فتقسم، وهذه آيةُ إسقاط القسم عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وهي من خصوصياته (تفسير الطبري ٢٠/ ٢٩١، الكشف والبيان ٢١/ ٤٩٨، البسيط ١٨/ ٢٧٧).

(٣) وهذا علىٰ أن الإرجاء بمعنىٰ: ترك النكاح، والإيواء بمعنىٰ النكاح، وهو قول الحسن (تفسير الطبري ٢٠/ ٢٩٢).

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ أي: لا إثم عليك ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ أجدر أنْ تقرَّ أعين نساء رسول الله ﴿وَلَا يَحْزَنَّ﴾ مخافة الطلاق ﴿وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ يعني يرضين في القَسْم، إذا علمن أنك تفعل بأمر الله ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ من الحُبِّ والبُغضِ والرِّضا والسخط ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بما يكون منكم ﴿حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ لا يؤاخذكم عاجلاً.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ التخيير، إذا اخترنك واخترن الدار الآخرة ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ قالت عائشة رضي الله عنها: اشترطنا علىٰ رسول الله أن لا يختار علينا إذا اخترنا الله ورسوله(١).

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ يعني: جمالهن ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ من الولائد، يعني: مارية وصفية(٢).

وقيل: جميع الولائد ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾ حافظًا وشهيدًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ فإذا أُذِنَ لكم فادخلوا ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ يعني: منتظرين بلوغه ونضجه فتستأذنون في ذلك الوقت فعل المُتطفِّل ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ﴾ إلىٰ الضيافة ﴿فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾ أي: تفرَّقوا ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ لا تجلسوا للكلام، والاستئناس: طلب الأُنس بالكلام ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ الدخول بغير إذنٍ وطول الجلوس لأجل الكلام ﴿كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ عند العائلة ﴿فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾ أن

---

(١) غريب، ولم أجده، لكن قال بعض التابعين: إنه صلىٰ الله عليه وسلم حظر عليه أن يتزوج علىٰ نسائه لأنهن اخترنه (الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٢٢٠).

(٢) الصحيح: أن صفية زوجة، فقد أعتقها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وجعل مهرها عتقها، كما في صحيح البخاري ٣٧١، ومسلم ١٣٦٥.

يقول: اخرجوا ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: لا يمنعه الحياء أن يُبيِّن الحق ويُؤدِّبكم ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ يعني: أزواج رسول الله ﴿مَتَٰعًا﴾ أي: آلة من آلات البيت؛ كالقصعة أو الرَّكوة أو الدَّلو أو غيره ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ لا تنظروا إليهنَّ ولا ينظرن إليكم ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ﴾ من الرِّيبة ﴿وَقُلُوبِهِنَّ﴾ منها ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ في حياته بالنظر إلىٰ أزواجه، والكلام معهنَّ ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾[1] موته ﴿أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ إنْ تمنيتم تزويج نسائه بعده ﴿كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ۝٥٣﴾ قيل: كان طلحة بن عبيد الله تمنَّىٰ ذلك، فلما نزل القرآن تاب وأعتق رقبة، وحملَ علىٰ عشرة أبعرة في سبيل الله، وحجَّ ماشيًا توبةً من كلمته[2]، والله أعلم.

﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في قلوبكم: لأتزوجنَّ عائشة بعد موته ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٥٤﴾ بسركُم وعلانيتكم.

ثم رخَّص بالدخول لأهل القرابة والرَّحم عليهنَّ فقال: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ إلىٰ آخر الآية من الرِّضاع والنسب.

وقوله: ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ أي: لا حرج علىٰ نساء أهل دينهنَّ بالدخول عليهنَّ والنظر إلىٰ مواضع زينتهنَّ، فأما اليهوديات والنصرانيات فلا ينبغي لمؤمنة أنْ تكشف لهن زينتها، لأنَّه لا أمانة لهنَّ، فتصفها عند زوجها[3].

---

(١) في الأصل: من بعد موته.

(٢) وهذا قول مقاتل، كما في تفسيره ٣/ ٥٣، وربما ذكره بعضهم دون نسبة (تفسير أبي الليث ٣/ ٧١، البسيط ١٨/ ٢٨٦)، وهو ضعيف، ولذا قال بعضم: نزلت في رجل قال ذلك، ولم يسمىٰ هذا الجل، فتسميته بطلحة قول ضعيف، وهو بعيد كذلك، لما علم من تبجيله لرسول الله.

(٣) انظر تفسير سورة النور، آية: ٣١.

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ أي: لا جناح عليهن في كشف زينتها للإماء المسلمات ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ فلا تعصينه فيما أمركُنَّ به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝٥٥﴾ لا يغيب عنه شيءٌ من أعمالكم.

ثم ذكر رُتبة رسول الله فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ يعني: يثني الله علىٰ نبيِّكم، وأمر ملائكته بالاستغفار له ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾ في خُطبكم وصلواتكم الخمس ﴿وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ يعني: انقادوا لأمره انقيادًا، ألطف الله تعالىٰ في هذا الأمر وقال: إني أُصلِّي علىٰ محمد وأنا منه مستغني فكيف لا تُصلُّون عليه وأنتم محتاجون إلىٰ شفاعته.

قال مقاتل: لما نزلت هذه الآية قالوا: هنيئًا لك يا رسول الله، هذا لك فما لنا؟ فأنزل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يؤذون الله، وقالوا: إن الله فقيرٌ؛ ويد الله مغلولةٌ؛ وله شريكٌ وولد، ويؤذون رسوله بقولهم: ساحرٌ كذَّابٌ شاعرٌ كاهنٌ، ورَمَوْا عائشة بصفوان ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ في الدنيا بالجزية، وفي الآخرة بالنار ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ يعني عائشة وصفوان[٢] ﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ من غير جنايةٍ جنَوْها ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا﴾ عقوبة استوجبوها ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾ ذنبًا ظاهرًا.

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ٥٤.

(٢) وهو قول السدي (تفسير أبي الليث ٣/ ٧٢)، وقال مقاتل (في تفسيره ٣/ ٥٤): بل نزلت في علي، وليس كذلك، فالآية عامة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ أي: يَسْدُلْنَ بالجلباب فوق الخِمار، يُغطين به نحورهنَّ وآذانهنَّ وأشعارهنَّ[١].

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي أمر بالجلباب ﴿أَدۡنَىٰٓ﴾ وأحرىٰ ﴿أَن يُعۡرَفۡنَ﴾ بالحُرِّيَّة ﴿فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾.

وكنَّ نساء المدينة في الابتداء يخرجن بالليالي لحاجتهنَّ استحياءً من الرجال، وكان فُسَّاق المدينة ترصدن الطُرق، ويُلاعبون الولائد والإماء، وربما لا يعرفون الحُرَّة من الأَمة، فكانوا يؤذون الحرائر، فأمَرَ الله تعالىٰ بالجلباب للحرائر حتىٰ يُعْرَفْن فلا يؤذين[٢].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهم قبل النهي ﴿رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ رخَّص لهم في التوبة.

ثم حذَّر المنافقين فقال: ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ عن المكر والخيانة ومَساءة المخلصين ﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعني: الزُّناة والواو زائدة ﴿وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ الطَّالبون لعيوب المؤمنين ﴿لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ﴾ لنسلطنَّك عليهم حتىٰ تقتل منهم مَنْ أحببت ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾ بعد النهي، ثم تفانوا كلهم.

﴿مَّلۡعُونِينَۖ﴾ نصب علىٰ الشتم ﴿أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ وُجدوا أُسروا ﴿وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ مرَّةً بعد مرةٍ.

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٣٢٤.

(٢) وهو قول الكلبي عن أبي صالح، رواه عنه الطبري فأبهمه (تفسير الطبري ٢٠/ ٣٢٥).

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ﴾ أن يُقتل المرجفون ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾ إذا أراد بقومٍ خزيًا.

﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ وهم[١] أهل مكة ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ متىٰ تكون ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣﴾ أي: قيامها يكون سريعًا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ من أهل مكة بجحودهم وإنكارهم البعث ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤﴾.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ﴾ لأنفسهم ﴿وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥﴾ يحفظهم أو يمنعهم من عذاب الله.

﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ من جهةٍ إلىٰ جهةٍ، مرةً علىٰ وجوههم، ومرةً علىٰ ظهورهم، ومرةً علىٰ بطونهم، فتمنوا فيها: ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ٦٦﴾ آمنًا به وصدَّقناه.

ثم قالت السَّفلة منهم ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ أشرافنا في معصيتك ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧﴾ أدخل فيها الألف واللام لوفق رؤوس الآي في الوقف[٢].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ أي: ضعفي ما علينا ﴿وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ٦٨﴾ عذِّبهم عذابًا عظيمًا[٣].

---

(١) في الأصل: وهو.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٣٧.

(٣) وقد ترك القرآن هنا ذكر تتمة المحاورة بين السفلة والرؤساء، لأنه ذكرها قبل في سورة الأعراف، ولأن القصد هنا تخويف المنافقين وتحذيرهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ وكان جُهَّال بني إسرائيل رَمَوْا موسىٰ بالأُدْرة[1]، فدخل ذات يومٍ عينًا ليغتسل، ووضع ثوبه علىٰ صخرةٍ، فأمر الله تعالىٰ تلك الصخرة حتىٰ ذهبت بثوبه إلىٰ محلة بني إسرائيل، وكان موسىٰ يتبعها في ضجرٍ وشدةٍ، حتىٰ وافىٰ علىٰ المحلة، ورأوه أحسن خلق الله، فبرَّأه مما قالوا[2]، فكذلك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم آذوه أنه تزوَّج امرأة ابنه فبرَّأه الله بقوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾.

﴿وَكَانَ﴾ موسىٰ ﴿عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ ويُروَىٰ أنهم اتَّهموا موسىٰ بقتل هارون حتىٰ جاءت الملائكة به ميِّتًا علىٰ سرير ميناء، فأيقنوا بموته[3].

وكان وجيهًا: رفيع المنزلة موصيًا بالعمل الصالح[4].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ عدلاً صدقًا في محمدٍ صلىٰ الله عليه وسلم وزيد بن حارثة[5].

---

(١) في الأصل: الأبرة، وهو تصحيف، والأدرة -بالضم- مرض تنتفخ منه الخصيتان ويكبران جدا؛ لانطباق مادة أو ريح فيهما (تاج العروس ١٠/ ٤٠).

(٢) روىٰ البخاري ٢٧٨، ومسلم ٣٣٩: عن أبي هريرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلىٰ بعض، وكان موسىٰ صلىٰ الله عليه وسلم يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسىٰ أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه علىٰ حجر، ففر الحجر بثوبه، فخرج موسىٰ في إثره، يقول: ثوبي يا حجر، حتىٰ نظرت بنو إسرائيل إلىٰ موسىٰ، فقالوا: والله ما بموسىٰ من بأس، وأخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضربا، فقال أبو هريرة: والله إنه لندب بالحجر، ستة أو سبعة، ضربا بالحجر.

(٣) رواه ابن جرير في التفسير ٢٠/ ٣٣٥.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٧٦، الكشف والبيان ٢١/ ٥٧٤.

(٥) وهذا قول مقاتل بن حيان، والسديد: الصواب، وقد فسر بشهادة التوحيد -كما سيأتي- وهو الصحيح (الكشف والبيان ٢١/ ٥٨١، البسيط ١٨/ ٣٠٢).

مقاتل: هو شهادة أن لا إله إلا الله(١).

﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ أي: يعلي(٢) طاعاتكم بالتوحيد والقول السديد ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾ في الفرائض ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ في السُنن ﴿فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ أي: سَعِدَ سعادةً لا شقاوة بعدها.

﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ﴾ قال ابن عباس: الأمانة الفرائض التي افترض الله علىٰ عباده، فقلن: وما لنا فيها؟ فقيل: إن أحسنتنَّ جوزيتنَّ، وإنْ أسأتُنَّ عُوقبتنَّ.

﴿فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا﴾ علىٰ هذه الشريطة، وقلن: نحن نُطيعك يا رب ولا نحمل الأمانة بالشرط(٣).

﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ﴾ قَبلها لِمَا رأىٰ في الجنة من النعيم والعافية، لأنَّ الله تعالىٰ عرض الأمانة وجعل لوفائها جزاء وهي الجنة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه حتىٰ عصىٰ ربه وأُخرج من الجنة ﴿جَهُولًا ٧٢﴾ بالعاقبة والثواب والعقاب علىٰ الأمانة.

وقيل: ذكر السماوات والأرض والمُراد أهلها من الملائكة، وهم أهل السماء والجِن وسائر خلائق الأرض(٤).

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ٥٧.

(٢) لعلها هكذا، فإنها أشبه بـ: علي، وفي المصادر التي يعتمد عليها: يقبل.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٧٦.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٧٦.

وقيل: جاء الكلام علىٰ وجه المثل، يعني: لو جعلنا السماء والأرض مميِّزة مع صلابتها وشدَّتها؛ وعرضنا الأمانة عليها؛ أبت إباء الاستغفار لا إباء الاستكبار.

وإنما خصَّ الجبال بعد ذكر الأرض لأنَّ الجبال أصلب وأشد، كقوله ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ خصَّهما بالذكر بعد ذكر الجُملة.

قال عبد الحميد الحكمي: بلغنا أنَّ آدم عليه السلام لما قَبِلَ الأمانة؛ قال الله تعالىٰ: يا آدم أمَّا إذا حملتَ هذه الأمانة فإني موصيك بوصيةٍ؛ إن أنت حفظتها وُقيت بها شر ما حُمِّلْتَ، إني قد جعلت لك في رأسك بصرًا وسمعًا ولسانًا، فأما سمعك فكنهُ عن كل كلام لا يوافق فيه محبتي، وأما عيناك فإني جعلت لهما طبقتين، فأطبقهما علىٰ محارمي، وأما لسانك فكنه بأسنانك وأضراسك وشفتيك، فلا تتكلَّم إلا بتقديسي، وأما جسدك فإني جعلتُ لك فَرْجًا وجعلتُ لك سِترًا من الثياب، فلا تكشفه إلا علىٰ ما أحللتُ لك[1].

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾ أي: عَرض الأمانة ليُطهِّر المؤمن المُخلص والمنافق والمشرك، فيعذب المشرك والمنافق بترك الإيمان ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ برحمته، فيعصمهم من ترك الوفاء، ويتوب عليهم بالندم علىٰ ما فرَّط منهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للتائبين من المؤمنين ﴿رَّحِيمَۢا ٧٣﴾ بهم بعد التوبة.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ٢٠/ ٣٤٠، عن أبي حازم، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٢١/ ٥٨٥ معزوا للمفسرين.

قال التستري: مَنْ وفَّقه الله لصالح الأعمال دلَّ علىٰ أنه مغفور له ذنوبه، لقوله تعالىٰ: ﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾ فقال أبو عثمان: ما مِنْ عضو إلا وله أمانة للقلب والعين واللسان واليد والرجل، فمن لم يرع الأمانات كلها خاب سعيه.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة الأحزاب وعلَّمها أهله وما ملكت يمينه أُعْطِيَ الأمان من عذاب القبر»[1].

❁ ❁ ❁

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢١/ ٣١٢، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٠٠.

سورة سبأ

وهي مكيَّة[١]، خمسون وأربع آيات[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الحمد: الوصف الجميل على جهة التعظيم، وضدَّه: الذَّمُّ، الوصف القبيح على جهة التحقير[٣].

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: له المنزلة على أهل الجنة بإدخالهم الجنة، وقيل: لأنَّ أهل الجنة يحمدونه في الجنة ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾ العالم بشأن العباد.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من المياه والأموات[٤] ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من المياه والنبات ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من القَطْر والملائكة ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: يصعد عليها الملائكة بأعمال العباد بني آدم[٥] ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين ﴿ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ بتأخير العذاب عنهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ ولتبعثُنَّ لا محالة، وهو ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ أي: لا يغيب عنه وزن نملة

---

(١) بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٢/ ٧، زاد المسير ٣/ ٤٨٩.

(٢) في عدد الكل إلا الشاميين، فهي في عددهم خمس (البيان في عد آي القرآن ٢٠٩).

(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ٣٤٦، انظر: تفسير سورة الفاتحة، آية (٢).

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٧٨.

(٥) زاد المسير ٣/ ٤٨٩.

صغيرة من أعمال العباد ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٣﴾ أي: في اللوح المحفوظ.

﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: يُثيبهم، وهي[١] لام القسم سقط نونها[٢].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ في الجنة.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ خاضوا بالتكذيب في القرآن وشأن محمد.

﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ سابقين لأنَّ عندهم أنهم يعجزوننا ويسبقوننا[٣].

«ومُعَجِّزين»[٤]: أي يُعَجِّزون من آمن بها، ويكون بمعنىٰ مثبطين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥﴾ والرِّجْز هو العذاب الشديد[٥].

وقُرِئ: أليمٌ، بالرفع، صفة العذاب[٦].

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ أي: لكن يرىٰ الذين أوتوا العلم بالتوراة: ابن سلام وأصحابه[٧] ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ أي: يَرَوْن أنَّ القرآن حقٌّ من الله ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾ أي يدل علىٰ دين الله العزيز بالنقمة، الحميد الحامد لمن وحَّدَهُ.

---

(١) في الأصل: وهو.

(٢) وقيل: للمجازاة (معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٤٠، الدر المصون ٩/ ١٥١).

(٣) انظر تفسير سورة الحج، آية: ٥١.

(٤) وهي قراءة ابن كثير وابي عمرو (النشر ٢/ ٣٢٧).

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٧٩.

(٦) في الأصل: بتنوين الكسر، صفة للرجز، وهي قراءة الجمهور، وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص كما أثبت (النشر ٢/ ٣٤٩)، وانظر: تفسير أبي الليث ٣/ ٧٩.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٤١، الكشف والبيان ٣/ ٨٠.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مثل أبي سفيان وأصحابه لسفلتهم ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ﴾ يا معشر قريش بأنكم ﴿إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ إذا فُرِّقتم في الأرض كل تفريق ﴿إِنَّكُمۡ﴾ تبعثون ﴿لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ٧﴾ يُنفخ فيكم الروح بعد الموت.

﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ ألف استفهام دخلت علىٰ ألف اللينة، ذهبت حركتها لاتصالها بما قبلها ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾ أي: جنون؟.

قال الله تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ جحودًا يكونون ﴿فِي ٱلۡعَذَابِ﴾ في الآخرة ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ٨﴾ في الدنيا.

﴿أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ ينظروا ﴿إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أراد به جميع الجهات، يمينًا وشمالاً، وفوق وتحت، ليروا كيف أحاط بهم سماء الله وأرضه، كقوله: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ أقام الشمائل مقابل قدام وخلف، واقتصر علىٰ البعض من الكل فهذا كذلك[1].

﴿إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ أي: نغور بهم الأرض ﴿أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾ قطعًا، فلا يستطيعون الخروج عن عذابي ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٩﴾ مُقبل بقلبه إلىٰ ربه بالإخلاص.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ﴾ أعطينا داود بتفضل منَّا ملكًا ونبوة، وقلنا: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي﴾ سبِّحي ﴿مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ﴾ وأصل التأويب: رفع الصوت بالدعاء، وقيل: الترجيع، يعني: يا جبال رجعي القول معه بالتسبيح أنتِ.

و«الطير»: بفتح الراء قراءة العامة، معطوف علىٰ قوله: وأتيناه فضلاً

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٣٥٥، البسيط ١٨/ ٣٢٠.

وسخرنا له الطير[(١)].

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ۝١٠﴾ حتىٰ صار عنده بمنزلة العجين وقلنا ﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ﴾ أي: الدروع الدلاص الواسعة[(٢)].

﴿وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ﴾ أي: في النسج، أي: لا تجعل المسامير دقيقة فيتقلقل الدرع بها ولا غليظة فيتشقق[(٣)].

﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ خاطبه خطاب الجماعة لأنَّه رأس القوم ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝١١﴾ فأجازيكم.

﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ أي: سخرنا له الريح، وقُرئ: بالرفع، أي: انقادت له الريح[(٤)].

﴿غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ﴾ أي: تسير الريح بسليمان مسيرة شهر قبل القائلة، وتروح به مسيرة شهر قبل هجوم الليل.

﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ﴾ كان الصفر يجري له ثلاثة أيام كجري الماء بأرض اليمن، عن مقاتل[(٥)].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٤٣، الكشف والبيان ٢٢/ ٢٠، البسيط ١٨/ ٣٢٢.
وقرأ يعقوب -في بعض الطرق عن روح- : والطيرُ، بالرفع ردا علىٰ الجبال، أي أوبي أنت والطير (الكشف والباين ٢٢/ ٢٥).

(٢) الدِّلاص: ملساء لينة براقة (تاج العروس ١٧/ ٥٨٦).

(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ٣٥٩، الكشف والبيان ٢٢/ ٢٧.

(٤) وهي رواية المفضل عن عاصم (الكشف والبيان ٢٢/ ٢٩).

(٥) قول مقاتل في تفسيره ٣/ ٦١، وهو قول كافة المفسرين أن القطر هو الصفر أي النحاس (تفسير الطبري ٢٠/ ٣٦٤، الكشف والبيان ٢٢/ ٣٦).

﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ كلمة «من» موضعه للنصب، معطوف علىٰ قوله: سخرنا[1].

كانت الجن تعمل له القصور والبنيان ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ أي: من يعص سليمان في أمره ونهيه ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢﴾ يضربه ملك الموت بصوتٍ من نار.

وذكر محمد بن شحمة الهروي: أنَّ كل شيطان نظر في وجه سليمان طار إليه من وجه سليمان لهب فاحترق به[2].

ثم ذكر الجن في العمل، فقال: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ يعني: المساجد.

وقيل: المحراب أشرف موضع في الدار[3].

﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ أي: صور الملائكة والأنبياء والعباد لينظروا إليهم، ويعبدوا الله علىٰ منازلهم، والتصوير كان مباحًا في وقته[4].

﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ أي: قصاع، كحياض الإبل لا تحرك.

قال الضحاك: كان حرسه أربعمائة ألف تغديهم وتعشيهم من تلك الجفان[5].

---

(١) وهو قول النحاس في إعراب القرآن ٢/ ١٠٦٥، وانظر الدر المصون ٩/ ١٦١.

(٢) وفي تفسير أبي الليث ٣/ ٨٢ والكشف والبيان ٢٢/ ٣٨: أن الله وكل بالجن ملكا بيده سوط من نار، فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته. وهو خبر إسرائيلي.

(٣) وقيل: أنه بنيان دون القصور (تفسير الطبري ٢٠/ ٣٦٥).

(٤) نحوه في تفسير أبي الليث ٣/ ٨٣، الكشف والبيان ٢٢/ ٥٣. والصحيح: أنها الصور، وتكون من زجاج ورخام وقِطر وحديد وما شاء، وأما تحديد الصور بالأنبياء أو الملائكة فمن الإسرائيليات.

(٥) الكشف والبيان ٢٢/ ٥٥.

﴿وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ﴾ عِظام ثابتات لا ترفع، يأكل منها القوم كلهم مع كثرتهم ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ علىٰ ما أعطيتكم من الخير والفضل، فاعملوا طاعة شاكرين.

وقال الفضيل بن عياض: ارحموا أهل البلاء وسلوا العافية.

﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ لأنَّ الشاكرين وإن كثروا فهم قليل في جنب من لم يشكر.

قيل: لما أمرهم الله بالشكر اقتسموا لياليهم للقيام، ونهارهم للصيام، فما من ساعة من ساعات الليل والنهار إلا وفيها لله تعالىٰ من آل داود قائم وصائم(١).

ثم ذكر موت سليمان فقال: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ﴾ وهي الأَرَضة.

قيل في التفسير: إنَّ سليمان صلوات الله عليه كلما نبتَ نبتٌ يسأله: لأي شيءٍ أنت؟ فكان يجيبه النبت: كذا وكذا، حتىٰ نبت خرنوب الشامي، فسأله: لأي شيء أنت؟ فقال: لخراب مسجدك، فعلم سليمان أنَّ خراب مسجده بموته، فلما قرب موته أوصىٰ إلىٰ خواصه أن يُغسِّلوه بعد الموت ويُكفِّنوه ولا يدفنوه، ولكن يقيموه علىٰ عصاه في محرابه، ولا يبكوا عليه، ولا يخبروا أحدًا بموته سنةً، لأن الشياطين كانوا في عمارة المسجد، وقد بقي لتمام العمارة سنةٌ.

فأراد سليمان أن لا يتفرَّق الشياطين حتىٰ يفرغوا من عمارة المسجد، وكان سليمان صلوات الله عليه يُصلي صلوات طويلة، والشياطين لم يقدروا النظر إليه إلا من بعيدٍ، فكلما رأوه قائمًا في المحراب ظنُّوا أنَّه في الصلاة.

---

(١) روي هذا عن ثابت (الكشف والبيان ٢٢/ ٥٧).

وكانوا يعملون حتىٰ تم البناء، فأرسل الله تعالىٰ الأرضة حتىٰ أكلت عصاه، فخرَّ سليمان علىٰ الأرض، فهربت الجن[1].

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ أي: علمت ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ أي: في التعب الشديد.

لأنَّ عوام الجن كانوا يظنون أنَّ خواصهم يعلمون الغيب، فتبيَّن لهم بهذا أنهم لا يعلمون الغيب.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾[2] أي: لأهل سبأ.

فمن قرأه مهموزًا منصوبًا ولم يصرفه؛ فهو اسم القبيلة، ومَنْ صرفه جعله اسم رجل تُنسب القرية إليه.

ومساكنهم: بالجمع، ومسكَنهم بالنصب، ومسكِنهم بالكسر، كالمطلَع والمطلِع، وهما لغتان جيدتان[3].

ثم فسَّر الآية وقال: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ والطريق بينهما، يمر الناس بين الجنتين، وكانت المرأة تمشي في الطريق وعلىٰ رأسها مكتل فترجع وقد امتلأ المكتل من الثمار من غير أن تمس منها شيئًا[4].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ٢٠/ ٣٧٢ بإسناد منكر عن ابن عباس مرفوعا، ورواه السدي بإسناده المطروق الضعيف عنه،
وذكره في الكشف والبيان ٢٢/ ٥٩، من غير نسبة، وهو خبر إسرائيلي، الله أعلم بصحته.

(٢) في الأصل: في منازلهم آية، وهو غلط في الآية، فلعله أراد التفسير فسقط علىٰ الناسخ شيء.

(٣) قرأ الكسائي وخلف: مسكِنهم، وقرأ حمزة وحفص -كما أثبت-: مسكَنهم، وقرأ الباقون: مساكنهم (النشر ٢/ ٣٥٠).

(٤) روي عن قتادة (تفسير الطبري ٢٠/ ٣٦٧).

وكان لهم مسناة[١]، وهو الموضع الذي ينبع الماء من الأعالي وينحدر، فجعلوا لمائهم سدًا يجتمع فيه، ثم جعلوا للسد ثلاثة أبواب أو منافذ، أعلىٰ وأوسط وأسفل، فكانوا يفتحون الأبواب علىٰ قدر كثرة الماء ونقصانه، الأعلىٰ ثم الأوسط ثم الأسفل، وكان لهم ثلاثة عشر قرية، أرسل الله لكل قرية نبيًا، أتبع بعضهم بعضًا، حتىٰ اجتمعت الرُسل إلىٰ سبأ، فذكَّروهم نِعم الله، وأنذروهم عقابه، فقالوا: ما نعرف لله علينا حقًا ونعمة، إنْ كان له عندنا نعمة فليحبسها إن استطاع، فلما كذَّبوا الرسل انتقضت مُسناتهم، وانحدرَ الماء ودخل جنتهم فغرَّقها ويبست الأشجار، وندَّت الأنعام، وأخذ كل إنسان بيد ولده وزوجته وصعد الجبل، وبُدِّلوا بجنتهم جنتين أُخريين «ذواتي أُكُل خَمْطٍ» الآية[٢].

فلما جاءتهم الرسل وذكَّروهم نِعم الله وقالوا: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ حيث جعل ميرة الناس من بلادكم فوَحِّدوه ولا تشركوا به ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ كثيرة النِعم غير سبخةٍ ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ لمن تاب من الشرك.

﴿فَأَعْرَضُواْ﴾ عن الإيمان، وأنكروا نعم الرحمن ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ والعَرِم: اسم الوادي، وقيل: اسم المسناة، وقيل: اسم السَكْر، قيل: أرسل الله إلىٰ سكرهم دِرْصًا[٣] وهو الجُرذ، فنقب الردم.

﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ والخَمْط: ثمر الأراك ﴿وَأَثْلٍ﴾ وهو الطَّرْفاء ﴿وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ والسِّدْر هو السَّمر، يعني شيء

---

(١) في الأصل: مستوىٰ، وهو تصحيف.

(٢) وعن ابن إسحاق ووهب أن عدد الرسل المرسلين إليهم ثلاثة عشر رسولا (تفسير الطبري ٢٠/ ٣٧٨، الكشف والبيان ٢٢/ ٧٠).

(٣) الدرص ولد القنفذ والفأر ونحوها، (تاج العروس ١٧/ ٥٧٨)، وفي الأصل: درصبا، وهو تصحيف.

قليل من سدر، والسدر أيضًا شيءٌ يُغسل به الموتىٰ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ۖ﴾ أي: بكفرهم بالله عز وجل ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ وهل يُعاقَب[1] مثل هذه العقوبة إلا الكافر بالله تعالىٰ.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين أهل سبأ ﴿وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر يعني: الأردن وفلسطين ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ متصلة ينظر بعضها إلىٰ بعضٍ، كان الرجل يسير من اليمن إلىٰ الشام لا يحمل زادًا ولا سلاحًا، ولا يخاف عدوًّا، فكُلَّما غدا من منزلٍ يقيل[2] ويروح إلىٰ قريةٍ يُصيب فيها الماء والطعام والثمار، حتىٰ يبلغ إلىٰ الشام.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ﴾ علىٰ قَدْرِ المقيل والمبيت ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا﴾ أي: قلنا لهم بالوحي سافروا فيها ﴿لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ من الجوع والعطش والقتل، فلم يشكروا نِعم الله.

﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ أي: اجعلها بعيدةً قد مللنا ما نحن فيه ﴿وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ حيث أشركوا بربهم؛ وسألوا تبعيد الأسفار، ففعل الله ذلك ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم، حتىٰ يتحدثوا من شأنهم ليعتبروا بهم ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ أي: فرَّقناهم في كل وجه، وكان مَلِكُهُمْ يُسمَّىٰ سبأ، وله بنون: قُضاعة والأسد[3] ولخم وجذام وطسمٌ وغسَّان والأوس والخزرج.

فوقع الأسد بالبحرين[4]، وخزاعة نزلت بمكة، وغسَّان نزل الشام، والأسد

---

(١) في الأصل: يجازىٰ، وعليها التفسير، وهي قراءة

(٢) في الأصل: يقبل، وهو تصحيف.

(٣) وهم الأزد.

(٤) لعلها هكذا، فإنها في الأصل موصولة الراء بما بعدها، وفي كتب التفسير: عمان، فلعله سماها البحرين هنا لقربها من بلاد عمان. انظر: تفسير أبي الليث ٤/ ٣٢٩، معالم التنزيل ٦/ ٣٩٦.

نزل اليمن، والأوس والخزرج نزلا المدينة، ومنهم الأنصار.

وكذلك كل طائفة تفرَّقوا في البلاد حتىٰ تمثَّل العرب بهم في التفريق، وقالوا: تفرَّقوا أيدي سبأ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في تفريقهم في البلاد ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩﴾ والصبَّار: الذي يستلذ علىٰ البلاء فيَعُدُ البلاء نعمةً.

﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ يعني: علىٰ آل سبأ، لأنَّ إبليس ظن بهم أنه يستفزهم ويطيعوه في مخالفة الله.

وقيل: يعني به جميع ذرية آدم الآية، قال -بالظن-: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ١١٨﴾[1].

﴿فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٠﴾ الذين أجابوا الرسل من أهل سبأ، وقيل: من سائر الناس.

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ يعني: علىٰ أهل سبأ، وقيل: علىٰ بني آدم ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾ يعني: مَكنَّاة منهم لنعلم ﴿مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ﴾ لا يؤمن بالآخرة ومَنْ ﴿هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ﴾ حتىٰ يؤاخذه بشركه، ولا يؤاخذه بما يعلم منه في الأزل، لأنَّ المثوبة والعقوبة لا يَجبَان إلا بسعي بني آدم ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٢١﴾ عالمٌ بهم وبجُرمهم[2].

﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الملائكة أنها آلهة.

وكان بنو مليح يعبدون الجن، ويقولون: هم الملائكة، يعني: قل لهم ادعوا لكشف الضر، وهو الجوع وقحط السنين ﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٣٩١.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٨٨.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فكيف يملكون كشف الضر عنكم ﴿وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ﴾ يعني: في السماوات والأرض من مشاركة ﴿وَمَا لَهُۥ﴾ أي: لله تعالىٰ ﴿مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢﴾ أي: عونٌ علىٰ شيءٍ.

ثم ذكر ضعفهم وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾ أي: شفاعة الملائكة عند الله ﴿إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ في الشفاعة وهم أهل التوحيد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ أي: نُزِعَ الفزع عن قلوبهم.

وقصَّة ذلك: أنَّ الله تعالىٰ إذا تكلَّم بالوحي سَمِعَ أهل السماوات صوتًا كصوت الحديد إذا وقع علىٰ الصفا، وضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعانًا لقوله، ثم يخرون له سجدًا، فلما سمع سائر الملائكة الصوت ظنوا أنَّ القيامة قد قامت فصُعقوا، وكان بين عيسىٰ ورسولنا زمان فترةٍ، وهي طويلة فلم تسمع الملائكة في تلك المدة صوت الوحي، فلما سمعوا صعقوا، فلما انحدر جبريل جعل يمرُّ بأهل كل سماءٍ، فيكشط عنهم ما بهم، فيرفعون رؤوسهم، وقال بعضهم لبعضٍ: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ﴾ فلم يدروا ولكن ﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ وقال حينئذٍ: سألوا جبريل: ماذا قال ربكم؟ قال جبريل: الحق، أي: الوحي أرسل الله إلىٰ رسوله ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ العلي في ارتفاعه الكبير في مُلْكِهِ وسلطانه[1].

---

(١) في صحيح البخاري ٤٧٠١: عن أبي هريرة، يبلغ به النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: إذا قضىٰ الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كالسلسلة علىٰ صفوان - قال علي: وقال غيره: صفوان ينفذهم ذلك - فإذا فزع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم، قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر - ووصف سفيان بيده، وفرج بين أصابع يده اليمنىٰ، نصبها بعضها فوق بعض - فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلىٰ صاحبه فيحرقه، وربما لم يدركه حتىٰ يرمي بها إلىٰ الذي يليه، إلىٰ الذي هو أسفل منه، حتىٰ يلقوها إلىٰ الأرض - وربما قال سفيان: حتىٰ تنتهي إلىٰ الأرض - فتلقىٰ علىٰ فم الساحر، فيكذب معها مائة كذبة، فيصدق

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من المطر والنبات، فإن أجابوك وإلا فقل ﴿قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ معناه: إنَّا على هدىً أو إياكم في ضلالٍ مبينٍ، وَ «أو» بمعنىٰ واو العطف، كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾[1].

وقيل: معناه لو كُنَّا علىٰ هُدىً أو في ضلالٍ مبينٍ؛ وأنتم لو كنتم علىٰ هُدىً أو في ضلالٍ مبينٍ؛ فنحن وأنتم في الرزق سواء، والسؤال وقع عن الرزق.

وقيل: هذا إلطافٌ في الكلام، تقريبًا واستدراجًا، لأنَّ في التصريح نُفُورهم، كما يقول الرجل لرجلٍ آخر: إنَّ أحدنا كاذبٌ، وهو يعلم أنه بنفسه صادق، فنسب الكذب إليه بوجهٍ ألطف[2].

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ يا أهل مكة في طعننا آلهتكم بزعمكم ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ من الشرك.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يعني: الله يجمع بيننا يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: يقضي ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ القاضي بين الخلق بالعدل عليمٌ بهم.

﴿قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ في العبادة ﴿كَلَّا﴾ أي: ارتدعوا عن مقالكم ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾ الذي ليس كمثله شيءٌ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ بالانتقام ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ حكم بأن لا شريك له.

فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا، يكون كذا وكذا، فوجدناه حقا؟ للكلمة التي سمعت من السماء.

وهذا الحديث من غرر الأحاديث، وقد رواه عكرمة عن أبي هريرة سماعا.

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٤٠٢، وهو اختيار الجرجاني صاحب النظم، كما في البسيط ١٨/ ٣٦٢.

(٢) تفسير ابن جرير ٢٠/ ٤٠٣، وهو اختياره، وانظر: معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٥٣.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ يعني: لم نرسلك إلا إلىٰ الناس كافةً، يعني: لتكف الناس عن الكفر، يعني كافًا لهم عن ذلك، دخل الهاء للمبالغة في الوصف كعلامة ونسَّابة(١).

﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ للخلق من جابَلْقا إلىٰ جابَلْسا، جنِّهم وإنسِهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ من أهل مكة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٩﴾ الذي تزعم أنه كائنٌ، وَقِّتْهُ لنا وقتًا إن أنت صادق.

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ﴾ إذا جاء وقته ﴿وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٠﴾ قبل مجيئه يعني القيامة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ يعني: القيامة، وقيل: كتب الأولين ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ متروك الجواب ﴿يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ﴾ يعني: الجواب؛ يَردُّ السَّفلة إلىٰ الرؤساء والرؤساء إلىٰ السفلة ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ من السفلة ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ يعني: ساداتهم ﴿لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ﴾ من الأتباع ﴿أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: صرفناكم عن البيان والبرهان ﴿بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُم﴾ محمد بالقرآن ﴿بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢﴾ كافرين بنِعَم الله.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ ليس كما تزعمون ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: كان خِداعكم إيانا في سواد الليل وبياض النهار ﴿إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ

---

(١) البسيط ١٨/ ٣٦٧.

أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ﴾ أعدالاً وأشكالاً، ثم قال: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۚ﴾ يعني الرؤساء أسروا الندامة من السفلة.

وقيل: أظهروا الندامة التابع والمتبوع، عن الضحاك[1].

﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ أي: نشدّ أيديهم إلىٰ أعناقهم جميعًا ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٣٣﴾ من خبيث الأعمال.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ﴾ أي: مدينةٍ ﴿مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ جبابرتها لرسلهم ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤﴾ كما يقول قومك لك يا محمد، فلست ببدَع، يُعَزِّيه لكي يصبر علىٰ أذىٰ قومه.

﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥﴾ كما زعمتم ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ ويضيّق علىٰ مَنْ يشاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ من الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٣٦﴾ أنَّ البسط والقتر من الله وحده.

ثم علَّم رسوله كيف يجيبهم فقال: قل لهم ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ ذكر بالتي ولم يقل باللتين.

ومعناه: أموالكم التي ولا أولادكم التي، والزُّلفىٰ: القُرْبَة[2].

ثم استثنىٰ المؤمنين فقال: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يعني لا تُقرِّب الأموال والأولاد إلا لمن آمن وعمل في طاعة الله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ يعني: العشرة بالواحد لمن اتقىٰ الله مخلصًا ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧﴾ والغُرفات: العلالي فوق الأعمدة، آمنون من عذاب أهل النار[3].

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٩٢.

(٢) البسيط ١٨/ ٣٧٢.

(٣) البسيط ١٨/ ٣٧٥.

﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ أي: يُكذِّبون بمحمدٍ والقرآن مُثبِّطين عن الإيمان ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ قليل أو كثير ﴿فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ﴾ في الدنيا، وفي الآخرة التضعيف على قَدْرِ النيَّة ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ أفضل المُعْطين.

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا﴾ العابد والمعبود ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ أي: بأمركم عبدتكم بنو خزاعة، أجابوا وَ ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ﴾ مِنْ أين يكون لك شريك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ﴾ أي: أنت ناصرنا دونهم، وقيل: عالم بنا وبافترائهم علينا وكذبهم ﴿بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ﴾ أي: أطاعوا الشياطين في عبادتهم إيانا ونحن لم نأمرهم بذلك.

قال السدي: كانوا يعبدون الجنَّ يَرَوْنَ أنهم الملائكة(١).

﴿أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ أهل مكة مقرُّون بعبادة الجن.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا﴾ يعني: لا يقدر الملائكة والجن إيصال النفع إلىٰ عابديهم ولا دفع الضرّ عنهم ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: تقول الخزنة لهم بأمرنا ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ﴾ يعني: القرآن ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ﴾ يمنعكم ﴿عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ﴾ الذي يقرأ علينا محمد ﴿إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ﴾ كذب مختلق ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ به محمد، وهو القرآن، وقيل: الإسلام ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٤٣﴾﴾ كذبٌ بيِّنٌ.

﴿وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ﴾ يعني: لم يأت أهل مكة قبل القرآن من

---

(١) انظر: تفسير السمعاني ٤/ ٣٣٨.

الكتب ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ﴾ يا محمد ﴿مِن نَّذِيرٖ ٤٤﴾ يُنذرهم عقابنا.

﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ رسلهم كما كذَّبك قومُك ﴿وَمَا بَلَغُواْ﴾ هؤلاء في المال والقوة ﴿مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ أي: عُشْرَ ما أعطيناهم من المال والعُمر والقوة، فأهلكناهم بما: ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٥﴾ انظر كيف كان عاقبة إنذاري إياهم.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ﴾ أي: آمركم بذكر كلمة واحدة وهو الإخلاص.

وقيل: بخصلةٍ[1]، وهو ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ أي: وُحْدانًا ومثنىٰ ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ﴾ إيش رأيتم علىٰ محمد من علامة الجنون والكهانة والسِحر والشِعر ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦﴾ إنْ عصيتم لقيتم ذلك.

﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ﴾ يعني: لم أسألكم علىٰ أداء الرسالة شيئًا من الدنيا ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ مِنْ دعوتي وإجابتكم ﴿شَهِيدٞ ٤٧﴾.

﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: يرسل بالوحي إلىٰ الرسل ﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٤٨﴾ في الأرض والسماء يعلم مَنْ يُجيب الرسل ومَنْ لا يُجيب.

﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: ظهر الإسلام وكثُر أهله ﴿وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ٤٩﴾ في الباطل قولان: قيل: الصَّنَم، وقيل: إبليس[2].

وفي كلمة «ما» قولان: أحدهما: الاستفهام معناه: أي شيء يخلق الصنم أو الشيطان، وأي شيء يُعيد بعد الموت.

والقول الثاني: ما للنفي، أي: لا يخلقُ الصنم شيئًا ولا الشيطان ولا يُعيده.

---

(١) القولان في تفسير أبي الليث ٣/ ٩٥.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٩٥، الكشف والبيان ٢٢/ ١٣١.

قال الضحَّاك: لما فتح رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مكة أخذ مِخصرةً، وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا، فجعل ينكت من المخصرة صنمًا صنمًا، ويقول: «جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد»(١).

وقد قال لهم كفار مكة: قد ضل محمد حين ترك دين آبائه، فأنزل الله تعالىٰ(٢): ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِىۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ﴾ الطريق إلىٰ الله ﴿فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓۚ﴾ بالنبوة والقرآن ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ لمَنْ دعاه ﴿قَرِيبٌ ۝٥٠﴾ بالإجابة.

وقيل: سميعٌ لردِّكم قريبٌ بإجابة دعائي.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ﴾ الفزع: انزعاج النفس بتوقع المكروه، وأراد به فزعهم عند البعث حين لا فوت من عذاب الله، وهو متروك الجواب، يعني: لو رأيت ذاك رأيت ما يعتبر به(٣).

﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٥١﴾ من بطن الأرض إلىٰ ظهرها.

وقال الضحَّاك: معنىٰ قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ الآية، يعني خسف البيداء، وذلك أنَّ السفياني يبعث جيشًا وهم ثلاثون ألف رجل إلىٰ الحرَم يريد خراب الكعبة، فلما بلغوا نادىٰ منادٍ: يا بيداء بيدي بهم، فلا ينجو منهم إلا بشير ونذير، البشير ينتهي إلىٰ مكةٍ يُبشِّرهم بهلاكهم، والنذير يرجع إلىٰ الشام قد جُعلت عيناه في قفاه،

---

(١) وقد رواه البخاري في الصحيح ٤٧٢٠ عن ابن مسعود.

(٢) ومن طرف ما ذكر أبو الليث في تفسيره ٣/ ٩٦: قيل للنابغة حين أسلم: أصبوت؟ يعني: آمنت بمحمد صلّىٰ الله عليه وسلم. قال: بلىٰ، هو غلبني بثلاث آيات من كتاب الله عز وجل، فأردت أن أقول ثلاثة أبيات من الشعر علىٰ قافيتها، فلما سمعت هذه الآيات فعييت فيها ولم أطق، فعلمت أنه ليس من كلام البشر، وهي هذه: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝٤٨﴾ إلىٰ آخر ثلاث آيات.

(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ٤٢١، تفسير أبي الليث ٣/ ٩٦.

اسمه: ناجية، يمشي قهقري علىٰ عقبيه، حتىٰ ينتهي إلىٰ السفياني الخبيث، وإنما يملك تسعة أشهر، ثم خسف بهم الأرض بالبيداء، ولا مهرب لأحدٍ من الهلاك، فذلك قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٥١﴾[1].

﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ يعني بالبيت، وقيل: بالعذب وقيل: بالله عند مُعاينة الهلاك ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ أي: تناول الإيمان ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾ لأن المكان الذي يُقبَل فيه الإيمان بَعُدَ عنهم، وقد ضيَّعوا عُمرهم في الجحود.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ أي: بالله وبالعذاب من قبل حين توجَّهوا لخراب الكعبة ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: يرضون بالشكِّ ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٣﴾ أي بغير حُجَّة.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾ بالبيداء بالخسف ﴿وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من خراب البيت، وقيل: من قبول الإيمان ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ من الأمم الخالية ﴿مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ۝٥٤﴾ بالبعث.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولا رسول إلا كان له يوم القيامة رفيقًا وصاحبًا»[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) وروي عن سعيد بن جبير كما في تفسير الطبري ٢٠/ ٤٢٢، وهذا الوجه ضعيف في تفسير هذه الآية، وقد بنىٰ عليه المصنف باقي الآيات.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ٧، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٠١.

سورة الملائكة

مكيَّة(١)، وهي خمسٌ وأربعون آية(٢).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: الشكر والأُلوهية لله الذي هو خالق السماوات والأرض، والفاطر: الذي يُبدئ الشيء ولم يكن شيئًا.

﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ أي: يُرسل الملائكة بالوحي إلىٰ الأنبياء، وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ورضوان، وفي بعض التفْسير: الرعد والحفظة.

﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ أي: ذوي أجنحة مثنىٰ وثلاث ورباع، لبعضهم جناحان، وللبعض ثلاثة، وللبعض أربعة.

مثنىٰ وثلاث ورباع: في موضع خفض، ولكن نُصبت لعلَّتين، العدل، والتكرير في العدل، ومع العدل إنه معدول عن الثلاث والأربع والثاني: أنه نكرة فلا ينصرف(٣).

---

(١) وتسمىٰ سورة فاطر، وهي مكية بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٢/ ١٤٥، زاد المسير ٣/ ٥٠٥.

(٢) وفي المدني الأخير والشامي: أربعون وست (البيان في عد آي القرآن ٢١٠).

(٣) ملخص من معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٦١ حيث قال: معدول عن ثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة، واثنين اثنين، فهذه علة، والعلة الثانية: أن عدوله وقع في حال النكرة. وانظر: تفسير الطبري ٢٠/ ٤٣٤ فقد زاده بيانا.

﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ أي: يزيد في خلق الأجنحة بعد الأربعة ما يشاء من الجمال والدمامة(١).

وقيل: في الطول والعرض.

وقيل: الملاحة في العينين، ومعنىٰ قوله: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ أي: ملاحةً كانت في عينيه، فمن رآه أحبه.

وقيل: الأصوات والنغمات، وقيل: الشعر الحسن والخُلق الحسن(٢).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝١﴾ من الزيادة والنقصان.

﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ﴾ أي: ما يعطي الله عباده من عافيةٍ ورزقٍ ومطرٍ، وقيل: النبوة(٣) ﴿فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾ ولا مانع ﴿وَمَا يُمۡسِكۡ﴾ الله ﴿فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ أي: بعد إمساكه ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢﴾ في جميع ما أرسل ومنع.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ بإرسال رسولي إليكم وإدرار الرزق عليكم ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم﴾ يُمطر الماء من السماء، ويُنبت النَّبات من الأرض ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ يفعل ذلك ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ۝٣﴾ كيف تجعلون له شريكًا بعد هذا البيان.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يا محمد بما جئتهم من البرهان ﴿فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٤﴾ يَجْزِ كلاً بعمله المؤمن بالإيمان والكافر بالكفر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ في البعث حقٌ كائنٌ ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ

---

(١) وهذا هو المشهور عند العلماء، انظر: تفسير الطبري ٢٠/ ٤٣٦،

(٢) ذكر هذه الأقوال: أبو الليث في تفسيره ٣/ ٩٩، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ١٥١، والواحدي في البسيط ١٨/ ٤٠٠، وهي من غرائب الأقوال، والمعول علىٰ الأول.

(٣) والأول هو قول المفسرين كما قال الواحدي في البسيط ١٨/ ٤٠١.

﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ وبقاؤكم في زهرتها وغرورها عن الاستعداد للآخرة ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥﴾ يعني الشيطان وأباطيل الدنيا.

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ﴾ يا بني آدم، يُحرِّضكم على المعصية حتى تستوجبوا النار ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ أمر فريضة من الله عزَّ وجل ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ﴾ أي: شيعته من أهل الكفر ﴿لِيَكُونُواْ﴾ معه في الآخرة ﴿مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ﴾ قالت رابعة البصرية: أجلّ آية في كتاب الله هذه الآية، لأنه قال: «إن الشيطان لكم عدوٌّ فاتخذوه عدوًا»، كأنه قال: أنا حبيبكم فاتخذوني حبيبًا(١).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ۝٧﴾ أي: ثوابٌ وافرٌ في الجنَّة.

ثم ذكر حال المطيع والعاصي فقال: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ﴾ في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، معناه: مَنْ حَسُن في عينه؛ وحُبِّب في قلبه؛ قبح كفره ورآه حسنًا؛ أذهبت نفسك يا محمد عليهم حسرات(٢) ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات بالحزن ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يخذل من يشاء فلا يوفقه للإيمان ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ﴾ مَنْ كان أهلاً ﴿[فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ] إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٨﴾ في كفرهم.

ثم دلَّهم على صُنعه فقال: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ وهي ريح الجنوب التي تلقح الشجر، وتُنزل المطر من السحاب بعد ما تنشئ السحاب

---

(١) قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٣٢٣: وكان الفضيل بن عياض يقول: يا كذاب يا مفتر، اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر. وقال ابن السماك: يا عجبًا لمن عصى المحسن بعد معرفته بإحسانه، وأطاع اللعين بعد معرفته بعداوته.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ١٠١.

﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ أي: يسوق المطر إلىٰ أرضٍ ميتةٍ ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وقحطها وحولان الحول عليها ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾ بعد الموت.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ معناه: مَنْ كان يريد القوة والمنعة في الدنيا والآخرة فليتبع أمر الله، فللَّه العزَّة جميعًا حتىٰ يُعِزَّه الله في الدَّارين.

وقيل: مَنْ كان يريد أن يعلمَ أنَّ العِزَّة لِمَنْ هي فليعلم بأنَّ العزة لله جميعًا .

وفي آيةٍ أخرىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ نقول: وهذا ليس بتناقض، لأنَّ الله يُؤتي العِزَّة لرسوله ولأُمته.

ثم بيَّن عِزَّه فقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يعني: شهادة أن لا إله إلا الله ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ قيل: العمل الصالح يرفعه التوحيد لأنه لا يزكو عملٌ إلاَّ بالتوحيد.

وقيل: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب لأنه لا يُقبل قولٌ إلا بعملٍ. وقيل: معنىٰ قوله أي: الله تعالىٰ يرفعه(١).

﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: يكفرون بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الآخرة، وقيل: هو مراءاة الناس(٢).

﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠﴾ أي: فعلهم يَكْسُدُ عليهم لأنه كان لغير الله.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ ذكورًا وإناثًا ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾ من امرأةٍ بولدٍ ﴿وَلَا تَضَعُ﴾ ما في بطنها ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ يعلم الله مقدار مكثه ومُدة وضعه ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ لأنَّ الله تعالىٰ كتب لكل شيء عُمرًا ينتهي إليه، فكلَّما مضىٰ عليه ليلٌ أو نهارٌ

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ١٠١، تفسير السمعاني ٤/ ٣٤٩.
(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ١٠١.

نقص ذلك من عُمره، حتىٰ تبلغ أجلها، فالقليل والكثير من العُمر مكتوبٌ في اللَّوح المحفوظ[١].

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: حفظ ذلك يعني كتابه ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ﴾ العَذْب والمِلْح ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ طيِّبٌ شربه، ذكر الفرات بعد العذب للمبالغة في صفة العذوبة ﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ وهو المنتن الشديد المرارة ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ من العذب والملح، يعني السمكة ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾ من اللؤلؤ والمرجان ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ وهو من الملح خاصة.

﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ مُقبلَة ومُدْبرة، بريح واحدةٍ، والمخرُ: خَرْقها الماء [في جريها][٢]، والفُلك جمع فَلَك كالأُسد والأَسَد.

﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: رزقه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ أي: توحِّدون ربكم شُكرًا لنعمه.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى﴾ يعني: الشمس والقمر ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقتٌ معلومٌ ومنازلُ معروفةٌ.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ والخزائن ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ من الأصنام ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ أي: قَدْر قشر النواة الأبيض الذي فيه النواة[٣].

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٤٤٨.

(٢) هاهنا كلمة مصحفة، صورته: مجر حرها، وما أثبته من تفسير أبي الليث ٣/ ١٠٣، وفي كتب المعاني: المخر خرق الماء إذا مرت فيه (معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٨، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٦٦).

(٣) وهي اللفافة (معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٦٦).

﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ لدفع ضرٍّ و جرِّ نفع ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ﴾ مثلاً ﴿مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾ من بغضهم إياكم ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ أي: عبادتكم، ويقولون ما كنتم إيانا تعبدون ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ بها، يعني الله عزَّ وجلَّ.

ثم عظَّم نفسه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي: إلىٰ مغفرته ورزقه في الدنيا وجنَّته في الآخرة ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ هو الغني عن توحيدكم المحمود في فعاله.

﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ يهلككم بعذابه ﴿وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٦﴾ أطوع لله تعالىٰ منكم ﴿وَمَا ذَٰلِكَ﴾ الإهلاك والإبدال ﴿عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ١٧﴾ شديدٍ.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ يوم القيامة.

قال الضحَّاك: تقول الوالدة لولدها: يا بُني، حملتُك في بطني، وأرضعتك من ثديي، وربَّيتك صغيرًا في حجري، فيقول: يا أُمَّاه، ما الذي تريدين؟ فتقول: تحمل عنِّي وزري، فقد أثقلني وأكربني، فيقول: يا أُمَّاه إن عندي ما يُشغلني عنكِ، فذلك قوله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾(١).

﴿وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ﴾ مما حملت من الوزر ﴿إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ﴾ يعني: لو كان المَدْعوّ ذا قرابة أو ولدٍ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ أي: ينفع إنذارُك الذين يخافون البعث ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ الخمس ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: وحَّد الله ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ﴾ أي: منفعة توحيده وصلاحه له يُجزىٰ به في الجنة ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾ في الآخرة.

---

(١) ونحوه عن عكرمة في تفسير أبي الليث ٣/ ١٠٤، وفي الكشف والبيان ٢٢/ ١٧٧ عن الفضيل مثله.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩﴾ يعني: الكافر والمؤمن.

﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠﴾ أي: الكفر والإيمان.

﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١﴾ الجنة والنار[1].

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ المؤمنين والكافرين في الطاعة والكرامة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يُفهمه الإيمان، مَنْ كان أهلاً ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٢٢﴾ أي: كما أنك لا تسمع الأموات في القبور لا تُسْمِعُ الأحياء من الكفار[2].

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝٢٣﴾ رسولٌ مُخوِّفٌ، وليس إليك الهداية والضلالة.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالإسلام ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[3] بالنار ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ [إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ] ۝٢٤﴾ أي: ما من جماعة من الأُمم الخالية إلا جاءهم رسولٌ مُنذرٌ.

ومَن مات في الفترة فالشمس والقمر والليل والنهار والمطر والسحاب والصيف والشتاء والموت والحياة كلها نذيرٌ له، إذا قال يوم القيامة: لم أبْصِرْ منك رسولاً؛ فيحتجَّ الله عليه بهذه الأشياء.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ في النبوة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: قبل أهل مكة ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ﴾ أي: كتب الأولين ومواعظهم ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ۝٢٥﴾ المُضيء.

---

(١) الكشف والبيان ٢٢/ ١٧٨، البسيط ١٨/ ٤١٥.

(٢) وفيه تشبيه الكفار بالأموات (الكشف والبيان ٢٢/ ١٧٩، البسيط ١٨/ ٤١٦).

(٣) في الأصل: مبشرا ومنذرا، والآية كما أثبت.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۖ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٢٦﴾ أي: عذابي وانتقامي.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أيها الناظر في قدرة الله ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ أي: بالمطر من الأرض ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ﴾ مَن بين أصفر وأخضر وأحمر وأبيض ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ﴾ الجُدَد: الخطوط والطرائق التي تكون في الجبال[1]، بيض ﴿وَحُمْرٌ﴾ أي: بعضها بيض وبعضها حمر ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧﴾ ومنها جبالٌ، سودٌ واحدها: غربيب أسود وهو شديد السواد[2].

﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ مُقدَّمٌ ومؤخرٌ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ﴾ كاختلاف الجبال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ﴾ وخشية الله رأس كل علم، فمن لم يخش الله فليس بعالمٍ[3].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في انتقامه ممن لم يُوَحِّدوه ولم يخشه ﴿غَفُورٌ ۝٢٨﴾ لمن خشيه. قال ابن مسعود: كفىٰ بخشية الله علمًا[4].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ القرآن آناء الليل والنهار ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الخمس ﴿وَأَنفَقُوا۟﴾ علىٰ الفقراء ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ﴾ بهذه العبادات ﴿تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩﴾ أي: لن تكْسُد.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ يعني: ليُكمل الله ثوابهم في الجنة ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓۚ﴾ الشفاعة، عن الضحَّاك قال: ليس مؤمنٌ إلا وله عند الله شفاعة.

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٩، البسيط ١٨/ ٤١٨.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٤٦٢.

(٣) قال قتادة: كفىٰ بالرهبة علما (تفسير الطبري ٢٠/ ٤٦٣).

(٤) البسيط ١٨/ ٤٢١.

﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ للذنوب العِظام ﴿شَكُورٌ ٣٠﴾ للحسنة اليسيرة ومُجازي عليها.

﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ الصِّدق من ربك ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ من الكتب المتقدِّمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١﴾ بمن يؤمن ومن لا يؤمن.

﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ ثم: كلمة عطف يُعطف بها علىٰ ما سبق ذكره.

سُئل الثوري: علىٰ ماذا عطف ثم؟ قال: عطفه علىٰ الإرادة الأزلية، والأمر المقضي.

وقوله: أورثنا الكتاب: أَخَّرناه حتىٰ أكرمناهم به وبحفظه، الذين اصطفينا من عبادنا: وهم الأنبياء لا غير، فالظالم مثل آدم ويونس وموسىٰ، والمُقتصد مثل إبراهيم ويعقوب وإسحاق، والسابق بالخيرات مثل عيسىٰ ويحيىٰ ومحمد عليهم الصلاة السلام أجمعين[1].

وقال الصادق: بدأ الله بذكر الظالمين بعد الاصطفاء ليُعلم أن الظلم لا يُؤثر في الاصطفائية، ثم ثنىٰ بالمقتصدين لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحدٌ مكره، وأوجب الجنة للكل بحُرمة كلمة الإخلاص.

وروي عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «ألا إن سابقنا سابق، ومقتصدنا ناجٍ، وظالمنا مغفورٌ له»[2].

---

(١) علىٰ كثرة الأقوال الواردة في هذه الآية إلا إن هذا القول هو أضعفها، وكيف يكون من الأنبياء من هو ظالم، وقد اصفاهم الله وطهرهم، وإذا كان خير البرية إبراهيم مقتصد فما حال غيره، وهذا القول يعلم بطلانه بداهة ، وقد ذكره السمعاني في تفسيره ٤/ ٣٥٩ مختصرا.

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ٢٠٥ عن عمر بن الخطاب، وفي إسناده عمرو بن الحصين متروك، والحديث منكر.

وكان عمر رضي الله عنه كلما قرأ هذه الآية يقول: دخلوا الجنة عن آخرهم ورب الكعبة.

قال عبد الحميد غفر الله له: قد أكثروا في هذه الآية من الأقاويل ما لو استوفيناها كلها خرج الكلام عن شرط هذا الكتاب، ولكن لابد من ذكر ما هو الألطف والأعقل منها، وإن كان أكثر الأصول التي التقطتُ منها تقاصَرَ عنها.

قيل: الظالم الذي ارتكب الكبائر، والمقتصد الذي ارتكب الصغائر، والسابق الذي ترك الكبائر والصغائر.

وقيل: الظالم الذي ارتكب الذنوب ولم يتب، والمقتصد الذي ركبها وتاب، والسابق الذي لم يرتكب ولم يعص.

وقيل: الظالم جاهل غير عالم بأنه جاهل، والمقتصد جاهلٌ عالمٌ بأنه جاهلٌ، والسابق عالمٌ وعالمٌ بأنه عالم.

وقيل: الظالم مُريد الدنيا، والمقتصد مُريد العُقبىٰ، والسابق مُريد المولىٰ.

وقيل: الظالم علىٰ باب المولىٰ قارع، والمقتصد في داره جائع، والسابق في بيته قاعد.

وقيل: الظالم مقتولٌ بسيف القطيعة، والمقتصد مضروبٌ بسوط العقوبة، والسابق مُقيَّدٌ بقيد الوُصلة.

وقيل: الظالم غافل عن الله، والمقتصد طالب من الله، والسابق واجدٌ لله(١).

---

(١) انظر هذه الأقوال وزيادة في: تفسير أبي الليث ٣/ ١٠٧، الكشف والبيان ٢٢/ ١٩٩، البسيط ١٨/ ٤٢٥، تفسير السمعاني ٤/ ٣٥٨، زاد المسير ٣/ ٥١١.

ثم قال: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: ورثوا الكتاب بأمر الله وقضائه ﴿ذَٰلِكَ﴾ الاصطفاء ﴿هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢﴾ من الله عزَّ وجل.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ جميعًا برحمة الله لا بأعمالهم ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ والأساور: الأقلبة ﴿وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣﴾ غير مغزول ولا منسوج، بل هي أوراق أشجار علىٰ الصنعة التي يشتهونها.

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ يعني: حَزن الموت، وذلك حين يُذبح الموت بين الجنة والنار، وقيل: حزن المعاش وهموم الدنيا، وقال الصادق: حزن الفراق والقطيعة(١).

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤﴾ غفورٌ لذنوبنا شكورٌ لقبول اليسير من أعمالنا.

﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ﴾ أي: دار الدوام التي لا ظعن عنها ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ وإحسانه ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ﴾ تعبٌ ومشقةٌ ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥﴾ وهو الإعياء من الطلب.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ جزاءً لكفرهم ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ﴾ في النار ليستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦﴾ بنعم الله تعالىٰ.

﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا﴾ يُنادون: يا رب يا رب.

ولقد أحسن أبو بكر الوراق كل الإحسان حيث قال: رتب الله هذه الأمة علىٰ ثلاث طبقات؛ لأن أحوالهم علىٰ ثلاث: معصية ثم توبة ثم قربة، فإذا عصىٰ العبد كان ظالمًا لنفسه، ثم إذا تاب صار مقتصدًا، فإذا ثبت علىٰ التوبة دخل في السابقين.

(١) الأقوال في الكشف والبيان ٢٢/ ٢٠٩، البسيط ١٨/ ٤٢٩.

قال ابن عباس: مقدار الدنيا من أول يوم خُلِقَتْ إلىٰ يوم أُفنيت، يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا﴾ من النار إلىٰ دار الدنيا حتىٰ ﴿نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ ونُودوا ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم﴾ في الدنيا مقدار ما يتَّعِظ به مَنْ أراد الاتعاظ، قيل: هو ستون سنة[1] ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ أي: الرسول فقالوا: بلىٰ، قيل لهم ﴿فَذُوقُواْ﴾ هذا العذاب أبدًا ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾ مانع من عذاب الله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: جميع ما غاب عن العباد علمُه، وذلك العِلم أنهم لو رُدُّوا إلىٰ الدنيا لعادوا إلىٰ كفرهم ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨﴾ أي: ضمائر القلوب من الخير والشر.

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: سكانها بعد هلاك أهلها ﴿فَمَن كَفَرَ﴾ التوحيد ﴿فَعَلَيۡهِ﴾ غدًا ﴿كُفۡرُهُۥۖ﴾ وعقوبته ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتًاۖ﴾ بُغضًا.

وقوله: ﴿[وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا] خَسَارًا ٣٩﴾ غبنًا بذهاب رؤوس أموالهم.

﴿قُلۡ﴾ لأهل مكة ﴿أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ﴾ ما تقولون لشركائكم ﴿ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهي الأصنام ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ﴾ أي: مشاركة ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وخلقها مع الله، يعني: هل لهم شركٌ مع الله إنْ كانوا آلهة كما تزعمون ﴿أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ﴾ بما تدعون فهم علىٰ بيانٍ مِن ذلك الكتاب بأنَّ مع الله شريكًا ﴿بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: ما يعد الظالمون ﴿بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ٤٠﴾ وباطلاً بذلك الكفر والجحود.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ لكيلا تزولا ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ

(١) الكشف والبيان ٢٢/ ٢١٥.

﴿أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ أي: بعد زواله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ حين قالت اليهود: عُزير ابن الله، وقالت النصارىٰ: المسيح ابن الله، وقول المشركين: الملائكة بناتُ الله، أمسك السماء عنده كيلا تتفطَّر، غفورًا متجاوزًا بتأخير العذاب(١).

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ﴾ وجهد الأيمان: يمينٌ مؤكدٌ بالله، حلفوا أنَّه لو جاءهم نذيرٌ: أي رسول ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ﴾ وهم اليهود والنصارىٰ، أي: يكونون أصوب دينًا وأسرع إجابةً منهم ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ﴾ وهو محمد عليه الصلاة والسلام، وقيل: هو انشقاق القمر، عن ابن عباس(٢).

﴿مَّا زَادَهُمۡ﴾ مجيء الرسول والآية ﴿إِلَّا نُفُورًا ٤٢ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ عن الهدىٰ والإيمان ﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ﴾ احتياله في إهلاك محمد صلىٰ الله عليه وسلم في دار الندوة ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ أي: لا يرجع المكر السيئ إلا بالماكر، وهم الذين قُتلوا ببدرٍ فرجع المكرُ إليهم(٣).

﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ﴾ أي: ما ينتظر أهل مكة إلا العذاب، مثل عذاب الأُمم الماضية ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ﴾ أي: تغييرًا ﴿وَلَن تَجِدَ [لِسُنَّتِ ٱللَّهِ]﴾ لها ﴿تَحۡوِيلًا ٤٣﴾ عن الكفار، فعُذِّبوا بضرب الملائكة يوم بدر.

ثم وعظهم فقال: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي: كيف صار آخر أمرهم بعد تكذيبهم الرسل ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ﴾ بالبدن والمال، وهم عاد وثمود ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: لا يسبقه ولا يفوته أحد من خلق أهل السماء والأرض، لكنه آخذ

---

(١) وهو قول الكلبي في تفسيره (تنوير المقباس ٣٦٨) وقد مضىٰ في خواتيم سورة مريم.

(٢) والأول قول قتادة، كما في تفسير الطبري ٢٠/ ٤٨٣، ولم يذكر سواه.

(٣) الكشف والبيان ٢٢/ ٢٢٤.

بناصيتهم، يميتهم ثم يحييهم ليوم القضاء ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ أي: عليهما بخلقه مقتدرًا عليهم.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ﴾ لو أراد الله أن يُعاقب الإنس والجن ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ من الشرك والمعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ أي: ظهر الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: أحدٍ يدب على وجه الأرض ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ في اللوح المحفوظ ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ وقت هلاكهم بالعذاب ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾ لم يزل ولا يزال ﴿بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ بمن يهلك وبمن ينجو، وبمن هو صالحٌ أو طالحٌ.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة الملائكة دعتْه يوم القيامة أبواب الجنة يدخل من أي أبواب الجنة شاء»[1].

❊ ❊ ❊

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ١٤٥، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٠٢.

سورة يس

مكيَّة إلا آية، وهي: ﴿قَالُواْ طَآئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾[١].

وهي ثمانون وثلاث آيات في الكوفي، وآيتان[٢] في البصري والمدني[٣].

وعدَّ الكوفي ﴿يسٓ ۝١﴾ آيةً[٤].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿يسٓ ۝١﴾ ابن عباس: يعني يا إنسان بلغة طيء[٥].

وقيل: قَسَمٌ، أقسم بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم إنَّ القرآن من عند الله نزل[٦]، وهو بلغة الحبشة الحكيم الذي أُحْكِمَتْ آياته عن التناقض.

---

(١) كذا وقع عنده، وهو غلط أو تداخل، لأن هذه الآية من سياق قصة صاحب يس.
والآية المستثناة علىٰ قول هي: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾ قيل: إنها نزلت في بني سلمة من الأنصار، كما سيأتي، كذا في أسباب النزول للواحدي ٣٨٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/ ١٤.
وقيل: بل هي: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٤٧﴾، حكاه ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٥١٦.
ولم يستثن الثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ٢٣٣، ولا الداني في البيان ٢١١.

(٢) في الأصل: اثنان، وهو تصحيف.

(٣) وكذا الشامي (البيان ٢١١).

(٤) دون سائر أصحاب العدد (البيان ٢١١).

(٥) رواه الطبري في التفسير ٢٠/ ٤٨٨، لكن وقع عنده: بالحبشية، وهذا الصحيح عنه، لأنه من رواية عكرمة، وذكره أبو الليث في تفسيره ٣/ ١١٥، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ٢٤٦ كما ثبت هنا، وهو من تفسير الكلبي.

(٦) وهو رواية علي عن ابن عباس، كما في تفسير الطبري ٢٠/ ٤٨٨.

وقيل: الحكيم بمعنىٰ الحاكم، يعني حَكَمَ علىٰ جميع الكتب بالنسخ.

وعن الحسن: معنىٰ يس: يا رجل[1].

وقال أبو سهل: إن الياء والسين مأخوذ من صفات الله عزَّ وجل في موضع الخفض، كأنه قال: بسم الله الرحمن الرحيم الأمين السميع.

﴿وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝﴾ والحكيم: الذي يظهر الحكمة لما أنكر كفار مكة رسالة محمد صلىٰ الله عليه وسلم أقسم الله بالقرآن إنَّك لمن المرسلين إلىٰ الخلق أجمعين.

﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝﴾ دين الإسلام، لأنَّ الأديان سوىٰ الإسلام غير مستقيمة ﴿تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝﴾ أي: القرآن منزلٌ من الرب المنيع في سُلطانه، الرحيم بالمؤمنين بغفر ذنوبهم.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ بالقرآن ﴿مَّا أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ أي: لم ينذر آباؤهم ولم يأتهم رسولٌ قبلك ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝﴾ عن الإنذار.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ [فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] ۝﴾ أي: وجبت السخطة علىٰ أكثرهم بقوله لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ﴾.

ثم قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ قال مقاتل: كان أبو جهل حَلَفَ إن رأىٰ محمدًا ليدمغنَّه[2] بالحجارة، فأتاه وهو يُصلِّي ومعه حَجَرٌ، فرفع الحَجَر علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيبست يده إلىٰ عنقه، والتزق الحَجَرَ في يده، فلما رجع إلىٰ أصحابه قال رجلٌ آخر: أنا أقتله، فلم أخذ الحجر وذهب طمس الله بصره، فكان يسمع قراءة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ولا يراه،

---

(١) زاد المسير ٣/ ٥١٦.

(٢) في الأصل: ليدمغه.

فرجع إلىٰ أصحابه فلم يرهم حتىٰ نادوه، فعرف مكانهم، فذلك قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾[١] أي: أيمانهم في أعناقهم[٢].

﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ يعني الأيدي إلىٰ الأذقان؛ لأنَّ الغلَّ يجمع اليد مما يلي الذقن والعُنق ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾ المُقمح: الرَّافعُ رأسه، الغاضُّ بصره، وهذه صفة أبي جهل لعنه الله[٣].

ثم ذكر حال صاحبه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ حتىٰ لا يُبصروا[٤] رسول الله.

وقيل: جعلنا من بين أيديهم سدًا من أمر الآخرة ومن خلفهم سدًا من أمر الدنيا[٥].

﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ عَمَيْنَا أبصارهم ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ النور علىٰ الصراط.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ علىٰ أبي جهل وأصحابه ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ بالقرآن وما فيه من شأن البعث ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾ فقتلوا ببدر ولم يؤمنوا.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ أي: ينفع إنذارك لمن آمن بالقرآن وعمل به، مثل أبي بكر وعُمر ﴿وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: خاف الله في الدنيا عند غيبة

---

(١) وهو قول الكلبي ومقاتل كما في الكشف والبيان ٢٢/ ٢٤٨، البسيط ١٨/ ٤٥٤ ، والسياق الذي ساقه المصنف هو سياقهما، ووراه الطبري في تفسيره ٢٠/ ٤٩٥، عن عكرمة مختصرا.
(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٩٧، وقد صدر في هذه الآية عنه.
(٣) وهو أن يحدر الذقن حتىٰ يصير في الصدر ثم يرفع رأسه في قول البصريين، وفي قول الكوفيين: الغاض بصره بعد رفع رأسه (تفسير الطبري ٢٠/ ٤٩٣).
(٤) في الأصل: لا يبصرون.
(٥) فتكون الآية علىٰ المثل، كما قال أبو عبيد: منعناهم عن الإيمان (الكشف والبيان ٢٢/ ٢٤٩).

القيامة ﴿فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ﴾ لذنوبه ﴿وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ۝١١﴾ ثواب حسن في الجنة.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ من كفار مكة وغيرهم ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ﴾ تكتب الحَفَظة بأمرنا ما أسلفوا وسنُّوا؛ سُنَّة خير أو شر يُقتدىٰ بهم ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ﴾ من أعمالهم الصالح والسيئ ﴿أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ۝١٢﴾ أي: حفظناه وبيَّناه في اللوح المحفوظ[1].

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا﴾ أي: مثِّل لهم مثلاً، يُقال: هذه الأشياء علىٰ ضربٍ واحدٍ، أي: مثالٍ واحدٍ، وفي يد فلان من هذا الضرب كثير، أي: هذا المثل.

يقول: مثِّل لأهل مكة مثل ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ وهم أهل أنطاكية ﴿إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٣﴾ وهم رُسل عيسىٰ عليه الصلاة والسلام، وكانوا ثلاثة ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ﴾ رسولين اسم أحدهما: تَوْبَان، والآخر تالوس[2].

﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ يعني: أهل أنطاكية بالرسالة ﴿فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾ أي: قوَّينا الرسولين بثالثٍ اسمه شمعون، وقال شمعون: ﴿[فَقَالُوٓاْ] إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ۝١٤﴾ أرسلنا إليكم ربكم الذي في السماء مُلكه، فقال مَلِكُهم لشمعون: أرنا علامةً علىٰ رسالتكم، وكان للمَلِكِ ابنةٌ قد ماتت في تلك الأيام، فقال شمعون:

---

(١) روىٰ ابن جرير في التفسير ٢٠/ ٤٩٨ عن ابن عباس –من طريق عكرمة– قال: كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد، فأرادوا أن ينتقلوا إلىٰ المسجد، فنزلت ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ۝١٢﴾ فقالوا: نثبت في مكاننا أهـ وروىٰ ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري نحوه (كما في تفسير ابن كثير ٦/ ٥٦٦) وهذا مستند من استثنىٰ هذه الآية، وقال: إنها مدنية، وعقب الشيخ ابن كثير: فيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية، والسورة بكمالها مكية.

(٢) كذا سماهم، وقيل: قاروص وماروص، وقيل: يحيىٰ وبولس، وقيل: تومن وكاروص (كما في تفسير أبي الليث ٣/ ١١٨، الكشف والبيان ٢٢/ ٢٦٤) وقيل: هم صادق وصدوق وشلوم (تفسير ابن كثير ٦/ ٥٦٨) وهذا كله من الأخبار الإسرائيلية.

علامة ذلك أن أُحيي لك ابنتك، ثم جاء بالملك إلىٰ قبرها، وضرب برجله علىٰ قبرها، وقال: قومي بإذن الله وأخبريهم أنا رُسُلُ الله، فخرجت من القبر وقالت: يا أهل القرية، آمنوا بهؤلاء الرسل، يغفر الله ذنوبكم ويُدخلكم الجنة، وإنْ كذَّبتم عُذبتم بالنار، ثم قالت: يا شمعون، رُدَّني إلىٰ مكاني، فإن القوم لن يصدقوكم، فوضع شمعون قبضة من ترابٍ وألقاه علىٰ رأسها، وقالك عُودي إلىٰ مكانك، فاستوت الأرض عليها، ولم يؤمن منهم إلا حبيب بن أُوريَا النجَّار، وكان من بني إسرائيل، وكذبوهم جميعًا غيره[1].

وَ ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ﴾ من السماء من حياةٍ ولا بعثٍ ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾ ما أنتم إلا كاذبون.

﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ فإن أنتم كذَّبتمونا [2]﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ وهو الإعلام عن الله.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ تشاءمنا بمجيئكم بنُقصان ثمارنا وانقطاع الأمطار عنَّا ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟﴾ عن مقالتكم ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بالحجارة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ وهو القتل.

﴿قَالُوا۟﴾ يعني الرسل ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ قحطكم وشؤمكم مكتوبٌ عليكم لازم.

قوله: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ مختصرٌ، معناه: أن دعوناكم إلىٰ الله ووعظناكم، أو: دعوناكم إلىٰ التوحيد تطيَّرتم بنا ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ مشركون.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ١١٨.

(٢) في الأصل: فما علينا.

﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ وهو حبيبٌ الذي أسلم، وقال للقوم: هل يسألونكم علىٰ ما دعوكم إليه من أجرٍ؟ فقالوا: لا، فـ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا﴾ أي: جُعْلاً علىٰ ما فعلوا ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١﴾ علىٰ دين الأنبياء.

فقالوا له: أتركت ديننا واتَّبعت دينهم؟ فقال: نعم ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢﴾ للمجازاة ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ بأمركم ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ﴾ بشدةٍ أو مرضٍ أو فقرٍ ﴿لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ في كشف الضُرّ عني ﴿وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣﴾ أي: لا يُنجوني مما أنا فيه ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤﴾ خسرانٌ بيِّنٌ إن فعلت ذلك بأمركم ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥﴾ وجعل إصبعيه في أذنيه، ونادىٰ بالإيمان، فأخذوا القدوم من يده ونجروا به وجهه ورأسه حتىٰ مات، ونادىٰ المَلِك: لا يبقىٰ أحدٌ منكم إلاَّ يضربه بآلته لعمله، إنْ كان قصَّارًا فبالمدقَّة، وإنْ كان قصَّابًا فبالشفرة، وإنْ كان إسكافًا فبقالب الأساكفة حتىٰ يموت[1].

[﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾] فلما ذهبت روحه إلىٰ الجنة، وعاين ما فيها من النعيم ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ أي: ليت شِعري علم أهل أنطاكية بأي شيءٍ غفر لي ربي، يعني: التوحيد ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ بالشهادة والجنَّة.

قيل: ينبغي للمؤمن أن يكون ناصحًا ربه في دينه، مشفقًا علىٰ عباده، رحم الله حبيبًا قتلوه ونجروه، فلما دخل الجنة نصحهم بهذه النصيحة.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: لم

---

(١) الكشف والبيان ٢٢/ ٢٦٧.

ننزل على أهل أنطاكية بعد قتل حبيب جُندًا من الملائكة لإهلاكهم وتعذيبهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾﴾ قبلهم أيضًا، عن مقاتل.

يعني: لم ننزل جندًا من الملائكة إلى شيءٍ من الأُمم لتعذيبهم ولم يحتج إليه[1].

﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ من جبريل ليس لها مثنويَّة، أخذ بعضادتي باب مدينتهم ثم صاح بهم صيحة ﴿فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾ ميِّتون كالرماد الخامد[2].

﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ من أهل أنطاكية، منصوبٌ لأنه منادى مُنكَّر موصوف، كما يُقال: يا راكبًا على الفرس، ويا رجُلاً في الدار.

معناه: يا حسرةً على العباد أقبلي[3]، فإنه أوانك[4].

والحسرة منهم عليهم، ومثله: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ﴾ و﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾، والحسرة: هو أن يلحق الإنسان شدَّة ندَم لا نهاية بعده، حتى يبقى حسيرًا[5].

﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾[6].

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ١٢١.

(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٥٧٣.

(٣) في الأصل: أقبل.

(٤) التبيان ٢/ ١٠٨١. والمعنى: يا حسرة على العباد من أنفسها (تفسير الطبري ٢٠/ ٥١١) فالمتحسرون هم العباد المهلكون.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٨٥، البسيط ١٨/ ٤٧٤.

(٦) هذا السياق الذي ذكره المصنف في قصة صاحب يس في مدينة أنطاكية عليه مؤاخذات، ذكرها الحافظ ابن كثير فقال (في تفسيره ٦/ ٥٧٣): وقد تقدم عن كثير من السلف أن هذه

القرية هي أنطاكية، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلا من عند المسيح، عليه السلام، كما نص عليه قتادة وغيره، وهو الذي لم يذكر عن واحد من متأخري المفسرين غيره، وفي ذلك نظر من وجوه:

أحدها: أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل، لا من جهة المسيح، كما قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ إلى أن قالوا: ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام والله أعلم.

ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم: ما أنتم إلا بشر مثلنا!.

الثاني: أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم، وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح؛ ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربعة اللاتي فيهن بتاركة، وهن القدس لأنها بلد المسيح، وأنطاكية لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها، والإسكندرية لأن فيها اصطلحوا على اتخاذ البتاركة والمطارنة والأساقفة والقساوسة والشمامسة والرهابين؛ ثم رومية لأنها مدينة الملك قسطنطين الذي نصر دينهم وأطده.

ولما ابتنى القسطنطينية نقلوا البترك من رومية إليها، كما ذكره غير واحد ممن ذكر تواريخهم كسعيد بن بطريق وغيره من أهل الكتاب والمسلمين، فإذا تقرر أن أنطاكية أول مدينة آمنت، فأهل هذه القرية قد ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخمدتهم، فالله أعلم.

الثالث: أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة، وقد ذكر أبو سعيد الخدري وغير واحد من السلف: أن الله تعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين، ذكروه عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن العظيم قرية أخرى غير أنطاكية، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضا.

أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظا في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك.

فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا الحسين بن أبي السري العسقلاني، حدثنا حسين الأشقر، حدثنا ابن عيينة، عن ابن أبي

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ بالعذاب، مثل قوم نوح وقوم هود وصالح ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾ أبدًا بعد الهلاك فيتوبوا، أو يرجعوا إلىٰ الحق، وقد قيل: إن القرن ثمانون سنةً.

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي: ما كلٌّ إلا سيحضرون لدينا في الآخرة.

ولَمَّا: بمعنىٰ إلاَّ بالتشديد، وإن قُرئ: بالتخفيف فما صلة وزائدة[1].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ أي: هي علامة البعث ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: من الحبِّ يأكلون وبه يعيشون، فكذلك يكون بعثهم بماء الحيوان.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا﴾ أي: في الجِنان ﴿مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾﴾ علىٰ وجه الأرض.

﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ أي: ثمر الجنان، لأنَّ جمع المؤنث يُذكَّر، وقيل: من ثمر المذكور، فالكناية ترجع إلىٰ المذكور[2]. وقيل: ثمر الماء[3]، والله أعلم.

نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «السبق ثلاثة: فالسابق إلىٰ موسىٰ يوشع بن نون، والسابق إلىٰ عيسىٰ صاحب يس، والسابق إلىٰ محمد علي بن أبي طالب»، فإنه حديث منكر، لا يعرف إلا من طريق حسين الأشقر، وهو شيعي متروك، والله أعلم.

(١) قرأ بالتشديد: ابن عامر وعاصم وحمزة وابن جماز: لـمَّا، وقرأ الباقون بالتخفيف: لـمَا (النشر ٢/ ٢٩١)، وقد صدر المصنف عن معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٨٦.

(٢) وهما بمعنىٰ، لأن المذكور أشجار الجنات، وهذا القول الذي حكاه الطبري في تفسيره ٢٠/ ٥١٥، وأبو الليث في تفسيره ٣/ ١٢٢.

(٣) وهو غريب.

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ قيل: ما بمعنىٰ الجحد، يعني: لم تعمله أيديهم ولكن جعلناها لهم[١].

وقيل: ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم[٢].

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٣٥﴾ هذه النِعم.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ الأصناف من النبات والحيوان ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ من ذكرٍ وأنثىٰ ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦﴾ من مخلوقات الله في السماء والأرض، ومن سكان البر والبحر.

﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ﴾ المُظلم ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ المُضيء، أي: ننزع من الليل النهار عند انفلاق الصبح ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧﴾ داخلون في الظلام، الباقون[٣] في الظُلمة؛ لأنَّ الله تعالىٰ خلق الظُلمة قبل النور، ثم خلق النور، فالأصل هي الظُلمة، وعند انصداع الصبح يزيد الضياء قليلاً قليلاً، كأن النهار يخرج من الظلمة[٤]، ولهذا قال ذو الرِّمَّة بيت شِعر:

فغلَّستْ وعمودُ الصبح منصدعٌ ... عنها[٥] وسائره بالليل محتجبُ[٦]

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ أي: مجراها ومنازلها من حيث تطلُع إلىٰ حيث تغرُب.

---

(١) زاد المسير ٣/ ٥٢٣.

(٢) أي أن ما موصولة.

(٣) كذا، وأظن الصواب: أي باقون، ولكن تصحفت عليه.

(٤) البسيط ١٨/ ٤٨٢.

(٥) في الأصل: منها، وهو تصحيف، والتصحيح من الديوان.

(٦) ديوان ذي الرمة ١٤.

أبو سهل: إلىٰ أقصىٰ منازلها من الصيف والشتاء، ثم تعود إلىٰ أول منازلها، ويجوز ذلك وإن لم يكن لها مستقر، كالمسافر مرَّ علىٰ المنزل ولم ينزل، لا يزول عن المنزل اسم المنزل.

وقيل: مستقرها الموضع الذي لا تُجاوزه ثم تعود[١].

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨﴾ العزيز المنيع في قدرته، العليم بمصالح العباد والبلاد.

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾ أي: قدَّرنا له ﴿مَنَازِلَ﴾ لكل ليلة منزل، إلىٰ مائة وعشرين ليلة، ثم يستسرُّ ليلتين إن تمَّ الشهر، وإن نقص فليلةٌ، فللشمس مائة وثمانون منزلاً للبدْأ والعود مثلها، فذلك ثلاثمائة وستون منزلاً، وخمسة أيام وربع يومٍ كسور ساعات، فيما بين ذلك لتَتِمّ السنة الشمسية ثلاثمائة وخمس وستون يومًا وربع يوم، علىٰ حساب أهل الروم، وعلىٰ حساب أهل فارس: سُدُس يوم.

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩﴾ يعني القمر صار في تقوُّسه كأصل العذق من النخلة، وهو من الموضع الذي يُقطع عنه الشماريخ[٢].

والقديم: الذي يبُس، شبَّهه به لأنَّه لا يوجد إلا متقوسًا، والعُرجون فعلون من الانعراج.

---

(١) وفي صحيح البخاري ٣١٩٩، وصحيح مسلم ١٥٩: عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: لأبي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتىٰ تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد، فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨﴾».

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٨٨، البسيط ١٨/ ٤٨٥.

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ معناه: لا الشمس تطلُع قبل أن ينفضَّ سلطان القمر، وسلطان القمر هو الليل، أي: لا ينبغي للشمس أن تجري في الليل الذي هو سلطان القمر ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ أي: لا يُدرك سوادُ الليل ضوءَ النهار، ولا يطلع في سُلطانه، ولأنَّ القمر أصله النور- ونور القمر في النهار لا يكون، ولا يُقال: يومٌ أَقْمَرْ، كما يُقال: ليلة قمراء ومقمرة، والليل إذا تراكم فيه السحاب حتىٰ غطَّىٰ القمر لا يُقال: ليلة قمراء؛ وإن كان القمر فيه طالعٌ- عُلِمَ أنَّ معنىٰ القمر هو النور، فلا تغلب الشمس نور القمر في سُلطانه وهو الليل، ولا الليل يغلب سُلطان الشمس وهو النهار[١].

وقيل: معنىٰ قوله: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ أي: لا ينبغي للشمس أن تُدرك نقصان القمر فتراه ناقصًا، وذلك أنَّ الله تعالىٰ لما قبض نور القمر سأله القمر أنْ لا ترىٰ الشمسُ نقصانَه، فقضىٰ الله تعالىٰ أن يدور مع الشمس دورانه، فكلما طالعته الشمس وقابلته أقبل القمر عليها بالجانب الذي لم ينتقص نوره، كيلا ترىٰ الشمس نقصانه.

﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ ولم يقل يَسْبَحَان، لأنه تطلُع وتغرب معهما كواكب.

والسَّبْحُ: هو الجري مع الانبساط كجري السابح في الماء[٢].

قال مقاتل: يدخلان تحت الأرض من جانب المغرب، ثم يخرجان من تحت الأرض بجانب المشرق، فيجريان في السماء ثم يغربان في الأرض، فهذا دأبهما إلىٰ القيامة[٣].

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ١٢٤.
(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٨٨.
(٣) تفسير مقاتل ٣/ ٨٧.

قيل: في الشمس والقمر آية البعث وآية الوحدانية.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾(١) مع آبائهم في السفينة، والذرية في كلام العرب تقع علىٰ الآباء والأولاد والنساء، لأنها مأخوذة من ذرأ الله الخلق(٢).

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ يعني: سُفنًا، مثل سفينة نوح، يعني به الإبل وأنَّها سفن البر.

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ في البحر ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ عند الإغراق ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا﴾ ولمتاعٍ ﴿إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾ منفعة إلىٰ انقضاء الأجل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من أمر الآخرة واستعدوا لها ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ أي: ما بقي من آجالكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ولا تُعذَّبون.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ مثل انشقاق القمر وغيره ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾ مكذِّبين بها.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ علىٰ الفقراء المحتاجين من أموالكم، قال الكافرون للمؤمنين: أليس الله أعطانا المال -بزعمكم- وحرَمَهم، فقالوا: نعم، فـ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ فكيف تأمروننا في إطعام من لم يطعمه الله، وهو أرحم الراحمين ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ فيما تأمروننا بالإنفاق علىٰ الفقراء.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ بكوْنه، وقتوه لنا.

﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ من صيحات إسرافيل لا مثنوية لها ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ تقبض أرواحهم، وهم يتبايعون في أسواقهم ويتنازعون.

---

(١) في الأصل: ذرياتهم، وهي قراءة أبي جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب (النشر ٢/ ٢٧٣).
(٢) البسيط ١٨/ ٤٨٨.

وأصل الكلمة: يختصمون، فوقعت حركة التاء على الخاء، وأُدغمت التاء في الصاد[1].

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ [تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ] ﴿٥٠﴾﴾ مَنْ كان منهم في المنزل لا يستطيع الوصية، ومَنْ كان في السُّوق لا يستطيع الرجوع إلىٰ المنزل.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ أي: من القبور إلىٰ الموقف يُسرعون، حينئذٍ ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ لأنه رُفِع عنهم العذاب بين النفختين، فلما عاينوا القيامة وأهوالها دعوا بالويل[2].

والمرقد: هو موضع النوم[3].

﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ وهذا قول المؤمنين، وقيل: هذا قول الملائكة للمكذبين.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ ليس لها ثانية ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ للحساب، لم نغادر منهم أحدًا، المعنىٰ: أنَّ إهلاكهم بصيحةٍ وإحياءهم بصيحةٍ[4].

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ من عملها ولا تُنتقص ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ [إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾]﴾ النار إلا الكفرة الذي عمله[5].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٩٠، البسيط ١٨/ ٤٩٦.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٣١، البسيط ١٨/ ٥٠٠.

(٣) قال أبي بن كعب: ناموا نومة قبل البعث (تفسير الطبري ٢٠/ ٥٣٢).

(٤) في هامش الأصل: فإن قلت: إن الكافر لا قرب له عند الله، ما معنىٰ حضور الكافر عند الله؟ قلنا: المراد في القرب قرب الحساب لا قرب الكرامة.

(٥) كذا في الأصل، وفيه خلل، صوابه: ولا يجزىٰ النار إلا الكفرة جزاء الذي عملوه.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥﴾ وقُرئ: «فَكِهون»[١]، ومعناهما الفرح وطيب النفس[٢].

قال مقاتل: اشتغلوا عن أهل النار بافتضاض الأبكار[٣]، فاكهون مُعجبون بما هم فيه.

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ﴾ وهو جمع ظلٍّ، ومَنْ قرأ: «في ظُلل»[٤]، جمع ظُلَّة في الخيام والأشجار ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦﴾ مع الحور العين[٥].

﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ من ألوان الثمار ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧﴾ يتمنَّوْن ويسألون.

﴿سَلَٰمٌ﴾ أي: لهم سلامٌ ﴿قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ عاطف عليهم، وقيل: سلامٌ بدلٌ عمَّا يدَّعون، أي: يتمنون سلام الله فوجدوا مُنيتهم.

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾ فإن أصحاب الجنة اليوم في شغلٍ فاكهون.

ثم قال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ على ألسنة الرُّسل وبعثهم إليكم ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ أي: لا تطيعوه بعبادة الأوثان ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠﴾.

﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى﴾ وألم أوصيكم بأن: وَحِّدوني ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾ هذا الذي أوصيكم به طريقٌ مستقيمٌ، وغيره من الأديان مائلٌ.

---

(١) وهي قراءة أبي جعفر (النشر ٢/ ٣٥٥).

(٢) وهما لغتان، كالفاره والفره، الكشف والبيان ٢٢/ ٢٨٩.

(٣) تفسير مقاتل ٣/ ٨٩، وروي عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب، كما في تفسير الطبري ٢٠/ ٥٣٥، والمراد التمثيل على النعيم.

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف (النشر ٢/ ٣٥٥).

(٥) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٣٨.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ﴾ عن الهدىٰ ﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ من الأمم السالفة قبلكم، يعني: قرونًا، عن الكلبي(١).

وجموعًا، عن قتادة(٢).

وقال الضحاك: الجُبُل عشرة آلاف أقله، وأكثره لا يُحصيه إلا الله(٣).

﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ۝٦٢ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ﴾ تقول لهم الخزنة: هذه جهنم ﴿الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٦٣ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٦٤﴾ جزاءً بما كنتم تكفرون نِعم الله.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ بعد ما جحدت ألسنتهم ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾ بما مسَّت ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ بما مشت إليه، وهو قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٦٥﴾.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ الطَّمْس: هو محيُ الشيء حتىٰ يذهب أثره(٤)، والاستباق: هو طلب السَّبْق إلىٰ طريق النجاة، ولا بصر لهم(٥).

﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ۝٦٦﴾ وقيل: استبقوا الصراط إلىٰ منازلهم فلا يهتدوا.

وقيل: لو نشاء لطمسنا أعين ضلالتهم حتىٰ اهتدوا، واستبقوا الصراط، يعني الإسلام، فأنَّىٰ يُبصرون: أي كيف يبصرون ولَمْ نشاء ذلك.

---

(١) الذي في تنوير المقباس عنه: خلقا.

(٢) وعن مجاهد: خلقا (تفسير الطبري ٢٠/ ٥٤٣).

(٣) تفسير السمعاني ٤/ ٣٨٥.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٩٣، الكشاف ٤/ ٢٤.

(٥) البسيط ١٨/ ٥١٢، الكشاف ٤/ ٢٥.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ أي: جعلناهم قِرَدة وخنازير في منازلهم[١].

وقيل: جعلناهم كُسْحًا يترددون، والأكسح هو المقعد[٢].

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ۝٦٧﴾ يعني: مشيًا قدامهم ولا رجوعًا خلفهم.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ [فِى ٱلْخَلْقِ]﴾ يعني: مَنْ نُطَوِّل عُمره فصار بدل قوَّته ضعفًا، وبدل شبابه هرَمًا لكيلا يعقل بعدما كان عاقلاً ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ۝٦٨﴾ هذه العبرة، فيُوَحِّدون هذا الرب الذي يُعقل هداه.

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ جواب أهل مكة حين قالوا: إنَّ محمدًا شاعرٌ كذَّابٌ ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ الشعر ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو الذي يأتيكم به ﴿إِلَّا ذِكْرٌ [وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ] ۝٦٩﴾ للعالمين يعظهم به.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي: عاقلاً عن الكلبي[٣]، ومَنْ كان مهتديًا في علم الله، عن مقاتل[٤].

﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ أي العذاب في الآخرة ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٠﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ۝٧١﴾ معناه: لم نكل خلقها إلىٰ غيرنا، فمنزلتها في الخلق كمنزلة ما عمله العباد بأيديهم.

---

(١) والمسخ تحويل الصورة (الكشف والبيان ٢٢/ ٢٩٩).

(٢) وهو معنىٰ قول الحسن (زاد المسير ٣/ ٥٣٠).

(٣) وهو قول الضحاك، كما في تفسير الطبري ٢٠/ ٥٥٠.

(٤) البسيط ١٨/ ٥٢١، زاد المسير ٣/ ٥٣١. وهو معنىٰ قول قتادة: حي القلب حي البصر (تفسير الطبري ٢٠/ ٥٥٠).

واليد معناها علىٰ أربعة أوجهٍ: الجارحة، والقوة، والنعمة، وبمعنىٰ تحقيق الإضافة، كما يُقال: لفلانٍ عندي يدٌ بيضاء، أي نعمة وكرامة.

والمعنىٰ: عملناها بقدرتنا نعمةً لهم منا[1].

﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾ يعني: الأنعام ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝٧٢﴾ يركبون البعض ويأكلون البعض.

﴿وَلَهُمْ﴾ في الأنعام ﴿فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ سوىٰ الركوب والأكل، ينتفعون بأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبُ﴾ يشربون ألبانها ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٧٣﴾ هذه النِّعم.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾ يعني كفار مكة ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۝٧٤﴾ رجاء الشفاعة في الآخرة، ولكن الأصنام ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ مَنْعهم من العذاب ﴿وَهُمْ لَهُمْ﴾ يعني: أهل مكة للأصنام ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ ۝٧٥﴾ خدمٌ يخدمونها ويتعصبون عنها.

ثم عزَّىٰ رسوله فقال: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ تكذيبهم إياك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٦﴾ من عداوتك وتكذيبك.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أولم يعلم الكافر أنا خلقناه من نطفةٍ ضعيفة في الرحم، لا مخلص لأبيه ولا لأُمِّه إلىٰ تسوية خلقه، خلقناه سويًا في ظلماتٍ ثلاث ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧﴾ جدِلٌ بالباطل، مُبينٌ ظاهر الجدل في الله عز وجل، لأجل وثنه.

---

(١) أي: مما تولينا خلقه وإبداعه بأيدينا (السمعاني ٤/ ٣٨٧) واليد غير القدرة، وتفسيرها بالقدرة تأويل لهذه الصفة.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ وذلك أنَّ أُبي بن خلف أخذ عظمًا باليًا ففتَّه بيده، وذرَّاه في الريح، وقال: عجبًا من محمد، يزعم أنَّ ربه يُحيي هذا العظم الرَّميم ويُعيد فيه الروح، فنزلت الآية: «وضرب لنا مثلاً» بالعَظْم البالي «ونسي خلقه» حين ابتُدِئ من ماءٍ مهينٍ(١).

﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨﴾ ولم يقل رميمة، لأنَّه فعيل بمعنىٰ مفعول.

﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩﴾ في الآية دليلٌ علىٰ صحة القياس، لأنَّ الله تعالىٰ أقام الحُجَّة عليهم، وأراهم قياس النشأة الثانية علىٰ النشأة الأولىٰ، وأنه تكرَّم علىٰ مَنْ أقرَّ بالأولىٰ أن يُقِرَّ بالثانية، لأنَّ الثانية ليست بأعجب من الأولىٰ، ثم زاد في البيان فقال:

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا﴾ فالشجر: معناه الجمع، لأنَّ واحده الشجرة، ولكن لفظه ليس بلفظ الجمع، فذكر بعثه علىٰ لفظه، ثم قال بعد ذلك: ﴿مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ٨٠﴾ وقال في سورة النحل: ﴿وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠﴾ ثم قال في سورة الواقعة: ﴿لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ٥٣﴾ أنث الشجر ههنا لمعنىٰ الجمع، كما قال في موضعٍ آخر ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ٧﴾ وتارة ذكره باعتبار اللفظ ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠﴾.

ومعنىٰ الآية: أنَّ أهل مكة إذا سافروا حملوا مع أنفسهم قطعتين من خشب المَرْخ والعُفَار؛ فإذا نزلوا منزلاً واحتاجوا إلىٰ النار، مسحوا إحداهما علىٰ

---

(١) وممن قال إن هذه الآية نزلت في أبي بن خلف: مجاهد وقتادة، رواه الطبري ٢٠/ ٥٥٣.
وقيل: بل: نزلت في العاص بن وائل، وهو قول سعيد بن جبير، وشذ العوفي فروىٰ عن ابن عباس أنها نزلت في عبد الله بن أبي فصارت الآية مدنية في زعمه، ولأجل ذلك لا يعتمد الناس علىٰ رواية العوفي عن ابن عباس.

الأخرىٰ، فخرجت النار منهما، قال الله تعالىٰ: لمَّا قدرتُ أنْ أجمع بين ثلاثة أضداد، الماء والنار والخشب، لأنَّ خضرة الشجر بالماء، وفيه نارٌ وهو خشب، فلا النار تحرق الخشب، ولا الماء يطفئ النار، فكيف لا أقدر علىٰ إحيائكم بعد موتكم[١].

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ﴾ خلقًا بعد خلقٍ ﴿بَلَىٰ﴾ يخلقهم للبعث بعد البلىٰ ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ يعني الباعث العالم بالخلق.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ يعني أراد كون شيءٍ من الخلق والبعث وغيره ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ كما أراد في طرف العَيْن، ولا شيء أعجل منه، ثم نزَّه نفسه فقال: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من البعث وغيره.

وقال الكلبي: خزائن كل شيءٍ.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله أنه قال: «مَنْ قرأ سورة يس يلتمس بذلك بركتها إيمانًا واحتسابًا إن كان جائعًا أشبعه الله، وإن كان ظمآنًا سقاه الله، أو عاريًا كساه الله، أو خائفًا أمَّنه الله، أو وحشيًّا آنسه الله، أو مديونًا قضىٰ الله تعالىٰ دَيْنه»[٢].

وبلغنا عن أبي بكر الصديق أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «إن سورة يس تُدعىٰ في التوراة المُعِمَّة» قيل: وما المُعِمَّة؟ قال: «يَعُمّ صاحبها بخير

(١) انظر: الكشف والبيان ٢٢/ ٣١١، البسيط ١٨/ ٥٢٨، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٥٩.
(٢) هذا جزء من حديث أبي بن كعب الطويل في فضائل سور القرآن، لكن صياغته مختلفة عما في المصادر، وأقرب الألفاظ له، لفظ المستغفري في فضائل القرآن ٨٨٠، وهو حديث موضوع.

الدنيا والآخرة، ويُكابد عليه بلوىٰ الدنيا، وتدفع عنه أهاويل الآخرة، وتُدعا المُدافِعَة القاضية، تدفع عن صاحبها كل سوءٍ، ويُقضىٰ له كل حاجة، ومَنْ قرأها عدلت له عشرون حِجَّة، ومَنْ سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله، ومَنْ كتبها ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواءٍ، وألف نور، وألف يقين، وألف بركة، وألف رحمة، ونزعت كل غلٍّ وداءٍ»[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ٢٣٦، والمستغفري في فضائل القرآن ٨٧٥، وهو حديث موضوع، فيه الجدعاني متروك الحديث.

سورة الصافات

مكيَّة[١]، وهي مائة واثنتان وثمانون آية[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١﴾ هم الملائكة تصُفُّ بأجنحتها في الهواء واقفة فيها حتىٰ يأمرها الله بما يُريد.

وقيل: صفوف الملائكة في الصلاة[٣].

﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢﴾ مَلَكٌ اسمه الرَّعد، يزجر السحاب بصوته ليسوقه إلىٰ البلدة التي أُمر أن يمطر بها، والبرق: مِخْراقٌ من نارٍ يسوق به السحاب[٤].

﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣﴾ جبريل وغيره من الملائكة يتلون كلام الله علىٰ الأنبياء.

وقيل: الصَّافات هم صَف الغُزاة يحاربون في مقابلة العدو، والزَّاجرات زجرًا: يزجرونهم عن الكفر بالمقاتلة معهم، والتاليات ذكرًا: يُكبِّرون الله في صفوف القتال[٥].

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤﴾ هذا موضع القسم لأنَّ أهلَ مكة كانوا يقولون: أجعل الآلهة إلـٰهًا واحدًا، فأقسم الله بها: إنَّ إلهكم لواحدٍ[٦].

---

(١) اتفاقا، الكشف والبيان ٢٢/ ٣١٥، البيان ٢١٢، زاد المسير ٣/ ٥٣٥.

(٢) وفي عد البصري وأبي جعفر آية (البيان ٢١٢).

(٣) لم يختلفوا أن الصافات هي الملائكة تصف لربها (تفسير الطبري ٢١/ ٧).

(٤) انظر: تفسير سورة الرعد.

(٥) وهذا بعض قول قتادة كما في تفسير الطبري ٢١/ ٩، وانظر: تفسير أبي الليث ٣/ ١٣٥.

(٦) الكشف والبيان ٢٢/ ٣١٩، البسيط ١٩/ ١٢، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٦٢.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ من الخلق والعجائب ﴿وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظًا﴾ أي: جعلنا الكواكب حفظًا، وحفظنا السماء حفظًا ﴿مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧﴾ والمارد: المتجرد عن الخير شديد الفساد، وسُمِّي الأمرد أمردا لتجرُّد وجهه عن الشَّعْر.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ من الملائكة من تدبير السماء ﴿وَيُقۡذَفُونَ﴾ بالرَّجم ﴿مِن كُلِّ جَانِبٖ ۝٨ [دُحُورٗاۖ]﴾ طردًا، ترجمهم الملائكة بالكواكب، وتُبعدهم عن استراق ما يكون من الوحي، أو ما يصيب أهل الأرض من خَصْب أو قحط، أو وباءٍ أو سلامة، ويحجبونهم عن ذلك بالكواكب الثواقب ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ۝٩﴾ أي: للشياطين الذين يستمعون ذلك، وهم الذين خرجوا من دُبُر إبليس.

عذاب واصب: دائم، وصبَ علىٰ الأمر ووظب بمعنىٰ، وقيل: واصب موجعٌ من الوصب وهو الوجع[1].

ثم قال: ﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ [فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ]۝١٠﴾ وفيه تقديمٌ، معناه: لا يسمعون إلىٰ الملأ الأعلىٰ إلا من خطف الخطفة فأتبعه، أي: علىٰ إثره.

والشهاب: كل عودٍ أُشعل فيه النار، والثاقب الوقَّاد المضيء[2].

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ أي: سلهم يا محمد ﴿أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا﴾ أي: بعثًا في الآخرة بعد الموت ﴿أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ﴾ من الملائكة والسماء والأرض، كما سألهم في سورة النازعات: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧﴾، ثم أخبر عن خلق الإنسان فقال: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ۝١١﴾ لاصق، يعني: آدم، وجعلنا منه ذرية مثلهم،

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٩٩.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ١٨.

فالثاني ليس بأعجب من الأول[١].

﴿بَلۡ عَجِبۡتَ﴾ يا محمد من نزول الوحي وتكذيب قومك إياك ﴿وَيَسۡخَرُونَ ١٢﴾ منك حين تذكِّرهم البعث.

وقُرئ: «بل عجبتُ»[٢]، والعجب من الله تعالىٰ هو إنكارٌ لفعل العباد، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ﴾، ومعنىٰ العجب من الله تعالىٰ أن يقول: عظم حلمي وإنكاري عليهم ومهلتي إياهم عند تكذيبهم إياك[٣].

وقيل: وقع تكذيبهم إياك في البعث عندي موقعًا لو وقع من مخلوقٍ لعجب.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ١٣﴾ أي: وُعظوا لا يتَّعظون ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ﴾ مثل انشقاق القمر وغره ﴿يَسۡتَسۡخِرُونَ ١٤﴾ أي: يستهزئون.

وقُرئ في الشاذ: «يستسحرون»، أي يَعُدُّونه سِحرًا[٤].

﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ﴾ ما هذا ﴿إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ١٥﴾ يعني: انشقاق القمر سِحرٌ ظاهرٌ[٥].

﴿أَءِذَا مِتۡنَا﴾ وصرنا ﴿وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا﴾ أي: صارت العظام نخرةً، واللحوم ترابًا ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ١٦﴾ يُبعث[٦] ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ١٧﴾ قالوا ذلك تعجبًا.

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٢٠، الكشف والبيان ٢٢/ ٣٢٧.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف بضم التاء (النشر ٢/ ٣٥٦).

(٣) وهو معنىٰ قول الطبري في تفسيره ٢١/ ٢٣، والزجاج في معاني القرآن ٤/ ٣٠٠، ونحوه في تفسير السمعاني ٤/ ٣٩٤.

(٤) القراءة في اللباب لابن عادل غير منسوبة ١٦/ ٢٨٦.

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ١٣٨.

(٦) في الأصل: فصل بين أو وَ آباؤنا بـ: يبعث.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ يعني: تُبعثون صاغرين ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ يعني: صيحة واحدة من إسرافيل ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾ إلىٰ ما كذَّبوا به.

﴿وَقَالُواْ﴾ حينئذٍ ﴿يَاوَيْلَنَا هَاذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾﴾ أخبرنا به محمد، فأجابهم الحفظة وقالوا: ﴿هَاذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ أي: القضاء ﴿الَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾.

يقول الله تعالىٰ للملائكة: ﴿احْشُرُواْ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يعني: المشركين من بني آدم ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ قُرناءهم الذين أضلوهم، وقيل: أتباعهم[١].

﴿وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام وغيرها ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ دُلُّوهم إلىٰ النار، وسُوقوهم إليها.

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ احبسوهم قبل السَّوْق إلىٰ النار للسؤال، والسؤال من الله تعالىٰ أخذ، والأخذ منه عذاب.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ يقول لهم مالك النار: كيف لا يمنع بعضكم بعضًا من عذاب الله ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ منقادون لأمر الله، العابد والمعبود.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أقبل الآدميون علىٰ الشياطين يخاصمونهم وَ ﴿قَالُواْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ أي: من قبل الحق والدِّين، حتىٰ شبهتموه علينا، وزيَّنتم ضلالتنا.

فقال الشيطان عند ذلك[٢]: ليس كما قلتم ﴿بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾﴾ بما جاءت به الرسل ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ أي: مُلكٍ ولا حُجة تكرهكم علىٰ متابعتنا ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾﴾ تاركين للحق ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾ أي: وجب علينا وعليكم معشر الأشقياء عذاب ربنا ﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾﴾ جميعًا العذاب

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٢٧.

(٢) وقيل القادة للسفلة (تفسير أبي الليث ٣/ ١٣٩).

﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ أي: دعوناكم إلىٰ الغواية فأجبتم ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ قبلكم ﴿غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الكفار والشياطين والتابع والمتبوع ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾ في العذاب ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ في الدنيا ﴿يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ عن التوحيد ﴿وَيَقُولُونَ﴾ فيما بينهم ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا﴾ أي: عبادتها ﴿لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ يعنون رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.

ثم ابتدأ فقال: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ فيما جاء به وهو الإسلام ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ بما تكبَّرتم عن التوحيد.

والعذاب الأليم: يحتمل القتل ببدر ويحتمل نار الجحيم.

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾ في الدنيا، ثم استثنىٰ المؤمنين فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ الذين استخلصهم الله لنفسه اصطفاءً بالتوحيد ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾﴾ يؤتون به في الغداة والعشي، قَدْرَ ما يحبون أن يُؤتىٰ به.

ثم فسَّر الرزق فقال: ﴿فَوَٰكِهُ﴾ جمع فاكهة ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ بالثواب ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾﴾ التي يتنعمون فيها ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾ عند الزيارة ينظر بعضهم إلىٰ بعضٍ، ويُحدِّث بعضهم بعضًا، يسمعون الأحاديث من بعيدٍ كما يسمعون من قريبٍ.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾﴾ أي: بخمر بيضاء تجري كما يجري الماء علىٰ وجه الأرض.

قال ابن عباس: كل كأس في القرآن فهو خمرٌ[1]، وسُمِّي مَعينًا لأنها تراها

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ٢١/ ٣٦ عن الضحاك والسدي وقتادة.

العين وهي تجري ولا تنقطع.

﴿بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ٤٦﴾ أي: ذات لذَّة ليست بمنتنة ولا مُرَّة كخمر الدنيا ﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ﴾ من غوائل خمر الدنيا أي: لا يغتال عقولهم ﴿وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ٤٧﴾ يُسكرون.

والنَّزيف: السَّكران[1]، وقُرئ: «ينزِفون»، بكسر الزاي[2]، أي: لا ينفد شرابهم[3].

﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ حابسات النظر عن غير أزواجهنَّ، قصرت أطرافهن عن غير أزواجهن ﴿عِينٞ ٤٨﴾ أي: حسان الأعين عظامها ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ٤٩﴾ شبَّه بياضها ببياض البَيْض لاختلاط الصُّفرة مع البياض، وقيل: شبَّه رِقَّة بشرتهن بالقشر الذي في داخل البَيْض قبل أن تمسه الأيدي[4].

﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٥٠﴾ يعني: أهل الجنة يتحدَّثون بأحوال الدنيا ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ٥١﴾ في دار الدنيا أي: أخٌ.

قيل: هو أبو سلمة بن عبد الأسد، وأخوه أسود كان منكرًا للبعث[5].

﴿يَقُولُ﴾ لي ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ٥٢﴾ بالتخفيف من التصديق[6]، وقُرئ:

---

(١) لأنها تنزف عقوله (تفسير الطبري ٢١/ ٣٩).

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف (النشر ٢/ ٣٥٧).

(٣) الكشف والبيان ٢٢/ ٣٤٥.

(٤) البسيط ١٩/ ٥٠.

(٥) وهذا القول غريب، وقيل: هما اللذان قص الله قصتهما في سورة الكهف (تفسير أبي الليث ٣/ ١٤١، الكشف والبيان ٢٢/ ٣٤٧، تفسير السمعاني ٤/ ٣٩٩). وقيل: كانا شريكين (تفسير الطبري ٢١/ ٤٥).

(٦) وهي القراءة المتواترة، وأما المصَّدِّقين فمن التصدق بالأموال (الكشاف ٤/ ٤٤).

بالتشديد، يعني المتصدِّقين بالمال، وهذه القصة مثل القصة المذكورة في سورة الكهف.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ مُحاسبون.

﴿قَالَ﴾ يعني: قال الأخ المؤمن في الجنة لأهل الجنة، يقول ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾﴾ إلىٰ أهل النار كيف منزلة أخي فيها؟ فينظرون كلهم ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ الأخ المؤمن في الجنة علىٰ أخيه في النار ﴿فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ في وسط النار أسود الوجه أزرق العينين، مقرون بشيطان في سلسلةٍ.

فـ ﴿قَالَ﴾ المؤمن: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾﴾ والله أردت أن تغويني، وما أردت إلا أنْ تهلكني ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ معك في النار.

ثم أقبل المؤمن علىٰ أصحابه وقال: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: سوىٰ الموت الذي ذُقناه في الدنيا، قيل له: لا تموت أبدًا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾﴾ بعد دخول الجنة، فقال حينئذٍ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ النجاة الوافرة، فزنا بالجنة ونجونا من النار.

قال الله تعالىٰ: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾ الذي نِلتُمْ ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ أي: فليجتهد المجتهدون.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾ لأهل النار ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ لمشركي مكَّة، أبي جهل والملأ من قريش ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ أي: تنبت فيها ثم ترتفع حتىٰ تتفرَّق أغصانها في كلِّ دركةٍ من دركات النار ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ لأنَّ الشيءَ إذا استُقبح يُشبَّه له بالشيطان، وإن لم يروا له، وقيل: رؤوس الشياطين يعني رؤوس الحيَّات.

وقيل: كرؤوس الشياطين في القُبح، محشوٌ بالحيَّات فإذا عَضَّ علىٰ ثمرها

تفتّق عن رؤوس الحيّات؛ فتفلقت شفتاه ولسانه وحلقه[١].

﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾ على الجوع ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۝٦٧﴾ أي: خَلطًا ومَزاجًا من ماءٍ حارٍ.

والحميم: بمعنى المحموم، فعيلٌ بمعنى مفعول[٢].

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ بعد الأكل والشُرب ﴿لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ۝٦٨﴾والجحيم، الجمر المتوقّد بعد سكون اللّهب والدُّخان.

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ۝٦٩﴾ بمعنى التقريع ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ۝٧٠﴾ يسرعون.

---

(١) شبه طلع هذه الشجرة برؤوس الشياطين، في قبحه وسماجته، قال الطبري: فإن قال قائل: وما وجه تشبيهه طلع هذه الشجرة برؤوس الشياطين في القبح، ولا علم عندنا بمبلغ قبح رؤوس الشياطين، وإنما يمثَّل الشيء بالشيء تعريفا من المُمَثِّل له قُرب اشتباه الممثَّل أحدهما بصاحبه مع معرفة المُمَثَّل له الشيئين كليهما، أو أحدهما، ومعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين، لم يكونوا عارفين شَجَرة الزقوم، ولا برؤوس الشياطين، ولا كانوا رأوهما، ولا واحدا منهما؟.

قيل له: أما شجرة الزقوم فقد وصفها الله تعالىٰ ذكره لهم وبينها حتىٰ عرفوها ما هي وما صفتها...، وأما في تمثيله طلعها برؤوس الشياطين، فأقول لكل منها وجه مفهوم:

أحدها: أن يكون مثَّل ذلك برؤوس الشياطين علىٰ نحو ما قد جرىٰ به استعمال المخاطبين بالآية بينهم، وذلك أن استعمال الناس قد جرىٰ بينهم في مبالغتهم إذا أراد أحدهم المبالغة في تقبيح الشيء، قال: كأنه شيطان، فذلك أحد الأقوال.

والثاني: أن يكون مثل برأس حية معروفة عند العرب تسمىٰ شيطانا، وهي حية لها عرف فيما ذكر قبيح الوجه والمنظر..

والثالث: أن يكون مثل نبت معروف برؤوس الشياطين ذُكِر أنه قبيح الرأس.. (تفسير الطبري ٢١/ ٥٤).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٠٧.

﴿وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ﴾ قبل كفار مكة ﴿أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٧١﴾ من الأمم ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ٧٢﴾ من الأنبياء ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣﴾ أي: جزاء من أنذرهم الرسل، ثم استثنىٰ فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٧٤﴾ المعصومين من الكفر والشرك لم يهلكوا بالعذاب.

والمخلِصين: بكسر اللام الموحِّدين(١).

﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥﴾ ودعا علىٰ قومه فأجبناه ولنعم المجيبون ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ﴾ أي: بَنِيه الثلاثة، والنجَّارين الثمانية، ومَن آمن به، فكلهم ثمانون نفسًا ﴿مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦﴾ وهو الغرق ﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ﴾ من البنين الثلاثة ﴿هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ٧٧﴾ وهم: سامٌ وحامٌ ويافثُ ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨﴾ أبقينا علىٰ نوح الثناء الحسن فيمن بعده إلىٰ يوم القيامة، فلا يذكر نوح(٢) إلا بخيرٍ.

ثم قال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩﴾ أي: سلامٌ عليه أن يُذكر بشَرٍّ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٠﴾ المخلِصين ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨١﴾ المصدِّقين في الإيمان ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٨٢﴾ الذين لم يركبوا السفينة.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣﴾ أي: من أهل مِلَّة نوح: إبراهيم الخليل ﴿إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤﴾ مخلص بالتوحيد ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ٨٥﴾ أي: ما هذا الذي تعبدون؟ ولأية علىٰ تعبدون الأصنام؟ ﴿أَئِفۡكًا ءَالِهَةً﴾ أي: آلهةً كذبًا ﴿دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦﴾ عبادتها.

﴿فَمَا ظَنُّكُم﴾ يا قوم ﴿بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧﴾ إذا لقيتموه، أيرضىٰ به أم يسخط به

---

(١) بالكسر قرأ: ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب (النشر ٢/ ٢٩٥).

(٢) في الأصل: فلا يذكر نوحا، فلعلها: فلا نذكر نوحا.

عليكم[١].

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ [فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ]۝٨٩﴾ لأن قومه كانوا أصحاب تنجيم، فطلع نجمٌ، فنظر إليه فقال: إني مطعون، وكانوا يهربون من الطاعون ويسمُّون المطعون سقيمًا، فتركوه في بيت آلهتهم خوفًا عن إعداء الطاعون[٢].

ولا يضاف الكذب إلىٰ إبراهيم، لأنَّ معنىٰ قوله: سقيم، يعني: سأسقم، لأنَّ مَنْ كان قصاراه الموت فلابد له من السَّقم[٣].

﴿فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝٩٠﴾ هاربين من الطاعون ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ أي: مال إلىٰ أصنامهم ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٩١﴾ الطعام، استهزاءً بهم، لأنهم كانوا يضعون الطعام كثيرًا بين يديها، يُرمىٰ عندهم[٤]، فإذا لم يرجع إليه الجواب قال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ۝٩٣﴾ قال مقاتل: بالفأس بيده اليمنىٰ ضربها حتىٰ كسَّرها.

وقيل: اليمين القوة، وقيل: معنىٰ قوله: باليمين، يعني بالحَلِفِ الذي حَلَفَ: «وتالله لأكيدن أصنامكم»[٥].

﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ۝٩٤﴾ يُسرعون مشيًا ليأخذوه، وزفيف النعام: عَدْوُهُ[٦].

---

(١) وهذا توبيخ (البسيط ١٩/ ٦٩).
(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٦٣، تفسير أبي الليث ٣/ ١٤٥، البسيط ١٩/ ٧١.
(٣) فهذا من معاريض الكلام علىٰ هذا القول، تفسير الطبري ٢١/ ٦٥، الكشف والبيان ٢٢/ ٣٦١. وقد رده الطبري وتابعه الثعلبي.
(٤) في الأصل: يرم.
(٥) وهذان قولان شاذان، نسبا لبعض أهل اللغة ، انظر: تفسير الطبري ٢١/ ٦٧، الكشف والبيان ٢٢/ ٣٦٤.
(٦) تفسير الطبري ٢١/ ٦٧.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ۝٩٥﴾ بأيديكم ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ لأنَّ الله تعالىٰ أنبت الشجر الذي يُنحت منه الأصنام، وكذلك الحَجر وغيره[1].

﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنًا﴾ قال نمرود لقومه: اجعلوا له بيتًا من الحطب، وأوقدوا فيه النار، وألقوه فيها نُصرةً لآلهتكم، قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدًا﴾ شرًا، وهو أن يحرقوه ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ۝٩٨﴾ الأخسرين.

﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم بعد ما خرج من النار صحيح الجسم من غير ألمٍ، وبعد سبعة أيام للوطٍ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ أي: مهاجر لرضا ربي إلىٰ الأرض المُقدَّسة، والذهاب إلىٰ الله: الانقطاع من غير الله، والاتكال علىٰ الله، والاعتماد علىٰ فضل الله.

﴿سَيَهۡدِينِ ۝٩٩﴾ لدينه، ويُنجيني من عدوه.

﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠﴾ سأل ربه الولد بعدما هاجر، يعني: أكرمْني بولدٍ من جُملة الصالحين ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ۝١٠١﴾ في كِبره، عليم في صغره، وهو إسحاق، عن الكلبي وقتادة[2].

وإسماعيل، عن الكلبي ومجاهد[3].

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾ وهو العمل، وكان يُعين إياه في بناء البيت، وقيل: عمل العبادة، فحجَّا وفرغا عنه ورجعا إلىٰ منىٰ، أغفىٰ إبراهيم عليه السلام فرأىٰ في منامه أن يذبح ولدَهُ فانتبه فزعًا، وَ ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾

---

(١) فعلىٰ هذا: ما هنا موصولة، بمعنىٰ الذي، أي: الله خلقكم وخلق الذي تعملون من الأصنام.

(٢) وعكرمة (تفسير الطبري ٢١/ ٧٢، الكشف والبيان ٢١/ ٧٣).

(٣) الكشف والبيان ٢١/ ٧٣. والمسألة مشهورة.

أي: كأني أؤمر بذبحك ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ من الرأي، وتُرِي: بالضم أي تُشير[١].

﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ﴾ رؤيا الأنبياء صدقٌ، قد أُمرت بذبحي ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ علىٰ الذبح.

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ أي: أسلم الولدُ نفسَه، وأسلم الوالدُ ولدَه، واستسلما لأمر الله، وأخرج إبراهيم عن قلبه محبة ولده، وأخرج الولد عن قلبه محبة الحياة ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾ أي: صرعه علىٰ أحد جنبيه، كما يُفعل بالشاة عند الذبح، والتلُّ هو: الصرع[٢].

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥﴾ أي: وفَّيْت بما أُمِرْت.

قال الفرَّاء: الواو في قوله «وناديناه» زائدة[٣].

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦﴾ الاختبار البيِّن ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾ بكبش عظيم.

قيل: قُرِّب من جُرْم القتل وهو الكبش الذي قرَّبه هابيل، رتع في رياض الجنة من زمن آدم إلىٰ زمن إبراهيم[٤].

﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ﴾ أي: علىٰ إبراهيم الثناء الحسن ﴿فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨﴾ إلىٰ يوم القيامة ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩﴾ آمنه الله أن يذكره أحدٌ إلا بخيرٍ ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف: تُرِي، بضم التاء وراء مكسورة وياء بعدها (النشر ٢/ ٣٥٧).

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٧٦، البسيط ١٩/ ٩٠.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٠، وقال هو والطبري: أدخلت الواو في ذلك كما أدخلت في قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [سورة الزمر:٧٣] وقد تفعل العرب ذلك فتدخل الواو في جواب فلما، وحتىٰ وإذا تلقيها (تفسير الطبري ٢١/ ٧٨).

(٤) الكشف والبيان ٢٢/ ٣٩٦، البسيط ١٩/ ٩٣.

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ ١١٠﴾ بالقول والفعل، يعني الثناء الحسن، ثم شهد الله له بالإيمان فقال: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ١١١﴾ المُصدِّقين ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢﴾ ابن عباس: كلتا البشارتين بإسحاق، أحداهما بولادته، والثانية بنبوته[1].

﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ أي: مسلم ﴿وَظَالِمٌ [لِّنَفْسِهِۦ]﴾ كافرٌ بربه ﴿مُبِينٌ ١١٣﴾ بيِّن كفره.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١١٤﴾ بالرسالة والنبوة ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ١١٥﴾ الهَوْل الشديد وهو الغرق.

﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ علىٰ عدوهم ﴿فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ١١٦﴾ بإغراق العدو والنجاة بأنفسهم ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ١١٧﴾ البيِّن، استبان الشيء إذا بان وتبيَّن[2].

﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ١١٨﴾ الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وهو دين الله.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ١١٩﴾ الثناء الحسن.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ١٢١ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٢٢﴾.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٢٣ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤﴾ ألا تُوحِّدون ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ وهو اسم صنم، تدعونه ربًّا[3] ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ١٢٥﴾

---

(١) في تفسير الطبري ٢١/ ٩٢ من طريق عكرمة عنه: بشره به نبيا حين فداه بالذبح، ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٩٤.

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٩٦.

تتركون عبادة الله، أحكم المصورين.

قيل: إنَّ إلياس هو إدريس النبي عليه السلام(١).

وفي قراءة ابن مسعود: «وإن إدريس لمن المرسلين سلام علىٰ إدراسين»(٢).

قيل: إلياس هو الخضر، وقيل: إلياس صاحب البراري، والخضر صاحب الجزائر، يجتمعان في كل عامٍ بعرفاتٍ(٣).

وإلياس من سبط يُوشَع بن نون، بعثه الله إلىٰ بعلبك فكذَّبوه، فأهلكهم الله بالقحط، وقال الله تعالىٰ: سلني أعطيك، فسأل الله، فجعله أرضيًا سمائيًا، إنسيًا ملكيًا، يطير مع الملائكة(٤).

﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٢٦ فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما دعاهم إليه ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝١٢٧﴾ العذاب ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝١٢٨﴾ فإنهم غير محضرين ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٢٩ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ۝١٣٠﴾ وقُرِئ: «إل ياسين».

فمَنْ قرأ: آل ياسين يعني به آل محمد عليه الصلاة والسلام، ومَنْ قرأ: إلياسين فجمعه مع قومه(٥).

---

(١) وهذا قول قتادة وعكرمة، والقول الثاني أنه من ذرية هارون أخي موسىٰ (تفسير الطبري ٢١/ ٩٥، والكشف والبيان ٢٢/ ٤٠٠).

(٢) ذكرها الطبري في التفسير ٢١/ ١٠٣، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ٤٠١.

(٣) وهذا قو ل لا دليل عليه صحيح، وقد ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ٤١٧.

(٤) وهذا من الإسرائيليات، وقد طول الثعلبي في الكشف والبيان في ذكر قصته ٢٢/ ٤٠١.

(٥) قرأ نافع وابن عامر ويعقوب: آل ياسين، علىٰ كلمتين، وقرأ الباقون: إلْياسين علىٰ كلمة واحدة (النشر ٢/ ٣٦٠).

وقيل: ليس بجمع، ولكن زيادة علىٰ الاسم، وقد يُزاد في أسماء الأعجمية، كما يُقال: ميكائل وميكائيل وميكايين.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣١ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٣٢﴾.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٣٣ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ١٣٤﴾ يعني بنتيه، ومَنْ آمن معه ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ١٣٥﴾ الباقين مع الهالكين ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ١٣٦﴾ أهلكنا الباقين ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ١٣٧﴾ أي: وقت الصباح ﴿وَبِٱلَّيْلِ﴾ في أسفاركم إلىٰ الشام، فترون الماء الأسود وهو ماء العذاب ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٣٨﴾ فتعتبرون.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٣٩﴾ يدعو قومه أهل نينوىٰ إلىٰ الإسلام، فكذَّبوه فأعرض عنهم من خوف العذاب ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ١٤٠﴾ المملوء من الناس والدواب ﴿فَسَاهَمَ﴾ أي: قارع أهل السفينة ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ١٤١﴾ المغلوبين، حيث وقعت القُرعة عليه، إذ قرعوا مَنِ المُذنب منهم فيُلقوه في الماء، وقد مرَّت القصة علىٰ حسب ما يحتمله الكتاب، فسجنه الله في بطن الحوت ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ١٤٢﴾ أي: أتىٰ ما يُلام عليه، واستحقَّ اللَّوم، يُقال: أَلام الرجل إذا فعل ما يُلام عليه(١).

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ١٤٣﴾ أي: المُصلِّين قبل التقام الحوت.

وقيل: تسبيحه أنه نادىٰ في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٤٤﴾ والله تعالىٰ قادرٌ علىٰ إبقاء يونس والحوت حَيَّيْنِ إلىٰ يوم القيامة، ولكن أخرجه من بطنه بعد ما لم يبق له لحمٌ

---

(١) البسيط ١٩/١٠٦.

ولا شعرٌ ولا ظفرٌ، فكان كالفرخ المنتوف.

﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝١٤٥﴾ بالعراء الصحراء الخالي، وهو سقيم مِن حرارة بطن الحوت، وكان بجانب الموصل(١).

﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۝١٤٦﴾ يفعيل من قَطَنَ بالمكان إذا أقام به، يعني يقطن على الأرض فلا يقوم ساقه حتى يتباعد عن الأرض(٢).

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝١٤٧﴾ عشرون ألفًا(٣).

﴿فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۝١٤٨﴾ انقضاء آجالهم.

ثم قال: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ﴾ يعني: أهل مكة الذين يزعمون أن الملائكة بنات الله ﴿وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ۝١٤٩﴾ وهذه مسألة التوبيخ.

﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ۝١٥٠﴾ حاضرون حين خُلقوا.

﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١٥٢﴾ في قولهم.

﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ۝١٥٣﴾ استفهامٌ سقط ألف الوصل منه، والأصل فيه: أأصطفى(٤).

﴿مَا لَكُمْ﴾ استفهام آخر ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝١٥٤﴾ استفهام آخر معناه: ما شأنكم؟ كيف تحكمون بالجَوْر؟.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ١٥٢.

(٢) صدر عن معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣١٤، وهو القرع في قول الجمهور، وقال سعيد بن جبير: شجرة سماها الله يقطينا أظلته، وليس بالقرع (تفسير الطبري ٢١/ ١١٥) وهذا غريب.

(٣) أي أن: أو بمعنى بل، أو: الواو، وهو مروي عن ابن عباس، وفي مقدار الزيادة أقوال غير التي ذكرها المصنف (تفسير الطبري ٢١/ ١١٥).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣١٤.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٥٥ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ۝١٥٦﴾ حُجةٌ بيِّن من كتاب الله ﴿فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ الذي فيه عُذْركم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٥٧﴾.

﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ نزلت في بني سلمة وخزاعة وجُهينة، زعموا أنَّ بين الله وبين الملائكة نسبًا وأنهم بناته[١].

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝١٥٨﴾ أي: مَنْ عبدهم لمحضرون للحساب، وقيل: ميتون، عن الكلبي.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٥٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝١٦٠﴾ لا يحضرون النار لأنه أخلصهم لرحمته[٢].

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝١٦١﴾ يا أهل مكة ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢﴾ أي: لستم أنتم علىٰ ما عبدتم أحدًا بمُضلِّين[٣] ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦٣﴾ في قضائي وقدري فإني أضللته.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۝١٦٤﴾ قال ذلك جبريل لنبينا صلىٰ الله عليه وسلم، أي: ليس أحدٌ منَّا من الملائكة إلا له مقامٌ معروف في السماوات، نعبد الله فيه، ترعد فرائضنا، وتضطرب أجنحتنا، وتجري دموعنا فَرَقًا من ربنا[٤].

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥﴾ في الصلوات في السماوات، منَّا الرَّاكد علىٰ قدميه، ومنا الراكع، ومنا الساجد، لا يعرف واحدٌ منا الذي عن يمينه، ولا الذي عن يساره من الخوف، فما أجرأ بنوا آدم حيث زعموا أنَّا بناته.

---

(١) وقال مجاهد: قال كفار قريش: الملائكة بنات الله، فسأل أبو بكر: مَنْ أمهاتهنَّ؟ فقالوا: بنات سَرَوات الجنّ، يحسبون أنهم خلقوا مما خلق منه إبليس (تفسير الطبري ٢١/ ١٢١).

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ١٢٢.

(٣) البسيط ١٩/ ١٢٣.

(٤) تفسير الطبري ٢١/ ١٢٦، الكشف والبيان ٢٢/ ٤٣٨، البسيط ١٩/ ١٢٤.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ١٦٦﴾ المُنزِّهون لربنا عن تقوُّل بني آدم.

قال الصادق رضي الله عنه: «الخلق من الله تعالىٰ علىٰ مقاماتٍ شتَّىٰ، من تجاوز حدَّه يهلك، للأنبياء مقام مشاهدة، وللرسل مقام العيان، وللملائكة مقام الهيبة، وللمؤمنين مقام الدُّنُوِّ والخِدْمة، وللعُصاة مقام التوبة، وللكفار مقام الطَّرْد والغفلة، وهو معنىٰ قوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ١٦٤﴾».

﴿وَإِن كَانُوا۟﴾ أهل مكة ﴿لَيَقُولُونَ ١٦٧﴾ أي: قد كانوا يقولون قبل مجيء محمد عليه الصلاة والسلام ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ١٦٨﴾ أي: كتابًا من كتب الأولين ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ١٦٩﴾ وقيل: لو كان لنا نبيٌ كما كان لليهود والنصارىٰ لآمنا به(١).

﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ يعني إذ جاءهم محمد كفروا به ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ١٧٠﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ١٧١﴾ أي: مضت عِدَتُنا بنصرهم ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ﴾ تأكيد بعد تأكيد ﴿ٱلْمَنصُورُونَ ١٧٢﴾ المظفَّرون علىٰ الأعداء ﴿وَإِنَّ جُندَنَا﴾ الرسل والمؤمنون ﴿لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ لام تأكيد، والكلمة التي سبقت قوله: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ١٧٤﴾ ينقضي أجلهم، منسوخ بآية السَّيْف، وقيل إلىٰ فتح مكة(٢).

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ أعلمهم بنزول العذاب إنْ لم يؤمنوا ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ١٧٥﴾ يعلمون إذا نزل العذاب.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ١٥٥.

(٢) وهو قول الكلبي، كما في تفسير أبي الليث ٣/ ١٥٦، والنسخ قول مقاتل كما في الكشف والبيان ٥/ ٤٣٩، وهي جادة مطروقة لكل ما فيه أمر بالإعراض عن الكافرين في السور المكية خاصة، والناسخ آية السيف.

وقيل: معناه انظر إليهم إذا عُذِّبوا فسوف يبصرون ما أنكروا.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ أي: بفنائهم وقريبًا منهم.

﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ بئس الصباح الذي أنذرهم الرسل فلم يؤمنوا.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ إذا نزل العذاب، وقيل: انتظر هلاكهم فإنهم ينتظرون هلاكك.

ثم نزَّه نفسه فقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ عن الولد والشريك.

ثم أثنىٰ علىٰ رسله فقال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ بما بلغوا من الرسالة ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ علىٰ اختصاصه الرسل بالرسالة والنجاة من الأعداء بعد هلاك الأعداء وقبل ذلك.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ خالق الخلق أجمعين.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة الصافات أُعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد كل جِنِّي وشيطانٍ، وتباعدت منه مردة الشياطين، وشهد له حافظاه يوم القيامة أنَّه كان مؤمنًا بالمرسلين»[1].

❁ ❁ ❁

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ٣١٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٠٤.

سورة ص

مكيَّة[١]، وهي ثمان وثمانون آية في الكوفي، وثمانون وست آيات في المدني، وخمس آيات في البصري[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿صٓ﴾ ابن عباس: هو اسمٌ من أسماء الله تعالىٰ، وهو الصادق فيما وعد وأوعد.

وقيل: معناه صدق الله[٣].

وعن علي: قال هو اسم بحرٍ في السماء[٤].

وقيل: هو من صفة الله الصمد، تقديره: لبسم الله الرحمن الرحيم الصمد[٥].

﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ وهو قسمٌ.

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٢/ ٤٥١، زاد المسير ٣/ ٥٥٧، وتسمىٰ سورة داود.

(٢) والمكي والشامي كالمدني، البيان في عد آي القرآن ٢١٤.

(٣) وهو قول الضحاك كما في تفسير الطبري ٢١/ ١٣٨، الكشف والبيان ٢٢/ ٤٥٢.

(٤) وعن سعيد بن جبير مثله، وتتمته: بحر يحيي الله به الموتىٰ بين النفختين (الكشف والبيان ٢٢/ ٤٥٢).

(٥) وهذا كالقول الأول الذي صدر به، من حيث إنه يدل علىٰ اسم أو صفة، وممن قال به القرظي (الكشف والبيان ٢٢/ ٤٥٣). وبقي قول الحسن لم يذكره المصنف، وقد استفتح به الطبري في تفسيره ٢١/ ١٣٧، وهو: من المصاداة، من صاديت فلانا، أي صاد القرآن بعملك أي عارضه، ولفظه عن الحسن: حادِث القرآن، عارضه بعملك.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢﴾ هذا موضع القسم لأنَّ فيه نفيا وإثباتا، معناه: ص والقرآن ما الأمر كما يقولون، بل الذين كفروا في عزَّةٍ، أي: تكبُّر وحَمِيَّةٍ، وشقاق: أي خلافٍ وعداوةٍ للنبي صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا [مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ]﴾ بالعذاب من قبل أهل مكة وقريش من القرون الخالية ﴿فَنَادَواْ﴾ حين رأوا العذاب ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ۝٣﴾ ليس وقت منجا.

والنَّوص: الفِرار بلغة اليمن[١].

ولات: في الأصل لاة، وهي هاء التأنيث أو الوقف، فعند التحرُّك تصير تاء، مثل: ثُمَّة معه هاء التأنيث[٢]، والوقف تصير تاءً، إذا قلتَ: رأيتُ زيدًا ثمت عمرو، كذلك كلَّمه ربَّة، معها هاء التأنيث، والوقف فتصير تاء إذا وصلت بكلامٍ آخر[٣].

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ﴾ محمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ من أهل مكة ﴿هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾ أي: وصف آلهتنا بالبطلان وقال: الإله واحدٌ، وهو إله السماء ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾ أي: عجيبٌ، وهي لغة أزْد، كقولهم: طويل وطوال[٤].

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ﴾ انصرف الأشراف من أهل مكة من عند محمد صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ عبادة أصنامهم، وقالوا لأتباعهم: ﴿أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦﴾ أي: يريدون أن يَسْتَعْلُوا علينا بهذا الكلام.

---

(١) وفي لغة غيرهم كذلك، تفسير الطبري ٢١/ ١٤٢.

(٢) وفي ذلك خلاف بين النحويين، بينه في البسيط ١٩/ ١٤٥.

(٣) ملخص من معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٢٠. وانظر: تفسير الطبري ٢١/ ١٤٦.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٢١.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ﴾ مِلة أهل الكتابين[١]، وقيل: مِلة قريش، وقيل: مِلة النصرانية لأنها آخر مِلة بعد المِلل[٢].

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾ تقوُّل تقوَّلهُ محمد ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ ونحن أكبر سِنًا منه، وأعظم شرفًا[٣]، والذِّكر: أراد به النبوة.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ يعني القرآن ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۝٨﴾ أي: لم يذوقوا عذابي بعد، فإذا ذاقوا علموا ما هم فيه.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ أي: مفاتيح رزق ربك، وقيل: خزائن النبوة، نظيره: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يعني: النبوة، أي: ليس ذلك عندهم حتىٰ يضعوها حيث شاؤوا ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩﴾ المنيع في مُلْكِهِ، وهَّاب النبوة لمحمد صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من السحاب والرياح والكواكب ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠﴾ أي: طُرق السماوات وأبوابها؛ إنْ كانوا يدَّعون مُلك السماء فليصعدوا عليها إن قَدِرُوا، فإذا لم يقدروا فليقبلوا حكم الله ووحيه.

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ﴾ أي: هم جند هنالك ببدر ﴿مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ۝١١﴾ أي: من الكفار المهزومين، و«ما» زائدة وصلَة[٤].

وقال الضحاك: أخبر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بهزيمة كفار مكة ببدر

---

(١) الأقوال في تفسير الطبري ٢١/ ١٥٢.

(٢) في الأصل: لأنه آخر الملة.

(٣) في الأصل: شرعا، وهو تصحيف.

(٤) التعبير بالزائدة واللغو من مصطلحات الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٣٢٣، وأما الطبري فيقول: صلة (تفسير الطبري ٢١/ ١٥٧).

قبل أن يكون[١].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ نوحًا ﴿وَعَادٌ﴾ هودًا ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾﴾ وقوله: ذو الأوتاد: ابن عباس: كانت له ملاعب وأرسان يُلعب له عليها مع الأوتاد[٢].

وقيل: أوتاد يُعذِّب المسلمين بأربعة أوتاد[٣].

وقيل: ذو الأوتاد ذو البُنيان.

﴿وَثَمُودُ﴾ قوم صالح صالحًا ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ لوطًا ﴿وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ﴾ قوم شُعيب شعيبًا ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾﴾ الذين تحزَّبوا علىٰ أنبيائهم، فهُزِمُوا بعد تكذيبهم.

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ أي: وجب عذابي ونكالي.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ﴾ يعني: أهل مكة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ من صيحات إسرافيل، وهي النفخة الأولىٰ، عن مقاتل للهلاك، والثانية عن الكلبي للبعث[٤].

﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾ أي: ليس لها مرجعٌ وتزداد، والضم والنصب: في الفواق لغتان[٥]، وقيل: بالضم الانتظار، وبالفتح الراحة.

وأصله: فواق الناقة، وهو رجوع اللبن إلىٰ منافذ الضرع بين الحَلْبَتين[٦].

---

(١) وهو قول قتادة وغيره (تفسير الطبري ٢١/ ١٥٨، الكشف والبيان ٢٢/ ٤٦٥).

(٢) رواه الطبري في التفسير ٢١/ ١٥٨.

(٣) الكشف والبيان ٢٢/ ٤٦٦، تفسير الطبري ٢١/ ١٥٩.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ١٦٠.

(٥) قرأ حمزة والمسائي وخلف: فُواق، بالضم (النشر ٢/ ٣٦١).

(٦) تفسير الطبري ٢١/ ١٦٢، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٢٣.

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي: كتابنا، لأنَّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «يُعطىٰ الكفار كتابهم بشمائلهم» فقالوا علىٰ وجه الاستهزاء: عجِّل لنا قطَّنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝١٦﴾ وقيل: القِطُّ هو النصيب، يعني نصيبًا من العذاب[١].

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي تكذيبهم إياك ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ يعني: القوة في العبادة ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٧﴾ راجعٌ إلىٰ طاعة الله.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ﴾ أي: أمرنا الجبال بأن تَذلَّ له وتُسبِّح معه ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ﴾ إذا زالت الشمس ﴿وَٱلْإِشْرَاقِ ۝١٨﴾ إذا أشرقت الشمس، وكان من مطلعها قدر رمح إلىٰ انتصاف النهار، عن الضحاك[٢].

﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ نصب معطوف علىٰ الجبال، محشورة أي: مجموعة ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٩﴾ أي: لله رجَّاع بالتسبيح[٣].

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ قيل: كان يَحْرُس محراب داود كل ليلة ثلاث وثلاثون ألفًا[٤].

وعن ابن عباس: أنَّ رجلاً من بني إسرائيل استعدىٰ علىٰ خصم له من العظماء، فاجتمعا، فادَّعىٰ المستعدي أنَّ هذا قد اغتصبه بقرًا، وأنكر خصمُه، ولم يكن للمُدَّعي بيِّنة، فقال داود: حتىٰ أتفكَّر في أمركما، فأراه الله في المنام أن

---

(١) ذكره أبو الليث في تفسيره ٣/ ١٦٠، وهو قول الكلبي وأبو العالية كما في الكشف والبيان ٢٢/ ٤٧٢.

وقيل: إن قائل ذلك هو أبو جهل (تفسير الطبري ٢١/ ١٦٥).

(٢) وهو وقت الضحىٰ، كما في تفسير الطبري ٢١/ ١٦٨.

(٣) وقيل: مطيع (الكشف والبيان ٢٢/ ٤٧٩).

(٤) هذه رواية الكلبي عن ابن عباس، انظر: الكشف والبيان ٢٢/ ٤٨٠، وفي تفسير الطبري ٢١/ ١٧٠: عن السدي: يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف أربعة آلاف.

يَقتُلَ الرجل المستعدي، فلما انتبه عجب من ذلك، وقال: هذا حقٌّ، ولكن لا أعجل حتىٰ أتثبت فيه، فأراه الله ثانيًا ولم يقتله، فأراه الله ثالثًا، وقال: إن لم تقتله حَلَّ بك عذاب الله، فلما أصبح دعا بالرجل المستعدي وأخبره أن الله تعالىٰ أمره بقتله، فقال الرجل: تقتلني بغير بيِّنة قامت عليَّ، فقال: وأي بينة أعدل من قول الله، فلما أيقن الرجل بالقتل فقال: يا نبي الله لا تعجل بقتلي حتىٰ أخبرك، إني ما أُخِذْتُ بهذا ظلمًا، ولكني كنتُ اغتلت والد هذا فقتلته، فأمر الله بقتلي قصاصًا به، ففرح داود بذلك، وقتله، وذهب صيته في بني إسرائيل واشتدت هيبته[1].

وقيل: شددنا ملكه حتىٰ حكم بالسلسلة زمانًا.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ النبوة، وقيل: الزبور ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠﴾ فصل القضاء بين الناس بالإصابة والفهم.

وقيل: بالبينة علىٰ المُدَّعِي واليمين علىٰ المُنكر[2].

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ والخَصْم المُنازع، يقع علىٰ الواحد وعلىٰ الاثنين وعلىٰ الجماعة ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝٢١﴾ دخلوا فيه من غير باب، والمحراب: أشرف موضع في البيت، وهو هاهنا الغُرفة.

التسوُّر: الدخول من قِبَلِ السور لا من قِبل الباب[3].

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لدخولهم من غير الباب، وقيل: لدخولهم من غير الإذن[4].

---

(١) إسناده حسن، رواه الطبري في تفسيره ٢١/ ١٧٠، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ٤٨١.

(٢) وهو قول طائفة من السلف ٢١/ ١٧٣.

(٣)معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٢٥.

(٤) وقيل: لدخولهم عليه ليلا (تفسير الطبري ٢١/ ١٧٥).

﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ﴾ أي: نحن خصمان ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ قيل: يحتمل أن الجماعة دخلوا عليه ولكن المتخاصمين اثنان، لأنَّه جمعهم ثم ثنَّىٰ، وكانا مَلَكيْن ولم يكن للملكين خصومةٌ ولا بغيٌ، وإنما قالا ذلك علىٰ وجه المثل.

﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي: لا تَجُرْ، ويجوز: ولا تشطط تقول العرب: شطَّ وأشطَّ أي: جار، وشطَّت الدار أي: بَعُدَت[(١)].

﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾ أي: طريق الحق.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾[(٢)] كني بالنعجة عن المرأة ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ اجعلني كافلها، يعني: أعطنيها فأكفلها وأتركها حتىٰ أتزوَّجها ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ والكلام، لأنَّه كان أقدر علىٰ الحِجاج مني[(٣)].

فقال داود: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ أي: سؤاله نعجتك، فأسقط الهاء، كقوله: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ يعني: من دعائه الخير[(٤)].

وقوله: إلىٰ نعاجه، أي: بأخذ الواحدة التي لك إلىٰ التسع والتسعين التي له.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي بظلم بعضهم بعضًا ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فإنهم لا يظلمون أحدًا ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ «ما»: صلة، أي: قليلٌ هم.

فلما قضىٰ بينهما نظر أحدهما إلىٰ صاحبه وضحك، ثم صعد إلىٰ السماء حيال وجهه ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾ يعني: علم ﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ يعني: ابتليناه

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ١٧٦، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٢٦.

(٢) تصحفت: واحدة، علىٰ وهذه.

(٣) ملخص من معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٢٧.

(٤) ملخص من معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٠٤، وتفسير الطبري ٢١/ ١٧٩.

﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ أي: خرَّ ساجدًا، أقام الركوع مقام السجود، لأن كل واحد منهما تَخَشُّعٌ.

قال الكلبي: سجد أربعين يومًا حتىٰ سقط جلدةُ وجهه، ونبت العشب من دموعه، لا يقوم من سجوده ذلك إلا لصلواته أو لقضاء حاجته، فصار ذلك سُنَّةً لكل ساهي إذا علم[1].

وقوله: وأناب، رجع إلىٰ ربه بالتوبة؛ فكان يبكي في سجوده أربعين يومًا، وكان يقول: خطيئتي يا رب خطيئتي علي أُورِيَا[2]، فبكىٰ حتىٰ بكىٰ معه الطيور والسِباع والوحوش والحِيتان، وكل شيء سمع بكاءه أربعين يومًا، ثم أتاه

---

(١) وذلك من القصص الإسرائيلي، وقد نقله بعضهم، وأفاض المفسرون بذكر هذه القصة مع السجدة الطويل (تفسير أبي الليث ٣/ ١٦٣، الكشف والبيان ٢٢/ ٤٨٦).

(٢) وذلك أنهم يزعمون أنه تزوج امرأة أوريا بعد أن أرسل زوجها علىٰ جيش إلىٰ جهة علم أنه يقتل فيها، وذلك بعد أن رآها تغتسل فهواها ووقعت في قلبه، كذا قال جماعة من المفسرين، كالسدي والحسن والكلبي ووهب بن منبه وغيرهم، وهذا خبر إسرائيلي، يرد ولا يلتفت إليه، ولا يعتبر به، لما فيه من طعن في سادة البشر، وهم الأنبياء.

ولا يعرف هذا الخبر عن ابن عباس، وإن نسبته إليه بعض المصادر، فإنه إنما يروىٰ عنه من طرق يعلم قطعا ضعفها، كطريق العوفي، والكلبي.

نعم، رواه الطبري في تفسيره عن أنس مرفوعا، من طريق موضوعة، فيها يزيد الرقاشي، وهو متروك، وكل ما يرويه عن أنس مما تفرد به فلا أصل له.

(انظر: تفسير الطبري ٢١/ ١٨٤، تفسير أبي الليث ٣/ ١٦٤، الكشف والبيان ٢٢/ ٤٨٦).

وأحسن ما قيل في ذلك قول أبي الليث رحمه الله: وقال بعضهم: هذه القصة لا تصح لأنه لا يظن بالنبي مثل داود أنه يفعل مثل ذلك، ولكن كانت خطيئته أنه لما اختصما إليه، فقال للمدعي: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلىٰ نعاجه، فنسبه إلىٰ الظلم بقول المدعي. فكان ذلك منه زلة، فاستغفر ربه عن زلته أهـ.

قلت: وهذا الذي يشهد ظاهر القرآن له، فما زاد عن ذلك فهو عائد إلىٰ أخبار الأحبار، وهي في هذا الباب من نوع: الذي يكذب ولا يصدق.

جبريل عليه السلام وقال: ارفع رأسك فقد غفر الله لك ذنبك، وأقال عثرتك، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ الذنب ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ أي: رُتبةً ومنزلةً ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ مرجعٌ في الآخرة.

قيل: سأل داود ربه وقال: يا رب كيف غفرت لي خطيئتي: فقال الله تعالىٰ: يتعلّق بك أُوريا فيُخاصمك، فأقضي له عليك وأستوهبك من عبدي فيهبك لي، وأُعوِّضه من ذلك بجنتي، فقال: يا رب أفلا ترضيه عني من غير أن يراني، قال: يا داود لابد أن يتعلّق بك علىٰ رؤوس الخلائق.

ثم أوحىٰ الله تعالىٰ إليه: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي: لا تُميلن قلبك أن يفلج أحد الخصمين علىٰ صاحبه، فلا تكونن خليفتي ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يتبعون الهوىٰ في غير حقٍ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ أي: تركوا العمل ليوم الحساب.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ﴾ أي: جزافًا لاعبًا، بل خلقناهما لأمرٍ كائنٍ ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ﴾ أنَّ الله خلقهما باطلاً ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ فيما بينهم وبين ربهم ﴿كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالشرك ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ عن الشرك والفواحش في الدرجة والثواب ﴿كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾.

قال المُفسِّر الكبير رحمه الله: عندي أن الميم ههنا صلة، والألف للاستفهام[1].

---

(١) تفسير السمعاني ٤/ ٤٣٨، وعند الزمخشري أنها منقطعة، والاستفهام للإنكار (الكشاف ٤/ ٩٠).

﴿كِتَٰبٌ﴾ أي: هذا كتابٌ ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مُبَٰرَكٌ﴾ لمن آمن به ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يتفكَّروا في عجائبه وينتفعوا بالقرآن وأمثاله ودلائله وأحكامه ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٢٩﴾ يتَّعظ به ذووا العقول من الناس.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠﴾ مُطيعٌ لله، وقيل: مُسبِّحٌ كثير الصلاة ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ﴾ بعد صلاة الظهر ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ٣١﴾ الخيل السراع[(١)].

قال الضحاك: هي خيلٌ أُخرِجَتْ لسليمان من البحر ذوات أجنحة[(٢)].

وقيل: هو ألف فرس[(٣)].

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: آثرت حب المال وعَرْض الخيل ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ وهي صلاة العصر ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ٣٢﴾ وما صليت.

وكلمة: «عن» مقام كلمة «علىٰ» وهما يتعاقبان، قال الشاعر:

إذا رضيتْ عليَّ بنو قُشير لعمرُ الله أعجبني رضاها[(٤)]

معناه: رضيت عنِّي.

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ أي: قال سليمان: رُدُّوا الخيل عليَّ، فردوها عليه ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ٣٣﴾ يضربها بالسيف استهانة للدنيا، وعليه أكثر أهل التفسير.

---

(١) هذا أحد قولي مجاهد، وقال هو وغيره من المفسرين: صفونها: قيامها وبسطها قوائمها، وصفون الفرس رفع إحدىٰ يديه حتىٰ يكون علىٰ طرف الحافر (تفسير الطبري ٢١/ ١٩٢).

(٢) وهو قول ابن زيد كذلك (تفسير الطبري ٢١/ ١٩٢).

(٣) وهو قول الكلبي كما في الكشف والبيان ٢٢/ ٥٢٦.

(٤) البيت للعقيف العقيلي، وهو في تفسير الطبري ١/ ١٩٩، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١، جمهرة اللغة ٣/ ١٣١٤، لسان العرب ١٤/ ٣٢٣.

وقالوا: ليس هذا بفسادٍ، ولكن تزهُّدًا في الدنيا، وليس هذا بأعجب من قطع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم النخيل والأشجار لبني نضير(١).

ويحتمل أنه قصد ذبحها لينتفع بها أهل الحاجة، وربما كان الذبح مُباحًا له علىٰ أيِّ وجهٍ شاء.

وقيل: معنىٰ قوله «مسحًا بالسوق والأعناق»: أي: يمسح بيده علىٰ عاتقها وعُرفها وعراقيبها، حُبًّا لها، وعليه جماعة من أهل التفسير، وذلك بعد أنْ دعا الله تعالىٰ حتىٰ ردَّ الشمس إلىٰ مكانها من صلاة العصر، حتىٰ صلَّىٰ العصر(٢).

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ وكانت سبب فتنته أنْ أمره أنْ لا يتزوَّج إلا من بني إسرائيل، فتزوَّج من غير بني إسرائيل، لأنه أغار علىٰ جزائر البحور وقتل ملكهم، وكانت له ابنة فاتخذها لنفسه، فابتلاه الله بذلك، فدخل الخلاء وأعطىٰ خاتم المِلك لامرأته، وكانت تُسمَّىٰ صُبْنَة، فجاء الشيطان علىٰ صورة سليمان وأخذ خاتمه، وجلس علىٰ سريره، فانقاد له الخلق، وخرج سليمان من مُلكه أربعين يومًا، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ أي: شيطانًا، ثم أناب، أي: رجع إلىٰ مُلْكِهِ وقد ملك قبل ذلك عشرين سنةً، وبعده عشرين سنة، وذهب مُلْكه أربعين يومًا ذو القعدة وعشرٌ من ذي الحجة(٣).

---

(١) وهو قول قتادة والسدي والحسن (تفسير الطبري ٢١/ ١٩٦).

(٢) وهو قول ابن عباس في رواية ابن أبي طلحة والعوفي، (تفسير الطبري ٢١/ ١٩٦، الكشف والبيان ٢٢/ ٥٣١).

(٣) وهذا أيضا من الأخبار الإسرائيلية، التي لا تصدق ولا كرامة، بل تكذب، ويعلم في شريعتنا بطلانها، وقد أطال بعض المفسرين بروايتها كالطبري في تفسيره ٢١/ ١٩٩، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ٥٣٨، ومن ثم اختلفوا في فتنته، وكثرت أقاويلهم فيها، لأنها من أباطيل أهل الكتاب، والباطل لا يروىٰ علىٰ وجه واحد.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ أي: هب لي مُلكًا لا تسلبه فيما بقي، كما سلبته عني فيما مضىٰ، عن سعيد بن جُبير وقتادة[١].

وقال الضحاك: يعني به مُلكًا يملك الجن والإنس والشياطين والريح، فوهبه الله تعالىٰ ذلك، ولا يكون لأحدٍ بعده إلىٰ يوم القيامة.

وقيل: أخرج ورثته من الملك شفقة عليهم، لاحتمال أنهم لا يعملون فيه عمله، عن أبي سهل، وليس هذا بحسدٍ.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥﴾ وقال الجُنيد: هب لي مُلْكًا علىٰ نفسي، لأني لو ملكتُ الدنيا ولم أملك نفسي أكونُ عاجزًا[٢].

﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ﴾ أي: بأمر سليمان، وقيل: بأمر ربه.

قال أبو الليث (في تفسيره ٣/ ١٦٧): وقال بعضهم: هذا التفسير الذي قاله هؤلاء الذين ذكروا أنه شيطان لا يصح، لأنه لا يجوز من الحكيم أن يسلط شيطانـًا من الشياطين علىٰ أحكام المسلمين، ويجلسه علىٰ كرسي نبي من الأنبياء- عليهم السلام- ولكن تأويل الآية والله أعلم: أن سليمان كان له ابن، فجاء ملك الموت يومـًا زائراً لسليمان، فرآه ابنه فخافه، وتغيّر لونه، ومرض من هيبته، فأمر سليمان- عليه السلام- الريح بأن تحمل ابنه فوق السحاب ليزول ذلك عنه، فلما رفعته الريح فوق السحاب، ودنا أجله، فقبض ابنه، وألقي علىٰ كرسيه أهـ.

قلت: ومن أحسن ما تفسر به الآية: حديث أبي هريرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «قال سليمان بن داود نبي الله: لأطوفن الليلة علىٰ سبعين امرأة، كلهن تأتي بغلام يقاتل في سبيل الله، فقال له صاحبه - أو الملك -: قل: إن شاء الله، فلم يقل ونسي، فلم تأت واحدة من نسائه إلا واحدة جاءت بشق غلام، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ولو قال: إن شاء الله، لم يحنث، وكان دركا له في حاجته »، رواه البخاري ٢٨١٩، ومسلم ١٦٥٤، واللفظ له. فلعله الذي ألقي علىٰ الكرسي هو هذا الشق، فإنه يناسب وصف الآية، والله أعلم.

(١) تفسير الطبري ٢١/ ١٩٩.

(٢) وهذه إشارة بعيدة، ومعنىٰ ضعيف لا تحتمله الآية، بدلالة ما بعدها.

﴿رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ رخاءً: لينةً طيبةً غير عاصفة[١].

حيث أصاب: أي: حيث أراد أن يصيب ويقصد، وذلك أنه لما عرقب الخيل وغضب عليها لله؛ عوَّضه الله مركب الريح، فكان يغدو من إيلياء فيقيل بقزوين، ويروح[٢] من قزوين فيمسِّي بكابل.

﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾﴾ من قعر البحر يطلب الجواهر ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ أي: مُصفدين مسلسلين، والأصفاد القيود، وهم المردة.

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ﴾ علىٰ مَن شئت منهم، أي: من الشياطين فخل سبيله ﴿أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾﴾ احبس في الغُل بلا تبعةٍ عليك مَنْ شئت[٣].

وقال الفرَّاء: هذا عطاؤنا بغير حسابٍ مُقدَّمٌ ومؤخرٌ[٤].

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾ أي: قُربةً ومنزلةً ﴿وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾﴾ مرجع في الآخرة.

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ أي: أصابني الشيطان بضرٍ في نفسي، وعذاب في مالي وأهلي.

وذلك أنَّ أيوب كان كثير العبادة، فحسده الشيطان لعنه الله، وقال: يا رب أنعمت علىٰ أيوب بنعم الأموال والأولاد ما لو أخذته منه لترك طاعتك، فقال الله تعالىٰ: كلا، إنه يطيعني في جميع الأحوال، فسأل الشيطانُ أن يُسلِّطه عليه، فسلَّطه الله عليه إلا روحه، فأهلك جميع مواشيه من الإبل والبقر والغنم، فلم

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٢٠٢.

(٢) تصحف في الأصل إلىٰ: وتزوج، وهو تصحيف قد يظنه الظان صحيحا، وليس كذلك.

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٢٠٧.

(٤) معاني القرآن ٢/ ٤٠٥.

يحزن، ثم أهلك أولاده: اثني عشر نفسًا جالسين علىٰ طعامٍ، فهدم عليهم البيت فلم يحزن به أيوب، فجاء اللعين ونفخ من قرنه إلىٰ قدمه حتىٰ سقط لحمه من جسده[١].

وقيل: وقع الدود في جسده وبقي فيه سبع سنين وسبعة أشهر وسبع ساعات، وأخرجه الناس من العمران، فاشتهىٰ يومًا الخبز مع اللبن، فطلبت امرأته ذلك فلم يُجبها أحدٌ إليه، حتىٰ باعت قرني رأسها بذلك، وأتت إلىٰ أيوب بشهوته، وأخبرته بذلك، فجزع من ذلك أيوب، وقال: يا رب ابتليتني حتىٰ آكل من شعر حليلتي فعند ذلك أتاه جبريل وبشَّره بأن الله تعالىٰ أنجاه من البلاء[٢].

وقال: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ الركض: التحريك علىٰ جهة الإسراع، أمره بركض الرجل حتىٰ ينبع هناك عين[٣]، فلما فعل قال له: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝٤٢﴾ فاغتسل منها فصحَّ بإذن الله.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾ أحييناهم بعد الموت كلهم ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ وُلد له ثلاثة عشر ولدًا آخر ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٤٣﴾ أي: عظةً وعِبرةً لأولي الألباب.

---

(١) في هامش الأصل: «والصحيح أن سبب بلاء أيوب ثلاثة أشياء:
الأول: وهو تفاخر وتكبُّر يومًا في الأيام بكثرة المال والأولاد والأغنام وغيرها.
والثاني: وهو كان يأخذ المظلوم عن الظالم، ويدفع شر الظالم عن المظلوم دائمًا، فيومًا في الأيام أهمل ولم يأخذ المظلوم عن يد الظالم، ولم يدفع شره منه: وقال كي فعلتُ ذلك.
والثالث: كان في هذه الناحية ملكًا كافرًا، وحيوانات ومواشي أيوب عليه السلام كان ترتع وتشرب في أراضيه ومملكته، بسبب ذلك ترك أيوب عليه السلام الغزاء إلىٰ ذلك الملك.
وما عدا الكلام في حق سبب بلاء أيوب مشهور وإسرائيليات».

(٢) انظر: تفسير سورة الأنبياء، آية :٨٣.

(٣) أي: دوسها (معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٣٤).

﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا﴾ والضغث: حزمة من الحطب والحشيش، ﴿فَٱضۡرِب بِّهِۦ﴾ امرأتك ﴿وَلَا تَحۡنَثۡۗ﴾.

وسبب ذلك: أنه أتت امرأته يومًا بشربة خمرٍ وقالت: اشرب، لأنَّه قيل إن فيه شفاءك، فأبىٰ أيوب عن الشرب، فقالت: إن لم تشرب لم أقم معك لأنَّ سقمك قد طال، فآلىٰ أيوب أن يضربها إذا برأ من مرضه، فأخذ بأصل غصنٍ عليها تسعة وتسعون غصنًا، ومع الأصل مائة كاملة، فضربها به ضربةً واحدةً حتىٰ لا يحنث، أكرمه الله بهذه الكرامة إخراجًا عن الحِنث[1].

﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ﴾ علىٰ ما ابتُلي به ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾﴾ مُقبلٌ علىٰ طاعة الله تعالىٰ، سبحان من أفرغ عليه الصبر بعدما ابتلاه بالبلاء، ثم قبل عنه صبره بالشكر، ثم مدحه علىٰ ما مَنَّ عليه، وهو توفيق الصبر، وهي نعمة منه مبدأها وبه تمامها.

﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ يعني: اذكر لأُمَّتك صبر إبراهيم حين أُلقي في النار، وصبر إسحاق عند الذبح، وصبر يعقوب من ذهاب البصر.

﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ ذوي[2] القوة في العبادة والبصيرة في العلم والدِّين ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم﴾ أي: جعلناهم خالصين لنا واصطفيناهم ﴿بِخَالِصَةٖ﴾ ثم فسَّر الخالصة وقال: ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ أي: كانوا يُكثرون ذكر الآخرة، فبه أخلصناهم. والخالصة: اسمٌ وُضع موضع المصدر كقوله: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾.

﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ بالنبوة والإسلام.

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٢١١.

(٢) في الأصل: ذي، وهو تصحيف.

﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ﴾ قيل: كان لبني إسرائيل أربعمائة نبيٍّ فقتلوا ثلاثمائة في يومٍ واحدٍ، وانفلت منهم مائة، فكفلهم ذو الكفل وخبَّأهم وأطعمهم وسقاهم[١].

﴿وَكُلٌّ﴾ هؤلاء ﴿مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٨﴾.

﴿هَٰذَا ذِكۡرٌۚ﴾ أي: الذي ذكرناه في القرآن شرفٌ لهم وذكرٌ إلىٰ يوم القيامة ﴿وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ۝٤٩﴾ أي: حسن مرجعٍ في الجنة.

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾ نصب علىٰ البدل ﴿مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠﴾ قبل مجيئهم.

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝٥١﴾ أي: يتمنون ذلك ويُؤتون ألوان الفاكهة وأجناس الأشربة.

﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ۝٥٢﴾ أي: حابسات العين عن غير أزواجهن، مستويات في السِّنِّ في غاية الشباب.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ علىٰ ألسنة الرسل في الدنيا ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝٥٣﴾ أي: القيامة.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾ أي: فناءٌ وانقطاعٌ.

ثم قال: ﴿هَٰذَاۚ﴾ وهو مختصر، يعني: الثواب في الجنة والنعيم للمتقين هذا. وقيل: هذا أي: هكذا.

ثم ذكر الكفار فقال: ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ۝٥٥﴾ يعني: الذين طغوا في الكفر وتركوا الإيمان، شر مرجع، ثم فسَّر المرجع فقال: ﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا [فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ] ۝٥٦﴾ يدخلونها وبئس المنام[٢].

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنبياء، آية: ٨٥.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ١٧١.

﴿هَٰذَا [فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧]﴾ يعني: هذا حميم وغساق فليذوقوه، الحميم: الذي انتهىٰ حَرُّه.

والغسَّاق -بالتشديد-: ما يغسَق من جلود أهل النار، أي: يسيل، يُقال غسقت عينه إذا سالت.

والغسَاق -بالتخفيف-: هو البارد الذي يحرق برده(١).

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨﴾ أي: عذاب آخر مثل العذاب الأول، والأزواج: بمعنىٰ الأنواع(٢).

وقُرئ: «وأُخَرُ» بلفظ الجمع(٣).

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ قيل: كان الرؤساء من الكفار يدخلون جهنم قبل الأتباع، ثم يدخل الأتباع عليهم، فيقول لهما خزنة النار: هذا فوجٌ، أي: طائفةٌ، مقتحمٌ معكم: أيها الطاغون.

والاقتحام: الدخول في الشدة والعنف(٤).

فيقول الرؤساء والقادة: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ أي: لا سعة لهم في المكان ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ۝٥٩﴾ كما صلينا، أي: داخلوها كما دخلنا.

أجابهم الأتباع وَ ﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ ضيَّق الله عليكم المكان ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ يعني: أنتم سننتم سُنة الكفر فاقتدينا بكم ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ۝٦٠﴾ لنا ولكم.

---

(١) قرأ المدنيان وابن كثير والبصريان وابن عامر وشعبة بالتخفيف (النشر ٢/ ٣٦١).

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٢٢٨، الكشف والبيان ٢٢/ ٥٦٥.

(٣) قرأ البصريان: وأُخرُ (النشر ٢/ ٣٦١).

(٤) تفسير الطبري ٢١/ ٢٣٠.

ثم دعت الأتباع وَ ﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا﴾ يعني: الكفر ثم اتَّبعناه ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ ۝٦١﴾ أي: ضعفي ما علينا.

قيل: أراد به إبليس وقابيل، وقيل: هو عامٌ[١].

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم﴾ في الدنيا ﴿مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ۝٦٢﴾ قيل: هو قول أبي جهلٍ والوليد وذويهم، يقولون ذلك لصهيب وعمَّار وغيرهما من الفقراء.

وقيل: هو عامٌ في جميع المؤمنين، يقول الكافرون ذلك.

﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٦٣﴾ يعني: أظننا أنهم علىٰ غير شيءٍ فسخرنا بهم، وصاروا إلىٰ الجنة، أم هم في النار ولا نراهم.

ومَنْ قرأ: «اِتَّخَذْنَاهم»[٢] من غير استفهام فمعناه: بل زاغت عنهم الأبصار، أي: حارت وصاروا إلىٰ الجنة ونحن في النار[٣].

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذي وصفناه ﴿لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ۝٦٤﴾.

ثم علَّم رسوله فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ لكم من عذاب الله ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٦٥﴾ الغالب علىٰ خلقه ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٦٦﴾.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧﴾ أي: القرآن عظيمٌ وكلامٌ شريفٌ ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ لا تؤمنون به ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ بخصومة

(١) أي في كل القادة، وهو الذي يذكره المفسرون.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو ويعقوب وخلف بوصل الهمزة، والابتداء بالكسر، والباقون علىٰ ما أثبت (النشر ٢/ ٣٦٢).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٤٠، الكشف والبيان ٢٢/ ٥٦٧.

الملائكة في الملأ الأعلىٰ ﴿إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ۝٦٩﴾ يناظرون، وإنما علمت ذلك بوحي الله.

قال مقاتل: اختصامهم سؤال الملائكة ربهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[1].

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٧٠﴾ وقل[2]: ما علمت هذه الأقاصيص إلا بوحي الله.

ثم بيَّن خصومة الملائكة[3] فقال: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الذين كانوا سكان الأرض ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ۝٧١﴾ سَمَّىٰ نفسه خالقًا قبل أن يخلقه ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ﴾ بشرًا ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ يصير لحمًا ودمًا وعظمًا وعصبًا وعروقًا، وأحمله علىٰ السرير ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢﴾ أي: خروا بين يديه طائعين خاضعين.

﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ﴾ لآدم ﴿أَجۡمَعُونَ ۝٧٣ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ﴾ عن السجود ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧٤﴾ ممن كتب الله عليه الكفر.

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ بقوتي وقدرتي وصنعي.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا عن الشيخ أبي منصور الماتريدي أنه قال: تكلَّم أهل التأويل في إضافة اليد إلىٰ الله تعالىٰ، فمنهم من قال: اليد القوة، ومن قال: هي القدرة، وغرضهم من ذلك أن لا ينسبوا الجارحة إلىٰ الرب تعالىٰ عن ذلك، وهذا كله تكلُّفٌ وفضلٌ من الكلام، لأنه يجوز إضافة

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ١٢٤.

(٢) في الأصل: وقيل، وهو تصحيف.

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٢٣٨.

اليد إلىٰ من يتصور منه الجارحة، قال الله تعالىٰ في صفة القرآن: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ ليس المُراد تقديم اليد حقيقة.

والتثنية للتأكيد، والمعنىٰ: خلقته أنا بلا معونةٍ من جهة أحدٍ(١).

---

(١) كلام أبي منصور في تفسيره تأويلات أهل السنة ٨/ ٤٦٧.

وما استعان الرب سبحانه وتعالىٰ في خلق غير آدم بمعونة أحد، ولا في خلق السماوات والأرض التي هي أعظم وأشد من خلق الإنسان، ومع ذلك لم يشرفها بأن خلقها بيديه كما شرف آدم، ولكن الله أثبت يدين له، فنؤمن بأن لربنا يدين، ولا نحتاج إلىٰ تأويل أبي منصور، ولا تأويل غيره، وكما أن ذاته الشريفة تخالف ذوات المخلوقين فكذلك يده الكريمة تخالف يد المخلوقين، وإنما يصير إلىٰ التأويل من اعتقد التشبيه في أول أمره، ولو أن أبا منصور أخذ بما قرر من أن إضافة الصفة بحسب المضاف إليه لأثبت لله يدا تليق بكماله وجلاله، تخالف يد المخلوقين، فإذا كانت الأيدي بين المخلوقين متفاوتة، فكيف بين المخلوق والخالق، ولذا كانت عبارة أهل السنة علىٰ إثبات اليد لله عز وجل بما يليق بجلاله دون تأويل، كقول ابن عمر: خلق الله أربعة بيده، العرش وعدن والقلم وآدم، وقال الطبري: لما خلقت بيدي: لخلق يدي، يخبر تعالىٰ ذكره أنه خلق آدم بيده (تفسير الطبري ٢١/ ٢٣٩).

وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري (في كتاب الإبانة ١٢٥): قد سئلنا أتقولون إن لله يدين؟ قيل: نقول ذلك بلا كيف، فذكر الآية ثم قال: فنثبت اليد بلا كيف، وقال: وليس يجوز في لسان العرب، ولا في عادة أهل الخطاب، أن يقول القائل: عملت كذا بيدي، ويعني به النعمة، وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهومًا في كلامها، ومعقولا في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: فعلت بيدي، ويعني النعمة؛ بطل أن يكون معنىٰ قوله تعالىٰ: «بيدي» النعمة، وذلك أنه لا يجوز أن يقول القائل: لي عليه يدي، بمعنىٰ: لي عليه نعمتي، ومن دافعنا عن استعمال اللغة ولم يرجع إلىٰ أهل اللسان فيها دوفع عن أن تكون اليد بمعنىٰ النعمة؛ إذ كان لا يمكنه أن يتعلق في أن اليد النعمة إلا من جهة اللغة، فإذا دفع اللغة لزمه أن لا يفسر القرآن من جهتها، وأن لا يثبت اليد نعمة من قبلها؛ لأنه إن روجع في تفسير قوله تعالىٰ: «بيدي» نعمتي فليس المسلمون علىٰ ما ادعىٰ متفقين، وإن

﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ استفهام توبيخ ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ المتكبرين، والعالي والمستكبر واحدٌ، ولكن ذكرهما هنا لاختلاف اللفظين تأكيدًا.

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾ وهي نور ﴿وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ وهو ظلمة، كأنه قال: لست بحكيم إذ فضَّلت النور علىٰ الظلمة، فكفر.

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ من الأرض إلىٰ جزائر البحور، وقيل: من صورة الملائكة، وقيل: من الجنة.

﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ ملعون ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ وسخطي إلىٰ يوم الحساب.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾﴾ أراد أنْ لا يذوق الموت.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ المؤجَّلين ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ وهي النفخة الأولىٰ.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ بمنعتك وعظمتك ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ المعصومين.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ﴾ أي: الحقَّ ﴿أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ والحقَّ أي: حقًا لأملأن جهنم، وقُرئ: «فالحقُّ»[1] أي: أنا الحقُّ والحقَّ أقول[2].

روجع إلىٰ اللغة فليس في اللغة أن يقول القائل: بيدي يعني نعمتي، وإن لجأ إلىٰ وجه ثالث سألناه عنه، ولن يجد له سبيلا. إلىٰ آخر ما قال..

(١) قرأ عاصم وحمزة وخلف: فالحقُّ، بالرفع، كما أثبت، وقرأ الباقون في النصب فيهما (النشر ٢/ ٣٦٢).

(٢) واختلف العلماء في وجه نصب الاثنين، فقيل: الأول علىٰ الإغراء والثاني بإيقاع القول عليه (الكشف والبيان ٢٢/ ٥٧٥).

﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٥﴾.

﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾ أي: على التوحيد والقرآن، مِنْ رزقٍ وجُعِلٍ، وما أنا من المتكلِّفين، أي: المتقوِّلين المتخرِّصين للقرآن من تلقاء نفسي، إلا بوحيٍ من الله تعالىٰ.

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٧﴾ أي: القرآن شرفٌ لمن آمن به من الجن والإنس ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ يا أهل مكة أي: خبر القرآن ﴿بَعۡدَ حِينِۭ ۝٨٨﴾ بعد انقضاء زمان الدنيا.

وقال الكلبي: غير مؤقت، فمنهم من علم في حياته، ومن مات فيعلمه بعد مماته(١).

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة ص أُعطي من الأجر بوزن كل جبلٍ سخَّره الله لداود عشر حسنات، وعصمه الله عزَّ وجل من أن يُصر علىٰ ذنبٍ كبيرٍ أو صغيرٍ»(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ١٧٥، الكشف والبيان ٢٢/ ٥٨٣.

(٢) رواه المستغفري في فضائل القرآن ١٢٠٥.

تنبيه: سقط حديث فضائل سورة ص من كتاب الثعلبي: الكشف والبيان ٢٢/ ٤٥١، وهو في الطبعة القديمة ٨/ ١٧٥، ومما يدل أنه سقط علىٰ المحقق أو علىٰ الناسخ أن الزيلعي عزاه إليه في تخريج أحاديث الكشاف ٣/ ١٩٥.

سورة الزمر

وهي تُسمَّىٰ سورة الغُرف[١].

مكيَّة، إلا ثلاث آيات من لدن قوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿لَا تَشْعُرُونَ ۝٥٥﴾ فهي مدنيةٌ[٢].

وهي خمسٌ وسبعون[٣] آية في الكوفي، وآية في البصري والمدني[٤].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قال وهبٌ: من أراد أن يعرف قضاء الله في خلقه فليقرأ سورة الغُرف، وهي تنزيل الزمر[٥].

ومعنىٰ الآية: إرسال الكتاب من الله تكليمٌ ووحيٌ.

وقيل: هذا تنزيل الكتاب من الله فاستمعوا له واعملوا به[٦].

وقيل: تنزيل والكتاب اسمان للقرآن، أُضيف أحدهما إلىٰ الآخر كقوله: ﴿وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ۝٩﴾.

﴿[مِنَ ٱللَّهِ] ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾.

---

(١) زاد المسير ٤/ ٧.

(٢) نحوه في الكشف والبيان ٢٣/ ٧، زاد المسير ٤/ ٧.

(٣) في الأصل: تسعون، وهو تصحيف.

(٤) وثلاث في الشامي (البيان في عد آي القرآن ٢١٦)، وعنده: في البصري والمدني: آيتان.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٣٢.

(٦) في الأصل: واعلموا وهو تصحيف.

ثم قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني: القرآن ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ قيل: للحق ولم ننزله باطلاً ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ مُوحِّدًا لا تُشرك به شيئًا، خاطب الرسول ويعني به الجُهَّال.

ثم نبهه فقال: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ الذي لا يشوبه شركٌ، وقيل: الدِّين الخالص الذي لا يطلبُ ولا يُريد عليه صاحبه عِوضًا في الدَّارين(١).

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ محذوف الخبر، يعني: يقولون ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ مقاتل: هم كفار العرب عبدوا الملائكة وقالوا: هم شفعاؤنا(٢).

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ يوم القيامة ﴿فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ﴾ وحُكمه تبارك وتعالىٰ ما حكىٰ عنهم: ﴿إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ۝٤٨﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾ أي: لا يرشد ولا يُوفِّق من يقول: ما نعبدهم إلا ليقرِّبونا إلىٰ الله زُلفىٰ.

وقيل: كاذبٌ كفارٌ يفتري علىٰ الله أن له ولدًا(٣).

ثم قال: ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ وهم الملائكة، لأنهم أطهر وأطيب من عيسىٰ وعُزير، ثم نزَّه نفسه فقال: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ تنزيهًا له عن السوء، وبراءةً له عن الولد والشريك ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤﴾ الغالب علىٰ خلقه بالموت.

---

(١) قال قتادة: هو شهادة أن لا إله إلا الله (تفسير الطبري ٢١/ ٢٥١).

(٢) تفسير مقاتل ٣/ ١٢٦.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ١٧٧.

ثم دلَّ علىٰ وحدانيته عبادَه، ووصف نفسه، لأنه لا تُدركه الأبصار في الدنيا، ولا يشبه الناس، ولا يُمس بالحواس، فيُستدل علىٰ وحدانيته بأفعاله فقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ وما خلقهما باطلاً عبثًا ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ قال الضحَّاك: يُدخل هذا في ذاك، وذاك في هذا، فيغلب سواد الليل بياضَ النهار وبياضُ النهار سوادَ الليل(١).

قال أبو سهل: التكوير اللَّف، مأخوذٌ من تكوير العِمَامة، يلفُّ بعضها علىٰ البعض، أي: يلفُّ سواد الليل علىٰ ضوء النهار، وضوء النهار علىٰ سواد الليل(٢).

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ يسيران ذائبين ﴿كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ﴾ فأجل القمر ثمانية وعشرون منزلاً، في ثمانية وعشرين يومًا، وأجل الشمس مائة وثمانون منزلاً، تقطعها في ستة أشهر، ثم ترجع ستة أشهر أخرىٰ، تعود إلىٰ مستقرها، فذلك ثلاث مائة وستون منزلاً ﴿أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٥﴾.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ يعني آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ خلقها من ضلعه(٣) اليُسرىٰ القصيرىٰ، وفي الآية تقديم وتأخير.

[﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ﴾](٤).

---

(١) نقله القرطبي عن الضحاك بلفظ: يلقي هذا علىٰ هذا وهذا علىٰ هذا (الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٣٤).
وعن مجاهد: يدهوره، والتكوير هنا هو التغشية الواردة في قوله: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [سورة الرعد:٣] والمعنىٰ: يأتي بهما في أوقاتهما، ويدخل هذا علىٰ هذا (تفسير الطبري ٢١/ ٢٥٤، زاد المسير ٤/ ٨).

(٢) ومثله قال ابن قتيبة، (الكشف والبيان ٢٣/ ١٢، زاد المسير ٤/ ٨).

(٣) في الأصل: ضلعها، وهو تصحيف.

(٤) أخر تفسيرها آخر الآية.

ثم قال: ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ يُحوِّلكم حالاً بعد حالٍ، نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظمًا، ثم ينفخ فيه الروح ذكرًا أو أنثىٰ.

﴿فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾ لا يخلص إليه يدُ لامسٍ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾ لا خالق غير الله ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ﴾ القدرة بكمالها في الدَّارين ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦﴾ أي: كيف تخدعون عن هذا البيان ومعرفة الرب.

وقوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ كلامٌ اعترض فيما بين قصة خلق الإنسان، ولما أنزل الله آدم من الجنة أنزل معه ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ﴾ من الأنعام، من الإبل اثنين ومن البقر اثنين، ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين، فهذه كلها ثمانية، وقد سمَّىٰ الله لكل واحدٍ من الذكر والأنثىٰ زوجًا، فصار ثمانية أزواج.

﴿إِن تَكۡفُرُواْ﴾ يا أهل مكة توحيد الله ونِعمه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾ قال قتادة: ما رضي لعباده الضلالة، ولا أمرهم بها، ولا دعاهم إليها، ولكن رضي بطاعته، وأمر به، ونهىٰ عن معصيته، ومنع عنه بالخطاب(١).

وقيل: لا يرضىٰ لعباده الكفر لا يقبل لأنه ليس من دِينه(٢).

﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ﴾ نعمه ﴿يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ يقبله منكم لأجلكم لا لأجله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ أي: لا تحمل نفسٌ خطيئة نفسٍ غيرِه، وإن كان قريبًا أو ولدًا ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ﴾ بعد الحشر ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ﴾ في الدنيا ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾ أي: بما في القلوب من الخير والشر.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ﴾ أي: مرضٌ وفقرٌ وبلاءٌ في بدنه ﴿دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا

---

(١) رواه عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٧/ ٢١٣، دون قوله: ومنع عنه بالخطاب.

(٢) والأول هو الصحيح في تفسير الآية، وفيه تفريق بين الرضىٰ والإرادة، (تفسير السمعاني ٤/ ٤٦٠).

﴿إِلَيْهِ﴾ راجعًا من شركه وذنبه إلىٰ الله ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ﴾ أكرمه بتفضُّله وصحح له جسمه ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ أي: ترك الإخلاص وأشرك بربه.

وقيل: نسي الله الذي كان يتضرَّع إليه من قبل(١).

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ من الأصنام ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ مَنِ اتبعه، قال الضحاك: نزلت في النضر بن الحارث(٢).

﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ من الأيام، لفظه أمرٌ ومعناه التهديد ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨﴾ في الآخرة.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ قال الضحاك: نزلت في عُمر وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر(٣).

وقيل: في عثمان بن عفان(٤).

والمعنىٰ: أمَّن هو مطيعٌ لله لا يكفر نعمه ويشكره آناء الليل والنهار، أي: ساعاتهما.

﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي: يخاف عذاب النار ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ﴾ واتصال الآية بما قبلها: إنك من أصحاب النار أمَّن هو قانتٌ.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ﴾ توحيد الله مثل أبي جهل والنضر بن الحارث ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ يعني ذوي العقول من الناس.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾ أطيعوا ربكم في الأمر والنهي

---

(١) يعني الأصنام (تفسير السمعاني ٤/ ٤٦٠).

(٢) وقيل في أبي حذيفة بن المغيرة (تفسير السمعاني ٤/ ٤٦٠).

(٣) الكشف والبيان ٢٣/ ١٩.

(٤) تفسير السمعاني ٤/ ٤٦١، زاد المسير ٤/ ١٠.

وهاجروا من مكة إلىٰ المدينة، ثم بيَّن ثواب المهاجرين ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ في العقبىٰ، وهي الجنة، وقيل: راحة من أيدي الأعداء[١].

﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ آمنة من العدو، يعني: أرض المدينة ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ علىٰ أوامر الله ونواهيه، وقيل: علىٰ مضض الهجرة وفراق الأهل والوطن.

﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ لا عدَّ فيه ولا كيل ولا وزن.

﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾ بلا شرك ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢﴾ في زماني وشريعتي، وأدعوكم إليه.

﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣ قُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝١٤﴾ أي: أُوَحِّدُه وأُخْلِص له طاعتي ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أمر تهديدٍ بعد ظهور الحجَّة وقيام دليل التوحيد.

وهو منسوخٌ بآية السيف[٢].

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وهو الخُسران بالحُور وبشائر نعيم الجنة ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١٥ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ يعني: يكونون بين أطباق النار تلتهب النار عليهم من فوقهم، ومن تحتهم، كقوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ من أهل التوحيد ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ۝١٦﴾ أي: وَحِّدوني وأطيعوني في أمري ونهيي.

---

(١) وقيل: الصحة والعافية (كما في تفسير الطبري ٢١/ ٢٦٩) وهذا دليل علىٰ أن الطاعة تورث الصحة.

(٢) الكشف والبيان ٢٣/ ٢٦.

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ أي: تركوا عبادة الأصنام والشياطين وخالفوا أمرهم ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ﴾ أي: البشارة ﴿فَبَشِّرۡ﴾ يا محمد ﴿عِبَادِ ١٧﴾ من أهل التوحيد(١).

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ أحسن القول: القرآن، يتّبعون مُحكمه ويتركون منسوخه.

وقيل: إذا جلسوا مجلسًا وسمعوا كلمات يتبعون من ذلك الكلام أحسن ما يسمعون فيعملون به(٢).

مثال: أنْ يسمعوا القصاص والعفو تركوا القصاص وأخذوا العفو، وسمعوا قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ يؤثرون الصبر ويتركون العقوبة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ أرشدهم لدينه ووفقهم الصواب ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ قيل: نزلت في رجل له سبعة أعبد، فلما نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٣﴾ أعتق كلهم فنزلت الآية(٣).

﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾ وكلمة العذاب قوله: «خلقتُ هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون»(٤) ﴿أَفَأَنتَ﴾ يا محمد ﴿تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩﴾ أي: تُخلِّص من جرىٰ ذكره من أهل النار؛ وتُصيِّره من أهل الجنة، ليس لك ذلك،

---

(١) وعن ابن زيد عن أبيه: أنها نزلت في الحنفاء الذين كانوا في الجاهلية، زيد بن عمرو أبي ذر وسلمان (تفسير الطبري ٢١/ ٢٧٤).

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٢٧٤، تفسير أبي الليث ٣/ ١٨١، الكشف والبيان ٢٣/ ٢٨.

(٣) هو رواية جويبر عن جابر، كما في الدر المنثور ٧/ ٢١٨.

(٤) رواه أحمد في المسند ٣١٠.

ولكنَّما أنت داع وبشير ونذير، فمن أجابك فاحمد الله، ومن لم يُجبك فلا تَذْهَب نفسك عليهم حسرات.

﴿لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾ وحَّدوه وأطاعوه ﴿لَهُمْ غُرَفٌ﴾ أي: علاليّ في الجنة ﴿مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ أخرىٰ ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: من تحت العلالي أنهارٌ علىٰ جنادل الدُّرِّ والياقوت، تجري من غير أخدود ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ۝٢٠﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني: ألم تخبر به ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ أي: جعله ينابيع ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: أدخله في الأرض ثم جعل منه عيونًا وركايا ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ من بين أصفر وأحمر وأخضر وأبيض ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي: يجف ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ بعد الخُضرة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ مُتفتتة، والحطام: ما تفتَّتَ وتكسَّر، وهو جمعٌ لا واحد له من لفظه، فهذه جملة أحوال الدنيا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المطر والنبات ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ أي: عظة ﴿لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢١﴾ مَنْ له عقلٌ يتزوَّد من الدنيا للآخرة[1].

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ أفمن وسَّع الله قلبه للتوحيد ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ﴾ هدىً ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يعني الرسول صلىٰ الله عليه وسلم ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ وهو أبو جهل لعنه الله، ليسا بسواءٍ.

قيل: علامة من شرح الله صدره: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلىٰ دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله.

وقيل: إذا شرح الله قلب العبد انفسح؛ حتىٰ لو أنَّ الكونين وُضعتا فيه لم يعرف أن فيه شيء، لأنه علىٰ نورٍ من ربه أي هدىً منه[2].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٥٠.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٢٧٧.

ثم قال: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ [أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ]﴿٢٢﴾﴾ وهذا الكلام لا يُوافق قوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ﴾.

ونظمه: أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن قسا قلبه فلا يسعه الإسلام والإيمان، فهذا جوابٌ متروكٌ في لفظ القرآن، ثم قال: فويلٌ للقاسية قلوبهم فأشار في الجواب إلىٰ المعنىٰ الذي يؤدِّي به الكلام(١).

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ أحكمه ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ يُشبه بعضه بعضًا في الحكمة والفصل، لا تناقض فيه ﴿مَّثَانِيَ﴾ يعني الأنباء والقصص مُكررة فيها.

وقال الضحاك: مثاني أي: يُكرر فلا تنقطع عجائبه، ولا يخْلُق عن كثرة الرد(٢).

وكتابًا: منصوب علىٰ البدل من قوله: أحسن(٣).

وقيل: سُمِّي مثاني لأنَّ كل فصل مثنىٰ مثنىٰ: أمرٌ ونهيٌ، وعدٌ ووعيدٌ، وناسخٌ ومنسوخٌ(٤).

﴿تَقۡشَعِرُّ﴾ قيل: ترتعد من تلاوة القرآن ﴿مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ حين سمعوا ذلك وصدَّقوا به.

---

(١) قال الطبري: وترك ذكر الذي أقسىٰ الله قلبه وجواب الاستفهام اجتزاء بمعرفة السامعين (تفسير الطبري ٢١/ ٢٧٧) وهذه من سنن نظم القرآن وأساليبه. وانظر: معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٥١، الكشف والبيان ٢٣/ ٣٧، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٤٧.

(٢) أي تكرر فيه الأنباء والأخبار والقضاء والأحكام والحجج، وهو قول عامة المفسرين (تفسير الطبري ٢١/ ٢٧٩، الكشف والبيان ٢٣/ ٤٣).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٥١.

(٤) وهو مندرج تحت القول السابق من وجه، وقد ذكر الماوردي سبعة أوجه مؤتلفة في تفسير المثاني ليس منها هذا (النكت والعيون ٥/ ١٢٣). وانظر: تفسير السمعاني ٤/ ٤٦٦، وزاد المسير ٤/ ١٤..

وقال أبو سهل: تتقلص جلودهم، وتقف شعورهم، وترعد أعضاؤهم، إذا مروا منه بآية عذاب.

ثم ﴿تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ﴾ بعد القشعريرة، الاقشعرار، وتسكن أعضاؤهم إلىٰ ذكر الله حين يذكرون رحمته، وحُسن عائدته علىٰ عباده الأوَّابين إليه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الكتاب ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ نوره ﴿يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ من خلقه ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ عن دينه ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يعني: يدفع العذابَ عن نفسه بوجهه، وهو الكافر في النار، أصاب النار يده فجمع يده إلىٰ عنقه كيلا يصيبها نار؛ فأصاب النار وجهه.

وجواب الكلام محذوف، وجوابه: مَن كان علىٰ هذه الصفة كمن يُكرم وجهه بطاعة الله كيلا تمسه نار(١).

﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: وبال ما كسبتم وعقوبة كُفركم.

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: من قبل قومِك رسلهم كما كذَّبوك هؤلاء ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾ العذاب ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ بيَّنا لأهل مكة ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ من الأمر والنهي ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ غير مخالف للكتب المتقدمة في التوحيد وفي بعض الشرائع، وقيل: غير ذي لحن فيُقَوِّمه الناس(٢).

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٢٨٢، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٥٢.

(٢) وهذا قول بكر بن عبد الله، وعن مجاهد: غير ذي لبس (تفسير الطبري ٢١/ ٢٨٣) وانظر أقوالهم في الكشف والبيان ٢٣/ ٥١.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٢٨﴾ أي: يوحِّدون.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ في الآية تقديم وتأخير، معناه: ضرب الله رجلاً فيه شركاء متشاكسون ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾(١) مَثَلاً يعني به الكافر والمؤمن، فمثل المؤمن مثل السالم لرجل لا يشركه فيه غيره، ومثل الكافر مثل الذي فيه شركاء مختلفون الذين لا يتفقون.

والشركاء المتشاكسون المتخاصمون: الأصنام والشياطين، فإرضاء الواحد أسهل من إرضاء الجماعة، لاسيما إذا كانوا متشاكسين.

وقرئ: «سَالِمًا» و«سَلَمًا»، فالسَّالم: الخالص، والسَّلَم: مصدر سَلِم يسلَم سَلَمًا، معناه رجلاً ذا سلم(٢).

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ يعني: هل يستوي [من] يعبد آلهة شتىٰ مع الذي يعبد الله وحده.

ثم حَمِدَ نفسه فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ علىٰ تفضيله من اختاره علىٰ من اشتغل بما دونه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٩﴾ أمثال القرآن.

ثم قال لرسوله عليه الصلاة والسلام ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ يعني ستموت ﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ أي: من كفر بك سيموتون لا محالة.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ تتكلمون بالحُجَّة، يعني: رسول الله مع كفار قريش.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وجعل له شريكًا وولدًا وهو يتصرف في

---

(١) في الأصل: «سالما» وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب، وقرا الباقون كما أثبت (النشر ٢/ ٣٦٢).

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٢٨٤، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٥٢.

نِعَم الله وإحسانه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ﴾ أي: بالقرآن والتوحيد ﴿إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾ يعني: حسبهم ذلك.

ثم وصف أهل الحق فقال ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ قال مقاتل: هو رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جاء بالتوحيد، وصدَّق به المؤمنون[1].

وقيل: جاء بالصدق جبريل وصدَّق به محمد صلىٰ الله عليه وسلم[2].

وقال علي رضي الله عنه: جاء بالصدق: يعني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، يعني بالتوحيد، وصدَّق به أبو بكر[3].

وقال الزجاج: الذي والذين ههنا بمعنىٰ واحد، ومعناه: من جاء بالصدق وصدَّق به معطوف علىٰ الأول، وهو الجنس[4].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ﴾ بدل عن الجماعة ﴿ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾ الشرك والفواحش.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾ أي: ما يتمنون في الجنة عند الله ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤﴾ ثواب الموحِّدين.

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾ في الدنيا من شرك يمحق التوحيد ﴿وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم﴾ في الآخرة ﴿بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٥﴾ في الدنيا، وقيل: يجزيهم بالمحاسن ولا يكافئهم بالمساوئ[5].

﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾ وهذا جواب قولهم: يا محمد، لا تذكر آلهتنا

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ١٣٣.
(٢) وهو قول السدي (الكشف والبيان ٢٣/ ٦١).
(٣) رواه الطبري في تفسيره ٢١/ ٢٩٠
(٤) معاني القرآن ٤/ ٣٥٤.
(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ١٨٦.

كيلا يصيبك منهم الخبل، فنزلت الآية[١].

أي: الله يكفيك شرَّ أعدائه.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعني الأصنام ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ عن الهُدىٰ ﴿فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٦ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ﴾ يصرفه عن هُداه ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ ٣٧﴾ من أهل معصيته.

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ يعني: أهل مكة ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ خلقهما ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم﴾ أخبروني ﴿مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام ﴿إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ أي: فقر أو بلاء ﴿هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ أي: بلاءه مني ﴿أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ﴾ وسعة من العيش وصحَّة في الجسم ﴿هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾[٢] هل: تقدر آلهتكم أن يحبسوا عني رحمته، فسألهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فسكتوا ولم يجيبوا، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٣٨﴾ أي: به يثق الواثقون، وهو قادر علىٰ ما يشاء، ومن توكل علىٰ مَن دُونه خذله عند الحاجة إليه.

﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ أمر توبيخ، يعني: اعملوا علىٰ طريقتكم[٣].

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ١٨٦، الكشف والبيان ٢٣/ ٦٦. وعن قتادة قال: بعث النبي صلىٰ الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلىٰ شعب سقام ليكسر العزىٰ فقال سادنها: يا خالد أنا أحذركها، إن لها شدة، لا يقوم إليها شيء، فمشىٰ إليها خالد بالفأس فهشم أنفها. تفسير الطبري ٢١/ ٢٩٤.

(٢) في الأصل: «كاشفاتٌ ضرَّه» «ممسكاتٌ رحمتَه» وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب، وقرأ الباقون كما أثبت (النشر ٢/ ٣٦٣).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٥٥.

وقال الكلبي: في منازلكم بهلاكي[١].

فـ ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على طريقتي التي أمرني بها ربي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣٩﴾ عن قريب إذا نزل بكم العذاب ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ مِنْ: للاستفهام، يعني: أيُّنا يأتيه عذاب يفضحه، لأنَّ جواب الشرط مجزوم وهذا غير مجزوم ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٤٠﴾ أي: ومن يجب عليه عذاب دائم لا يزول عنه.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي: آمن بالقرآن ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ ثوابه ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الإيمان ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي: على نفسها عقوبة الكفر ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٤١﴾ وصارت هذه منسوخة بآية السيف.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ أي: يقبض أرواحها عند انقضاء آجالها ﴿وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ أي: يتوفى الأنفس في النوم أيضًا.

قال الزجاج رحمه الله: أي[٢]: يتوفَّى عند الموت نفس الحياة والحركة، وهي الروح، وما يُتوفَّى في النوم نفس التمييز والعقل، لا نفس الحياة، لأنَّ نفس الحياة إذا زالت زال معها النَفَس والحركة، والنائم يتنفس ويتحرك، فالحاصل أنَّ النفس نفسان، نفس الحياة وهي التي تُقبض عن الحي عند الموت، ونفس التمييز والنطق وهي التي تُقبض عند النوم والجسم حي[٣].

---

(١) تنوير المقباس ٣٨٩.

(٢) في الأصل: التي، وهو تصحيف، والتصحيح من المصدر.

(٣) نحوه في معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٥٦.

وقال الطبري (في تفسيره ٢١/ ٢٩٨): ومن الدلالة على أن الألوهية لله الواحد القهار خالصة دون كلِّ ما سواه، أنه يميت ويحيي، ويفعل ما يشاء، ولا يقدر على ذلك شيء سواه، فجعل ذلك خبرًا نبههم به على عظيم قُدرته، فقال: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ فيقبضها عند

ثم قال: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ ولا يردها إلى الجسد يعني نفس الحياة ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ أي: نفس النطق والتمييز ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ وهو تمام عمره ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في رد النفس بعد القبض ﴿لَأٓيَٰتٍ﴾ أي: عبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ﴾ ميم زائدة، وهو ألف الاستفهام، عن أبي سهل[1].

وقال الضحاك: بل اتخذوا، أي: عبدوا دون الله أصنامًا، وزعموا أنَّها ستشفع لهم عند الله.

﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ﴾ معناه وإن كانوا ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ فتعبدونهم.

فناء أجلها، وانقضاء مدة حياتها، ويتوفى أيضًا التي لم تمت في منامها، كما التي ماتت عند مماتها ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ ذُكر أنَّ أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وحبسها، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى أجل مسمى وذلك إلى انقضاء مدة حياتها، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. أهـ.

ولوفاة النوم أثر في الرؤيا، فقد وروى ابن أبي حاتم عن سليم بن عامر أن عمر بن الخطاب قال: العجب من رؤيا الرجل إنه يبيت فيرى الشيء لم يخطر له على باله، فتكون رؤيا كأخذ باليد، ويرى الرجل الرؤيا فلا تكون رؤياه شيئا! فقال علي بن أبي طالب: أفلا أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين؟ يقول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ ﴾ فالله يتوفى الأنفس كلها، فما رأت وهي عنده في السماء فهي الرؤيا الصادقة، وما رأت إذا أرسلت إلى أجسادها تلقتها الشياطين في الهواء فكذبتها وأخبرتها بالأباطيل فكذبت فيها فعجب عمر من قوله.

(١) مثله في تفسير أبي الليث ٣/ ١٨٨.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ لا يقدر ملك مقرَّب ولا نبي مرسل على الشفاعة إلا بإذن الله ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٤٤﴾ بعد الموت.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ [وَحۡدَهُ]﴾ بالوحدانية ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ أي: نفرت قلوبهم، وقالوا: أجعل الآلهة إلـٰهًا واحدًا ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾ يعني: بذكر اللات والعُزى[1].

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ يا ﴿عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي ما غاب عن علم العباد وما علموه ﴿أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٤٦﴾ في الدين.

ثم ذكر حال المشركين فقال: ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا﴾ يوم القيامة ﴿وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ أي: مثل ما في الأرض معهم ﴿لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ﴾ أي: بجميعه أنفسهم ﴿مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ أي: شدة العذاب ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: سيظهر لهم يوم القيامة من الله، أي: من عذاب الله ﴿مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ٤٧﴾ أي: يظنون في دار الدنيا.

﴿وَبَدَا لَهُمۡ﴾ أي: سيبدو لهم ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ من الشرك حين نطقت الجوارح بما كتمته الألسُن ﴿وَحَاقَ بِهِم [مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ]٤٨﴾ أي: دار ونزل بهم عقوبة استهزائهم بالرسول والكتاب.

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ﴾ أي: الكافر شدة وفقر ومرض ﴿دَعَانَا﴾ مخلصًا ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ﴾ أي: ملَّكناه ﴿نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ﴾ أي: جَلَدٍ وحيلة في التجارات ﴿بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ﴾ وبليَّة أعطاه الله اختبارًا يشكر أم يكفر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٩﴾ ذلك.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ١٨٩.

قيل: نزلت في النضر بن الحارث، وقيل في أبي حذيفة بن المغيرة[١].

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: قارون، قال: «أُوتيته على علم عندي» ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٥٠﴾ عند الهلاك.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ۚ﴾ أي عقوباته ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أهل مكة ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ۝٥١﴾ أي: بسابقي الله في الأرض هربًا.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ﴾ أي: يُضيق على من يشاء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ بسط الرزق والضيق ﴿لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾.

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بالذنوب من القتل والزنا وغيره ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ لا تيأسوا من مغفرة الله، إنه غفور رحيم لا يتعاظمه ذنب ندم عليه صاحبه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ صغيرها وكبيرها، سرها وعلانيتها، إذا تاب صاحبها ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ المتجاوِز الرحيم بعد التوبة.

الضحاك: نزلت في الوحشي قاتل حمزة[٢].

وقوله: لا تقنطوا من رحمة الله، لأنَّ قنوطكم من الرحمة أفظع من معصيتكم وجنايتكم على أنفسكم، وإن أوردتم أنفسكم في المهالك.

وقال علي بن أبي طالب: هي أرجىٰ آية في كتاب الله تعالىٰ.

لأنَّه عز وجل أمهل عباده تفضُّلاً منه وتكرُّمًا إلىٰ آخر نفَس، وقال: لا

---

(١) سبق ذكر ذلك. وهو قول مقاتل (تفسير مقاتل ٣/ ١٣٦).

(٢) وهي رواية عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس (الكشف والبيان ٢٣/ ٧٧)، وقول كثير من المفسرين (تفسير الطبري ٢١/ ٣٠٧).

تيأسوا فإنكم لو رجعتم إلىٰ بابي في آخر النَفَس لقبلتكم. وهو قول سهل[١].

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ أي: أخلصوا له الطاعة ولا تشركوا فيها غيره، وأطيعوا أمره ونهيه ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ علىٰ الكفر ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤﴾ من عذابه.

﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ اعملوا بالقرآن وأحلُّوا حلاله، وحرِّموا حرامه ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ﴾ فجأة يأخذكم علىٰ الشرك ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٥٥﴾.

﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ﴾ أي: مِن قبل أن تقول، وقيل: حذار أن تقول نفس[٢] ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أي: قصَّرت وضيَّعت، ويا ندامتي علىٰ ذلك ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في جوار الله وقُربه، وقيل: طاعة الله وحقه وأمره ونهيه، وقيل: في ذات الله[٣].

﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦﴾ وقد كنت في دار الدنيا من المستهزئين بمن دعا إلىٰ الله.

﴿أَوۡ تَقُولَ﴾ أي: من قبل أن تقول ﴿لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾ عرَّفني وبصَّرني بدينه ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٥٧﴾ الموحدين.

﴿أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ﴾ مِن قبل أن تقول ﴿لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ﴾ أي: رجعة إلىٰ الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٨﴾ جواب التمنِّي بالفاء نصبٌ[٤].

---

(١) رواه الطبري عن علي بلفظ: أوسع آية، وهي بمعنىٰ، وروىٰ عن ابن مسعود باللفظ الذي ذكره المصنف: أرجىٰ (تفسير الطبري ٢١/ ٣٠٨).

(٢) أي: لئلا تقول (تفسير الطبري ٢١/ ٣١٣).

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٣١٤.

(٤) الدر المصون ٩/ ٤٣٦.

ثم قال ﴿بَلَىٰ﴾ وبلىٰ جواب النفي، وليس في الكلام نفي ظاهر، ولكن: لو أن الله هداني؛ هو نفي للهداية، معناه: ما هداني الله، فأجابه ببلَىٰ.

﴿قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى﴾ كتابي ورسولي ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾ بعدما دُعيت لها ﴿وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ عن توحيد الله

﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي: بنجاتهم[١]، وهو إيمانهم وإحسانهم وطاعتهم، والمفازة: مكان الفوز.

﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ الشدة والعذاب في الجنة، ابن عباس: أنه لما بعث المؤمن من قبره تأتيه أعماله الصالحة صورةَ حسن الوجه، نقي الثياب، طيّب الرائحة، فيجلس إلىٰ جنبه، فلا يرىٰ ما يهوله من انفطار السماوات، وتشقق الأرض، أو كسْف الجبال، أو زفرة جهنم؛ إلا هوَّنته عليه هذه الصورة، وقال: أبشر يا وليَّ الله، ولا يهولنَّك، هذا يوم وعدك الله بكرمه، فيقول العبد: من أنت جزاك الله خيرًا؟ فيقول: إني عملك الصالح، اركبني فطال ما ركبتك علىٰ المكاره، فيركبه فينجيه من المكاره، ويجوزه عنها، فذلك قوله: بمفازتهم، ومفازتهم: لا يصيبهم عذاب ولا حزن[٢].

وقال الصادق: مفازاتهم سعادتهم القديمة، لأنَّ التقوىٰ تظهر من تلك السعادة.

---

(١) في الأصل: هيجانهم، وهو تصحيف لا معنىٰ له. وما أثبته من كتب التفسير، انظر: زاد المسير ٤/ ٢٤.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٣١٩، الكشف والبيان ٢٣/ ١٠٢.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾ ليس معه شريك، أي: مُوجد الأشياء من العدم.

قيل: هذا عام في معنىٰ الخاص؛ لأنَّ الله تعالىٰ شيء، وصفاته أشياء، وجوابه: أنه شيء لا كالأشياء، ولأنَّ المخاطِب لا يدخل في خطابه.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ حفيظ، وقيل: كفيل بأرزاق العباد.

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ مفاتيح خزائن السماوات والأرض بالمطر والنبات[١].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني: أهل مكة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ في الآخرة.

﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤﴾ يعني: أتأمرونني بعبادة غير الله أيها الجاهلون بآياته.

وذلك أنهم قالوا: استلم بعض[٢] آلهتنا ونؤمن بإلٰهك فنزلت الآية[٣].

﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ من الأنبياء والأمم الخالية ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ والخطاب لكل واحد بالوحدان.

﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ بالعقوبة.

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ والفاء للمجازاة، والمعنىٰ: تبيَّنْتَ فاعبد الله ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ لنعم ربك.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ ما عرفوه حق معرفته.

---

(١) واحد المقاليد: مقلاد، وهي الخزائن (الكشف والبيان ٢٣/ ١٠٣).

(٢) في الأصل: نقص، وهو تصحيف فيما يظهر.

(٣) وهو قول مقاتل في تفسيره ٣/ ١٣٨.

نزلت الآية في اليهود، أتوا إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقالوا: صِف لنا ربك وما طوله وما عرضه، فارتعد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن سؤالهم فَرَقًا، ووضع صلىٰ الله عليه وسلم إصبعيه في أذنيه، فأنزل الله تعالىٰ الآية[1].

والمعنىٰ: كيف يستطيع هؤلاء الفسقة أن يحدُّوا لي حدًّا.

﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ [يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ]﴾ أي: في قدرته[2].

وقيل: الأرض قبضته حين حُملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، وحين رُجَّت الأرض رجًّا، وبُسَّت الجبال بسًّا، فكانت هباء منبثًا، ثم بعد ذلك تطوي السماء كطي السجل للكتب، فتكون السماوات مطويات بيمينه.

والمراد به: الملك، كقوله ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ وليس الملك لليمين دون الشمال، ولكن المراد من اليمين القدرة والقوة، يعني به الملك والوِلاية،

---

(١) روي نحوه عن سعيد بن جبير (تفسير الطبري ٢١/ ٣٢٨).
والوارد في شأن اليهودي في هذه الآية ما رواه البخاري (٤٨١١) ومسلم (٢٧٨٦)، عن عبد الله رضي الله عنه، قال: جاء حبر من الأحبار إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال: يا محمد إنا نجد: أن الله يجعل السماوات علىٰ إصبع والأرضين علىٰ إصبع، والشجر علىٰ إصبع، والماء والثرىٰ علىٰ إصبع، وسائر الخلائق علىٰ إصبع، فيقول أنا الملك، فضحك النبي صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾.
ورواه ابن جرير في التفسير من طرق ٢١/ ٣٢٨.

(٢) وهذا تأويل بعيد، حمله عليه الفرار من إثبات صفة اليد لله، وقد تكاثرت الروايات علىٰ إثبات صفة اليد لله، وأنها غير القدرة، وبذلك جاء تفسير السلف (تفسير الطبري ٢١/ ٣٢٤).

كما يقال: خراسان في يد فلان، وعراق في يد أخيه، أريد به الوِلاية[1].

ثم نزَّه نفسه فقال ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ أي: عما يصفه اليهود الجُهَّال.

---

(١) كفىٰ برد هذا القول أنه يخالف التفسير المأثور، فكلام السلف جاء علىٰ إثبات يد لله، كقول ابن عباس: قبض الأرضين والسماوت بيمينه، وإنما يستعين بشماله المشغولة يمينه.
ثم انظر إلىٰ التمثيل حين قال: ما السماوات السبع في يد الله إلا كخردلة في يد أحدكم، هل يصلح أن يكون المعنىٰ: في قدرة الله!
وقال ربيعة الجرشي -فقيه الشام ومفتيه في زمن معاوية-: ويده الأخرىٰ خلو ليس فيها شيء، هل قدرته الأخرىٰ لا شيء فيها!
وفي حديث عبد الله بن عمر، أنه رأىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، علىٰ المنبر يخطب الناس، فمر بهذه الآية: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: يأخذ السماوات والأرضين السبع فيجعلها في كفه، ثم يقول بهما كما يقول الغلام بالكرة: أنا الله الواحد، أنا الله العزيز، حتىٰ لقد رأينا المنبر وإنه ليكاد أن يسقط به.
وفي لفظ: «يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيديه، وقبض رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يديه، وجعل يقبضهما ويبسطهما، قال: ثم يقول: أنا الرحمن أنا الملك، أين الجبارون، أين المتكبرون، وتمايل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن يمينه، وعن شماله، حتىٰ نظرت إلىٰ المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتىٰ إني لأقول: أساقط هو برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؟». روىٰ ذلك كله ابن جرير في تفسيره ٢١/ ٣٢٩، ثم حكىٰ عن بعض علماء العربية من البصريين مثل قول المصنف فقال: وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾يقول: في قدرته، نحو قوله: «وما ملكت أيمانكم» أي: وما كانت لكم عليه قدرة، وليس الملك لليمين دون سائر الجسد، قال: وقوله «قبضته» نحو قولك للرجل: هذا في يدك وفي قبضتك.
ثم علق ابن جرير بسطر واحد فقال: «والأخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وعن أصحابه وغيرهم، تشهد علىٰ بطول هذا القول».

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: مات من شدة الصوت والفزع، يعني به النفخة الأولىٰ ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ يعني: جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل صاحب الصور، ثم أمر ملك الموت أن يقبض أرواحهم، فيبقىٰ ملك الموت وإسرافيل، ثم يأمر العرش أن يأخذ الصور من يده، فيأمر بقبض روح إسرافيل، ثم يقول لملك الموت: مت أنت، فيموت، وهو آخر الخلق موتًا، فيبقىٰ الجبَّار فردًا أحدًا صمدًا إلىٰ أربعين سنة، ثم يحيي الله إسرافيل فينفخ في الصور، فيؤتىٰ بأرواح الخلق مثل طيران النحل، فهي أهدىٰ إلىٰ أبدانها من انصراف أحدكم من الجمعة إلىٰ رَحْلِه، والأرواح يومئذ بيض وسود، للمؤمن والكافر، فذلك قوله[1] ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾.

﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أي: أضاءت أرض القيامة بعدل ربها[2] ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ في الأرض بعد ما كان في السماء.

وقيل: وُضِعَ الكتاب في الأيمان والشمائل[3].

---

(١) روىٰ ابن جرير في التفسير ٢١/ ٣٣١ نحوه مرفوعا من حديث أنس، وفيه يزيد الرقاشي، متروك الحديث.

وانظر تفسير سورة النمل، آية ٨٧.

(٢) القول بأن النور هنا هو العدل مروي عن السدي، وعن الضحاك: بحكم ربها (الكشف والبيان ٢٣/ ١٣٤). وهذا شاذ، فإن أكثر المفسرين -كما قال الثعلبي- قالوا: بضوء ربها.

وهو الذي لم يذكر الطبري سواه، والمعنىٰ: نور الله يشرق علىٰ الأرض حين يبرز الرحمن لفصل القضاء بين خلقه (تفسير الطبري ٢١/ ٣٣٥).

وروىٰ الطبري عن قتادة، قوله: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ قال: فما يتضارون في نوره إلا كما يتضارون في الشمس في اليوم الصحو الذي لا دخن فيه.

(٣) أي كتب أعمالهم (تفسير الطبري ٢١/ ٣٣٥).

﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ وهم الحفظة من الملائكة ليشهدوا على الأعمال ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ بين الأنبياء وأممهم ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٩﴾ لا يُنقصون من أعمالهم شيئًا.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ من خير أو شر ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٧٠﴾ من الحفظة.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ في القيامة بعد الحساب من سرادقات النار ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ جمع زُمرة وهو الفوج ﴿حَتَّىٰٓ﴾ إذا بلغوا أبواب جهنَّم ﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ دركاتها ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ يعني: الزبانية ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: الأنبياء ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ كُتبه ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ الذي استقبلكم ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ أتونا ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧١﴾ أي: كُنَّا أشقياء فلم نقدر أن نعمل بعمل أهل السعادة.

﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا تموتون ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٢﴾ عن الإيمان أي: منزلهم.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ أي: زُمرة بعد زُمرة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ بلغوها ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ قيل: إنَّ الواو مُسقَط، لأنه جواب، والجواب لا يُوصَل بواو العطف، وعلى هذا التأويل لم تكن الأبواب مفتحة قبل مجيئهم(١).

وقال الخليل: الواو دخلت في الكلام على معنى تكرير الفعل، وتقديره: حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها.

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٣٤٠، الكشف والبيان ٢١/ ٣٣٥.

وقال أبو حاتم وأبو سهل: قال في صفة أهل النار: جاءوها فتحت أبوابها، كأنها فتحت بعد ما جاؤوها، وفي صفة أهل الجنة جاءوها وفتحت أبوابها، كأنهم جاءوها ووجدوها مفتحة[١].

وقيل: هو واو الثمانية، ودليل على أن أبواب الجنة ثمانية كقوله: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارًا ۝٥﴾، ﴿وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾ ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ وقال: ﴿سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ﴾[٢].

﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ﴾ أي: كنتم في الدنيا طيبين عن الخبائث والكبائر.

وقيل: وقعتم إلىٰ طيب العيش[٣].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٦٤.

(٢) قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي (في زاد المسير ٤/ ٢٧): وفي هذه الواو ثلاثة أقوال:
أحدها: أنها زائدة، روي عن جماعة من اللغويين منهم الفراء.
والثاني: أنها واو الحال، فالمعنىٰ: جاؤوها وقد فتحت أبوابها، فدخلت الواو لبيان أن الأبواب كانت مفتحة قبل مجيئهم، وحذفت من قصة أهل النار لبيان أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم.
ووجه الحكمة في ذلك من ثلاثة أوجه: أحدها: أن أهل الجنة جاؤوها وقد فتحت أبوابها ليستعجلوا السرور والفرح إذا رأوا الأبواب مفتحة، وأهل النار يأتونها وأبوابها مغلقة ليكون أشد لحرها، ذكره أبو إسحاق بن شاقلا من أصحابنا.
والثاني: أن الوقوف علىٰ الباب المغلق نوع ذل، فصين أهل الجنة عنه، وجعل في حق أهل النار، ذكره لي بعض مشايخنا.
والثالث: أنه لو وجد أهل الجنة بابها مغلقا لأثر انتظار فتحه في كمال الكرم، ومن كمال الكرم غلق باب النار إلىٰ حين مجيء أهلها، لأن الكريم يعجل المثوبة، ويؤخر العقوبة..، وهذا وجه خطر لي.
والقول الثالث: أن الواو زيدت، لأن أبواب الجنة ثمانية.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ١٩٦.

﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ لأنَّ من عادة الملوك إذا أكرموا أحدًا يبعثون إليه الخدم يتلقونه بالسلام ويُدخلونه.

﴿وَقَالُواْ﴾ أي: أهل الجنَّة ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾ في الدنيا في كتبه وعلىٰ ألسنة رسله ﴿وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ﴾ يعني: الجنة أبدلنا بأعمالنا الجنة ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ بحبوحة الجنة ﴿حَيۡثُ نَشَآءُۖ﴾ نشتهي ﴿فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤﴾.

﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ بعد سكون أهل الجنَّة في الجنة ﴿حَآفِّينَ﴾ مُحْدِقين ﴿حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ [بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ]﴾ بأمر ربهم أبد الآبدين، يثنون علىٰ ربهم حين قضىٰ بين خلقه بالعدل، ويقولون: سبوح قدوس يا إلٰهنا ما أعدلك في قضائك بين خلقك.

﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ أي: قضىٰ بين الرسل وأممهم بالعدل الذي ليس فيه ظلم ﴿وَقِيلَ﴾ يعني: بعد الفراغ والطمأنينة بالمكان ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٥﴾.

قال مقاتل: افتتح الخلق بالحمد حيث قال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ ، وختم إفناء الخلق بالحمد، حيث قال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٥﴾، وأقرَّ أهل الجنة في الجنة حتىٰ قيل: الحمد لله رب العالمين(١).

وقد ذكرنا فضيلة السورة عند افتتاح تفسيرها(٢).

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ١٩٦.

(٢) لم يذكر شيئا، فلعله سقط علىٰ الناسخ، أو أنه وهم، والله أعلم.

والحديث الذي اعتاد علىٰ ذكره هو الحديث الموضوع علىٰ أبي: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه وأعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا، رواه المستغفري في فضائل القرآن ١٢٠٦.

سورة المؤمن

كلها مكية[١]، وهي ثمانون وخمس آيات في الكوفي، وأربع في المدني، وآيتان في البصري[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿حمٓ ①﴾:

روي عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مثل الحواميم في القرآن مثل الحبرات في الثياب»[٣].

وعن عبد الله بن مسعود: الحواميم ديباج القرآن[٤].

وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «لكل شيء ثمرة، وثمرة القرآن حواميم، وهي روضات حسنات مخصبات متجاورات، فمن أراد أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم»[٥].

---

(١) وهي سورة غافر، مكية بإجماعهم، وهي أول الحواميم: أي السور التي تبدأ بـ: حم (الكشف والبيان ٢٣/ ١٤٩، زاد المسير ٣/ ١٩٧).

(٢) والمكي كالمدني، وفي الشامي ست (البيان في عد آي القرآن ٢١٨).

(٣) غريب، وقد ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٢٣/ ١٥٥ من دون إسناد، ولم يوقف له علىٰ إسناد، فهو من الأحاديث المشهورة في التفسير التي لا أصل لها، ولعله أخذ من قول عبد الله الآتي.

(٤) رواه المستغفري في فضائل القرآن ٨٨٥، بإسناد منقطع، وانظر تخريجه فيه.

(٥) رواه ابن الضريس في فضائله ٢٢٣، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال: بلغنا أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «إن لكل شجر ثمرًا، وإن ثمر القرآن ذوات حم هن روضات مخصبات معشبات متجاورات، فمن أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم، ومن قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له»، وهذا مرسل ضعيف، وذكره الثعلبي في الكشف

وعن أبي الدرداء: كُنَّا نسمي الحواميم العرائس[١].

قال ابن عباس: فيه ثلاثة أوجه: قسم، واسم الأعظم، وحروف مقطعة من أسماء الله تعالىٰ [و] تقدس: بسم الله الرحمن الرحيم الحليم المجيد[٢].

والمعنىٰ: آلر، وحم، ونون، إذا اجتمعت صارت اسم الرحمن.

أبو سهل: الحرفان مأخوذان[٣] من أسماء الله تعالىٰ.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾ العزيز بسلطانه العليم بخلقه.

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ يعني: الشرك لمن تاب، وقيل: ساتر العيوب[٤] ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ يعني: التوبة، وقيل: مصدر أقيم مقام الاسم[٥].

﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن لا يتوب ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ أي: ذي المنِّ والفضل.

والطَّوْل: الإنعام الذي طالت مدَّته علىٰ صاحبه[٦].

والبيان ٢٣/ ١٥٥ من دون إسناد. ورواه المستغفري في فضائل القرآن ٨٨٩ من وجه آخر عنه وبلفظ آخر.

(١) يعني: عرائس القرآن، لحسنهن وبهائهن، وهذا الكلام مروي عن سعد بن إبراهيم الزهري بإسناد حسن، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٣/ ١٥٥.

(٢) لا يكون مثل هذا الكلام من قول ابن عباس قطعا، إذ ليس من منهجه في التفسير أن يذكر في الآية أوجها، فإذا عزي إليه مثل هذا عرف أنه من رواية الكلبي أو مقاتل.

وروىٰ الوالبي عنه: أنه قسم واسم من أسماء الله، وروىٰ عكرمة عنه أنه حروف مقطة مجموعها الرحمن (تفسير الطبري ٢١/ ٣٤٥، الكشف والبيان ٢٣/ ١٥٩).

(٣) في الأصل: مأخوذتان.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ١٩٧.

(٥) تفسير الطبري ٢١/ ٣٥٠، وذكر وجها آخر، وهو: قد يكون جمع توبة، كما يجمع الدومة دوما.

(٦) الكشاف ٤/ ١٤٨.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ أي: لا معبود يستحق الكمال في الأوصاف، ويكون له حال[١] الأمر والحُكم إلا هو.

﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾ إليه المنقلب في الآخرة، لمن قال لا إله إلا الله؛ ومَن لم يقل.

قال الضحاك: انتهىٰ الوليد بن المغيرة إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في دار الندوة وهو يقرأ هذه الآية، فأنصت لها ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يكررها حتىٰ حفظها الوليد، ثم إنَّه أتىٰ نادي قريش فقال: يا معشر قريش، أتيتكم من عند محمد، لقد سمعتُه يمدح ربه مدحًا لم تسمع الآذان مثله، والله إن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر، وإنَّ عليه لطلاوة وحلاوة، وإنَّ إلـٰهه ليعلو ولا يُعلا، فقالت قريش: صبأ أبو المغيرة[٢].

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ومن ينكر وحدانيَّة الله ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ﴾ وسلامتهم ﴿فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٤﴾ وللتجارات والأرباح، فإن عاقبة أمرهم الهلاك والعذاب.

ثم ذكر حال الأمم الخالية فقال: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ﴾ أي: أرادت ﴿كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ﴾ ويقتلوه ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ وقالوا: ما أنتم إلا بشر مثلنا فهلَّا أرسل الله إلينا ملائكة ﴿لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ أي: بالجدال الإسلام[٣].

﴿فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾ انظر كيف كان عذابي.

---

(١) في الأصل: كحال، ولا معنىٰ لهذه الكاف.

(٢) المشهور أنه قرأ عليه سورة فصلت، كما سيأتي.

(٣) ليدحضوا به الحق: أي ليدفعوا به الحق، أي يبطلوه (تفسير الطبري ٢١/ ٣٥٣، معاني القرآن ٤/ ٣٦٦).

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: مثل ذلك وجب عذاب ربك ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بالله ورسله ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾ نجزت القصة.

ثم ابتدأ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ وهم الروحانيُّون والكروبيون، ينزِّهون الله بأمره، وقيل: يصلُّون بأمره[1] ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يقولون ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي: رحمتك أوسع من كل شيء ﴿فَٱغْفِرْ﴾ يا رب ﴿لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من الشرك ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ لزموا دينك ﴿وَقِهِمْ﴾ بتوحيدك ﴿عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ على ألسنة رسلك ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ أدخلهم الجنة نعيم ﴿إِنَّكَ أَنتَ [ٱلْعَزِيزُ]﴾ المنتقم من أعدائك ﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٨﴾ في أمرك وقضائك ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يعني: الشرك ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ مجزوم على الشرط ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾ والجزاء في الفاء ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ وذلك لأنَّ إبليس يُقْرَن بالكافر في جهنَّم، فيقول الخُزَّان للكافر: هذا إبليس الذي أطعته وكفرت إلٰهك بأمره، فيمقتون أنفسهم في النار، فقال الخُزَّان عند ذلك[2]: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ [إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ۝١٠]﴾ لأنكم كنتم تدَّعون [إلىٰ] الإيمان فتكفرون فحينئذ: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾.

---

(١) أطال الثعلبي في ذكر صفة الملائكة حملة العرش وفي ذكر صفة العرش (الكشف والبيان ٢٣/ ١٧١).

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ١٩٩.

قال الضحاك: خلقتنا أمواتًا أي: نطفًا، ثم أحييتنا، ثم أمتنا، ثم أحييتنا، فهاتان الحياتان والموتان، وتصديقه قوله ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[١].

وقال أبو سهل: أحياهم حين أخرجهم من صلب آدم، وأماتهم حين ردَّهم إلىٰ أصلاب الآباء، ثم أحياهم في بطون الأمهات، ويخرجهم حيًا، ثم يميتهم عند انقضاء الآجال، فهما موتان وحياتان[٢].

وقيل: الموتة الأولىٰ عند انقضاء الأجل، والحياة الأولىٰ في القبر، لسؤال مُنكر ونكير، ثم الموت بعده في القبر، ثم الحياة الثانية البعث[٣].

وهذا أظهر لأنَّ الكفار قالوا: «أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين» فيكون جميع ذلك بعد كُفره، حين يذوق شدة الموت مرَّتين، وأمَّا أهل الجنة فقد قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ وذلك عند انقضاء آجالهم، لأنَّ موتهم في القبر ليس له شدة الموت، ولكنه نومة العروس.

ثم قالوا: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ فيجاب لهم: لا إذن لكم بالخروج أبدًا، فيقولون: لماذا، وقد اعترفنا بذنوبنا؟ فيقال لهم: ﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب ﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ﴾ اللات والعُزَّىٰ ﴿تُؤْمِنُوا۟﴾ تقروا بهما وغيرهما ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ العلي الرفيع في مُلكه وسلطانه الكبير الذي لا شيء أعظم منه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ من خلق السماوات والأرض وعجائبهما

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٣٦٠، الكشف والبيان ٢٣/ ١٨٥، وهو قول قتادة وابن عباس

(٢) وهو قول ابن زيد، تفسير الطبري ٢١/ ٣٦١، تفسير أبي الليث ٣/ ١٩٩.

(٣) وهو قول السدي، كما في تفسير الطبري ٢١/ ٣٦١.

﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًاۚ﴾ مطرًا ولا يتفكر في عجائب قدرته ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾ المُقْبِل علىٰ طاعته.

﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ بالطاعة ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١٤﴾ توحيدكم.

ثم مدح نفسه فقال ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ أي: يرفع منازل العباد بالتوحيد كما قال: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٩٥ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾[1].

ذو العرش: أي: هو رب العرش.

﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ أي: يرسل جبريل ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[2] لرسالته ﴿لِيُنذِرَ﴾ الرسول عباده ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝١٥﴾ يلتقي فيه أهل السماوات والأرض، وقيل: يلتقي الظالم والمظلوم والعابد والمعبود[3].

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾ من الأمكنة الخفيَّة علىٰ ظهر الأرض، في صعيد واحد مستوٍ، بعد ما استوت الأرض، وصارت بحال لو وضعت جوزة بالمشرق لرآها أهل المغرب.

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ﴾ مما عملوا في الدنيا ولا علىٰ أنفسهم ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ﴾ الكلبي: إذا هلك أهل السماء والأرض ولم يبق أحد إلا الله، يقول

---

(١) فعلىٰ هذا: رفيع فعيل بمعنىٰ فاعل، فالله عز وجل رفيع الدرجات أي رافع طبقات الثواب للأنبياء والمؤمنين في الجنة (الكشف والبيان ٢٣/ ١٨٧).
وقال مقاتل: رفيع الدرجات أي عظيم الصفات (تفسير السمعاني ٥/ ١٠).

(٢) في الأصل: بأمره، وقد كتبها بالحمرة علىٰ أنها قرآن، فلعله كان في الأصل تفسيرا، أي: من أمره: بأمره، والله تعالىٰ أعلم.

(٣) الكشف والبيان ٢٣/ ١٨٩، تفسير ابن كثير ٧/ ١٣٥.

الرب عزَّت قدرته: أين الملوك والجبابرة؟ وأين الذين أشركوا في مُلكي وسلطاني؟ فليس أحد يجيبه، فيرُدُّ الجواب علىٰ نفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦﴾ الذي قهر أهل السماء والأرض بقدرته وجبروته[١].

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ﴾ برّة أو فاجرة ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ في الدنيا خيرًا وشرًّا ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ من الله علىٰ أحد من خلقه، أي: لا تنقص من حسنات أحد ولا يزيد في سيئات أحد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٧﴾ أي: المجازاة.

﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ أي: خوِّف أهل مكة ﴿يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾ يعني: الدانية، وهي قريبة عند الله وإنْ استبعدها الناس ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ أي: الحلقوم لانتفاخ السحر[٢]، لأنَّ جهنَّم تزفر فطارت القلوب عن أماكنها، وتعلَّقت بالحلقوم، فلا يُؤذن لها بالرجوع ﴿كَٰظِمِينَ﴾ مكروبين محزونين ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: المشركين ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ يمنعهم من عذاب الله ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ من الملائكة والرُسل والمؤمنين ﴿يُطَاعُ ۝١٨﴾ في شفاعته، أي: شفيع مُطاع، وهو صفة الشفيع.

ثم قال ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ وهي نظرة خيانة، نظر إلىٰ ما لا يحل له، فالله تعالىٰ يعلم خيانته في قلبه ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾ وما في صدر الناظر، وإن لم يتكلم به.

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ ويأمر به ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾[٣] من الأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ لأنهم لا يسمعون ولا يبصرون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقول خلقه وما أسرُّوا ﴿ٱلْبَصِيرُ ۝٢٠﴾ بأعمالهم وعقابهم.

---

(١) الكشف والبيان ٢٣/ ١٩٠.

(٢) السَّحر: الرئة، وفي الأصل: الشجر، وهو تصحيف.

(٣) في الأصل: تدعون، وهي قراءة نافع وهشام وابن ذكوان بخلف عنه (النشر ٢/ ٣٦٥).

﴿۞أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: أهل مكة ﴿فَيَنظُرُوا﴾ في قُرِيَّات لوط وحِجر ويتفكروا ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ وبطشًا ﴿وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ عمارة لها، وتمولاً فيها ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ بشركهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾ أي: مانع.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الأخذ والعقاب ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا﴾ بما جاءت به الرسل ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: كُفرهم ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾ أي: قوي في نقمته ممن عصاه، وشديد العقاب لمن عاقبه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾ حجَّة ظاهرة[1].

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم﴾ موسىٰ ﴿بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا﴾ وآمن به بنو إسرائيل بعد ظهور المعجزة ﴿قَالُوا﴾ أي: قال فرعون: عودوا عليهم القتل كمما كنتم تقتلونهم ﴿اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من بني إسرائيل ﴿وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ أي: اتركوا بناتهم لخدمتكم ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾ أي: ما عمل فرعون وقومه إلا في ضلال.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لخاصته ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ حتىٰ يخلِّصه عني ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾[2] إنْ لم يبدِّل دينكم، وذلك الفساد: أن يقتل أبناء القبط كما قتلت القبط أبناء بني إسرائيل.

---

(١) تفسير السمعاني ٥/ ١٤.

(٢) في الأصل: وأن يظهر، وهي قراءة من سوىٰ الكوفيين ويعقوب (النشر ٢/ ٣٦٥).

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ لبني إسرائيل حين هدَّده فرعون بالقتل ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾ يا بني إسرائيل ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ أي: من شر فرعون ومن لا يؤمن بيوم الحساب يوم الجزاء.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وهو ابن عمه ﴿يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾ منه، واسمه: خربيل[1] ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ ومع ذلك ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ وزر كذبه ولا يضرُّكم كذبه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ﴾ قال أهل التفسير: كل الذي يعدكم لأنَّ البعض يُذكر ويُراد به الكلّ، ولو كان المراد به البعض معناه: وفي ذلك البعض هلاككم[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ [لَا يَهْدِى]﴾ لا يرشد إلىٰ الهُدىٰ والصواب ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ للرسل.

﴿يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ بمصر ﴿ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ غالبين قاهرين علىٰ أهلها ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ﴾ بسبب قتل موسىٰ وتكذيبه.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أي: لا أشير عليكم ولا آمركم إلا بما أرىٰ من الصواب بقتل موسىٰ ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم﴾ في تكذيب موسىٰ ﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾﴾ ثم بيَّن الأحزاب فقال: ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ حين أُغرِقُوا

---

(١) سبق ذكره في سورة الشعراء، آية ٦٧، وسورة القصص آية: ٢٠. وعند الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٣٧١ أن اسمه: سمعان أو حبيب.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٧٢، وقد ذكر السمعاني عدة أوجه في الجواب علىٰ هذا، تفسير السمعاني ٥/ ١٦.

﴿وَعَادٍ﴾ حين أُهْلِكُوا بالريح العقيم ﴿وَثَمُودَ﴾ حين ماتوا بالصيحة ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾ فيعذِّبهم بغير جُرم.

قال ابن عباس: رحمك الله يا خربيل ما أشبه كلامك بكلام الأنبياء.

ثم قال ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾ قيل: سُمِّي بهذا الاسم لأنَّ أهل الجنَّة يُنادُون أهل النار: ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾ الآية، وأما أصحاب النار ينادون أصحاب الجنة: ﴿أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾[1].

﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ﴾ لأنهم إذا عاينوا النار ولَّوْا هاربين مدبرين ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ﴾ أي: مانع من عذابه ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ يُخْذِله ويمنع عنه العصمة ﴿فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾﴾ يهديه.

ثم قال ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي: من قبل موسىٰ، بالبينات: تعبير الرؤيا وشق القميص، عن الضحاك.

وقيل: القحط والخصب[2].

﴿فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ﴾ يوسف ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ إلىٰ القبط ﴿رَسُولٗاۚ﴾ وكان فرعون موسىٰ هو فرعون الذي كان في زمن يوسف، وبعث إليه يوسف، وعُمِّر فرعون إلىٰ زمن موسىٰ[3].

وقال أبو معاذ: كأنَّهم تلهفوا بعد يوسف علىٰ ما فاتهم من الإيمان به فذكر خربيل تلهُّفهم بعد يوسف.

ثم قال ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ﴾ مشرك ﴿مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ في شِركه.

---

(١) تفسير السمعاني ٥/ ١٨.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٠٥.

(٣) وهذا قول غريب.

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ﴾ أي: حجة ظهرت لهم ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ أي: كبر جدالهم بُغضًا عند الله وعند المؤمنين ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ بالإضافة من غير تنوين القلب: أغلف[١]، لأن التكبُّر للإنسان لا للقلب.

وتنوين القلب قراءة أبي عمرو وحمزة لا غير[٢].

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾ أي: قصرًا مدورًا علىٰ هيئة المنارة، والصرح: كل بناء عظيم. ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ والسبب في اللغة هو: ما يُوصِّل إلىٰ الشيء.

﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ﴾ برفع العين: قراءة العامة، عطفًا علىٰ قوله: ﴿أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾.

وفي قراءة حفص: ﴿فَأَطَّلِعَ﴾، بنصب العين[٣]، لأنه جواب: لعلَّ بالفاء، وهو بعيد[٤].

﴿وَإِنِّي [لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ]﴾ لأظن موسىٰ كاذبًا، وأنا شاك في قوله، وإنما قال أطلع إلىٰ إلهه علىٰ زعمه لا بيقين منه.

---

(١) في الأصل: أغفل، وهو تصحيف.

(٢) كذا، والمعروف أن أبا عمرو وابن عامر بخلف عنه قرءا: قلبٍ، بتنوين الخفض، وقرأ الباقون: قلبِ، علىٰ الإضافة (النشر ٢/ ٣٦٥).

(٣) النشر ٢/ ٣٦٥.

(٤) لا بعد فيه، قال أبو علي: «ومن نصب جعله جوابا بالفاء لكلام غير موجب، كالأمر، والنهي، ونحوهما ممّا لا يكون إيجابا، والمعنىٰ: إنّني إذا بلغت اطّلعت، ومثله: ألا تقع الماء فتسبح، أي ألّا تقع، وألا تسبح، وإذا نصب كان المعنىٰ: إنّك إذا وقعت سبحت» (الحجة للقراء السبعة ٦/ ١١١).

﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ وقرئ: صدَّ[١].

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ أي: صنيعه ﴿إِلَّا فِى تَبَابٍ ۝٣٧﴾ أي: خُسران.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨﴾ وهو: الطريق الصواب دين موسىٰ، فحينئذ أظهر إيمانه، ثم زهَّدهم في الدنيا فقال:

﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ قليل تزول وتضمحل ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۝٣٩﴾ ولا تزول.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً﴾ من الشرك ﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَاۖ﴾ من العقوبة ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٤٠ * وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ من النار بالتوحيد ﴿وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١﴾ أي: الشرك ثم فسَّره، فقال ﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ بأنَّ له شريكًا ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ۝٤٢ لَا جَرَمَ﴾ قال مقاتل: حقًّا.

وقال الخليل: لا ردَّ، وجرم أي: حق ووجب أنَّ لهم النار.

وقيل: جرم كسب، معناه: كسب دعواه له ولشيعته دخول النار، وقد قدَّمنا ذِكره في سورة النحل[٢].

﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ أي: إلىٰ عبادته ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ أي: شفاعة ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بعد الموت ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين إذا بُعِثُوا ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٤٣ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ﴾ إذا

---

(١) قرأ الكوفيون ويعقوب بضم الصاد، وقرأ الباقون بفتحها (النشر ٢/ ٢٩٨) وكان في الأصل: ضبط الآية بالفتح، والقراءة بالضم، فهو يضبط القرآن علىٰ حرف أبي عمرو.

(٢) تفسير سورة النحل، آية: ٢٣.

نزل العذاب ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي: أترك تدبير أمري إلىٰ مدَّبري، وأترك اختياري لنفسي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤﴾.

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ أي: دفع عن خربيل غائلة مكرهم.

وذلك أنَّ فرعون قصد قتله، فهرب، فبعث في طلبه قريبًا من ألف رجل، فمنهم من أكلته السباع، ومنهم من رجع إلىٰ فرعون فصلبه(١).

﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥﴾ أي: أحاط بهم شدة العذاب، وهو الغرق.

﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ قال مقاتل: أرواح آل فرعون، وروح سائر الكفار، تعرض علىٰ النار كل يوم مرتين غُدُوًّا وعشيًّا ما دامت الدنيا، فإذا قامت القيامة فهم في النار ومأواهم النار(٢).

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يقال لخزنة جهنم ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ وقرئ: «أُدخلوا» علىٰ الأمر، و«آل» نصب علىٰ النداء(٣).

﴿وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ﴾ واذكر حين يتخاصمون في النار ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ﴾ السفلة ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾ من الرؤساء ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾ في الدنيا أطعناكم فيما تأمروننا ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ﴾ دافعون وحاملون ﴿عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ٤٧﴾ أي: جزءًا وبعضًا منها.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٠٧، الكشف والبيان ٢٣/ ٢٠٩.
وقال قتادة: نجا مع موسىٰ، وكان قبطيا (تفسير الطبري ٢١/ ٣٩٤).

(٢) وفي ذلك دليل علىٰ عذاب القبر (تفسير أبي الليث ٣/ ٢٠٧، الكشف والبيان ٢٣/ ٢١٠).

(٣) وهذه قراءة: ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ الباقون كما أثبت الآية، وإذا بدأ ابن كثير ومن معه بدأ بهمزة مضمومة (النشر ٢/ ٣٦٥).

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ نحن وأنتم في النار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ٤٨﴾ بين المؤمن والكافر والتابع والمتبوع.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ﴾ إذا اشتدَّ عليهم العذاب ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ يعني: الزبانية ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩﴾ أي: فيه يوم من أيام الدنيا.

فأجابوهم بعد مدة طويلة ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ بالحُجج والآيات ﴿قَالُواْ بَلَىٰۚ﴾ جاءتنا ﴿قَالُواْ﴾ يعني: خزنة النار ﴿فَٱدۡعُواْۗ﴾ أنتم إذ[1] اعترفتم بذلك، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ٥٠﴾ أي: خُسران، أي: يضل عنهم ما كانوا أحوج إليه، وهو الجواب، ولكن قيل لهم: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ٣٠﴾.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بالحُجَّة والغلبة ﴿وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾ يعني: الأنبياء من قبورهم، وقيل: الحفَظة وهو جمع شهيد، كشريف وأشراف، وقيل: جمع شاهد كصاحب وأصحاب[2].

﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢﴾ وهي النار.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ التوراة ﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٥٣﴾ وما فيه ﴿هُدٗى وَذِكۡرَىٰ﴾ عظة ﴿لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٤﴾.

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ وهو الهلاك لهم والنُصرة لك[3].

﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ قيل: لذنب أمتك، وقيل: لتقصير شُكر ما أنعم الله

---

(١) في الأصل: إذا، وما أثبته أصح.
(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٤٠٢.
(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٢١٠.

عليك[١] ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ صَلِّ بأمره وتوفيقه ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ۝٥٥﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يخاصمون في دفع آيات الله القرآن ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ [أَتَىٰهُمْ]﴾ أي: حُجَّة وعذر لهم في التوبة، وهم اليهود.

وذلك أنَّ اليهود أتوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقالوا: هل للدجال عندك من ذِكر؟ قال: «نعم» قالوا: فهو الذي يرد مُلكنا، إنَّ الدجال رأسه في الغمام، وماء البحر علىٰ ركبته، يصيح فيسمع صوته أهل المشرق والمغرب[٢]، فنزل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بأنّ الدَّجَّال يردُّ عليهم ملكهم، وقالوا: بأنَّ الدجَّال من آيات الله يعني حُجَّة لهم.

﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ أي: ما في صدورهم إلا كبر عن الإيمان وتعظُّم علىٰ رسول الله بخروج الدجَّال ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ أي: لا يبلغون إلىٰ ذلك، ثم أمر رسول الله وقال: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ من الكِبر.

وقال الضحاك: من فتنة الدجال.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لمقالة اليهود ﴿ٱلْبَصِيرُ ۝٥٦﴾ بأعمالهم وعقوبتهم.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له ذنوبه، وأعاذه الله وأولاده من فتنة الدجال: بلغنا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّه ذكر الدجَّال وخروجه، فقال: يكون خروجه في وقت يأتي قبل خروجه ثلاث سنين، يهلك فيها كل ذي حافر، تمنع السماء في السنة الأولىٰ ثُلث قَطرها، وفي السنة الثانية ثُلثي قطرها، وفي السنة الثالثة جميع قطرها، وتمنع الأرض نباتها، فينزل بالناس جوع شديد، ثم

---

(١) وقيل: لذنب أمتك (تفسير أبي الليث ٣/ ٢١٠).

(٢) وهو قول الكلبي ومقاتل، كما في تفسير أبي الليث ٣/ ٢١٠. والصحيح أن المراد عموم المجادلين من أصناف المشركين (تفسير الطبري ٢١/ ٤٠٤).

يخرج الدجال علىٰ حمار أقمر، وهو مطموس العين، مكتوب بين عينيه: كافر بالله، يقرأه كل أُمي وقارئ، فيطأ كلَّ مسجد إلا المسجد الحرام، والمدينة، وبيت المقدس، وأكثر تبعه الأعراب والنساء واليهود والنصارىٰ، فيقول للناس يومًا: مَنْ تعبدون؟ قالوا: الذي يُرسل علينا قطرًا مدرارًا، فيوحي الله إلىٰ السماء أن أطيعيه، فتمطر ما شاء الله، فيقول: من ربكم؟ فيقولون: الذي يحيي لنا الأرض، فيوحي الله إلىٰ الأرض أن أطيعيه، فتصبح الأرض مخضرَّة بأمره، فيقول: مَن ربُّكم؟ فيقولون: الذي يُحيي لنا الموتىٰ، فيسلّطه الله علىٰ نفس فيقتلها، ثم يبعثها، فتنة للناس، فبكىٰ أصحابه كلهم، ثم قال لهم: أبشروا، فإنْ خرج وأنا فيكم فالله ورسوله كافيكم، وإن خرج بعدي فالله خليفتي علىٰ كل مسلم، ثم قال: يُعمِّر أربعين سنة، فأوَّل سنة كالشهر، والثانية كالجمعة، والثالثة كيوم، وسائرها كالساعة، ثم ينزل عيسىٰ فيذوب كما يذوب الرصاص، قالوا: فما معيشة المؤمن؟ قال: التسبيح والتقديس والتهليل، قالوا: فما علامة خروجه؟ قال: يشربون الخمر في الأسواق، ويطفِّفون المكيال والميزان، ولا يعرف معروف ولا يُنكَر مُنْكَر، فهذا علامة خروجه(١).

وقوله ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ قال مقاتل: الناس هاهنا الدجال(٢).

يقول: من يقدر علىٰ خلق السماوات والأرض أعظم من الدجال لقادر علىٰ أن يمنع شرَّ الدجَّال وغلبته علىٰ المسلمين، فيرسل عيسىٰ ليغلبه ﴿وَلَٰكِنَّ

---

(١) هذا جزء من حيث روي عن أسماء بنت يزيد بن السكن، قال الراوي: وهي بنت عم معاذ، كذا في تفسير الثعلبي الكشف والبيان ٢٣/ ٢١٧. وفي إسناده ضعف.
وانظر حديث فتنة الدجال في صحيح البخاري ٧١٢٢، وصحيح مسلم ٢٩٣٨.

(٢) وهذا بناء علىٰ سبب النزول، وقد بينا أنه ليس بصحيح، فلا يصح أن يبنىٰ عليه.

أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ من اليهود وغيرهم ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾.

﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ أي: لا يستوي المؤمن والكافر ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ﴾ يعني: المؤمن المخلص، والكافر والمسيء ﴿قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ٥٨﴾.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾ عند من يؤمن بها ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ من أهل مكة وغيرهم ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ ٥٩﴾ بالبعث.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ﴾ لأهل الإيمان ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ أي: وحِّدوني أغفر لكم(١).

وقال الضحاك: أستجب لكم في عاجل دنياكم وآخرتكم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾ أي: عن توحيدي وطاعتي ﴿سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ أي: صاغرين ذليلين.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ لتسكنوا في سواد الليل ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾(٢) أي: تطلبوا المعيشة والرزق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بخلق الليل والنهار ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ ممن جحد النعمة ﴿لَا يَشۡكُرُونَ ٦١﴾ ربهم، ولا يوحِّدونه، ومعناه: قوله ادعوني استغيثوا بي إذا نزل بكم الضرَّ أستجيب لكم دعاءكم، أي غَوْثُكم.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾ يعني: خلق الليل والنهار والأرض والسماء ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٦٢﴾ أي: تُصرفون عن الحق.

---

(١) نسبه الثعلبي لأكثر المفسرين (الكشف والبيان ٢٣/ ٢٢٦).

(٢) في الأصل: مبصرا لتبتغوا من فضله، وليست هذه آية سورة المؤمن.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ يعني: كما أفكتم ﴿يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ يعني بالقرآن وبمحمد.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ تحت أقدامكم ﴿قَرَارًا﴾ أي: منزلاً ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ سقفًا مرفوعًا فوق رؤوسكم ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾ في أرحام أمهاتكم ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أي: لم يصوركم علىٰ صورة البهائم ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ قبل ثج[1] كل شيء، وقيل: الحلالات ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ الذي فعل ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ سيد الخلائق أجمعين ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ﴾ فاعرفوه بالتوحيد ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ ثم حمد نفسه فقال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني الأصنام ﴿لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى﴾ بأني رسوله ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ أُخلص له التوحيد، وذلك حين دعوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ الرجوع إلىٰ دين آبائه.

ثم دلَّهم علىٰ وحدانيته فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ أي: من آدم وآدم من تراب ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ من بطون أمهاتكم ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ مُنتهىٰ الشباب ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ الأشُدَّ ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ عن الله أمره.

ثم قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ الحياة أو الموت أو الرحمة أو العذاب ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ أي: يخاصمون ﴿فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وينكرونها

---

(١) كذا في الأصل.

وهو القرآن ﴿أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ۝٦٩﴾ من أين يعدلون عنه إلىٰ غيره.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ﴾ قبل محمد ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٧٠﴾ كيف يكون حالهم.

ثم بيَّن وقال: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ۝٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ﴾ في المياه الحارَّة مرةً، وعلىٰ جمر جهنم ظهرًا لبطن مرَّةً، وإلىٰ الزقوم مرَّةً، وإلىٰ الضريع مرَّةً، وإلىٰ الغِسلين مرَّةً ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ۝٧٢﴾ يُحرقون.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ۝٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ من الأصنام حتىٰ يمنعونكم من العذاب ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ أي: اشتغلوا بأنفسهم عنَّا ثم أنكروا عبادتهم، وقالوا: ﴿بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ﴾ في الدنيا ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧٤﴾ أي: يخذلهم.

وقيل: معنىٰ قولهم: لم نكن ندعو من قبل شيئًا، أي: كانوا لا يسمعون ولا يبصرون في الدنيا فلم يكونوا شيئًا(١).

﴿ذَٰلِكُم﴾ السلاسل ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ أي تتكبرون فيها بعبادتكم الأصنام ﴿وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ۝٧٥﴾ قال الضحاك: الفرح والمرح هاهنا الشرك، والأصل فيه البطر والأشر(٢).

فـ ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٦﴾ عن الإيمان.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٢١٤.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٤١٧، الكشف والبيان ٢٣/ ٢٤٠.

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ﴾ يا محمد ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ﴾ من العذاب في حياتك ﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل: أن نُنزل العذاب بهم ﴿فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٧٧﴾ فنجزيهم بأعمالهم.

قال الضحاك: أرىٰ الله رسولَه عذابَ أعدائه يوم بدر.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ﴾ إلىٰ أممهم ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ﴾ قصتهم في القرآن ﴿وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ ومن سمَّاهم الله في القرآن ثمانية عشر نبيًّا.

الأزهري: جاء في التفسير أن الله تعالىٰ بعث ثمانية آلاف نبي، منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الأمم[١].

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾ إلىٰ قومه ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: بأمره ومشيئته ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ وهو وعده لرسله من عقاب ﴿قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ﴾ بين الكفار بالعدل، أي: لم يظلموا حين عُذِّبوا ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾ عند نزول العذاب بهم ﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٧٨﴾ الجاحدون بما جاءت به الرسل.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا﴾ مثل الإبل خاصة، عن الأزهري[٢] ﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٩﴾ من لحومها.

﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ في ركوبها وشرب ألبانها والانتفاع بأصوافها ﴿وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ﴾ أي: علىٰ ظهرها من بلد إلىٰ بلد ﴿وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ٨٠﴾ في البر علىٰ الإبل وفي البحر علىٰ السُّفن.

---

(١) وفيه حديث رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ٣٣٠: «بعثت علىٰ إثر ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف من بني إسرائيل» وهو حديث منقطع الإسناد، وتفرد به مسلم بن خالد الزنجي ضعيف.

(٢) فمعنىٰ: منها أي: بعضها (تفسير أبي الليث ٣/ ٢١٥).

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ دلائل وحدانيته، وعجائب صُنعه؛ من الليل والنهار والبر والبحر والجبل والسهل ﴿فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ أي: تجحدون أنها ليست من الله.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: المجادلين ﴿فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ عددًا ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ وبطشًا ﴿وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من البنين والمصانع ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ من عذاب الله.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: العلامات والأمر والنهي ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أشروا وبطروا بما كانوا عليه من الشرك ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي: نزل بهم ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾ بالرسل.

﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ أي: عذابنا ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ لا شريك له ﴿وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾ من الأوثان.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ﴾ تصديقهم الرسل ﴿لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ عاينوا عذابنا ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ نصب على المصدر، أي: سنَّ الله هذه السُنَّة[1] ﴿ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾ لمن جحد الرسل ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾ عند نزول ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ يخوِّف به كفار مكة.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة المؤمن لم تبق روح نبي وغيرهم ولا صديق ولا شهيد إلا صلُّوا عليه واستغفروا له»[2].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٣.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٣/ ١٥٧، المستغفري في فضائل القرآن ١٢٠٧.

سورة [حم] السجدة

مكية[١]، وهي خمس وخمسون آية كوفيَّة، وثلاث مدنيَّة، وآيتان بصريَّة[٢].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿حمٓ ۝١﴾ قال قتادة: هو اسم من أسماء كتاب الله تعالىٰ[٣]، قيل: هذه الحروف والكتاب.

﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بُيِّنت عجائبه بالحلال والحرام والفرائض والحدود ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ منصوبان علىٰ الفعل[٤] ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ العربيَّة.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: من اتَّبعه فله البُشرىٰ في الدنيا والآخرة، ومن كفر به فالنار مثواه ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ أكثر أهل مكة ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾ أي: لا يفهمون الهُدىٰ.

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ أي: في أغطية مِن التوحيد ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ أي: صمم، معناه: نحن في ترك القبول منك بمنزلة من لا يسمع قولك.

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٣/ ٢٤٧، زاد المسير ٤/ ٤٥.
وهكذا سماها في الأصل: سورة السجدة، وهو صحيح، وتسمىٰ كذلك: حم السجدة، ولذا أضفت حم تمييزا لها عن السجدة الأولىٰ، التي تسمىٰ: ألم تنزيل السجدة، وتمسىٰ هذه السورة كذلك: سورة فصلت، وسورة المصابيح، والأقوات.

(٢) والشامي كالبصري، والمكي كالمدني (البيان في عد آي القرآن ٢٢٠).

(٣) هاهنا زيادة: كآية. ولا معنىٰ لها.

(٤) أي: فصلت كذلك، وهو قول الكسائي (إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤)، وقيل: حال، وقيل: منصوب علىٰ المدح (التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١١٢٣، الدر المصون ٩/ ٥٠٥).

﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ﴾ حاجز في المذهب والدين ﴿فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾ أي: اعمل على دينك فإنَّا عاملون على ديننا.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ كتاب الله، وأنا أفهم، وأنتم تزعمون أن قلوبكم في أكنَّة، وفي آذانكم وقر، لا عذر لكم في ذلك، وإنما يحجبكم من الإيمان كفركم وطغيانكم، فاتركوا ما أنتم عليه، حتى تفهموا ما دُعيتم إليه.

﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ إلى التوحيد، وقيل: امضوا إلى الله بالتوحيد[١].

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾ لما مضى من ذنوبكم ثم أوعدهم فقال ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: لا يُقرُّون بالصدقة[٢].

﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ أي: بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ﴾ في الآخرة ﴿غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٨﴾ أي: مقطوع.

﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ استفهام خرج مخرج التوبيخ والتقريع، يعني: لكفار مكة ليس لكم أن تجحدوا بالذي خلق الأرض في يومين من أيام الدنيا.

وقيل: من أيام الآخرة[٣].

ولو أراد أن يخلق السماوات والأرض في لحظة عين لقدر عليه، ولكنه

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٢١٩.

(٢) تفسير السمعاني ٥/ ٣٧.

(٣) وهو قول غريب، والأول هو الصحيح المعروف، وقد ورد تسمية الأيام بأسمائها (الكشف والبيان ٢٣/ ٢٥٥).

أحبَّ [أن] يبصر الخلقُ وجوه الأناة، وقد جاء في الخبر: «أنَّ الله تعالىٰ خلق الأرض يوم الأحد والاثنين، والجبال يوم الثلاثاء، والشجر والماء والعمران والخراب يوم الأربعاء، فتلك أربعة أيام، وخلق السماء يوم الخميس، وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة»(١).

﴿وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ أشباهًا وشركاء ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي هذا صُنعه ﴿رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩﴾ فكيف يكون له أندادًا.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا﴾ لئلا تميل بأهلها ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ بالماء والشجر والنبات ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ أقوات كل محتاج إلىٰ القوت ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠﴾ أي: عدلاً لمن(٢) سأل الرزق من السائلين.

وقال الكلبي: لمن سأل عن أمرهما في كم خُلِقَت السماوات والأرض، فجوابه هكذا خلقهما سواءً، لا زيادة ولا نُقصان(٣).

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: عمد إلىٰ خلق السماء ﴿وَهِيَ دُخَانٞ﴾ أي: بُخار قد ارتفع من الماء حين سلَّط النار علىٰ الماء ﴿فَقَالَ لَهَا﴾ أي: لذلك الدخان: كن سبع سموات غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وما بين كل

---

(١) رواه الطبري في تفسيره من طرق عن ابن عباس (تفسير الطبري ٢١/ ٤٣٢). وروىٰ مسلم في صحيحه ٢٧٨٩عن أبي هريرة حديث التربة، وهو: أخذ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بيدي فقال: «خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلىٰ الليل».

(٢) في الأصل: فمن، وهو تصحيف، والصواب ما أثبت، ويدل عليه ما بعده. وهو قول مقاتل كما في تفسير أبي الليث ٣/ ٢١٩.

(٣) الكشف والبيان ٢٣/ ٢٥٨.

سماء مثله، ثم قال: لها ﴿وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ افعلا: ما أمرتكما طائعين طوعًا، أو كارهين كرهًا.

وقيل: أخرجا ما فيكما من المياه والأشجار والأمطار[١].

﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ ولم يقل: طائعات؛ لأنهنَّ أجرين مجرىٰ ما يعقل كقوله: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ أي: خلقهنَّ ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ في يومين الخميس والجمعة ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ أي: في كل سماء أهلها بأمر، وجعل في كل سماء من الملائكة ما ليس في غيرها ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ أي: سُرُج من الكواكب ﴿وَحِفْظًا﴾ وحفظناها أي: السماء من كل شيطان رجيم واستماعهم.

وقيل: حفظًا من أن تزول عن مكانها[٢].

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ القوي علىٰ أمره، العليم بما يكون كيف يكون.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾ المعنىٰ: فإن تولَّوا عن قبول رسالتك فقل خوَّفتكم بالقرآن ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ يعني: عذابهم.

﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ ما بين أيديهم إلىٰ آبائهم، ومن خلفهم: أي إليهم من بعد آبائهم.

---

(١) وهو قول مجاهد (تفسير أبي الليث ٣/ ٢٢٠) وروي عن ابن عباس (تفسير الطبري ٢١/ ٤٣٩) وهذا يعني أن قوله: ائتيا بمعنىٰ أعطيا.

(٢) والأول الذي يذكره أكثر المفسرين، وهو الصحيح بدلالة ذكر التزيين (تفسير الطبري٢١/ ٤٤٢، الكشف والبيان ٢٣/ ٢٦٢).

وقيل: من بين أيديهم من بلادهم يرونه، ومن خلفهم: من بلاد أُخر لا يرونه، وقد بلغت إليهم دعوته(١).

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً﴾ إليه من عنده ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ۝١٤﴾ بأنها من عند الله.

ثم قصَّ وقال: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ عن الإيمان بهُود صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ﴾ لأنه كانَ أطولهم مائة ذراع، وأقصرهم اثني عشر ذراعًا، وكان الرجل منهم ينزع قطعة من الجبل.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةًۖ﴾ وسلطانًا ومَنْعَة ﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝١٥﴾ أي: بما أتاهم نبيهم به.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ باردة، وهي ريح الدَّبور ﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ مشؤومات، بكسر الحاء وجزمها(٢).

وذلك من الأربعاء إلىٰ الأربعاء ثمانية أيام.

﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ﴾ أي: الهوان ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰۖ﴾ أبلغ في الفضيحة ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ۝١٦﴾.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ﴾ بيَّنا لهم طريق الهُدىٰ من الضلالة ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ اختاروا الضلالة ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ وهو الخزي الذي أهانهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝١٧﴾ من الشرك.

---

(١) والأول هو المعروف (تفسير الطبري ٢١/ ٤٤٣).

(٢) قرأ أبو جعفر وابن عامر والكوفيون بكسر الحاء، وقرأ الباقون بسكونها (النشر ٢/ ٣٦٦). والمعنىٰ: ذات نحس عليهم، وقيل: متتابعات، وقيل: النحسات الشر، وقيل: شدائد (تفسير الطبري ٢١/ ٤٤٦).

﴿وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بصالح النبي عليه الصلاة والسلام ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ١٨﴾ الشرك من عذابنا، قيل: آمنوا بصالح مائة وعشرة أنْفُس(١).

﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: يُساق الكفرة إلىٰ جهنم زُمرًا ﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٩﴾ يُردُّ أولهم علىٰ آخرهم، وقيل: يحبس أولهم علىٰ آخرهم ليتداركوا جميعًا، وهو: من وزعتُه أي: كففتُه(٢).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ ما: صلة، أي: حضروها وعاينوا ما فيها ﴿شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم﴾ عند المحاسبة بما كان منهم.

قال الكلبي: الجلود عبارة عن الفرج(٣).

﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ﴾ بعد ما رُدَّ إليهم نُطقهم ﴿لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ﴾ وعملتم في هلاكنا بعد إنكارنا ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ فنطقنا بإنطاقه إيَّانا كما أُنطِقتُم أولَ مرة في دار الدنيا وخلقكم ناطقين فيها ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١﴾ أي: رجعتم إليه.

وقيل: قد ذكر الله لكم في كتابه: «وإليه ترجعون».

﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ﴾ أي: تحسبون، وقيل: تستيقنون(٤).

---

(١) وهاهنا يذكر المفسرون قصة عتبة بن ربيعة مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم وسماعه منه أوائل هذه السورة، وهي القصة التي أوردها المصنف في تفسير السورة السابقة (انظر: تفسير أبي الليث ٣/ ٢٢١، الكشف والبيان ٢٣/ ٢٦٥، الكشاف ٤/ ١٩٢).

(٢) انظر تفسير سورة النمل، آية: ١٧.

(٣) وأنكره ابن جرير، وقال: هذا القول الذي ذكرناه عمن ذكرنا عنه في معنىٰ الجلود، وإن كان معنىٰ يحتمله التأويل، فليس بالأغلب علىٰ معنىٰ الجلود ولا بالأشهر، وغير جائز نقل معنىٰ ذلك المعروف علىٰ الشيء الأقرب إلىٰ غيره إلا بحجة يجب التسليم لها (تفسير الطبري ٢١/ ٤٥١).

(٤) وقيل: تستخفون وقيل: تتقون (الكشف والبيان ٢٣/ ٢٧٤).

﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ هذه مقالة الملائكة لهم ﴿وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ في الدنيا.

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ أي: أهلككم وأغواكم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ المغبونين بذهاب حظوظكم من الجنَّة.

ثم أخبر عن حالهم وقال: ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ أبدًا ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟﴾ يعتذروا ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ المعذورين.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ أي: سلَّطنا على الكفرة قُرناء من الشياطين ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الآخرة بأنها غير كائنة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا، حتىٰ يجمعوها، مِن حلٍّ أو حرام، وينفقونها في باطل ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: وجبت عليهم السخطة والعذاب ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ أي: يكونوا مع أمم ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ مغبونين.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بعضهم لبعض ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ من محمد ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ واللغو: كل كلام ليس له حقيقة ولا فائدة ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ برفع أصواتكم قِرَاءته فتختلط عليه.

قيل: كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا قرأ القرآن في الصلاة قام عن يمينه رجلان من بني عبد الدار، ورجلان عن يساره، ويرفعون أصواتهم

وروىٰ الطبري في تفسيره ٢١/ ٤٥٦ عن ابن مسعود أنه قال: إني لمستتر بأستار الكعبة، إذ دخل ثلاثة نفر، ثقفي وختناه قرشيان، قليل فقه قلوبهما، كثير شحوم بطونهما، فتحدثوا بينهم بحديث، فقال أحدهم: أترىٰ الله يسمع ما قلنا؟ فقال الآخر: إنه يسمع إذا رفعنا، ولا يسمع إذا خفضنا، وقال الآخر: إذا كان يسمع منه شيئا فهو يسمعه كله، قال: فأتيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فذكرت ذلك له، فنزلت هذه الآية..، متفق عليه، رواه البخاري ٤٨١٦، ومسلم ٢٧٧٥، فهذا يؤيد قول أكثر المفسرين أن المعنىٰ: تستخفون.

بالأشعار والأرجاز، حتىٰ يخلطوا قراءة رسول الله، فأنزل الله تعالىٰ[١]: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يعني هؤلاء النفر.

قال مقاتل: العذاب الشديد هو القتل ببدر[٢].

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾ يعني: جزاء شركهم وإيذائهم رسول الله.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾ ثم فسَّر الجزاء وقال ﴿ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ لا يموتون في النار أبدًا ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝٢٨﴾ بكتبنا ورسلنا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في النار ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ في دار الدنيا ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ وسنَّا لنا الكفر، وهو إبليس رأس الكفرة من الجن، وقابيل بن آدم من الإنس[٣] ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ۝٢٩﴾ تحتنا.

ابن عباس: أول من يُساق إلىٰ النار إبليس، وعليه جُبَّة من نار، وعلىٰ رأسه تاج من نار، وملك يسحبه فيلتفت ويقول: وعزَّتك إني كنت عبدًا لك أعرفك، أما تنفعني المعرفة اليوم، فيسحبه الملك فيقول للملك: أما ترحمني، أَقْرِني حتىٰ أدعوا إلٰهي، وتعرف أنّي كنتُ عبدًا له أعرفه، فيُكَبْكَب في النار.

ثم يُجاء بقابيل فيُصنع به كما يُصنع بإبليس، ثم يُدْعَىٰ برؤوس الضلالة: نمرود وفرعون وأشياعهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وحده، عرفوه بالوحدانية ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ علىٰ المعرفة.

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ١٦٥، تفسير أبي الليث ٣/ ٢٢٥، الكشف والبيان ٢٣/ ٢٨١.

(٢) لم يذكره في هذه الآية في تفسيره ٣/ ١٦٥.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٢٥.

قال رسول الله: «هم أمتي ورب الكعبة، مرتين أو ثلاثة، آمنوا ولم يشركوا»[١].

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند فراق الأحبَّة وقبض أرواحهم بالبشارة ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ علىٰ ألسنة الرُسل.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في الحياة لأنَّ البشارة علىٰ لسان الملائكة الذين هم حفظة المؤمنين، فقالوا: نحن أولياؤكم، أي: نحفظكم وننصركم في الدنيا، ونحن أولياؤكم وأنصاركم في القبر، وفي القيامة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ أي: في الجنَّة ﴿مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ أي: تتمنون وتسألون.

﴿نُزُلًا﴾ أي: كرامة ورزقًا في الجنَّة ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ الغفران يكون للمذنب، ثبت أن الخطاب لعامة المسلمين من المخلِصين.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني: محمد دعا إلىٰ الله الخلقَ ليوحِّدوه ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فيما بينه وبين الله تعالىٰ ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ وقيل: نزلت في المؤذِّنين، عن عائشة رضي الله عنها[٢].

وقال الضحاك: في بلال المؤذِّن[٣]، والدعاء إلىٰ الله: قوله «حي علي الصلاة حي علي الفلاح».

---

(١) غريب، ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٢٣/ ٢٨٩ من غير إسناد.

(٢) رواه الثعلبي عنها في الكشف والبيان ٢٣/ ٢٩٨، ورواه الطبري عن قيس بن أبي حازم (تفسير الطبري ٢١/ ٤٦٩) وهو قول عكرمة كما في الكشف والبيان ٢٣/ ٢٩٧.

(٣) وهو معنىٰ القول السابق.

وعمل صالحًا: صلَّىٰ بين الأذان والإقامة ركعتين[١].

وقال إنني من المسلمين: قوله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

وقيل: الآية عامَّة في كل مَنْ يأمر بمعروف أو ينهىٰ عن منكر[٢].

﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ قال الكلبي: الحسنة: التوحيد، والسيئة: الشِرك، وقيل: الحلم والفُحش، عن الضحاك[٣].

وقيل: إنَّ أبا جهل كان يؤذي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأمره الله بالصفح عنه فقال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي: اصرف الفُحش عن نفسك بالخِصلة الجميلة، وقيل: بالسلام[٤].

﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ﴾ وهو أبو جهل إذا فعلت ذلك ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ أي: ناصر لك، مِن أخصِّ أقربائك.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي: لا يوفَّق بالعفو والصفح عند سماع السيئة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ علىٰ الأذىٰ، ومضض ما سمعوا، وكظموا الغيظ ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ نصيب وافر في الجنَّة.

وقيل: سهم من العقل وافر.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ النزغ: هو التحريك للشيء والدعاء إليه[٥]، والمعنىٰ: إما يصيبنَّك من الشيطان خفة ووسواس ومكافأة عدوك

---

(١) وهو قول قيس بن أبي حازم كما في تفسير الطبري ٢١/ ٤٦٩.

(٢) وهو أولىٰ الأقوال.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٢٧.

(٤) وقيل نزلت في أبي سفيان (الكشف والبيان ٢٣/ ٣٠٠).

(٥) انظر: تفسير سورة الأعراف، آية: ٢٠٠.

﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ﴾ من شر وسوسته ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعاء المستعيذين ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ بإجابتهم.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ﴾ وخَلْقِه إياهما وما فيهما من المنافع ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ﴾ لأنهما مخلوقان ﴿وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾ يعني: إن أردتم بعبادة الأصنام عبادتي، فارغبوا في عبادتي دونهم.

﴿فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن السجود لله والطاعة له ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ من الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: يصلُّون ويذكرون ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ﴾ أي: لا يملُّون ولا يفترون.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ الدَّالة علىٰ توحيده ﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً﴾ مغبَّرة يابسة، وخشوعها: يُبسها وذهاب نباتها ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ﴾ استبشرت ﴿وَرَبَتۡۚ﴾ انتفخت، وقرئ: و«ربأت»(١)، أي: ارتفعت.

﴿إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ﴾ يوم البعث ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾ من إنبات النبات وإحياء الموتىٰ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: يميلون عن الإيمان بآياتنا ورسلنا ﴿لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾ أي: لا تعمىٰ علينا ضمائرهم وظواهرهم ﴿أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ﴾ منكوسًا أبو جهل وأصحابه(٢) ﴿خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ من عذاب الله وهو النبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ أيها الكفار، توعُّدٌ خرج مخرج الأمر ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من الخير والشر ﴿بَصِيرٌ ٤٠﴾ عليم أجازيكم.

---

(١) وهي قراءة أبي جعفر (النشر ٢/ ٣٢٥).

(٢) الكشف والبيان ٢٣/ ٣٠٣.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ﴾ وهو القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ الرسول به، متروك الجواب، وجوابه: خسروا ولهم عذاب أليم(١).

ثم مدح الكتاب فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١﴾ كريم علىٰ الله ومنيع لا يُرام، ولا يقدر عليه لِمَا فيه من الإعجاز(٢).

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ لا يأتيه الباطل من بين يديه، يعني: من التوراة والإنجيل والزبور، ولا من خلفه: أي: لا ينسخه كتاب آخر ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ أي: حكيم فيما أمر، حميد في فعاله، وقيل: معناه حامد لمن عمل بطاعته.

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: لا يؤمرُ لك من دعوة الخلق إلىٰ التوحيد، والزجر عن الكُفر، إلاَّ مثل ما أمر به الرسل قبلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لمن أجابك إلىٰ التوحيد ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۝٤٣﴾ لمن خالف أمرك.

وقيل: معناه ما يُقال لك من التكذيب والتسخير والنسبة إلىٰ الكهانة؛ إلا ما قد قيل للرسل من قبلك، فصبروا علىٰ ذلك، فاصبر أنت كصبرهم، إن ربك لذو مغفرة لمن تاب عن الشرك، وذو عقاب أليم لمن أصرَّ علىٰ الكُفر(٣).

---

(١) قال الفراء: «يقال: أين جواب إن؟ فإن شئت جعلته «أولئك ينادون من مكان بعيد»، وإن شئت كان في قوله: «وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل» ، فيكون جوابه معلوما فيترك، وكأنه أعرب الوجهين وأشبهه بما جاء في القرآن» (معاني القرآن ٣/ ١٩).

(٢) قال أبو إسحاق: فيه وجهان: أحدهما أن الكتب التي تقدمت لا تبطله وَلَا يأتي بعده كتابُ يُبْطِلُه. والوجه الثاني أنه محفوظ من أن يَنقُصَ منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه (معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٨٨).

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٤٨١، تفسير أبي الليث ٣/ ٢٣٠ ، الكشف والبيان ٢/ ٣٠٥.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ وبُيِّنَتْ بالعربيَّة حتى نفهمها، فإذا أنزلناه بلغتهم التي يعرفونها كفروا، ولو جعلناه أعجميًّا لقالوا: ﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ أي: رسول عربي وكتاب أعجمي ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ لما في الصدور وجلاء للرَّين ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ أي: قفل وصمم عن سماعه ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ أي: ظُلمة وشُبهة على المعاندين ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ لا يسمعون نداء القرآن، وهذا مَثَل.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ أي: اختلف فيه قوم موسى من بعده بخمسمائة سنة، كما اختلف قومك في كتابك، منهم من صدَّق ومنهم من كذَّب ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عن هؤلاء الكفَّار ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: فرغ عن هلاكهم ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ يعني كفار مكة ﴿لَفِى شَكٍّ [مِّنْهُ]﴾ من القرآن ﴿مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾ ظاهر الشك.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ ثوابه ﴿وَمَنْ أَسَآءَ﴾ أشرك وأذنب ﴿فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ ولا يعاقبهم بغير جُرم.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: ينتهي إلى الله علم قيام الساعة، وذلك العلم عند الله كما أنَّ علم الثمار في الأكمام عنده ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ أي: كُفُرَّاها.

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: لا يكون الحمل والوضع إلا بعلمه.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ وهم في النار ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ﴾ أعلمناك

وأخبرناك ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ۝٤٧﴾ أي: ليس منَّا من يشهد أنَّ لك شريكا[(١)].

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي: بطل عنهم، وقيل: اشتغل عنهم ما كانوا يدعونه في الدنيا إلـٰهًا.

﴿وَظَنُّواْ﴾ يعني: أيقنوا[(٢)] ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ۝٤٨﴾ منجىً ولا مخلص.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: لا يملُّ من سؤال الصحة والنفع والأمن لنفسه ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الشدة والفقر ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ۝٤٩﴾ آيِس من رحمة الله، قنوط شديد اليأس.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ﴾ أعطيناه ﴿رَحْمَةً﴾ أي: نعمة وعافية ﴿مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ من بعد فقر أصابه ﴿لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى﴾ استحققت هذا بجهدي وقوتي ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ بعد الموت علىٰ زعم محمد ﴿إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة، كما أن لي في الدنيا منه الحُسنىٰ.

نزلت في عُتبة بن ربيعة وأصحابه[(٣)].

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ نجازيهم علىٰ أعمالهم الخبيثة ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٠﴾ شديد في القيامة.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ الكافر بالمال والولد ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ عن الإيمان ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ أي: الفقر وما يكره ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ۝٥١﴾ أي: كثير لا يفتر.

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٤٨٨.

(٢) فالظن هنا بمعنىٰ اليقن (تفسير الطبري ٢١/ ٤٨٩).

(٣) هكذا قال النقاش في تفسيره، نقله السمعاني في تفسيره٥/ ٦٠، وقال الضحاك: نزلت في شأن النضر بن الحارث (تفسير أبي الليث ٣/ ٢٣٢).

يقال في هذا: أنه ذُكر قبل هذه الآية: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ۝٤٩﴾، وفي هذه الآية: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ۝٥١﴾.

فقد قيل: إنَّ الأول نزل في أبي جهل، والآخر في أبي حذيفة(١).

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ﴾ يعني: القرآن ﴿كَفَرۡتُم بِهِۦ﴾ متروك الجواب، وجوابه: فما حجتكم عند الله؟.

﴿مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ۝٥٢﴾ أي: خلاف بعيد عن الحق.

﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ يعني: دلالة وحدانيته وربوبيته في الآفاق: باختلاف الأزمان، وتغيير العالَم، ومجاري الشمس والقمر، واختلاف الليل والنهار، والقحط والخصب، وهلاك الأمم، وفي أنفسهم: من الأمراض والأوجاع، والصِغَر والكِبَر، والشباب والهرم(٢).

والسين في: «سنُريهم» سين وعد، أي: سوف نريهم.

قيل: أراد بالآفاق فتوح البلاد، وفي أنفسهم: فتح مكة خاصة(٣).

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ رسول من الله، وقيل: الهاء تعود إلىٰ الله، أي: أنه إلـٰه حق ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ يقول: أولم يكف بشهادة ربك أنه عليم بكل شيء.

---

(١) ونحوه في تفسير أبي الليث ٣/ ٢٣٣

(٢) قال عطاء وابن زيد: في الآفاق يعني أقطار الأرض والسماء، من الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والجبال والأنهار والبحار والأمطار، وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة، وسبيل الغائط والبول، حتىٰ إن الرجل ليأكل ويشرب من مكان واحد، ويخرج ما يأكل ويشرب من مكانين (الكشف والبيان ٢٣/ ٣١٧).

(٣) وهو قول السدي، كما في تفسير الطبري ٢١/ ٤٩٣، الكشف والبيان ٢٣/ ٣١٧.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ﴾ أي: في شك من البعث ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾ عليم، أحاط علمه بجميع المعلومات.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا عن أُبي بن كعب أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة حم السجدة أُعطي من الأجر بعدد كل حرف منها عشر حسنات»[1].

۞ ۞ ۞

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٣/ ٢٤٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٠٨.

الفهرس

سورة الأنبياء ٥
سورة الحج ٣٥
سورة المؤمنين ٦٣
سورة النور ٨٧
سورة الفرقان ١٢١
سورة الشعراء ١٤٣
سورة النمل ١٦٩
سورة القصص ١٩٣
سورة العنكبوت ٢٢٥
سورة الرُّوم ٢٤٥
سورة لقمان ٢٦١
سورة السجدة ٢٧٥
سورة الأحزاب ٢٨٧
سورة سبأ ٣٢١
سورة الملائكة ٣٣٩
سورة يس ٣٥٣
سورة الصافات ٣٧٥
سورة ص ٣٩٥
سورة الزمر ٤١٧
سورة المؤمن ٤٤٣
سورة [حم] السجدة ٤٦٥